

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

تخصص: تاريخ



الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880 – 1914م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث L.M.D في تاريخ الحركة
الوطنية والثورة الجزائرية

إشراف:

أ. د. علي بن حويديقة

إعداد الطالب:

عبد الحميد عومري

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيساً	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. محمد مجاود
مشرفاً ومقرراً	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. علي بن حويديقة
عضواً مناقشاً	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. براهيم لونيسي
عضواً مناقشاً	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. محمد بوشنافي
عضواً مناقشاً	جامعة معسكر	أستاذ محاضر	د. عابد سلطانة
عضواً مناقشاً	جامعة معسكر	أستاذ محاضر	د. مصطفى حجازي

نوقشت بتاريخ : 11 ماي 2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَاطِئَ
إِذَا رَأَوْا كِسْفًا مِّنَ
النُّجُومِ سَوِيًّا

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى

النَّبِيِّ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

[الأحزاب: 56]

شكر وتقدير

أحمد الله عز وجل وأشكره على توفيقه لي في إنجاز هذا العمل، وعلى كل نعمه ما علمنا منها وما لم نعلم.
كما أحمل أسمى عبارات التقدير والاحترام:

إلى الوالدين وكل عائلتي التي وقفت إلى جانبي فترة إنجاز هذا العمل.

والشكر كل الشكر لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور "بن حويدقة علي" الذي عبّد لي طريق البحث من خلال توجيهاته وإرشاداته ونصائحه وملاحظاته وفي رسم معالم خطة البحث وتدعيم بحثي بالمصادر والمراجع المتوفرة لديه، فما وجد في هذا البحث من فضل فأليه ينسب وما وجد فيه من تقصير فعلي يحسب، فأنعم وأكرم به أستاذاً.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الدكتور محمد مجاود والأستاذ الدكتور لونيسي براهيم وكافة أساتذة لجنة التكوين الذين أفادونا بملاحظاتهم في الاجتماعات التي تمت، وجميع أساتذة الذين يعملون بقسم العلوم الانسانية بجامعة الجليلي ليا بس سيدي بلعباس.

كما أتقدم بجزيل الشكر للأصدقاء الذين كانوا عوناً لي في بحثي هذا: اسماعيل، مبارك، عبدالمجيد وسالمي أحمد.

عبد الحميد.

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما.

إلى إخوتي وأخواتي

إلى كل أقبائي وأصدقائي

إلى أستاذي الذي شرفني بإشراف عليّ الأستاذ الدكتور: بن حويدقة علي

إلى كل من علمني ولو حرفاً أو أهدى لي نصيحة.

إلى أستاذي الحاج البشير شنافي والأستاذ عكرمي أحمد

إلى كل علماء الجزائر؛ شموع المعرفة في زمن أطفأت فيه أنوار العلم

وإلى كل علماء المسلمين قديماً وحديثاً

إلى هؤلاء جميعاً أهدى لهم هذا العمل المتواضع.

عبدالحميد.

أولاً: باللغة العربية

- تح : تحقيق .
- تر : ترجمة .
- ج : جزء .
- د.ت : دون تاريخ الطبع .
- د.ط : دون طبعة .
- د.م.ن دون مكان النشر
- ط : طبعة .
- ع : عدد.
- ص : صفحة .

المختصرات باللغة الفرنسية

OP.CIT

المرجع السابق

IBID

المرجع نفسه

N^o

الرقم

A.W.O

أرشييف ولاية وهران

المقدمة

يعتبر الخوض في التاريخ الثقافي ممتع وصعب؛ فهو ممتع يسمح بالتبحر في مختلف العلوم والفنون والاطلاع على مختلف الثقافات والعادات، وآراء العلماء في القضايا الثقافية والفتاوى الفقهية وغيرها، وصعب لأنه يتطلب من الباحث الموسوعية من أجل معالجة ومناقشة كل الأفكار، وإذا تعلق الأمر بتاريخ الجزائر فالصعوبة تزداد، لأن أغلب المصادر كتبها مستشرقون تحت إشراف الإدارة الاستعمارية وبدعم مادي ومعنوي منها، ورغم أنها قدمت معلومات مهمة فهدفها استعماري، في المقابل قلة المصادر العربية.

يصعب على الباحث معالجة موضوعا ثقافيا في ظروف سياسية تتميز بانعدام الاستقرار، والأصعب أن يتعدى الصراع السياسي والاقتصادي إلى صدام حضاري وثقافي بين حضارتين متباينتين، وعادات وتقاليد مختلفة، لقد تجسدت هذه الصورة الفسيفسائية خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، إن تفكيك هذه الصورة ثم الربط بين عناصرنا يضعنا أمام إشكالية حول الواقع الثقافي والفكري للجزائر المستعمرة؛ خاصة بعد خمسين سنة من الاحتلال إلى غاية بداية الحرب العالمية الأولى.

يعالج موضوع الدراسة فترة من التاريخ الثقافي للجزائر بعد خمسين سنة من الاحتلال الفرنسي، الذي كان له أثر في الحياة الثقافية؛ حيث يقول محمد حري⁽¹⁾ "دخلت الجزائر في مجن الحركة الاستعمارية خلال القرن التاسع عشر، وأقحمت في نسق الحداثة إقحاما، ولقد كان لذلك التحول شديد الوطأة على أناس أرغموا عليه إرغاما، ونجم عن تسارع الأحداث وما اكتنفتها من ظروف الهيمنة، انهدام البنية الثقافية، والنحسار فضاء الثقافة الإسلامية وتراجع اللغة العربية أمام انتشار الثقافة الفرنسية"، فهو إذن يتحدث عن تأثير الحركة الاستعمارية في البنية الثقافية للمجتمع الجزائري بعد نصف قرن من الاحتلال.

ويرى الدكتور أبو القاسم سعد الله " بأن ما وقع سنة 1830 في الجزائر ليس احتلال فرنسا للجزائر هكذا، بل هو احتلال العصر الحديث للعصر الوسيط"⁽¹⁾ بعدما كانت أرض الجزائر مسرحا للمعارك، ظلت كذلك مسرحا للمواجهات الثقافية، فظهرت تيارات فكرية متعددة وثقافات متنوعة استهدفت المجتمع الجزائري وما يحمله من موروث ثقافي تاريخي.

⁽¹⁾ في تقديمه لكتاب الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية لمؤلفه غي برفيلي. ينظر: غي (برفيلي)، الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية 1880-1962، تر: حاج مسعود وآخرون، دار القصة، الجزائر، 2007، ص: 05.

⁽²⁾ أبو القاسم (سعدالله)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط03، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص: 05-06.

كان للحركة الاستعمارية عدة تيارات فكرية منها: التيار الديني الذي يمثله رجل الدين المسيحي "المبشر" والذي يحاول نشر القيم المسيحية باعتبارها الهدف الأسمى والأساسي للاحتلال الفرنسي للجزائر حسب منظوره، والتيار الثاني مثله الليبراليون الفرنسيون، الذين يؤمنون برسالة فرنسا الحضارية في الجزائر، فيستعملون كل الوسائل من أجل نشر اللغة الفرنسية والحضارة الغربية في المجتمع الجزائري، وثالث الاتجاهات هو الاتجاه الكولونيالي، والذي يرى أن الثقافة وسيلة للسيطرة على المجتمع الجزائري واستغلاله، فهو يمرر ويساند كل مشروع ثقافي يحقق هدفه، ويعارض كل ما من شأنه أن يهدده .

أما الاتجاه العربي الإسلامي إلى غاية عقد الثمانينيات من القرن التاسع عشر فقد غلب عليه الاتجاه الديني المحافظ المتمثل في الزوايا والطرق الصوفية والتي حاولت الحفاظ والدفاع عن المكتسبات التاريخية الثقافية للمجتمع الجزائري، وأمام عجز هذا الاتجاه في الانتقال من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم ومواجهة ثقافة تيارات الاتجاه التحديثي الاستعماري، ظهر اتجاه آخر هو الاتجاه الإصلاحية. وكان لمختلف هذه الاتجاهات الاستعمارية والإسلامية تصور خاص لصورة المجتمع الجزائري الثقافي.

إن موضوع البحث يتناول الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880-1914 بصفة عامة من نشر التعليم الفرنسي ووضع التعليم الإسلامي وواقع الجزائريين ثقافيا بعد خمس عقود من الاحتلال، وحركة التأليف وتوجهاتها وخصائصها، وأهم التحولات الثقافية.

ومن التحولات الثقافية؛ تغيير في السياسة التعليمية الفرنسية مع مطلع العقد التاسع من القرن التاسع عشر؛ فظهرت المعاهد والكليات التي ستمهد لتأسيس جامعة الجزائر، كما انتشر التعليم الحرفي والمهني، وفي المقابل تضاءلت مدارس التعليم الإسلامي تحت وطأة السياسة الاستعمارية وأثره ذلك على المستوى الثقافي للمجتمع الجزائري. كما أن مصادر الثقافة تنوعت مع مطلع القرن العشرين، فانتشرت الصحف والمجلات والنوادي، والجمعيات الثقافية، فمثلا ظهرت صحيفة "المغرب" العربية وكان مديرها "بيار فانتانا"، وقد استهدفت الكتاب المسلمين بالدرجة الأولى، وعبرت عن مقصدها بقولها: "إذ لا يكفي مرید مداخلة الأمة الإسلامية والفوز بحسن التفاتتها أن نتكلم بلغتها فقط، بل يجب زيادة على إتقان لغتها مشاركة أفرادها في الوجدان وفي كثير من العقليات والمعتقدات"⁽¹⁾. وإلى جانب المغرب ظهرت "المصباح" سنة 1904 المزوجة اللغة، و"كوكب إفريقيا" سنة 1907، الحق الوهراني 1912، وذو الفقار 1913

(1) محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية؛ نشأتها وتطورها وأعلامها من 1903-1931، المجلد الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص:127.

لمذهبها السلفي الإصلاحية. وبالتالي تعتبر انتشار الصحافة والمجلات مظهرا من مظاهر الثقافة، ووسيلة استخدمتها الاستعمار في إطار سياسة الاخضاع والسيطرة، واستخدمها الجزائريون للتوعية ومحاربة الجهل؛ فظهرت في الفترة المدروسة عدة صحف بالعربية وحتى بالعامية، ولهذا سنقف عند دراسات مختلف هذه الصحف ودورها في الحياة الثقافية.

تم صياغة عنوان الدراسة بـ "الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880-1914"، وهو بحث في التاريخ الثقافي للجزائر، حددت سنة 1880 كبداية لفترة الدراسة؛ حيث حدث تغيير في السياسة التعليمية الفرنسية فظهرت المعاهد التي ستمهد لإنشاء جامعة الجزائر من جهة، ومن جهة أخرى تعالت أصوات الكولون الداعية إلى تعميم التعليم الحر، وتعتبر بداية الثمانينيات بداية للصحافة المزدوجة اللغة بظهور جريدة المنتخب، يضاف إلى ذلك تشكّل التيار الاندماجي الذي تخرج من الجامعات الفرنسية أمثال ابن علي فخار والدكتور مرسل، وعمر بوضربة، وبدأت معالم الإصلاح تلوح في الأفق على يد عبدالقادر المجاوي وعبدالحليم بن سماية وابن الموهوب، واخترت سنة 1914 - كنهاية لفترة الدراسة - فهي بداية الحرب العالمية الأولى، الحرب التي حركة أقلام العلماء بين المؤيد والمعارض للتجنيد الاجباري، الذي عجل بالميلاد الحقيقي لحركة الشبان الجزائريين، وسنبرز في دراستنا أهم معالم الثقافة والفكر خلال فترة الدراسة من تعليم ومدارس وصحف وتيارات فكرية.

وتتجلى أهمية الموضوع من خلال:

- تسليط الضوء على الواقع الثقافي في الجزائر ما بين 1880-1914، وما يتعلق به من المسائل والقضايا كتعليم الجزائريين، واقع التعليم العربي، وبوادر النهضة الثقافية وجدور التيار الإصلاحية.

- معالجة فترة حساسة من تاريخ الجزائر الثقافي في الفترة الاستعمارية، كونها أثرت في المرحلة التي تليها وساهمت بشكل واسع في نمو الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى وحددت اتجاهاتها، فهي إذن بمثابة المرجعية التاريخية لتيارات الحركة الوطنية الجزائرية.

- رغم العديد من الدراسات والبحوث حول التاريخ الثقافي للجزائر في الفترة الاستعمارية، إلا أنه يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة من أجل تغطية مختلف جوانبه على غرار المجالات الأخرى خاصة السياسي في إطار إبراز الصورة الحقيقية للاستعمار وأثره في مختلف البنيات الحضارية للمجتمع الجزائري.

ينطلق اختياري للموضوع من الاختيار العام وهو حب الاطلاع ودراسة التاريخ الثقافي للجزائر، وقد ازدادت هذه الرغبة بعد احتكاكي بجزائن المخطوطات، والاطلاع على المنتج الفكري لعلماء الجزائر، ولهذا لم أتردد في دراسة هذا الموضوع، ومما شجعني ذلك التحفيز الذي لقيته من اللجنة المكونة والمشرفة على طلبة الدكتوراه LMD لمعالجة موضوع الثقافة والفكر في الجزائر 1880-1914، والذي كان ضمن مقترحاتها لأهميته، وثن هذا التحفيز قبول أستاذي المشرف الدكتور "بن حويدقة علي" للإشراف عليّ وعلى موضوع الدراسة، والأهداف التي أسعى لتحقيقها من خلال هذه الدراسة هي:

-المساهمة في كتابة التاريخ الثقافي للجزائر خاصة الفترة الاستعمارية.

-المساهمة في الكشف عن خبايا السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر.

-إبراز أثر الاستعمار في الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر.

-الوقوف عند أبرز التحولات الثقافية والفكرية في الجزائر بعد نصف قرن من الاحتلال الفرنسي، وذلك من خلال رصد مؤسسات التعليم القديمة والمستحدثة، مراكز ومنابع الثقافة، اتجاهات فكرية وأفكار وقضايا ثقافية...

عاجلنا العديد من الدراسات موضوع الثقافة في الجزائر المستعمرة خاصة التعليم ومؤسساته والسياسة التعليمية الاستعمارية، وقد ركزت هذه الدراسات على فترة خمسين سنة الأولى من الاحتلال بالدرجة الأولى ولا تزال المرحلة-أي بعد 1880- التي تلي تلك الفترة تحتاج إلى مزيد من الدراسات لإبراز ملامح التحول الثقافي والفكري، ويمكن أن نقسم هذه المرحلة إلى فترتين ؛ الأولى (1880-1900) التي ظهرت فيها مؤسسات تعليمية جديدة، وأفكار إصلاحية، لتمهد لواقع ثقافي جديد مهد للمرحلة الثانية (1900-1914)؛ حيث تعددت فيه مصادر الثقافة في المجتمع، فظهرت الصحف والمجلات وتم تأسيس الجمعيات والنوادي، وبرزت تيارات فكرية، وتعتبر هذه الفترة المرجعية التاريخية لنمو الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى، ولهذا فإن إشكالية الدراسة تتمحور حول سؤال جوهري: كيف تميزت الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر بين سنتي (1880-1914) في ظل الصراع الثقافي والفكري بين ثقافة الاستعمار وثقافة المستعمر؟.

وتتفرع عن الإشكالية مجموعة من الأسئلة: ما هو واقع التعليم العربي الإسلامي بعد نصف قرن من الاحتلال الفرنسي للجزائر؟ وما مصيره في ظل السياسة الاستعمارية بعد 1880؟ في المقابل هل هناك

طرح جدي لسياسة "التنوير" التي روج إليها منظرو الاستعمار في احتلالهم للجزائر؟ وبمعنى آخر: ما مدى انتشار التعليم الفرنسي بين أبناء الجزائريين وفاعلية المعاهد والمدارس العليا - التي أنشأت بعد 1880- في تطوير التعليم في الجزائر لصالح الجزائريين؟ ما هي الأسباب الحقيقية وراء إنشاء المدارس العليا وتأسيس جامعة الجزائر؟ وما هو دور هذه الجامعة في الحياة الثقافية والفكرية؟ وكيف تعاملت الإدارة الاستعمارية مع مصادر الثقافة المساجد، الزوايا والطرق الصوفية؟ وما مدى تأثير الاستعمار في الثقافة الشعبية الجزائرية؟ ما هي أبرز التيارات الفكرية التي عرفتها الجزائر في فترة 1880-1914؟ كيف تفاعلت هذه التيارات فيما بينها؟ ما هي مميزات حركة التأليف في الجزائر خلال الفترة المدروسة؟ وما أثر الحركتين الإصلاحية والاستشراقية وسياسة الحاكم العام "جونار" في تطوير حركة إحياء التراث العربي؟ كيف تعامل الجزائريون مع قضية التعليم الفرنسي ومسألة الهوية؟ وبين التجنس والتخلي عن الأحوال الشخصية؟ أو بالأحرى: كيف تمت معالجة هذه القضايا الثقافية والفكرية على المستويين الشعبي والنخبوي؟

للإجابة عن الأسئلة المطروحة والإمام بإشكالية البحث أتبعته خطة مكونة من خمسة فصول؛ فموضوع **الفصل الأول** حول الثقافة والفكر في الجزائر المستعمرة قبل 1880، وهو فصل تمهيدي للدراسة بدأته بتحديد مفهوم بعض المصطلحات المرتبطة بالبحث ومنها؛ مفهوم الثقافة والفكر المكونتين للعنوان، وتحديد مفهوم اللغة والهوية إحدى الأشكاليات الثقافية في الواقع الثقافي، ومفهوم المثاقفة والتثقيف الاستعماري، والنخبة والتقسيم النخبوي في الجزائر المستعمرة، وهذه المصطلحات مهمة في تحليل الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ثم انتقلنا للحديث عن التعليم والثقافة الإسلامية 1830-1880 بداية بوضع المؤسسات التعليمية والتربوية خلال خمسين سنة الأولى من الاحتلال الفرنسي من مساجد وكتاتيب وزوايا تعليمية، وانتهت هذا الفصل بالحديث عن التعليم والثقافة الاستعمارية خلال نصف قرن الأول من الاحتلال الفرنسي، بالتعرض للتعليم الابتدائي ومؤسساته، ثم التعليم الثانوي، والمدارس الشرعية الثلاثة، وأخيرا التعليم التبشيري.

باشرنا **الفصل الثاني** بالحديث عن الجزائريين والمدرسة الفرنسية، وكانت سنة 1880 بداية لسياسة تعليمية جديدة اتجاه الأهالي، فكان أول عنصر تعرضنا له بالدراسة بعنوان مساعي جديدة في السياسة التعليمية، مبينا خصوصية هذه المرحلة مبرزا أهم التحولات والتغيرات منها التوجه نحو علمانية المدرسة الفرنسية، وقانون إجبارية التعليم، وارتفاع نسبة الاستجابة الجزائرية للتعليم في المدارس الفرنسية

خاصة بعد تخرج الدفعات الأولى للطلبة الجزائريين من الجامعات الفرنسية، وبعد ذلك تناولت بالدراسة المسألة اللغوية وتوظيف العامية في السياسة التعليمية، وأخيرا تدريس المرأة والتركيز على التعليم المهني خاصة بعد تحكّم المستوطنين في توجيه سياسة الحكومة العامة، والسياسة المالية للجزائر، بعد ذلك شرعت في الحديث على المؤسسات التعليمية الفرنسية، والمتمثلة في مدارس التعليم الابتدائي، ومدارس التعليم الثانوي، ومدارس تخريج السلك الديني والقضائي، ثم مدارس التعليم التبشيري ضمن المدارس الخاصة، كل ذلك في فترة (1880-1914)، وبعدها مسألة تعليم الجزائريين بين التأيد والمعارضة وختمت هذا الفصل بالتعليم العالي بداية من تأسيس المدارس العليا والمعاهد إلى غاية إنشاء الجامعة ودورها في الثقافة والفكر.

عاجلنا في الفصل الثالث الواقع الثقافي في الأوساط التقليدية، بداية من حالة التعليم في المساجد والمدارس والكتاتيب القرآنية، ومصير هذه المؤسسات مشيرا إلى دعوة بعض علماء الجزائريين إلى إصلاح هذه المؤسسات وتغيير وتطوير مناهجها التعليمية والتربوية، ومن بينهم الزواوي، وابن زكري صاحب كتاب أوضح الدلائل في وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، ومن جهة أخرى تعرضت إلى الواقع المأسوي للمساجد التي تعتبر شريان الثقافة في المدن، فقد هدم أغلبها بسبب الحروب أو تحت غطاء مشاريع التوسعة والتخطيط، كما أن الإدارة الاستعمارية كانت تشرف مباشرة عليها وهي التي تعين الموظفين، بينما الزوايا كانت مستقلة أغلبها تابعة لإحدى الطرق الصوفية، واستطاعت زوايا العلم تجديد نفسها بسبب تجدد الموارد والأوقاف ودخول أغلب الطرق الصوفية في هدنة مع الاستعمار وبعضها في علاقة تعاون، غير أن هذه الزوايا تراجع مردودها الفكري مقارنة بمرحلة قبل الاستعمار، وقد عالج ذلك ضمن عنوان الزوايا بين القمع الاستعماري، التجدد وضرورة الإصلاح، وبعده تعرضت للطرق الصوفية؛ الواقع ومسألة الولاء، وأخيرا موضوع الثقافة الشعبية والذي جزأته لعناصر وهي: العادات والتقاليد في اللباس والزواج، ثم المعتقدات والطقوس الشعبية، ومنها الأعياد والمناسبات الدينية خاصة عادات الجزائريين في العيدين الأضحى والفطر، ومناسبة عاشوراء والمولد النبوي، ومن مواضيع الثقافة الشعبية الولي والزيارة في المجتمع الجزائري، وكذلك ظاهرة الشعوذة أصولها وأبعادها الثقافية، وأخيرا أثر الاستعمار في الثقافة الشعبية.

تناولنا في الفصل الرابع موضوع النهضة الثقافية في الجزائر ومظاهرها، وقسمته إلى ثلاث عناصر أساسية: ظروف النهضة، والصحافة، ثم الجمعيات والنوادي؛ فقد توفر للنهضة الثقافية ظروف داخلية وأثرت فيها عوامل خارجية، ومنها الإصلاحات السياسية خاصة في فترة حكم الحاكم العام شارل جونا

وقبله جول كامبون، وظهور حركة الشبان الجزائريين، ومن العوامل الخارجية انتشار أفكار الحركة الاصلاحية الدينية على يد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، والترويج لفكرة الجامعة الاسلامية، وانتشار الصحافة والجمعيات ومشاركة الجزائريين فيها، وبعضها كان يصل للجزائر، وقد ركزت على الصحافة كمظهر من مظاهر النهضة الثقافية، وقسمتها إلى قسمين: صحافة مزدوجة اللغة، وصحافة مكتوبة باللغة العربية فقط، ورتبتها حسب السبق الزمني في ظهورها، ومن الصحافة التي كتبت عنها نذكر المبشر، وهي صحيفة رسمية، وبعدها ظهرت المنتخب، ثم جريدة الحق العنابي إلى غاية مطلع القرن العشرين حينئذ بدأت نسبة الصحافة ترتفع، فصدرت المغرب وكوكب افريقيا، وذو الفقار والفاروق، وموضوع العنصر الأخير من هذا الفصل حول الجمعيات والنوادي الثقافية، وركزت على الجمعية الراشدية، والجمعية التوفيقية، ونادي الصالح باي.

درسنا في الفصل الخامس حركة التأليف والتيارات الفكرية عند الجزائريين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ فبدأته بحركة التأليف في العلوم النقلية من علوم الشرعية والعلوم والفنون الأدبية، ثم حركة التأليف في العلوم العقلية والتجريبية خاصة الدراسات التي قدمت في الطب، والفلك، مشيراً إلى أهم المؤلفين في هذه المرحلة ومنهم عبدالقادر المجاوي، ومحمد بن يوسف اطفيش، وعمر بن حسن بن بريهمات، ومحمد بن العربي، وقد خصصت عنوان للكتب التي ألفت لأهداف تعليمية وتربوية، ووجهت لتلاميذ الجزائريين في المدارس الفرنسية، وعنوان آخر للدراسات المعجمية خاصة تأليف القواميس العربية الدارحة- الفرنسية، وأخير التحقيق وحركة إحياء التراث، وقد اشتهر في ذلك محمد ابن أبي شنب، وابنه سعدالدين بن محمد بن أبي شنب من بعده، ثم انتقلت للحديث عن موضوع آخر في هذا الفصل وهو المكتبات وخرائن المخطوطات؛ بالحديث عن المكتبة الوطنية، ثم المكتبة الجامعية، والمكاتب البلدية والعسكرية والخاصة، ثم خرائن المخطوطات التي سلمت من نهب الاستعمار أو تم إعادة بناؤها من جديد، وانتهت هذا الفصل بالكتابة عن التيارات الفكرية وقسمتها إلى ثلاثة حسب مواقفها وتوجهاتها الثقافية، وهي: التيار المحافظ التقليدي، والتيار الاصلاحى، وأخيراً التيار الاندماجي، وخصصت لكل تيار تعريفها، وأفكاره، وأهم رواده، وانتهت هذا البحث بخاتمة سجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

إن طبيعة الموضوع تفرض على الباحث المنهج الذي يمكن أن يتبعه في الدراسة، ولدراسة موضوع

الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880-1914 لابد من إتباع ثلاث مناهج رئيسية هي:

1- المنهج التحليلي، وذلك بتحليل ودراسة المعطيات التاريخية من مراسيم وقرارات ومواقف وإحصائيات، والتركيز على الأسباب والدوافع والانعكاسات والنتائج، فمثلا لا يمكن تحليل الواقع التعليمي في الجزائر بعيدا عن السياسة الاستعمارية وأهدافها ورد فعل المجتمع الجزائري منها، كما لا يمكن أن نستثني انتشار الصحف والمجلات والجمعيات الثقافية، وتنشيط حركة التأليف واتجاهاتها من المعركة الثقافية بين ثقافة الشعب وثقافة المستعمر أو ما يمكن أن نصلح عليه بـ "ثقافة الإخضاع" في مواجهة الموروث الثقافي للشعب الجزائري، ولهذا نحتاج إلى المنهج التحليلي لتحليل الواقع الثقافي بناء على الخصوصيات التي تميز مرحلة الدراسة (1880-1914).

2- المنهج المقارن، نستخدمه خاصة في المقارنة بين التيارات الفكرية وفي موقفها من القضايا الفكرية والثقافية، وإبراز دور وأهمية الفترة المدروسة من التاريخ الثقافي والفكري للجزائر المستعمرة، لا بد من استعمال المنهج المقارن في توضيح علاقتها بالمرحلة التي سبقتها وأثرها في مرحلة ما بعد الحرب العلمية الأولى.

3- المنهج الوصفي، وذلك من خلال وصف الحياة الثقافية والفكرية خاصة في فصل المدارس والمؤسسات التعليمية، وفصل الثقافة الشعبية، وحركة التأليف.

رجعنا للعديد من المصادر والمراجع باللغتين العربية والفرنسية للإجابة عن الاشكالية المطروحة والاحاطة بالموضوع؛ وأهم المصادر ما توصلت إليه من وثائق أرشيفية حول الزوايا والتعليم من أرشيف ولاية وهران ضمن الملف رقم 4064، والذي يشمل مجموع من الوثائق؛ فرجعت لوثيقة تعليم الأهالي *Enseignement des indigènes*، وكذلك وثيقة الكتاتيب القرآنية والمدارس وتعليم الأهالي في مقاطعة وهران *Ecoles coraniques et Medersa, Enseignement des indigènes département d'Oran*. وقد تضمنت جدول لبعض المدارس القرآنية في ندرومة، وبني خلاد (شمال ولاية تلمسان حاليا)، وجباله (تابعة لندرومة)، وبني مسهل، ومناطق أخرى ذكر صاحب التقرير بالتفصيل عدد المدارس، والمشرف على كل مدرسة وعدد التلاميذ بها، ويرجع التقرير إلى تاريخ 24 جويلية 1903، كما زرت المتحف الجهوي لتلمسان فرع النعامة ووجدت فيه بعض الوثائق الأرشيفية تحصلت على بعض مواضيعها حول العلاقة بين عائلة بوعمامة والسلطات الفرنسية، كما رجعت إلى ثلاثة مخطوطات وهي: مخطوط تنبيه الأنام في الصلاة على خير الأنام، الذي يتلى كل جمعة في

معظم المساجد المغاربية، ومخطوط رسالة المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، والذي يتحدث عن أورد الطريقة الرحمانية، وكذلك مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، ومؤلفه مؤسس زاوية علم بمنطقة توات وهو ملاي أحمد الطاهري الادريسي، وهذا المخطوط مفيد من الناحية التاريخية وقد يكون الوحيد الذي أطلعت عليه من مؤلفات شيوخ الزوايا الذي يصرح فيه صاحبه بقمع الادارة الاستعمارية للزوايا وعرقلة نشاطها العلمي والفكري.

تعد الجرائد والمجلات والنشرات الصادرة في مرحلة الدراسة (1880-1914) مصدر مهم في الكتابة عن الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر لما تضمنته من مواضيع ثقافية، ومنها موضوع التعليم وأهالي قطر الجزائر لكاتبه علي بن الحفاف وقد نشره في جريدة المغرب بالعديد الحادي عشر (11)، والثاني عشر (12)، ونشر عبدالحليم بن سماية في جريدة كوكب افريقيا سنة 1911، موضوع بعنوان الفرق بين الصوفية والمتصوفة، وكان لعبدالقادر المجاوي عدّة مقالات حول الثقافة ومنها مقال بعنوان (العلم) نشره في جريدة المغرب بعنوان 1903، كما تحصلت على التقويم الجزائري سنة 1913 من المكتبة الوطنية وجلّ مادته في الجانب الثقافي، وبما أن لدي فصل حول الصحافة، فقد اعتمدت بالدرجة الأولى على الأعداد التي توصلت إليها، ومن تلك الجرائد التي وجدتها في المكتبة الوطنية: الاحياء، الرجاء، النصيح، المغرب، المصباح، المبشر، الفاروق، كوكب افريقيا وذو الفقار يضاف لذلك التقويم الجزائري لسنة 1913 كما عثرت على جريدة الحق العنابي باللغتين العربية والفرنسية، وجريدة الاسلام باللغة الفرنسية، ولهذا كانت المعرفة التي تحتويها هذه الجرائد مصدر مهم في صياغة الفصل الرابع.

تعد المجلة الافريقية من أهم المصدر في تاريخ الجزائر الثقافي، وقد رجعت إلى العديد من المقالات؛ منها دراسات محمد بن أبي شنب حول التعليم والتربية ودراسة بعض المصطلحات، واعتمدت على بعض المجلات الأخرى باللغة الفرنسية منها؛ مجلة الأهالي *Revue indigène*، والمجلة الجزائرية التونسية في التشريع والفقہ *Revue algérienne et tunisienne de législation et de jurisprudence*، وكذلك مجلة العالم الاسلامي *Revue du Monde musulman*، والتي نشرت معلومات حول نادي صالح باي، ومن أكثر النشرات التي اهتمت بالتعليم الفرنسي في الجزائر نشرة جمعية أعضاء التعليم الأهلي في الجزائر *Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie*، وقد نشر فيها قوانين ومراسيم خاصة

بالتعليم وعرائض معلمين يطالبون بتحسين ظروفهم والرفع من أجورهم، كما رجعت إلى بعض الجرائد باللغة الفرنسية ومنها: الحق العنابي El Hack، والتافنة La Tafna.

هناك وثائق تاريخية مهمة تم نشرها باللغتين العربية أو الفرنسية من طرف هيئات رسمية كالحكومة العامة الفرنسية بالجزائر، ومن طرف باحثين جزائريين معاصرين على غرار العمل الذي قدّمه جمال قنان، وأعمال عبد الحميد زوزو، وقد استفدت من بعضها، ومنها: وثيقة بعنوان (مرسوم 13 فبراير 1883 والأهالي المسمين) لكاتبها أحمد بن بريهمات، ونشرها جمال قنان في كتابه نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، ومن الوثائق التي وجدتها في هذا الكتاب واعتمدت عليها؛ عريضة ضدّ التحنس ومن أجل الدفاع عن حقوق القضاء الاسلامي 10 جويلية 1887، وكذلك (جواب بعض أعيان قسنطينة عن استجواب اللجنة البرلمانية الفرنسية التي وفدت على الجزائر خلال ربيع 1891) كتبه عمار بن أحمد، ومن الوثائق التي وجدتها في كتاب نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر لمؤلفه عبد الحميد زوزو: وثيقة (وضع الزوايا والمساجد بقسنطينة 1897)، ووثيقة (تقرير عن التعليم الأهلي بالجزائر)، وكذلك تقرير تفتيش لـ سان هاتي مدير مدرسة قسنطينة حول الدروس الملقاة بمسجد سيدي الكتاني بقسنطينة خلال السنة الدراسية 1912-1913، ومن الوثائق باللغة الفرنسية محاضر اجتماعات المجلس الأعلى للحكومة⁽¹⁾ conseil supérieur de Gouvernement، والتقارير التي نوقشت، ومن بين الاجتماعات التي رجعت إلى محاضرها: اجتماع 16 نوفمبر 1885، واجتماع فيفري 1892، 25 ماي 1905، واجتماع 29 جوان 1911، كما كانت الحكومة تنشر تقرير عن الوضعية العامة بالجزائر، ومنها: - Exposé de la situation générale de l'Algérie 1905-1906، من توقيع الحاكم العام شارل جونار، ومن بين الوثائق المنشورة بالفرنسية قانون الجمعيات Loi sur la Liberté des Associations 1er Juillet 1901، وقانون حرية الصحافة

⁽¹⁾ تأسس المجلس الأعلى للحكومة بالجزائر بموجب مرسوم 10 ديسمبر 1860 (المادة 12)، وكانت مهمته في البداية النظر في الميزانية وتحديد الضرائب، وظهر هذا المجلس بعدما اختفى المجلس الأعلى للجزائر والمستعمرات، ثم توسعت مهام هذا المجلس وتم إعادة تنظيمه بمراسيم منها: مرسوم 07 جويلية 1864 (المادة 7)، ومرسوم 24 أكتوبر 1870 (المادة الأولى والرابعة)، وقانون 7 أكتوبر 1871 (المادة: 3)، وبعد تحقيق الاستقلال المالي، تم إعادة تنظيم المجلس بموجب قانون 23 أوت 1898، وأصبح يضم 60 عضو. ينظر:

Gouvernement Général de l'Algérie, Notice sur le conseil supérieur de gouvernement de L'Algérie, Alger, 1899, P : 5-6.

de la Presse de 29 juillet 1881، ومرسوم اجبارية التعليم 1883، والمعدل في 15 ديسمبر 1906، Décret du 15 décembre 1906، ونشرته نشرة جمعية أعضاء التعليم الأهلي في الجزائر، كما نشر مرسوم اجبارية التعليم في كتاب تضمن قانون اجبارية التعليم في فرنسا بصفة عامة وعنوان الكتاب code de l'enseignement primaire obligatoire commentaire de la loi du 28 mars 1882، لمؤلفه⁽¹⁾ Rendu Ambroise، وقد نشر هذا الكتاب في باريس سنة 1883، كما نشر جانمير تقرير عن وضعية التعليم في الجزائر خلال السنة الدراسية 1896-1897، ضمن محضر اجتماع مارس 1898 للمجلس الأعلى للحكومة العامة بالجزائر.

ومن المصادر التي اعتمدت عليها الكتب المنشورة باللغتين العربية والفرنسية؛ ومن بين الكتب باللغة العربية: تأليف محمد السعيد بن أحمد ابن زكري بعنوان (أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل)، وصاحب هذا الكتاب يعطينا صورة عن واقع الزوايا وضرورة إصلاحها، وكتاب (إرشاد المتعلمين) لعبدالقادر المجاوي، وتأليف (النهج السوي في الفقه الفرنسي) لعمر بن حسن بن بريهمات، وكتب أبو يعلى الزواوي عن تاريخ زواوة، كما رجعت لكتاب (تاريخ الصحافة العربية بالجزائر) لمفدي زكرياء، وطالعت بعض الرحلات لرحالة زاروا الجزائر خلال فترة الدراسة ومنها: الرحلة الجزائرية لأحمد حسين المهيري، ورحلة محمد الخضر بن الحسين إلى الجزائر 1904، وكلاهما دونتا معلومات عن المساجد والثقافة واللغة والعادات، ومن المصادر المترجمة للغة العربية كتاب (الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي) لكتابه الشريف ابن حبيلس الذي نشره في سنة 1913 حول المسألة الأهلية، وهو كتاب مهم في دراسة

⁽¹⁾ دكتور في القانون ومحامي بمحكمة باريس، ولد سنة 1847، وتوفي 1934، له عدّة مؤلفات حول خطابه في جلسات المحاكمة، و دراسة حول الرهن العقاري؛ شروطه ومستقبله نشره سنة 1873، وكتاب من جزئين حول قانون المجالس البلدية والتشريعات الخاصة بالبلديات نشر سنة 1879. ينظر:

-Rendu Ambroise, Les avocats d'autrefois : discours prononcé le jeudi 27 novembre 1873, à la séance d'ouverture de la conférence paillet, Paris, 1874.

-Rendu Ambroise, Souvenirs campagne de Paris, Paris, 1871.

-Rendu Ambroise, Le Prêt hypothécaire ses conditions son Avenir, Paris, 1873.

-Rendu Ambroise, code municipal ou manuel des conseillers municipaux contenant l'exposé de la législation municipale et les solutions pratiques des questions qui peuvent intéresser les communes et les conseillers municipaux, Paris, 1879.

أفكار التيار الاندماجي بالجزائر، ومن المصادر باللغة الفرنسية دراسة لويس رين حول المرابطون والاخوان marabouts et khouans étude sur l'islam en Algérie، وقد استفدت منها في الكتابة عن الزوايا والطرق الصوفية، إلى جانب دراسة كويولاني حول الجمعيات الدينية الاسلامية les confréries Religieuses musulmanes، وكلاهما موظفون كلّفوا بمهمة دراسة الطرق الصوفية ونشاطها، كما قدّم مارسي دراسة مهمة عن المسألة الأهلية سنة 1901 بعنوان Question indigène en Algérie au commencement du XX^e siècle، وقد خصّص فيها فصل عن المسألة الدينية، وآخر عن مسألة تعليم الأهالي.

استعنا ببعض المراجع لإثراء هذا البحث، وأهم دراسة كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعد الله من الجزء الثاني إلى غاية الجزء الثامن، وطبع الكتاب عن دار الغرب الاسلامي في عشرة أجزاء، كما اعتمدت على أعمال أخرى لأبو القاسم سعد الله منها كتاب الحركة الوطنية، وكتاب أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ومن المراجع المهمة التي اعتمدت عليها دراسة شارل روبير أجرون (الجزائريون المسلمون وفرنسا) في جزئين، طبعته دار الرائد للكتاب سنة 2007، وتعتبر هذه الدراسة شاملة للسياسة الاستعمارية في الجزائر في الفترة الممتدة من 1871 إلى غاية 1919، كما رجعت إلى دراسة محمد ناصر حول الصحف العربية بالجزائر، وكذلك كتاب المقالة الصحفية لتدعيم معلومات الفصل الرابع، ومن المراجع المهمة كذلك دراسة عبدالقادر حلوش بعنوان (سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر)، وفي أصلها رسالة ماجستير طبعها في كتاب، كما اعتمدت على أعمال جمال قنان ومنها: التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، دراسات في التاريخ المعاصر، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر، ومن الكتب المراجع باللغة الفرنسية كتاب الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية les étudiants algériens de l'université française 1880-1962، لمؤلفه Guy Perville، كما اعتمدت بعض المقالات باللغتين العربية والفرنسية، ورجعت إلى بعض الدراسات الجامعية ومنها دراسة محمد بن العربي حول الطب باللغة الفرنسية بعنوان La médecine arabe en Algérie، وتم نشرها 1884، وإلى جانب هذه المراجع فقد لجأت إلى الموسوعات والقواميس لتدعيم المعرفة لهذا البحث، وقد صتفتها ورتبتها ضمن قائمة المصادر والمراجع.

واجهتنا صعوبات عديدة منها؛ اتساع المجال المعرفي والجغرافي للموضوع، فهو يتناول الثقافة والفكر من كل جوانبهما من تعليم وتأليف وتراجم علماء وأفكار، ودراسة الثقافة الشعبية، في مجال جغرافي واسع يشمل مناطق الجزائر من الشرق إلى الغرب إلى الجنوب، وعند دراسة حركة التأليف لا بد أن يكون الباحث موسوعي ومطلع على مختلف العلوم لمناقشة المؤلفات التي ألفت فيها. ومن بين الصعوبات التي واجهتني في البحث أذكر:

- كثرت الاحصائيات المقدمة عن التعليم وعدد التلاميذ والمدارس وتضارب بعضها، مع العلم أن احصائيات التقارير غالبا ما تجانب الحقيقة، لأن زيارات اللجان وهيئات التفتيش يتم الاعلان عنها مسبقا ويستعد لها، ولهذا يجد الباحث صعوبة في اعتماد احصائيات مطابقة للواقع.

- صعوبة ال الحصول على وثائق أرشيفية.

- ضيق الوقت المخصص لإنجاز أطروحة الدكتوراه L.M.D.

- هيمنة المدرسة الاستعمارية على الدراسات التي تناولت بالخصوص الجوانب الثقافية للمجتمع الجزائري، وهو ما يجعل الباحث في اشكالية التخلص من وجهة نظر تلك الدراسات وتبني نظرة علمية أكاديمية وفقا للمناهج العلمية.

وقبل أن أطوي آخر ورقة في المقدمة، أشكر أستاذي المشرف على جهوده وأشكر عمال المكتبة الوطنية قسم المخطوطات والكتب النادرة، وقسم السمعي البصري الذين تلقيت منهم كافة التسهيلات في الحصول على المصادر المتوفرة لديهم، خاصة الجرائد التي كتبت عنها في هذه الدراسة، كما أشكرا كل من ساعدني في هذا البحث.

المفصل الأول

الثقافة والفكر في الجزائر المستعمرة قبل 1880

أولاً: تحديد مفهوم المصطلحات

ثانياً: التعليم والثقافة الإسلامية 1830-1880

ثالثاً: التعليم والثقافة الاستعمارية 1830-1880

راهن الاستعمار منذ دخوله الجزائر على المدرسة في نشر ثقافته، وإخضاع الجزائريين فكرا وبالتالي تحقيق الاحتلال الشامل، وسنقدم دراسة ونظرة شاملة عن واقع الثقافة والفكر في الجزائر قبل 1880، كتمهيد لدراسة موضوع البحث.

أولاً: تحديد مفهوم المصطلحات:

قبل الحديث عن الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر، وما يتعلق من مواجهات ثقافية وحضارية⁽¹⁾ بين الاستعمار والمستعمر، نتعرض لتحديد مفهوم بعض المصطلحات والتي لها صلة بموضوع البحث، مثل الثقافة والفكر واللغة والهوية، وبين التثقيف الاستعماري والمقاومة الثقافية، ومصطلح النخب. وهذه المفاهيم وغيرها ستساعدنا على تحليل الواقع الثقافي والفكري في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

1- مفهوم الثقافة:

هناك تعاريف متعددة للثقافة؛ فيعرفها مالك بن نبي في ضوء سلوك الانسان داخل المجتمع؛ فيقول: "وفي ضوء هذا الربط (أي الربط بين الثقافة والحضارة) تصبح الثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة"⁽²⁾، ويضيف موضحاً مفهوم الثقافة من الناحية التاريخية فيقول: "الثقافة هي تلك الكتلة نفسها، بما تتضمنه من عادات متجانسة وعقوبات متقاربة، وتقاليد متكاملة وأذواق متناسبة، وعواطف متشابهة، وبعبارة جامعة: هي كل ما يعطي الحضارة سميتها الخاصة"⁽³⁾، ويعرف محمد مسلم الثقافة على أنها: «الإطار المرجعي الذي ينشأ فيه الفرد كما أنها تمثل في نفس الوقت المؤشرات التي بمقتضاها يتحدد سلوك الفرد والجماعة معاً، والتي بواسطتها تتشكل تصورات الأفراد وكذا أنماط حياتهم لأن تركيبة المجتمع معقدة جداً تتفاعل ضمنها عناصر مختلفة منها الثقافية والعرقية وغيرها»⁽⁴⁾، وبالتالي فتقافة الفرد مرهونة بثقافة المجتمع كما يرى إليوت: "إن ثقافة الفرد لا يمكن أن تفصل عن ثقافة الفئة، وأن ثقافة الفئة لا يمكن أن تجرد من ثقافة

⁽¹⁾ عنونت افيون توران كتابها بـ "المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة"، ولكنها في الحقيقة مواجهات حضارية، فالشعب الجزائري كان يملك مقومات الحضارة قبل الاستعمار الفرنسي، فكان من الصعب على الجزائريين التخلي عن الاسلام لصالح المسيحية وعن اللغة العربية والأمازيغية لصالح اللغة الفرنسية، والتخلي عن العادات والثقافة المحلية لصالح الثقافة الأوروبية الفرنسية، ولهذا فالصراع لم يكن صراعاً ثقافياً فحسب بل صراعاً حضارياً.

⁽²⁾ مالك (بن نبي)، شروط النهضة، تر: عبدالصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق-سوريا، 1986، ص: 82.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص: 86.

⁽⁴⁾ محمد (مسلم)، الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، ط01، دار قرطبة، الجزائر، 2009، ص: 113.

المجتمع كله"⁽¹⁾، فالنسق الثقافي للمجتمع يتضمن مجموعة من الصور والتصورات التي يشترك فيها كل أعضاء المجموعة أو بشكل أوسع كل أفراد المجتمع، كما أن كيفية النظر إلى الحياة هي التي تحدد الهوية الثقافية كالدين والوطن والأمة والعرق والجلالية والجماعة⁽²⁾، فالثقافة مرتبطة بالمجتمع، وثقافة الفرد نابعة من ثقافة المجتمع رغم وجود الخصوصية الثقافية.

يعطي الأنثروبولوجيون مفهوما للثقافة ففي نظرهم أسلوب أو طريقة الحياة التي يعيشها أي مجتمع بما تعنيه من تقاليد وعادات وأعراف وتاريخ وعقائد وقيم واهتمامات واتجاهات عقلية وعاطفية وتعاطف أو تنافر ومواقف من الماضي والحاضر⁽³⁾، وفي تعريف آخر لها « ذلك النسيج الكلي المتمثل في الأفكار والاتجاهات والعادات ومنظومة القيم وطريقة التفكير والعمل وأساليب الإدارة وآداب السلوك التي تحكم جماعة من الأفراد وكذلك اللغة ونمط العيش، وما يتضمنه من مسكن ومشرب ومأكل، وعلاقات تؤسس التواصل بين الفرد والفرد، وبين الفرد والجماعة وبين الفرد وخالفه»⁽⁴⁾، وللثقافة علاقة بالدين مما جعل إلبوت يجعل أحدهما نتيجة الآخر «وأول دعوى هامة أقيمت هي أنه لم تظهر ثقافة ولا نمت إلا بجانب دين: ومن هنا تبدو الثقافة نتيجة من نتائج الدين، أو الدين نتيجة من نتائج الثقافة»⁽⁵⁾، وإذا نظرنا إلى الثقافة الجزائرية فقد ساهم الدين في رسم معالمها، مع وجود عادات وتقاليد لا تتعارض مع الدين، وأخرى ظهرت تتنافى وطبيعة الدين الإسلامي، لكن على العموم نقول: أن الدين الإسلامي قد أثر كثيرا في بلورة الثقافة الجزائرية، وإن كان بعض الأنثروبولوجيين الفرنسيين والمستشرقين تكلموا عن الإسلام الشعبي في الجزائر خلال القرن التاسع عشر.

يتكون المجتمع من نسيج ثقافي، فقد نجد بعض العائلات أو العشائر أو القبائل لها خصوصية ثقافية، بل أن الثقافة تتدرج حسب طبقات المجتمع في تحليل المدرسة الماركسية «ومع تقدم المجتمع نحو التعقيد والتميز الوظيفيين يمكننا أن نتوقع ظهور مستويات ثقافية شتى، أو باختصار تظهر ثقافة الطبقة أو الفئة، ولا أظن أن ثمة محلا للجدل في هذه المستويات المختلفة يتحتم وجودها في أي مجتمع»⁽⁶⁾، لكن ما تتميز به الثقافات

⁽¹⁾ إلبوت (ت.س)، ملاحظات نحو تعريف الثقافة، تر: شكري محمد عباد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2001، ص: 33.

⁽²⁾ محمد (مسلم)، المرجع السابق، ص: 114.

⁽³⁾ إبراهيم (البليهي)، تعدد تعريفات مفهوم الثقافة، جريدة الرياض، العدد 13733، 29 يناير 2006، ص: 04.

⁽⁴⁾ رحيمة (شرقي)، «الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة»، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع11، جامعة قاصدي مرباح ورقلة-الجزائر، 2013، ص: 192.

⁽⁵⁾ إلبوت (ت.س)، المرجع السابق، ص: 21.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص: 35.

داخل مجتمع واحد هو احتواء كل منها على أحد مكونات الثقافة أو بعضها وليس كلها، وباقي المكونات تشترك فيها كل فئات وأجناس وطبقات المجتمع.

وإذا نظرنا إلى الثقافات على المستوى العالمي أو الاقليمي، فهناك نموذجين: منفتحة ومنغلقة؛ «إن الثقافات تتنوع تنوعاً شديداً فبعضها ذو أُطر أو دوائر مغلقة لا تتفاعل مع الدوائر أو الأطر الأخرى وبعضها فضاءات مفتوحة تأخذ وتعطي إنما تتغذى من الثقافات وتغذيها. إن الثقافات عوالم متميزة تشكّلت بظروف تاريخية وسياسية واجتماعية وطبيعية مختلفة وتكوّنت بفعل مؤثرات كثيرة ومتنوعة فجاءت هي بهذا الاختلاف والتنوع»⁽¹⁾، لكن ليس هناك ثقافة منفتحة بالفطرة وأخرى منغلقة، ولكن الصفة تأخذها حسب طبيعة المجموعة البشرية وظروفها التاريخية ومكانتها في المنظومة الاقليمية والدولية، فأوروبا انغلقت ثقافياً في العصور الوسطى، لكن ثقافتها انفتحت على الشرق بداية العصر الحديث، فاستفادت من ذلك وأصبحت ثقافة منفتحة، في حين أن الثقافة الاسلامية المنفتحة، انكمشت بعد الصدمة الاستعمارية.

إن الاختلاف في تعريف الثقافة راجع إلى طبيعة ومجال التخصص في معالجتها، فهناك تعاريف لعلماء الاجتماع، الذين يركزون على المجتمع في صناعة وتوجيه الثقافة، ويتحدثون عن النسق الثقافي، بينما علماء الأنثروبولوجيا، فاهتموا بوسائل العيش كالأكل واللباس والطريقة بناء المنزل وغيرها، وتناول علماء الأدب الفن ومختلف المنتج الأدبي على أنه مفهوم للثقافة، أما مفهوم الثقافة عند علماء السياسة في وضع استراتيجية لترقية الثقافة المحلية والرقمي بها إلى المستوى العالمي عن طريق التعليم. وسأركز في بحثنا هذا على المفهوم الأخير نظراً للظروف التاريخية للجزائر في فترة الدراسة، مع معالجة المفاهيم الأخرى من خلال دراسة الثقافة الشعبية للمجتمع الجزائري.

2- اللغة والهوية:

1-2 مفهوم اللغة: يعرف حاتم الطائي اللغة بقوله: «هي الوسيلة الوحيدة لنشأة المعرفة الانسانية وتكوينها وتطورها، والتي ينقل المرء خلالها إلى الآخرين المعاني والأفكار التي تدور في رأسه، التي هي أصوات ملفوظة مرتبة يفهم السامع المراد منها ويحتل الفهم إذا تغيّر ذلك الترتيب»⁽²⁾، ومعنى هذا أن وظيفتها التواصل الفكري والحضاري بين الأمم، كما أن لها وظيفة أخرى داخل المجتمع فهي «الصورة التي تعطي محتواها لونا وشكلا

⁽¹⁾ إبراهيم (البليهي)، المرجع السابق، ص: 04

⁽²⁾ حاتم علو (الطائي)، مجلة دراسات تربوية، «نشأة اللغة وأهميتها»، ع06، مركز البحوث والدراسات التربوية لوزارة التربية، العراق، 2009، ص: 198.

وقواما، فهي ذلك التيار الذي يبعث الروح في جميع أركان الكيان الوطني، وذلك الاسمنت الذي يضمن وحدة البيان القومي، والذي بدون تلاحمه لا يمكن أن يكون أي كيان لأمة من الأمم»⁽¹⁾، بل أن قوام المجتمع مرهون بمكانة لغته؛ «فاللغة بهذا الاعتبار ليست من مقومات الأمة فحسب، بل هي كذلك من مقومات المجتمع النشيط الذي لا يريد أن يضمحل، وربما كان الأصح أن نقول بأن اللغة تعد من خصائص الأمة والمجتمع معا، باعتبار أنها - كقيمة من القيم الخصوصية والمحيدة في نفس الوقت - تحتوي على العنصرين: المعنوي والحسي، بنفس المقدار»⁽²⁾، وبالتالي فاللغة لها تأثير كبير داخل المجتمع.

ويبين الربيع بن سلامة علاقة اللغة بالفرد والمجتمع فيقول: «اللغة من ضروريات حياة الفرد والجماعة على السواء، لأن الفرد لا يستطيع أن يعيش إنسانا من دون لغة، ولا يستطيع أن يعبر عن ذاته، ولا عن انتمائه للجماعة إلا من خلال اللغة المشتركة بينه وبين بقية أفراد جماعته، كما أن الجماعة لا تستطيع أن تحافظ على تماسكها، ولا تستطيع أن تنمي نفسها أو تحقق شيئا من الانجازات الحضارية الكبرى إلا إذا كانت لها لغة مشتركة»⁽³⁾، وما يؤكد هذا الكلام مقولة الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر⁴ Martin Heidegger: «إن لغتي هي مسكني، وهي موطني، ومستقري، وهي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتدارسه، ومن نوافذها وبعيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الفسيح»⁽⁵⁾، إذن فاللغة «تحتفظ كيان الأمة، وتحمي أنظمتها وثقافتها من وصمة التقليد الأعمى، والأمة هي المسؤولة عن نمو لغتها وتطويرها، وهي المسؤولة - أيضا - عن جمودها وموتها»⁽⁶⁾، ورغم ذلك فإن اكتساب لغة أخرى تكسب الانسان ثقافة إلى جانب ثقافته الوطنية، لأن

⁽¹⁾ مولود قاسم (نايت بلقاسم)، «قيمة اللغة في نظر بعض الأمم»، مجلة الأصالة، ع24، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، أبريل 1975، ص: 03.

⁽²⁾ مصطفى (الأشرف)، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنيفي بن عيسى، دار القصة، الجزائر، 2007، ص: 416.

⁽³⁾ الربيعي (بن سلامة) وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، ط01، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013، ص: 130.

⁴ مارتن هايدغر (1889-1976) فيلسوف ألماني، درس في جامعة فرايبورغ، ثم أصبح أستاذا بها سنة 1928، وجه اهتماماته الفلسفية إلى مشكلات الوجود والحرية والحقيقة وغيرها من المسائل، ومن مؤلفاته: الوجود والزمن (1927)، دروب موصدة (1950)، ما الذي يسمى فكرا (1954)، المفاهيم الأساسية في الميتافيزيقيا (1961)، نداء الحقيقة في ماهية الحرية الانسانية، تميّز هايدغر بتأثيره الكبير في المدارس الفلسفية في القرن العشرين، كما أيد طروحات الحزب النازي. ينظر: مارتن هايدغر، موسوعة ويكيبيديا. وحول تعريف هذا الفيلسوف ينظر كذلك: جمال محمد (أحمد سليمان)، الوجود والموجود عند مارتن هايدغر، دار التنوير، بيروت-لبنان، 2009. وكذلك: مارتن (هايدغر)، الكينونة والزمن، تر: فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، 2012.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص: 167.

⁽⁶⁾ محمد (بن عبدالكريم الجزائري)، لغة كل أمة روح ثقافتها، دار الشهاب، باتنة-الجزائر، 1989، ص: 07.

اللغة الأم تعطيه «حق الانتماء وجنسية الفكر والهوية، فإن اكتسب الانسان لغة ثانية تكسبه جنسية فكر ثانية وهوية أخرى ويعطيه حق الانتماء الثقافي لثقافة أخرى»⁽¹⁾، فالمشكلة ليس تعلم لغة أخرى، بل في تبني تلك اللغة وثقافتها والتخلي عن اللغة القومية.

وقد حدّدت مفهوم اللغة نظرا لأهميتها في الصراع الفكري بين الاستعمار الفرنسي والشعب الجزائري، بل هي مفتاح ذلك الصراع بين أي استعمار ومستعمر في الوطن العربي وغيره وهو ما يؤكد أحد الباحثين بقوله: «كانت اللغة العربية هدف المستعمر الأول، فلن يتحول الشعب إذا ما تحول إلا من لغته، ففي ذلك تحولاً من أفكاره وعواطفه وثقافته، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه ورجعت هويته رسماً محفوظاً في التاريخ، لا صورة محققة في الوجود»⁽²⁾، وما سبق يبين لنا أهمية اللغة وعلاقتها بالهوية والثقافة وتأثيرها في المجتمع والتحويلات الثقافية.

2-2 مفهوم الهوية:

تكسي الهوية أهمية في الصراع الفكري بين الاستعمار والمستعمر، بل أن الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر اتسمت بصورة الدفاع الهوية أو صياغة هوية جديدة، نظرا لعدم اعتراف الاستعمار بوجود هوية للشعب الجزائري، وهو ما يؤكد عليه أحمد منور بقوله: «الاستعمار الفرنسي هو الطرف الوحيد الذي أنكر هوية الشعب الجزائري، وجعل من ضمن مبررات غزوه للبلد أن الجزائريين لا يشكلون أمة واحدة ولا شعباً متجانساً، وإنما هم - كما حاول أن يصورهم - عبارة عن أعراق مختلفة وقبائل متفرقة ومتناحرة»⁽³⁾، وقد حاولت العديد من الدراسات الاستعمارية والمناهج والمقررات التعليمية اثبات ذلك، وقبل التعرض لهذا في الفصول القادمة نثبت مفهوم للهوية. فما تعريفها؟ وما علاقة الهوية باللغة؟

الهوية في اللغة العربية مشتقة، كما هو واضح في مبنائها من الضمير المنفصل "هو" الذي يدل على ذات الشيء أو الشخص، المستقلة عن ذوات الأشياء أو الأشخاص الآخرين، أما في اللغة الفرنسية فإن لفظ الهوية (L'identité) تقال عن الأشياء أو الكائنات المتشابهة أو المتماثلة تماثلاً تاماً، مع الاحتفاظ في ذات

⁽¹⁾ دليلة (فرحي)، «الازدواجية اللغوية: مفاهيم وإرهاصات»، مجلة المنخب، ع05، مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، 2009، ص: 269.

⁽²⁾ الربيعي (بن سلامة) وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، ط01، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013، ص: 88.

⁽³⁾ أحمد (منور)، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي؛ نشأته وتطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص: 19.

الوقت بتمايز بعضها عن البعض⁽¹⁾، وفي التعريف الاصطلاحي لها هي جملة معايير تمكن من تعريف فرد ما، وهي شعور داخلي، هذا الشعور بالهوية يتعدى إلى الشعور بالوحدة وبالانسجام وبالانتماء وبالقيمة وبالاستقلالية وبالثقة، إنها مجموعة هذه المميزات منظمة حول الإرادة في التواجد⁽²⁾، ويضيف الربيع بن سلامة هي: «مجموعة من الخصائص والملامح التي تتكون منها الشخصية المتميزة لشعب من الشعوب»⁽³⁾، فهوية الفرد ما يعرفه عن الآخرين، وهوية شعب ما يميزه عن باقي الشعوب.

تتفرع هوية الفرد من الهوية الجماعية لاشتراك العناصر بينهما في المفهوم الدوركامي «إذا انتقلنا من هوية الفرد إلى هوية الجماعة، وجدنا أن معظم العناصر التي تشكل الهوية الفردية تنطبق على مفهوم الهوية الجماعية أو ما اصطلح على تسميته بالهوية الوطنية أو الهوية القومية، إذ يتعلق الأمر بمجموعة معينة من البشر يحملون اسما يعرفون به، ويقطنون رقعة جغرافية معينة، وينتمون إلى عرق غالب أو أعراق متعددة انصهرت مع مر الزمن في بوتقة واحدة وكوّنت هوية مشتركة»⁽⁴⁾، والهوية تتأثر وتتغير حسب قابلية المجتمع في التعامل مع الأفكار، فمثلا المجتمع المغاربي رحب بالإسلام وأصبح أحد مكونات مجتمعه، في حين رفض المسيحية رغم جهود المبشرين.

2-3 العلاقة بين اللغة والهوية:

نقصد باللغة، اللغة القومية أو الوطنية وعلاقتها بالقومية؛ فيقول أحد الباحثين الجزائريين متحدثا عن العلاقة بين اللغة والهوية: «إذا كانت اللغة جزءا من التراث، وعنصر من عناصر هوية الأمة التي تشمل العادات والتقاليد والفنون والآداب والمعتقدات... فإنها تبقى أهم جزء في التراث، وأهم عنصر في الهوية، لأنها هي الوعاء الذي يحفظ التراث، والترجمان الذي يعبر عن بقية عناصر هوية الأمة، ويبرز حقيقة كل منها بشكل متكامل يجسد روح الأمة الذي يسري في منجزاتها كلها... ومن دون اللغة يصعب حفظ تراث الأمة، ويصعب التعبير عن هويتها»⁽⁵⁾، فاللغة لها دور كبير في الحفاظ على هوية الشعوب.

(1) المرجع نفسه، ص: 12.

(2) محمد (مسلم)، المرجع السابق، ص: 89.

(3) الربيعي (بن سلامة) وآخرون، المرجع السابق، ص: 81.

(4) أحمد (منور)، المرجع السابق، ص: 17.

(5) الربيعي (بن سلامة) وآخرون، المرجع السابق، ص: 131.

ويقول جون جوزيف: «يظن سماتس⁽¹⁾ Smuts أن اللغة ولدت الهوية على النحو التالي. أولاً تجرد اللغة عالم التجربة إلى كلمات، والالتقاء باللغة يجعلنا نتعالى عن التجربة الآنية البسيطة والانغماس في تيار التجربة، وهذا يمكننا من تشكيل تصور للذات بدل من أن نكون مجرد ذوات»⁽²⁾، ويضيف أحد الباحثين قائلاً: «اللغة مؤلف رئيس من مؤلفات الهوية في كل بلد، أو وطن أو أمة، بل الهوية ذو دلالة لغوية واجتماعية وثقافية، يعني الاحساس بالانتماء إلى أركان الهوية التي هي الدين والثقافة والاجتماع. أما اللغة فهي الناطق الرسمي بلسان الهوية ووسيلة إدراك العالم وتصنيف المجتمعات»⁽³⁾، ومن هنا نستنتج أن هناك علاقة وطيدة بين اللغة والهوية، بل أن المجتمع الذي يفقد لغته مرشح لفقدان هويته، فمثلاً أسماء المناسبات إذا تغيرت اسمها إلى لغة أخرى وفقدانها الاسم الأول قد تزول أو يتغير شكلها والعادات والتقاليد التي تميزها.

3- مفهوم المثاقفة L'acculturation والتثقيف الاستعماري: يوجد تعريفات عديدة لمصطلح المثاقفة ومنها: «هي اكتساب ثقافة مغايرة للثقافة الأصلية للفرد أو الجماعة، وهي هنا تشير إلى الثقافة الأجنبية التي يضيفها الفرد أو الجماعة للثقافة الأصلية، وذلك من وجهة نظر مستقبل تلك الثقافة، حيث تضاف الثقافة الجديدة أو تختلط بثقافة (الفرد أو الجماعة) المكتسبة محلياً منذ الميلاد»⁽⁴⁾. والمثاقفة مصطلح سوسيولوجي أنثروبولوجي ذو معاني متداخلة تقريبية وبصفة عامة يطلق على دراسة التغيير الثقافي الذي يحصل ويتحقق نتيجة لشكل من أشكال الاتصال بين الثقافات (الاستعمار-الرحلات-الأسفار-المبادلات التجارية-الجوار-الترجمة...) وتؤدي المثاقفة إلى اكتساب عناصر جديدة⁽⁵⁾، ويرجع تاريخ المصطلح إلى نهاية القرن التاسع عشر، حيث كان العالم النفسي ج.و. باول J.W.Powell، أول من استخدم هذا المصطلح عام

⁽¹⁾ جون كريستيان (1870-1950)، اشتغل وزير أول لجنوب إفريقيا، وقد اشتهر بعنصريته وهو المعروف بمصطلحه "الأبارتهايد"؛ حيث كتب صحيفة الوسط البحرينية عن هذا المصطلح ما يلي: هي أوقح كلمة وضعها النظام العنصري في جنوب إفريقيا، وأطلقها لأول مرة رئيس وزراء جنوب إفريقيا في العام 1917 جان كريستيان سماتس للحفاظ على قوة الأقلية البيض وسيطرتهم على الدولة في قبال اضطهاد السكان الأصليين السود. ينظر: هاني (الفردان)، «الأبارتهايد»، صحيفة الوسط البحرينية، ع2374، البحرين، 07 مارس 2009.

⁽²⁾ جوزيف (جون)، اللغة والهوية قومية، إثنية، دينية، تر: عبدالنور خراقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2007، ص: 17.

⁽³⁾ الربيعي (بن سلامة) وآخرون، المرجع السابق، ص: 82.

⁽⁴⁾ جمال نجيب (التلاوي)، المثاقفة عبدالصبور والبيوت دراسة حضارية، تر: ماهر مهدي وحنان الشريف، ط01، دار الهدى للنشر والتوزيع، مصر، 2005، ص: 07.

⁽⁵⁾ جمال (مباركي)، «المحمول الثقافي الغربي في الرواية العربية المعاصرة نماذج مختارة»، مجلة قراءات، ع05، مجلة مخير وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، 2013، ص: 107.

1880، ثم طوره عام 1883، وعرفه بأنه يشير إلى التغيرات النفسية الناجمة عن المحاكاة عبر الثقافية⁽¹⁾، فالتثقيف والمثاقفة كل ما يكتسبه الفرد والجماعة نتيجة احتكاك مع مجموعات بشرية أخرى. استعان المؤرخون بمصطلح المثاقفة في دراسة الظاهرة التاريخية وتفكيكها ثقافيا، خاصة عند استعانتها بمناهج لعلوم أخرى «وفي إطار محاولته الانفتاح على هاته العلوم وعلى وجه الخصوص الأنثروبولوجيا والسياسيولوجيا، اقتبس التاريخ مفهوم المثاقفة، وهو مصطلح ابتدعه أقلام الأنثروبولوجيين الأمريكيين في حدود 1880. وكان الإنجليز يستعملون بدلا عنه مصطلح التبادل الثقافي (Cultural exchange)، في حين آثر الإسبان مصطلح التحول الثقافي (Trans curation) وفضل الفرنسيون مفهوم تداخل الحضارات (Civilisations Interpénétration des)، إلا أن مصطلح المثاقفة أصبح أكثر تداولاً وانتشاراً»⁽²⁾.

وهناك فارق -إذا أردنا الدقة الشديدة- بين المثاقفة لدى الفرد، وهي Trans curation، وبين المثاقفة لدى مجموعة وتعني acculturation، غير أن المصطلح الأخير هو السائد في الإشارة إلى المثاقفة، سواء لدى الفرد أو الجماعة⁽³⁾، ويميز المؤرخون بين نوعين من المثاقفة:

1 - المثاقفة التلقائية: وتندرج في إطار التلاقحات الناتجة عن الحروب الناجمة عن الرغبة في الحصول على العبيد أو الاتصالات السلمية بواسطة التجارة كما هو الشأن بكندا والشمال الحالي للولايات المتحدة الأمريكية.

2 - المثاقفة المفروضة: وتتم عبر سيطرة الأوروبيين بصفة مباشرة وبالقوة على الهنود مثلا، وذلك بعد هضم حقوقهم الاقتصادية والسياسية والمس بشعائهم الدينية، وهذا ما حدث بالفعل بكل من المكسيك والبيرو غداة الاكتشافات الجغرافية الكبرى⁽⁴⁾، وكذلك في باقي الدول المستعمرة.

ويضيف أحد الباحثين نوع آخر وهو المثاقفة الاستئصالية؛ حيث يعرفها بقوله: هي «اجتثاث وسائل الحوار مع الآخر وسبل التواصل معه، وحتى لا يقف في طريقها من مبادئ يتشبث بها الآخر. وهذه الثقافة المفروضة من الغرب لا تريد حوارا أو صداما، إنما تريد تصفية للشواذب القيمية الدينية، وتصفية للتاريخ، وتصفية

⁽¹⁾ جمال نجيب (التلاوي)، المرجع السابق، ص: 07.

⁽²⁾ خليل (السعداني)، «مسألة مفهوم المثاقفة»، مجلة فكر ونقد، ع16، مأخوذ من الموقع الإلكتروني:

http://www.aljabriabed.net/n16_03saadani.htm، 2015/10/27، ص: 01.

⁽³⁾ جمال نجيب (التلاوي)، المرجع السابق، ص: 07.

⁽⁴⁾ خليل (السعداني)، المرجع السابق، ص: 01.

للتراث، كما هو الحال بالنسبة للسياسة التي اعتمدها فرنسا في تعاملها مع الإرث الثقافي والتاريخي والديني إبان استعمارها الاستعماري للجزائر»⁽¹⁾، أي محاولة إحلال ثقافة مكان ثقافة أخرى دون التزاوج بينهما.

أما من حيث مسارها ونتائجها فتتقسم الثقافة إلى مستويين: نمط الدمج؛ ويتميز باقتباس النمط المحلي لعناصر أجنبية دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير كبير في قيم الثقافة المحلية. و لا تؤدي هذه التغييرات إلى انخيار الثقافة المحلية، أما الثاني فهو نمط التمثل؛ فمثلا أن تشرب ثقافة الهنود (أفراد أو مجموعات بشرية) لعناصر الثقافة الغربية (ثقافة الغير) يوازيه القضاء على التقاليد المحلية والانقياد لقيم المجتمع المسيطر، وتندرج بين نمطي الدمج والتمثل أنماط توفيقية عدة.⁽²⁾، ومن هنا فدرجة الثقافة وكيفية نتائجها وفقا لطبيعة الاحتكاك، ومدى قابلية كل جنس في تقبل ثقافة الآخر.

4- مفهوم النخبة والتقسيم النخبوي في الجزائر المستعمرة:

يرتبط مفهوم النخبة Elite بتوزيع السلطة والقوة والنفوذ داخل المجتمع، وتعرف بأنها: "جماعة من الأشخاص يتم الاعتراف بعظمة تأثيرها وسيطرتها في شؤون المجتمع الذي تؤلف النخبة فيه أقلية حاكمة يمكن تمييزها عن الطبقة المحكومة وفقا لمعيار القوة والسلطة بدلالة تمتعها بسلطان القوة والنفوذ والتأثير في المجتمع أكثر مما تتمتع به الطبقة المحكومة فيه، وذلك بسبب ما تملكه هذه الأقلية من مميزات القوة والخبرة في ممارسة السلطة والتنظيم داخل المجتمع الأمر الذي يؤهلها لقيادته"⁽³⁾، والتأثير فيه، وفي تقرير مصيره.

وجاء في الموسوعة السياسية تعريف النخبة هي: "مجموعة أو فئة قليلة من الناس يحتلون مركزا سياسيا أو اجتماعيا مرموقا. كما يطلق التعبير على مجموعة تفوقت أو اكتسبت شهرة في مجال معين، وتجمع هذه الفئة أعظم الكفاءات في مجال تخصصها، وقد تكون النخبة حاكمة أو غير حاكمة، والمصطلح تعبير عن الامتياز والتفوق وقيمة قيادية في مؤسسة أو في مجتمع"⁽⁴⁾، والنخبة هم الموجودون في مراكز التحكم والمسؤولية، ويمكن أن نعرف النخب بالمجموعة الأقلية التي تحتل المكانة العالية في المجتمع، وانتحلت حق تسوية الأمور المشتركة

(1) جمال (مباركي)، المرجع السابق، ص: 139.

(2) خليل (السعداني)، المرجع السابق، ص: 01

(3) محمد شطب عيدان (الجمعي)، «النخبة السياسية وأثرها في التنمية السياسية»، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، ع04، جامعة تكريت-العراق، 2009، ص: 132.

(4) عبد الوهاب (الكيايالي) وآخرون: موسوعة السياسة، ج6، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994. ص: 560.

بإمكانيات مختلفة كالوراثة أو الاستحقاق أو الثقافة أو الثروة⁽¹⁾، وفي كل مجال نجد نخبة مؤثرة داخل المجتمع، وأكثرها تأثيرها النخبة الحاكمة، النخب الدينية، ثم بعدها الثقافية وغيرها.

أما في المجال السياسي فمفهوم النخبة مرتبط بنظريات النخبوية والارستقراطية وبطولة الفرد ودوره في التاريخ على حساب المجموع، فالجماهير لا تستطيع إبداء الرأي في المشاكل المعقدة التي تواجه المجتمع الحديث، الأمر الذي يفرض دور أكبر للنخبة واعتمادا أكبر على حكمة أفرادها وحسن تقييمهم للأمر، ومن ثم ينقسم المجتمع إلى فئتين النخبة التي تمتلك درجة عالية من الالتزام الفكري والقدرة التنظيمية والمهارات اللازمة للحكم، وجمهرة المواطنين التي تمارس دورا مباشرا في العملية السياسية⁽²⁾، وهذا التقسيم عارضته المدرسة الماركسية، فتقر بوجود طليعية وليس نخبة سياسية يسلم لها تسير أمور المجتمع.

عرفت مرحلة الاحتلال الفرنسي للجزائر بروز العديد من النخب، هذا إضافة إلى النخب التي كانت قائمة قبل مجيئه. وقد أدت هذه النخب أدوارا عديدة في مقاومة سياسة المستعمر وممارسته... فقد تعددت النخب السياسية والثقافية والدينية التي ساهمت في بناء ثقافة المقاومة والرفض للنسق الاستعماري⁽³⁾ وقد تراوحت توجهاتها بين الإصلاح والاندماج والثورة.

ويمكن تقسيم النخب في الجزائر المستعمرة إلى قسمين حسب الايديولوجيا والمواقف من الاستعمار إلى نخب تقليدية وأخرى حديثة؛ فالنخب التقليدية تلك التي وجدها الاستعمار من رؤساء القبائل والعشائر، وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية، والذين رفضوا الاستعمار ورفضوا معه أساليب الحداثة، بينما النخب الحديثة فهي تلك التي أوجدتها الاستعمار أو قبلت التعامل معه من الموظفين السامين في المكاتب العربية والمؤسسات المتعلقة بشؤون الجزائريين، وكذلك المواليين من علماء الدين، وخرجي المدارس الفرنسية الذي نادوا بالحداثة ورفضوا التقليد، ولاشك أن في مجال نجد النخب التقليدية وأخرى حديثة، وبما أن موضوع بحثنا ثقافي فهناك نخب ثقافية تقليدية في الفكر والوسائل، وأخرى حديثة.

(1) فضيل (حضري)، تشكل النخبة الدينية في الجزائر دراسة ميدانية بمنطقة تلمسان، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع، إشراف: مزوار بلخضر، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان، 2012-2013. ص: 13.

(2) عبدالوهاب (الكيلي) وآخرون، المرجع السابق، ص: 561.

(3) مراد (بن سعيد)، «النخب والسلطة والأيديولوجيا في الجزائر: بين بناء الدولة والتغيير السياسي»، المستقبل العربي، ع 76، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، جوان 1985، ص: 76.

وخلاصة القول حول تحديد مفهوم المصطلحات المتعلقة بموضوع البحث نقول: إن إخضاع الشعب الجزائري ثقافيا وفكريا للاستعمار، كان لا بد من تفكيك هويته واستغراب (الغربة) لغته، وتغيير ثقافته، وتنقيفه ثقافة استعمارية، والتحكم في نخبة التقليدية وصناعة النخب الحديثة، مما يسهل على الاستعمار صناعة وضع ثقافي يحمل مجموعة متناقضات يتماشى والسياسة الاستعمارية، وستساعدنا هذه المصطلحات في تحليل الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880-1914، وقبل ذلك نتعرف عن واقع الثقافة في الخمسين سنة الأولى من الاحتلال؛ أي قبل 1880.

ثانيا: التعليم والثقافة الإسلامية 1830-1880:

خصصت هذا المبحث للحديث عن واقع المؤسسات الدينية الإسلامية فترة خمسين سنة الأولى من الاحتلال وأثره على الثقافة الإسلامية، حيث يقول أبو القاسم سعد الله عن الاستعمار الفرنسي للجزائر: «غزا الفرنسيون الجزائر بالسلاح والعلم، فحققوا الاحتلال والاستعمار والاستيطان بالسلاح والجيوش، وحققوا نشر لغتهم ودينهم وعاداتهم وصحافتهم ومطبعاتهم ومسرحهم بالعلم والاختراع»⁽¹⁾، ويضيف متحدث عن طبيعة الاستعمار الفرنسي «ولكنه كان غزوا فكريا على كل حال، ذلك أن كلوزيل وفاليه وبوجو كانوا يغزون المدن بينما كان بربروجر⁽²⁾ Adrian Barb Roger وديسلان⁽³⁾ William Mac Guckin de Slane وبريسنييه Briec nier وأمثالهم كانوا يغزون المكتبات الخاصة ومكتبات الزوايا والمساجد بدعوى الإنقاذ»⁽⁴⁾، ولعل التصور الذي وضعه أبو القاسم سعد الله للاستعمار هو عبارة عن غزو ثقافي وفكري، ولهذا كان استهداف مؤسسات التعليم الإسلامية ضروري كما يؤكد عليه تقرير الجنرال دو كرو Ducrot إلى

⁽¹⁾ أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج 01، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992، ص: 79.

⁽²⁾ أول مدير للمكتبة الوطنية بعد صدور قرار تأسيسها في 13 أكتوبر 1835، والذي كلف بجمع المخطوطات .

⁽³⁾ ماك جوكان دي سلان وشهرته البازون دي سلان (1801 - 1879 م) هو مستشرق فرنسي، من أصل إيرلندي. تتلمذ على دي ساسي، ومن تلاميذه جان فرانسوا شامبليون، من آثاره: نشر ديوان امرئ القيس، وتاريخ ابن خلدون، وفهرس المخطوطات الشرقية الموجودة في خزنة باريس الوطنية، سافر إلى فرنسا عام 1830 لدراسة الاستشراق ونيل الشهرة، وبعد حصوله على الجنسية الفرنسية كلفته الحكومة مهمة في الجزائر بين 1843-1845، فقام بأدائها وأرسل إلى وزير المعارف العمومية تقريرا عن مجموعة المخطوطات ذات الأهمية في المكتبات الخاصة، وقد تم ترقيته إلى مترجم عام للجيش الفرنسي في الجزائر عام 1846، وقد اشتغل دي سلان كرسي اللغة العربية المغاربية في قسم اللغات الشرقية عام 1864. للتعريف به ينظر: أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 06، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1998، ص: 70-72.

⁽⁴⁾ أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 01، المرجع السابق، ص: 90.

نابليون الثالث⁽¹⁾... جاء فيه ما يلي: «لنعرقل ما استطعنا تطور المدارس الاسلامية والزوايا... وبكلمة أوضح نسعى إلى تجريد الشعب الجزائري من السلاح المادي والمعنوي»⁽²⁾، فما مصير المؤسسات التعليمية والثقافة الاسلامية بعد دخول الاستعمار؟ خاصة امتلاك وتحكم الاستعمار في الأوقاف؟

انتشرت المؤسسات التعليمية في الأحياء والمدن و المداشر قبل الاحتلال الفرنسي، وهذا باعتراف المحتلين آنذاك، وقد تميّزت تلك المؤسسات باستقلالية عن السلطة العثمانية، وكان مصدر تمويلها الأوقاف ولهذا فإن مصيرها بعد الاستعمار الفرنسي ارتبط بمصير تلك الأوقاف؛ حيث أصدرت إدارة الاحتلال قرار في 07 ديسمبر 1830⁽³⁾ بموجبه أصبحت كل الأوقاف ملكا للدولة وتابعة لمصلحة الدومين (أملاك الدولة)⁽⁴⁾، وستعرف عن وضع تلك المؤسسات بداية من المساجد ثم الكتاتيب وأخيرا المدارس والزوايا.

1-المساجد: المسجد مكان للعبادة وأداء الصلوات وقراءة القرآن وحلقات الذكر، بل ان المسجد في بداية الاسلام مؤسسة قائمة يعالج فيه أمور المسلمين في الدنيا والمرتبطة بالآخرة، كما أن الله يدعو المسلمين للصلاة في المساجد فأجرها مضاعف عن الصلاة في البيوت، ولهذا فإن انتشار المساجد في الجزائر كان أمر طبيعي، فلا يوجد حي إلا ويحتوي على مسجد، إما أن يكون مخصص للصلوات فقط أو مخصص للصلوات وصلاة الجمعة، والاحصائيات المقدمة عن عدد المساجد أثناء احتلال الجزائر غير دقيقة نظرا لمساحة الجزائر وعدد أحياء مدنها وأريافها، وما يهمنا كيف تعامل الاستعمار معها؟ وما مصير تلك المساجد بعد الاستعمار؟

⁽¹⁾ شارل لويس نابليون بونابارت 20 إبريل 1808م -9 يناير 1873م، كان رئيسا لفرنسا من 1848م الى 1852م ثم إمبراطورا لفرنسا تحت اسم نابليون الثالث من 1852م الى 1870م، ولد نابليون في باريس. وهو ابن لويس بونابرت. ملك هولندا وأخو نابليون الأول. نفى قانون فرنسي صدر عام 1816م أسرة بونابرت من فرنسا، وقضى لويس نابليون شبابه في إيطاليا وألمانيا وسويسرا. أصبح ربّ أسرته عام 1832م. ارتبط بمجموعات ثورية أمثال الكرتوناري في إيطاليا. حاول الإطاحة بحكومة لويس فيليب الملكية عام 1836م في ستراسبورج، وعاود محاولته في بولونيا عام 1840م. سجن في حصن اسمه هام عقب المحاولة الفاشلة عام 1840م. لكنه فر إلى إنجلترا عام 1846م، وخلال هذه السنين كتب الأفكار النابليونية (1839م)، جاعلاً من سيرة عمه الشهير مثلاً، كما كتب انقراض الفقر (1844م)، مقترحاً العمل على وضع حد للفقر والألم، أما في الجزائر فقد حاول تطبيق سياسة المملكة العربية. ينظر: نابليون بونابرت، موسوعة ويكيبيديا.

⁽²⁾ سيف الاسلام (زبير)، صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1988، ص: 31.

⁽³⁾ نصت المادة الأولى من هذا القانون على تحكّم الادارة الاستعمارية في أوقاف المؤسسات الدينية. ينظر:

Robert Estoublon et Adolphe Lefebure, code de l'Algérie annoté, Alger, 1896, P : 02.

⁽⁴⁾ خديجة (بقطاش)، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، ط01، منشورات دحلب، الجزائر، (د.ت)، ص: 24.

يتجلى موقف الاستعمار من المساجد في النزعة الدينية للحملة الفرنسية، وفي تصريحات بعض القادة العدائية ضد المؤسسات الدينية، ومن أشهرهم الجنرال روفيقو الذي قال: «يلزمي أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه معبدا لإله المسيحين»⁽¹⁾، وكان أول مسجد وقع ضحية التنكيل والهدم هو جامع السيدة⁽²⁾ الذي قال عنه مصطفى خياطي: «جوهره من جواهر الفن المعماري، شيدته ابنة الناصر سلطان بجاية في سنة 1662 وكان من أجمل مساجد البلد»⁽³⁾، كما تم تحويل جامع كتشاوة⁽⁴⁾ إلى كنيسة.

سنعطي بعض الاحصائيات عن هذه المساجد ونذكر أشهرها فيقول سعدالله: «كان عدد مساجد العاصمة عند الاحتلال 122 مسجدا بين صغيرا وكبيرا»⁽⁵⁾؛ أي 13 جامع كبير و109 مساجد صغيرة، ويضاف إلى 32 مصلى و12 زاوية⁽⁶⁾، ومن أشهر تلك المساجد نذكر: جامع السيدة، جامع محمد باشا، مسجد سيدي السعدي، مسجد قرب قبة الشيخ عبدالرحمن الثعالبي، مسجد المصلي، مسجد ابن نيقرو⁽⁷⁾، مسجد حمام يطو، جامع علي بن تاشفين، وجامع سيدي الرحبي، ومسجد دار القاضي، وجامع الشماعين، وجامع علي باشا، ومسجد سيدي عمار التنسي، ومسجد سيدي فليح، ومسجد المرسى، ومسجد سيدي عبدالرحمن الثعالبي، والجامع الكبير والجامع الجديد⁽⁸⁾، وقائمة المساجد طويلة لأنه لا يوجد إحصائيات رسمية، فأغلب المساجد التي دونت ارتبط اسمها بالأوقاف.

(1) عمار (قليل)، ملحة الجزائر الجديدة، ج01، الدار العثمانية، الجزائر، 2013، ص: 103.

(2) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 10.

(3) مصطفى (خياطي)، حقوق الانسان في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، تر: المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار، الجزائر، 2013، ص: 136.

(4) من أشهر المساجد التاريخية بالعاصمة الجزائرية. بني في العهد العثماني، بناه حسن باشا سنة 1794م لكنه حول إلى كنيسة بعد أن قام الجنرال الدوق دو روفيقو القائد الأعلى للقوات الفرنسية. الذي كان تحت إمرة قائد الحملة الفرنسية الاستعمارية "دوبونيك". بإخراج جميع المصاحف الموجودة فيه إلى ساحة الماعز المجاورة التي صارت تحمل فيما بعد اسم ساحة الشهداء، وأحرقها عن آخرها، فكان منظرا أشبه بمنظر إحراق هولوكو للكتب في بغداد، و هدم المسجد بتاريخ 18/12/1832 م، وأقيم مكانه كاتدرائية، حملت اسم "سانت فيليب". ينظر: جامع كتشاوة، موسوعة ويكيبيديا.

(5) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 11.

(6) مصطفى (خياطي)، المرجع السابق، ص: 135.

(7) النيقرو اسم كان يطلق على عائلة تولت وكالة المسجد من قرنين من زمان، وهذا مسجد كان داخل المدينة من الجهة السفلية على بضع امتار ومن جهة اليمنى من دخول من باب الوادي، بناء هذا مسجد كان بين فترة 1660م و1681م. والأوقاف التي كانت تعود الى هذا المسجد : 3 منازل و 14 محل سنة 1831 م، وقدردت مداخيله بـ1261 فرنك فرنسي، وقد تم الاستلاء على أوقافه وحجزها من طرف الاستعمار، واتخذ المسجد موقع لكتيبة عسكرية فرنسية، ثم هدم في 2 مارس 1837.

(8) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 13-40.

تحوّلت بعض المساجد تلك المساجد وغيرها إلى كنائس، وبعضها الآخر تم استغلاله كمستودعات وملاجئ للجنود، أو تم بيعه للخوادم لاستعماله من أجل الايواء، والكثير منها تم هدمه، وسنذكر بعض الأمثلة منها مسجد " سيدي الرحمي " الذي تحوّل إلى مخزن المركزي للصيدلة العسكرية في 1833، ثم بيع الخوادم ليصبح مسكن، ونجد أيضا مسجد " سباط الذهب " الذي ألحق في 1835 بمستشفى الميدان وهدم سنة 1842، ومسجد " خضر باشا " الذي ألحق بمستشفى خراطين من 1830 إلى 1836 ثم هدم جزئيا ليضم إلى المنزل رقم 2 من شارع سيبيون Scipion وإلى الكنس اليهودي بالرقم 4 من نفس الشارع⁽¹⁾، وهكذا تم هدم بعض المساجد وضمها إلى منازل المستوطنين، فتم هدم مسجد مريم السني 1838، ومسجد سيدي عمار الذي تحوّل إلى ثكنة عسكرية 1830، ونفس المصير لقيه مسجد عين الحمرة 1837⁽²⁾، وغيره من المساجد.

بقي من تلك المساجد مطلع القرن العشرين إلا الجامع الكبير والجامع الجديد؛ حيث بين سنة 1905-1911 «جرت مناقشات ساخنة في بلدية الجزائر حول هدم الجامعين (أي الجامع الكبير والجامع الجديد) لتحميل العاصمة وبناء فندقين مكان الجامعين»⁽³⁾، ولاشك أن هدم تلك المساجد وتحويل بعضها إلى مؤسسات لخدمة الاستعمار كان استهدافا مباشرا للدين الاسلامي.

وكانت قسنطينة تضم في سنة 1837 حوالي 35 مسجدا و7 مدارس قرآنية تضم بين 600 و700 تلميذا، وكان بعض الأساتذة يتمتعون بسمعة حسنة مما يجعل الجامع الكبير ممتلئا في غالب الأحيان بالمستمعين، وكانت سمعة قسنطينة الفكرية تفوق سمعة جميع المدن الجزائرية الأخرى ولا تضاهيها في ذلك إلا سمعة كل من تونس والقاهرة⁽⁴⁾، فقد زار قسنطينة العديد من العلماء والعديد من طلبة العلم خاصة في عهد عائلة الفكون.

(1) مصطفى (خياطي)، المرجع السابق، ص: 136.

²Aumerat (M), La propriété urbaine a Alger, Revue Africaine, volume 42, 1898, P: 181-182.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 13.

(4) أيفون (توران)، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة؛ المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880، تر: عبدالكريم أوزغلة ومصطفى ماضي، دار القصة، الجزائر، 2005، ص: 141.

اشتهر إقليم قسنطينة بعدة مساجد نذكر: جامع رحبة الصوف، وجامع القصبة والجامع الكبير وجامع الصالح باي، وجامع سوق الغزل، الجامع الأخضر، وجامع خليل، وجامع سيدي علي بن مخلوف، وجامع سيدي علي التلمساني، ومسجد سيدي الرماح، وجامع عبدالرحمن المنطقي⁽¹⁾، وجامع أبي ربيعة وجامع سيدي أبي مروان بعنابة⁽²⁾، وجامع سيدي عقبة وجامع سيدي الجودي ببسكرة⁽³⁾، ومساجد أخرى كان لها دور علمي وتربوي وإصلاحي داخل المجتمع باعتبار أن المسجد يقصد مختلف الأعمار ومن مستويات متعددة.

وقد كان مصير مساجد الشرق الجزائري نفس مصير مساجد مدينة الجزائر وباقي المناطق المحتلة؛ حيث تحول الجامع الكبير بعنابة إلى «مستشفى بسعة 300 فراش، وسجد قصبة بجاية إلى مستشفى كذلك»⁽⁴⁾، وتذكر توران أنه قبل وصول الفرنسيين إلى عنابة كان هناك 39 مؤسسة تعليمية تتمثل في زاويتين هما سيدي بن عبدالرحمن وسيدي عبدالقادر، و37 مسجداً، اندثر منها 22 في عمليات الهدم التي تمت بعد الغزو ومن بين 15 مسجداً الباقية ما يزال 2 فقط يحتويان على مدرسة؛ فمسجد سيدي عبدالقادر أغلق بينما ظل مسجد سيدي عبدالرحمن يحتفظ ببعض التلاميذ فقط غير أنه تابع لأملاك الدولة⁽⁵⁾، وقد اتبع الاستعمار سياسية الهدم والتحويل خاصة مع المساجد الكبيرة لما لها من تأثير داخل المجتمع ودورها في الثورات الشعبية.

نظراً لأن المسجد ضروري في المجتمع الإسلامي؛ فقد طالب الجزائريون الإدارة الاستعمارية بتترك المساجد واحترام بنود معاهدة الاستسلام، وقد تكررت تلك المطالب في العديد من التقارير ومنها تقرير عامل عمالة قسنطينة سنة 1850 عن سكان بجاية بقوله: «لقد طلب أهالي بجاية مقابلي فقابلتهم، فلم

⁽¹⁾ يقصد به عبدالرحمن الأخضر عالم جزائري، من قرية بنطوبوس ولاية بسكرة حالياً، عاش خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، ولد 940هـ/1516م، وتوفي حسب رأي أبو القاسم سعد الله 953هـ/1548م، يعد من أبرز العلماء الموسوعيين في تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية ومن أكثرهم تأليفاً للمتون العلمية، واهتماماً بطرق التدريس. ينظر: عبد الحميد (عومري)، «الاختصار عند الشيخ عبدالرحمن الأخضر مختصره في فقه العبادات أمودجا»، الملتقى الوطني العلمي الأول حول مناهج التأليف الفقهي ونماذجها في مؤلفات المالكية، مخبر الجنوب الجزائري بجامعة غرداية وجمعية الإرشاد والإصلاح الاجتماعي، غرداية-الجزائر، 14-15 فيفري 2015.

⁽²⁾ حول المساجد والجوامع بعنابة خلال القرن التاسع عشر ينظر:

PAPIER (AD), « La Mosquée de Bône », Revue Africaine, n°33, année 1889 , P : 312-320.

⁽³⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 79-99.

⁽⁴⁾ مصطفى (حياطي)، المرجع السابق، ص: 137.

⁽⁵⁾ ايفون (توران)، المرجع السابق، ص: 142.

يحدثوني عن أملاكهم المحتجزة ولا عن بؤسهم الشديد، ولكنهم خاطبوني قائلين: أصدر الأمر بترميم مسجدنا، ووفر لنا مدرسة لاثقة، وادفع للمعلم أجره الذي صار يستحيل علينا دفعه له، هذا كل ما نطلبه منك»⁽¹⁾، وهذه الرسالة تبين لنا الوعي الديني لدى الجزائريين وارتباطهم بالدين الإسلامي حتى أنهم فقدوا كل شيء فطالبوا ببناء المسجد قبل كل شيء.

نتقل من إقليم الشرق إلى إقليم الغرب الجزائري، وأشهر المساجد به نذكر: مسجد سيدي الهواري وجامع الباشا بوهران، ومسجد الباي بمعسكر، وجامع القدارين⁽²⁾ ب ندرومة، ومسجد أبي مدين وجامع سيدي بوجمعة في تلمسان والجامع الكبير ب تلمسان⁽³⁾، وغيرها، وقد أصاب مساجد هذه مدن إقليم الغرب ما أصاب مساجد العاصمة وقسنطينة، بل ربما أكثر نتيجة المقاومة العنيدة في الناحية، يضاف إلى ذلك هجرة العلماء إلى المغرب الأقصى وإلى المشرق مثل هجرت عائلة المشرفي من معسكر، وعائلة المجاوي وعائلة محمد بن سعد من تلمسان، كما نقلت السلطات الاستعمارية بعض العائلات من الغرب إلى الشرق الجزائري مثل عائلة بوطالب⁽⁴⁾، ومن المساجد المتضررة جامع أبي الحسن الذي تحول إلى متحف جمعوا فيه كل القطع الفنية والأثرية، وتحدث شارل بروسلا⁽⁵⁾ Charles Brosselard عن مصير جامع سيدي بوجمعة في تلمسان، مؤكدا على أنه له أوقاف هامة، وقد استولى عليه الفرنسيون وضموه إلى أملاك الدولة الفرنسية منذ الاحتلال، ووزعت أوقافه على عدد من الكولون، كما استولى الفرنسيون على الأراضي التابعة للجامع الكبير⁽⁶⁾، وبحول الثمانينات كان وضع المساجد في الإقليم الوهراني يتشابه مع الأقاليم الجزائرية الأخرى، وحتى مساجد الصحراء التي لحقها الأذى الاستعماري بعد مقاومة المقراني وأولاد سيدي الشيخ.

⁽¹⁾ أحمد (منور)، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي؛ نشأته وتطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص: 64.

⁽²⁾ كان يقع في حي بني يزيد ب ندرومة ولاية تلمسان حاليا، تم تأسيسه في عهد الدولة الموحدية.

⁽³⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 100-110.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص: 109-110.

⁽⁵⁾ له دراسة حول تلمسان وعلاقتها بعاصمة الأزواد تمبكتو:

Brosselard (Charles), Tlemcen et Tombouctou, imprimerie de A. Bourget, Alger, 1861.

⁽⁶⁾ عبدالرحمن (بن بوزيان)، دار الحديث ودورها في الحركة الإصلاحية بتلمسان (1937-1956)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: بوعزة بوضرساية، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2012-2013، ص: 44-45.

2-الكتاتيب: تعتبر الكتاتيب بمثابة مؤسسات التعليم الابتدائي في عصرنا، تستقبل أطفالا من مختلف الأعمار التي تتراوح ما بين سن الخامسة إلى سن الرابعة عشر، يشرف عليها معلم يختلف الاسم الذي يطلق عليه من منطقة إلى أخرى، وفي بعض الأحيان يساعده طلبة من حفظة القرآن⁽¹⁾، وكان الأطفال يجلسون على الأرض باعتقادهم أن ذلك فيه خشوع المناسب للعبادة وتقربا من الله الذي يريد أن يرى عباده جالسين صفا واحدا فيستجيب لدعواتهم⁽²⁾، فليس الخشوع وحده السبب في الجلوس على الأرض، بل ضعف الامكانيات المادية وبساطة التعليم والاشراف الخاص عليه قد أثر بدوره إلى جانب التركيز على التعليم دون النظر في تطوير وسائله ومناهجه .

تؤكد التقارير الفرنسية والمذكرات أن التعليم كان منتشر بين الجزائريين عشية الاحتلال، فمعظمهم كان يعرف القراءة والكتابة وهذا بفضل انتشار مؤسسات التعليم خاصة الكتاتيب؛ حيث "يدخل التلميذ إلى الكتاب في سن الخامسة أو السادسة"⁽³⁾، يشرعون في تعلم كتابة الحروف وقراءتها ثم الفاتحة ثم سور القرآن بداية من أقصرها، يحفظون على ظهر قلب عددا معينا من القرآن الكريم، الذي كان يملى عليهم على ألواح من الخشب، وتعطينا ايفون توران صورة عن التدريس في كتاتيب ومساجد بوسعادة⁽⁴⁾ بالشرق الجزائري «لقد كان الأطفال في جميع مساجد بوسعادة يدرسون في الشتاء من منتصف النهار حتى الساعة الثانية بعد الزوال، ومن الساعة الخامسة إلى الساعة السادسة مساء، ومن الساعة الثالثة إلى الساعة الخامسة صباحا، وكان على جميع الأطفال ماعدا الصغار جدا أن يجوبوا متناوبين الشوارع حيا حيا خلال الليل وينادون على أقرانهم، ولا شيء يظهر ارتباط التقليد المدرسي والتقليد الديني أفضل من هاته اليقظات الليلية»⁽⁵⁾، وكانت علاقة معلمي

⁽¹⁾حسان (صبحي)، العقيدة التربوية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر 1830-1962، أنوار المعرفة، مستغانم-الجزائر، 2014، ص: 223.

⁽²⁾إبراهيم (مياصي)، «دور الزوايا في نشر التعليم الأصلي»، الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، وزارة المجاهدين، وهران-الجزائر، 25-26ماي 2005، ص: 309.

⁽³⁾ Mercier (E), Question indigène en Algérie au commencement du xx^e siècle, Augustin challamel, Paris, 1901, P : 183.

⁽⁴⁾ مدينة جزائرية تقع على بعد 242 كلم جنوب العاصمة الجزائرية، لها موقع جغرافي مهم في الشرق الجزائري، ولهذا لجأ الاستعمار إليها لتكون قاعدة عسكرية للتوسع في الجنوب الشرقي للجزائر، فهي حاليا على بعد 70 كم من المسيلة عاصمة الولاية جنوبا و 175 كم عن بسكرة و 130 كم عن برج بوعرييج و 120 كم عن الحلفة. و تعتبر من أقدم الدوائر في الجزائر، وتوجد بالمدينة زاوية الهامل من أشهر الزوايا في الشرق الجزائري، والتي تحتوي على مخطوطات هامة.

⁽⁵⁾ ايفون (توران)، المرجع السابق، ص: 131.

القرآن قريبة من حياة القبائل والعائلات، ففي المدن كان كل حي يجتمع سكانه لإعانة الطالب (المعلم)، وفي القبائل كان لكل دوار خيمة تستعمل كمدرسة⁽¹⁾.

كان المنهج التعليمي موحدًا في الشمال والجنوب على السواء، فهو في بسكرة والأغواط والبيض، ووهران وورقلة وتقرت والوادي والمنيعية و في توات وبشار بنفس النمط؛ فالمدارس القرآنية نفسها في كل مكان ملاصقة للجامع في كل مدينة، وإذا كثرت التلاميذ يستعين المرابي بقدماء التلاميذ الذين معه⁽²⁾، ومن الخطأ حصر المدارس القرآنية في تحفيظ القرآن الكريم لأنه في الواقع يمتد إلى التربية الدينية والاخلاقية، وهذا هو الجانب الذي أراد الفرنسيون القضاء عليه، مع احتفاظهم باستظهار التلميذ للقرآن فقط⁽³⁾، ومع غياب التربية الروحية والدينية ستؤدي بالأطفال إلى التأثر بالثقافة الغربية.

اهتم الأمير عبدالقادر بالتعليم وهو ما يذكره الإسكندر بيلمار: جعل الأمير التعليم مهمته الأساسية باعتباره سلطانًا ومسلمًا، كما جعل من مهامه الأساسية رفع شأن الدين والعلم، ولكي ينتعش الذين الذين حارب به الفرنسيين، أنشأ الأمير مدارس يتعلم فيها الأطفال الصلوات وقواعد الإسلام والقراءة والكتابة، أما الذين يرغبون في مواصلة التعلم، فكان عليهم أن يتوجهوا إلى الزوايا أو المساجد، وبذلك كانت المدن التي تحت يده إلى حوالي 1843: مليانة والمدية وتلمسان، ومعسكر و تاقدمات تنشط في التعليم القرآني، ومنذ واقعة الزمالة 1843 كان التعليم القرآني قد انحصر في الخيام رغم صعوبة الحياة ومطاردات العدو⁽⁴⁾، وهو ما فسح المجال للاستعمار للتكامل بالمؤسسات الدينية في الغرب الجزائري ومجال دولة الأمير.

تقلصت عدد الكتاتيب بعد احتلال أهم المدن الجزائرية وهو ما تؤكدته التقارير الرسمية الفرنسية؛ ففي تقرير لمسؤول عن التعليم العمومي بالجزائر "ديشي" يتحدث عن وضعية الكتاتيب فيقول: «ففي سنة 1840 كانت توجد بالجزائر العاصمة التي تبلغ عدد سكانها 92000⁽⁵⁾، 24 مسيد (كتاب) يدرس فيها أكثر من 600 تلميذ، لكن بقي منها في شهر فبراير 1846 سوى 14 مسيد و 400 تلميذ، كان المعلمون في

(1) المرجع نفسه، ص: 131.

(2) صالح (فركوس)، تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال 814 ق. م - 1962م، ج 02، إيدكوم للنشر والتوزيع، فسنطينة-الجزائر، 2013، ص: 124.

(3) المرجع نفسه، ص: 125.

(4) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 03، المرجع السابق، ص: 45-46.

(5) أما توران فتذكر أن عدد سكان مدينة الجزائر 12000 نسمة، وعدد المدارس 24، تضم 600 تلميذ ثم تقلص العدد إلى 14 مدرسة تضم 400 طفل سنة 1846. ينظر: ايفون (توران)، المرجع السابق، ص: 137-138.

الماضي تحوطهم الرعاية ويعيشون حياة ثرية، أما الآن فكلهم يعانون من البؤس باستثناء أفراد قلائل منهم»⁽¹⁾، وحسب ما ذكره شارل روبير أجرون؛ فإن عدد المدارس الابتدائية لسنة 1863 قدرت بحوالي ألفي مدرسة يتردد عليها 27.000 طالب يتعلمون الكتابة والقراءة، وتحدث واري من جهته عن 26.449 تلميذ سنة 1861، وفي دائرة المعارف Orléanville (الشلف حاليا)، 63 محاضرة (مدرسة) بها 653 تلميذ⁽²⁾، ويذكر زهوني أن عدد الكتاتيب في الجزائر العاصمة هو 100 سنة 1873 تعلم فيها القراءة والكتابة والحساب⁽³⁾، وهذا رقم ضعيف مقارنة بما كان موجود قبل الاستعمار.

نظر للوضعية التي وصل إليها التعليم في الكتاتيب فقد دعا أوربان⁽⁴⁾ urbain في سنة 1848 إلى إعادة تنظيم التعليم التقليدي وتزويده بالمستجدات الضرورية، والتعريف بالعلوم الجديدة من خلال كتيبات صغيرة بالعربية الدارجة، والتحضير شيئا فشيئا لبروز جيل يتقبل الحداثة غير أن ذلك البرنامج التجديدي لم يحظ بالتطبيق⁽⁵⁾، وما قامت به السلطات الفرنسية هو "مسايرة الواقع"، والسماح باستمرارية المدارس الموجودة⁽⁶⁾ والسبب هو أن الفرنسيين إذا حاربوا هذا التعليم الذي تبنى عليه كل مراحل التعليم ومنعوه "ثارت عليهم نائرة السكان، فاتفقت كلمتهم على الإبقاء عليه مع تجريده من مؤسساته في المدن، وقطع التواصل بينه

⁽¹⁾ عبد الحميد (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010، ص: 213.

⁽²⁾ شارل روبير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص: 595.

⁽³⁾ الطاهر (زهوني)، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د.ت، ص: 14.

⁽⁴⁾ اسمه الكامل توماس (إسماعيل) أوربان Thomas Ismayl Urbain، ولد بتاريخ 31 ديسمبر 1812، درس بمرسيليا وحصل على شهادة الثانوية، ثم ألتحق بكلية الطب، ونظرا للتحويلات السياسية التي عرفتها فرنسا سنة 1830، فقد سافر للشرق بداية من تركيا التي تعلم بها اللغة التركية، واستضافة السلطان العثماني وهو ما أثر فيه وجعله يدعو إلى التقارب بين الشرق والغرب، ومن تركيا اتجه نحو مصر ثم سوريا ولبنان وقبرص، وفي رحلته كان معلما للغة الفرنسية في دمياط بمصر التي أسلم فيها، وفي أفريل 1837 حلّ أوربان بالجزائر كمتوكل للحجّ والجنرال بيجو، ونظرا لحاجة العسكريين الفرنسيين لأفكار أوربان، أسندوا له في جانفي 1845 مهمة العمل بمديرية الشؤون الأهلية بوزارة الحربية بباريس، ثم عين رئيس مكتب الشؤون الأهلية في وزارة الجزائر والمستعمرات 1858، ثم مستشارا مقرا بمجلس الحكومة العامة، وله مؤلفات عديدة يلخص فيها الوضع الجزائري والحلول المقترحة منها: الجزائر للجزائريين، الجزائر الفرنسية، الأهالي والمعمرين. ينظر: مصطفى (عبيد)، الجزائر في كتابات توماس (إسماعيل) أوربان 1812-1884، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف: أبو القاسم سعد الله، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص: 15-59.

⁽⁵⁾ شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج01، المرجع السابق، ص: 593-594.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص: 595.

وبين التعليم المتوسط والثانوي⁽¹⁾، مع الحرص على مراقبة معلمي القرآن عن طريق فرض ترخيص مسبق عليهم⁽²⁾، وبما ان معلمي القرآن يتخرجون من المدارس وزوايا العلم فستأثر الكتابات بغياب أغلب تلك المؤسسات التعليمية العليا.

تجاوزت السياسة الاستعمارية حدود محاصرة معلمي القرآن ماديا، ومراقبته بل فرضت الادارة الاستعمارية ضريبة علي إنشاء المؤسسات الدينية وعلى تنظيمها، مثل ما حدث سنة 1851 مع: بني سليمان (دائرة البليدة)، وثنية الأحد، وتنس، وسيدي بلعباس، ونواحي تلمسان وسكيكدة وباتنة؛ ففي هذه النقاط تأسست مدارس من أموال الأهالي⁽³⁾، ورغم ذلك فإن الفرنسيون يراقبون برنامج التعليم في هذه الكتابات، وطرق التعليم والمعلمين، وأي أفكار تقلق الاستعمار يتم مصادرة الكتاب وممتلكاته.

نشرت إحصائيات سنة 1851، جاء فيها أن المدارس القرآنية في الريف بلغت 851 مدرسة وكانت كلها تعلم القرآن والكتابة والقراءة، ويتزدد عليها حوالي 10.925 تلميذ وذلك بجهود الجزائريين ومن تبرعائهم، وفي "تقرير رسمي رفع إلى رئيس الجمهورية الفرنسية سنة 1851 من قبل وزير الحرب"⁽⁴⁾، أنه لا وجود لتعليم فرنسي في الأرياف-البوادي- ولا يتعلم الأطفال سوى القرآن على يد "الطلبة" (بفتح الطاء وتسكين اللام)، الذين يدفع الآباء لهم مبلغا من المال مكافأة لعملهم، وأنه لا وجود لمدارس حائضية لذلك وإنما هناك خيام فقط⁽⁵⁾، وقد تراجع التعليم القرآني نهاية الستينيات وخلال السبعينيات؛ فإذا رجعنا إلى الاحصائيات الرسمية فإن عدد المدارس القرآنية انخفض في الأرياف من 2000 سنة 1863 إلى 750 سنة 1880، وفي سنة 1878 بلغ عددها 525 في الأقاليم العسكرية⁽⁶⁾، هذا حال الكتابات التي كانت تستقبل الأطفال الصغار لتعليمهم. فما هو مصير المدارس القرآنية الأكثر حجما وتخصصا من الكتاب؟

(1) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 03، المرجع السابق، ص: 36.

(2) شارل روبر (أجرون)، الجزائريون المسلمون وأوروبا، ج 01، المرجع السابق، ص: 595.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 03، المرجع السابق، ص: 46.

(4) هو المارشال جاك لويس راندون Jacques Louis Randon، (1871-1795)، الذي قاد عدة عمليات عسكرية في الأغواط جنوب الجزائر أثناء إحتلالها.

(5) صالح (فرкос)، المرجع السابق، ص: 124.

(6) محفوظ (قداش) وجيلالي (صاري)، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، تر: خليل أوزاينية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص: 269.

3-المدارس: المدارس عبارة مؤسسات دينية تقدم تعليما في مستوى التعليم الثانوي، تتميز على الزوايا بطابعها التربوي الذي استبعد جوانب الزهد والتصوّف التي عرفت في الزوايا، وحصر اهتمامه على تعليم مختلف العلوم الأدبية والدينية، إضافة إلى تعليم الحساب، وقد اشتهرت المدارس في معظم المدن الجزائرية مثل تلمسان وقسنطينة ومازونة ووهران⁽¹⁾، والمدرسة أكثر من الكتاب من حيث الهيكل والتسيير والعلوم التي تدرس ومستوى المعلومات المقدمة.

تأسست أغلب المدارس إلى جانب المساجد؛ ففي تقرير ديشي يقول أن كل مسجد يحتوي على مدرسة للتعليم في مدينة الجزائر، وقد تم انشاء الزوايا لإيواء الطلبة وعددها ستة، لكن في سنة 1846 لم يبق منها إلا واحدة وتم تهدم الخمس الأخرى، حيث يكتب عن مصيرها ومصير المساجد والمدارس فيقول: «ففي الجزائر العاصمة اختفى العديد من المساجد وهدمت خمس زوايا، وصودرت عائدات المساجد والزوايا جميعها لتأخذ اتجاهها آخر تخالف مقاصد الواهبين لممتلكاتهم... أما الزوايا في أوساط القبائل فلم يعد لها وجود سوى بالاسم، ذلك أن حملاتنا العسكرية قد شتتت جموع الطلبة وزادت بذلك في عدد أعدائنا، في حين أن المخطوطات التي كانت تشكل قاعدة للتعليم قد قضى على جانب كبير منها»⁽²⁾، فالمدارس كان مصيرها في مدينة الجزائر الهدم أو تحويلها إلى مؤسسات تابعة للإدارة الاستعمارية.

من المدارس التي هدمت في مدينة الجزائر؛ مدرسة تابعة لجامع البطحاء تم تدميرها سنة 1854، ومدرسة جامع السلطان سنة 1838، ومدرسة جامع خيرالدين هدمت سنة 1831، ومدرسة جامع ابن نيقرو 1838⁽³⁾، وقد أشارت بعض التقارير إلى وضعية التعليم عام 1849، وتفيد بأن حالة التعليم أصبحت مزرية «إذ اختفت مدارس الطور الثاني بصفة نهائية تقريبا من الجزائر، وكان على الشباب الراغب في اكتساب بعض المعارف الواسعة نوعا ما أن ينتقلوا لطلبها في تونس وطرابلس وتطوان، وحتى في مصر»⁽⁴⁾، ومن المدارس التي أهدمت هدمًا مدرسة جامع الشيخ الثعالبي سنة 1859، يضاف إلى ذلك مدرسة جامع عبدي باشا، ومدرسة مسيد الغولة التي ألحقت بمكاتب الكاتب العام للحكومة، ومدرسة مسجد سيدي

⁽¹⁾ صبحي (حسان)، المرجع السابق، ص: 225.

⁽²⁾ عبد الحميد (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المرجع السابق، ص: 215.

⁽³⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص: 40.

⁽⁴⁾ أيفون (توران)، المرجع السابق، ص: 137.

الهادي التي جعلها الفرنسيون مدرسة عربية-فرنسية، ثم هدمها معاً سنة 1855⁽¹⁾، ومعظم تلك المدارس ارتبط مصيرها بمصير المساجد التابعة لها.

بلغ عدد المدارس القرآنية في قسنطينة سنة 1837، 90 مدرسة ولم يبق منها بعد عشر سنوات سوى 30 مدرسة، وإذا كانت مدرسة سيدي الكتاني (مدرسة الصالح باي) قد انتعشت حين جعلت مقراً للدراسات الشرعية-الفرنسية، منذ 1851، فإن المدارس الأخرى فقد حولت عن وجهتها أو هدمت نتيجة مد الطريق الوطني، أما مدرسة جامع سيدي الأخضر التي بناها أيضاً صالح باي، فقد عطّلها الفرنسيون عن غرضها واغتصبوا أوقافها وجعلوها مقراً لكرسي (حلقة) اللغة العربية الذي أحدثوه ليتعلموا هم اللغة العربية، وكذلك حولوا مدرسة سيدي التلمساني إلى جمعية فرنسية- دينية تسمى سيدات ليون باستور Leon Dames Pasteur ، سنة 1853، وكان مصير مدرسة جامع رحبة الطابية قد تحولت إلى إسطنبول لخيول فرقة الصباحية ثم اندثرت، وبقية مدرسة لم تترك لتعليم المسلمين ولكن حولت إلى مقر للجمعية الأثرية، وكان مع سوق الغزل مدرسة أيضاً، ولكن تحويل الجامع إلى كنيسة فعطلت المدرسة عن مهمتها⁽²⁾، وقد وقع لمدارس بجاية وعنابة ما حدث لمدينتي قسنطينة والجزائر.

أقرت التقارير الرسمية الاستعمارية بالحالة التي آلت إليها المدارس ومختلف مؤسسات التعليم الإسلامي؛ فيتحدث الجنرال بيدو في تقريره المؤرخ 12 فيفري 1847: «وعند الاستلاء عليها سنة 1837 كان يوجد بها خمسة وثلاثون مسجداً وسبع مدارس، تتسع لعدد من التلاميذ يتراوح بين 600 و700 ويتلقون فيها تعليماً يعرف بالتعليم الثانوي، بالإضافة إلى دروس أخرى كان يلقيها أشخاص ذو سمعة واسعة... وكانت بالمدينة تسعون (90) مدرسة ابتدائية يتردد إليها حوالي 1350 طفلاً»⁽³⁾، وعن مصير تلك المؤسسات التعليمية بعد عشر سنوات من احتلال قسنطينة يذكر صاحب التقرير نفسه: «أما عدد المدارس اليوم (أي سنة 1847) فقد انخفض إلى 30، كما انخفض عدد التلاميذ إلى 350، ولم يبق سوى 60 شاباً يتابعون تعليمهم الثانوي»⁽⁴⁾، ويذكر زرهوني أنه في سنة 1873 كان يوجد بقسنطينة 90 مدرسة تحتوي على 1400 تلميذ، وسكانها قدروا بـ24000 نسمة، كما يذكر أن بالجزائر العاصمة 100 مدرسة لتعليم القراءة

(1) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، 03، المرجع السابق، ص: 40.

(2) صالح (فركوس)، المرجع السابق، ص: 122-123.

(3) بيدو، تقرير عن التعليم العمومي الأهلي بالجزائر، نشرت في: عبد الحميد (زوزو) نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المرجع السابق، ص: 217.

(4) بيدو، تقرير عن التعليم العمومي الأهلي بالجزائر، المصدر السابق، ص: 217.

والكتابة وتحفيظ القرآن⁽¹⁾، وهذه الاحصائية مبالغ فيها إذا نظرنا إلى التقارير التي سبق الإشارة إليها، وإلى الظروف الاقتصادية التي مرّ بها الجزائريون مما تعرّس عليهم بناء مدارس ودفع الضرائب عليها.

إن سياسة الاستعمار القمعية اتجاه المؤسسات التعليمية لم تشمل البنائيات، بل حاولت القضاء على ما تبقى من المدارس بوسائل أخرى ولعل أبرزها التضييق على المعلمين، فتذكر توران استنادا إلى أحد التقارير «كان أولئك المعلمون الموظفون مباشرة، في الماضي يعيشون في يسر وبشرف، واليوم فر الكثير منهم، وبطل توظيفهم لأنهم كانوا يرفضون أن يتحملوا وجود المسيحيين وعلى وجه الخصوص لأن مواردهم نضبت»⁽²⁾، والبعض منهم أرغموا على الهجرة أو هاجروا إلى الحج ولم يرجعوا من المشرق.

حاول بعض الحكام العامون تدرك الوضع الكارثي الذي خلفه انهيار أغلب مؤسسات التعليم الاسلامي، إلا أن ضغط المستوطنين سيحول دون ذلك كما كتب أجرون عن قايدون قائلا: "تأثرت مدارس المسلمين بالهزات الارتدادية الناجمة عن رد فعل المستوطنين ضد سياسة التعاطف مع العرب، إلا أن الحاكم العام دو قايدون⁽³⁾ De Gueydon قرر المضي في إصلاح تلك المدارس وإيجاد صيغة جديدة لها لأن المناهضين لها يعتبرونها مؤسسات تخريج المتعصبين، وقد شرع في تنظيم مسابقة انتقاء الأساتذة للغة العربية⁽⁴⁾، وهذا بعد تحويل المدارس الاسلامية إلى المدارس الشرعية الفرنسية، ورغم ذلك فقد عارضها المستوطنون، وسارت المنظومة الاستعمارية في نفس الاتجاه، لتكون مؤسسات التعليم الاسلامي الضحية في المشهد الثقافي بما فيها الزوايا التي نتحدث عنها في العنصر القادم.

4- الزوايا: الزوايا موضوع شائك وحيوي؛ فقد تناوله العديد من الباحثين والكتاب ولا يزال محل دراسة عن تطورها التاريخي، خاصة في مرحلة الجمع بين التعليم والتصوّف أو بين علمي الشريعة والحقيقة، إلى أن وصلت الزاوية التي تنتمي إلى طريقة من الطرق الصوفية إلى مرتبة دولة داخل الدول قائمة بمؤسساتها وبموارها الاقتصادية وتتحمل المسؤولية الاجتماعية والثقافية، وقد انتشرت الزوايا في الجزائر ولكل منها انتمائها الصوّفي، وسأركز على زوايا العلم ومصيرها خلال خمسين سنة الأولى من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

(1) الطاهر (زرهوني)، المرجع السابق، ص: 14.

(2) ايفون (توران)، المرجع السابق، ص: 130.

(3) فترة حكمه بالجزائر تمتد من 1871 إلى غاية 1873، كان مؤيد نظرة المستوطنين، وقد عمل على عدم (دمومة الجنسية الأهلية)، وذلك بضرب أسسها وتنظيماتها التي تحميها، قام بمجموع إصلاحات سنة 1872 على ضوء تقارير المفتش شاربونو، وبناء على ما جاء في الدراسات التي قامت بها لجنة غاستومبيد Gastanbide.

(4) شارل روبيير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج 01، المرجع السابق، ص: 602-603.

كانت الزوايا تفتح أبوابها للصغار ليتلقوا فيها دروس في المدن والأرياف وكانت تساهم في تكوين الأجيال الصاعدة وتحضر الشباب قصد إرسال أحسنهم لإتمام الدراسة في تونس أو المغرب الأقصى، وأما الكتاتيب القرآنية فكانت تعلم القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وكانت تعتبر هي كذلك كمركز تشويش ضد الاستعمار⁽¹⁾، وفي إحصاء يرجع إلى سنة 1851 جاء أن عدد تلاميذ الزوايا في الأرياف 8.347 متعلما، وعدد الزوايا 593 زاوية، وكان برنامجها هو تعليم الفقه والنحو والتاريخ الاسلامي والأدب، ويدخلها التلاميذ الذين أنقروا المرحلة الأولى⁽²⁾؛ أي بعد حفظ القرآن ومعرفة الحساب.

ويتحدث تقرير آخر يرجع إلى سنة 1840 عن الزوايا الريفية فيقول: "في كل قبيلة أماكن مخصصة للتعليم وتكوين الطلبة، وهذه الأماكن مبنية قرب زاوية أحد المرابطين الذي اشتهر بورعه وتقواه، سواء كان حيا أو بإشراف أولاده وأحفاده، ومدة الدراسة في الزاوية غير محدودة والدروس مجانية، ويعيش الطلبة والمدرسون من تبرعات القبائل المجاورة، وأحيانا يعيشون من مداخيل خاصة بالزاوية... ولا يحمل طلبة الزوايا ولا شيوخها السلاح أو يشاركون في الحروب بين القبائل، إن دورهم هو التهذئة والاصلاح، والزاوية مكان مقدس للجميع"⁽³⁾، لأن المهمة الأساسية للزوايا هي التعليم.

يجب النظر للزوايا التعليمية على أنها مشروع اجتماعي جماعي اشترك فيه كل السكان وافتخروا به وساهموا في تمويله والسهرة عليه، ثم وزعوا الأدوار فيما بينهم؛ فهناك دور للجماعة، ودور لأهل القرية، ودور للمرابط وآخر للمعلم، ودور للأسرة. وكان سكان كل قرية يتنافسون على أن تكون زاويتهم أجمل الزوايا وأنظفها وأكثرها بياضا واتساعا⁽⁴⁾، ولهذا فالزوايا قد انتشرت بشكل كبير في الأرياف.

كانت بمدينة الجزائر عدة زوايا، منها زاوية الأشراف التي كانت تضم مسجدا ومقبرة ومساكن ومطاهر، بالإضافة إلى بعض الأملاك الموقوفة عليها، ومنذ سنة 1832 أراد الفرنسيون أخذها فقاموا بتعطيلها وبيعها زاعمين أن وكيلها قام ببيعها رغم أنها وقفية للأشراف جميعا، وزاوية القشاش (تأسست 1659) التي تقع بجوار مسجد القشاش (تأسست سنة 1579)، وقد حملت اسمه، وبعد الاحتلال كان مصيرها الهدم، فتصور بعض وثائق المحاكم الشرعية وضعية طلبة الزاوية بعد تهديمها مؤرخة سنة 1835، ومما جاء فيها: "كان قراء

(1) الطاهر (زرهوني)، المرجع السابق، ص: 13-14.

(2) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج03، المرجع السابق، ص: 173.

(3) المرجع نفسه، ص: 173-174.

(4) المرجع نفسه، ص: 182.

الزاوية يقدمون رجلا منهم يتصدق في أحباسهم من بناء وترقيع وترميم وغير ذلك وما فضل يفرق عليهم إلى أن استولى الفرنسيين على الزاوية المذكورة وفرقوا طلبتها⁽¹⁾، ونفس السياسة اتبعتها الاستعمار مع باقي الزوايا كما يؤكد على ذلك مؤيد صالح العقبي: "قام الاستعمار بتخريب مقرات الزوايا وتدميرها وإلقاء القبض على رجالها وعذبهم وسجنهم، كما نفى بعضهم"⁽²⁾، والبعض من شيوخ الزوايا هاجروا بعد التضيق عليهم.

نتقل إلى قطاع الشرق الجزائري، فأغلب الزوايا في منطقة القبائل، ومن تلك الزوايا التي كانت موجودة قبل 1850 زاوية وادي أقبو التي يشرف عليها المرابط "بن علي الشريف"، وزاوية بين القل وجيجل كانت تحت حماية مولاي طرفة «وقد أدت جميعها دور الملجأ لأولئك المتشبهين بالعقيدة وتستقبل دوريا المتعصبين من الدعاة»⁽³⁾، وكانت زاوية عبدالرحمن اليلولي متخصصة في تحفيظ القرآن الكريم، وعندما زارها هانوتو ولوتورنو سنة 1862، وجد فيها بين 70 و80 تلميذا يتلقون العلم وقد عطلت هذه الزاوية مثل بقية الزوايا بعد ثورة المقراني⁽⁴⁾، واشتهرت مدينة قسنطينة ونواحيها بعدد كبير من الزوايا، بلغت حسب بعض الإحصائيات ستة عشرة زاوية منها: زاوية سيدي الكتاني و عبد المؤمن، وسيدي مخلوف وسيدي عفاف وسيدي راشد، وبعض الزوايا عرفت باسم العائلات المشرفة عليها مثل زاوية أولاد الفكون، وزاوية أولاد جلول، ومن أبرز زوايا نواحي قسنطينة: زاوية سيدي ناجي وبني بو مسعود وبني مقران⁽⁵⁾، وفي عنابة كانت توجد زاوية سيدي عبدالرحمن، وزاوية سيدي عبدالقادر⁽⁶⁾، وهما من زوايا التعليم .

تعرضت هذه الزوايا للتنكيل الاستعماري، ومن الزوايا التي ذهبت ضحية الاستعمار في إقليم قسنطينة، زاوية ثيزي راشد، وتسمى أيضا زاوية الشيخ الحسين بن عراب⁽⁷⁾ نسبة إلى مؤسسها، وقد تم تهديمها

⁽¹⁾ ياسين (بودريعة)، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والباليك، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: عائشة غطاس، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة بن يوسف بن خدة، 2006-2007، ص: 56-59.

⁽²⁾ صلاح مؤيد (العقبي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها، دار البراق، بيروت-لبنان، 2002، ص: 428.

⁽³⁾ ايفون (توران)، المرجع السابق، ص: 141.

⁽⁴⁾ أبو القاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج03، المرجع السابق، ص: 190.

⁽⁵⁾ حسان (صبحي)، المرجع السابق، ص: 273.

⁽⁶⁾ الشيخ (أبو عمران)، قضايا في الثقافة والتاريخ، ط02، منشورات ثالة، الجزائر، 2006، ص: 102.

⁽⁷⁾ من علماء القرن الثامن عشر الميلادي، سافر لمصر من أجل العلم فدرس على مشايخ منهم الخرشى شارح مختصر الشيخ خليل، ولهذا قيل أن الشيخ أعراب هو أول من أدخل شرح الخرشى إلى الجزائر، واهتم بالدراسة الفقهية. ينظر: أبوالقاسم (سعد الله)، ج03، المرجع السابق، ص: 185.

في ثورة 1871 كما عانت زاوية الشيخ محمد (المحمد) الحاج التي كانت تقع باجو بني وغليس، وكانت من أول الزوايا التي تعرضت للضرر البالغ، وزاوية سيدي الحاج احساين (حسين) بسمعون بني وغليس⁽¹⁾، وإلى جانب تلك الزوايا نذكر زوايا أخرى في منطقة زاوية منها: زاوية ابن إدريس، والزاوية السحنونية، وزاوية ابن أبي داود⁽²⁾، وقد أصبحت زاوية سيدي احميدة بريف عنابة مهجورة، وهي التي كانت تضم حبوس تقدر بـ 881 هكتار، والمصير نفسه لقيته زاوية "كابليتي" بقالة بعد ثورة 1852⁽³⁾، وعند مصادر ممتلكات وأوقاف الزوايا، حتما سيؤدي إلى انهيارها خاصة مع ضعف التمويل وقلة الهبات.

يذكر زرهوني أن تلمسان يوجد بها 40 زاوية سنة 1871 من مجموع 2000 زاوية وكتاب موزعة على شمال وجنوب الجزائر، قامت بتعليم 28000 تلميذ تقريبا⁽⁴⁾، أما أبو عمران الشيخ فيكتب أن في تلمسان 30 زاوية يتمدرس فيها 600 طالب⁽⁵⁾، وتشير بعض التقارير أن الأيوبية في سعيدة لم يبقى فيها أي زاوية بعد دخول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة، فقد هجر الطلبة إلى زوايا المغرب، والزاوية المهمة في مقاطعة الغرب هي زاوية سيدي بومدين في تلمسان، والتي كانت تضم 25 تلميذا عام 1852⁽⁶⁾.

كانت الزوايا في الجنوب الأكثر تأثرا، ومن تلك الزوايا: زاوية طولقة ببسكرة، وزاوية الخنقة وزاوية الهامل⁽⁷⁾، وزاوية حينون بأولف، وزاوية سيدي ملاي سليمان بن علي، وزاوية الشيخ ملاي الرقاني⁽⁸⁾ وغيرها، وقد تعرضت العديد من زوايا الصحراء إلى التضييق والهدم خاصة بعد مقاومة أولاد سيدي الشيخ، وستعرض لهذه الزوايا بالتفصيل في الفصل القادم باعتبارها استمرت إلى غاية فترة الدراسة وبعضها استمرت إلى عصرنا.

(1) أبو القاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 03، المرجع السابق، ص: 185-186.

(2) المرجع نفسه، ص: 170-201.

(3) ايفون (توران)، المرجع السابق، ص: 142.

(4) الطاهر (زرهوني)، المرجع السابق، ص: 14.

(5) الشيخ (أبو عمران)، المرجع السابق، ص: 102-103.

(6) ايفون (توران)، المرجع السابق، ص: 140.

(7) حول هذه الزوايا ينظر: أبو القاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 03، المرجع السابق، ص: 213-223.

(8) محمد توختوخ، الزوايا في إقليم توات (تيميمون، توات الوسطى، تديكلت) دراسة سوسولوجية مونوغرافية للزاوية الطاهرية، مذكرة

لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع المعرفة والمنهجية، إشراف: عبدالرحمن بوزيدة، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية،

جامعة الجزائر 2، 2012-2013، ص: 110.

ثالثا: التعليم والثقافة الاستعمارية 1830-1880:

التعليم هو وسيلة لتمير رسالة العلم من جيل لآخر خاصة في المستويات الأولى منه، وقد يكون كذلك وسيلة سياسية من أجل توجيه فكر جيل معين ينتج عنه ما نسميه "بالتثقيف"، أي أن يكون التعليم موجها لخدمة سياسة معينة أو نشر أفكار أو مناصرة أيديولوجية، ولهذا كثيرا ما تظهر إشكاليات في وضع البرامج وصياغة القوانين المتعلقة بالتعليم، وقد ظهرت بعضها في مسألة تعليم أبناء المسلمين الجزائريين كما أكد على ذلك بول برنارد Paul Bernard بقوله: "إن المشكلة المتعلقة بتعليم أبناء المسلمين الجزائريين كانت محور مناقشات وصراعات، أكثر من أي مسألة أخرى تتعلق بشؤون الجزائريين"⁽¹⁾ ولم يكن الاحتلال الفرنسي للجزائر سياسيا وعسكريا واقتصاديا فحسب بل كان كذلك ثقافيا، وهو ما جعل الاستعمار استخدام التعليم كوسيلة لتحقيق أهدافه وخدمة للثقافة الفرنسية، بل الثقافة الاستعمارية⁽²⁾، وهكذا فإن المسألة التعليمية قد أخذت بعدا سياسيا في إطارها العام التربوي⁽³⁾، وستعرض في هذا المبحث إلى السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر خلال خمسين سنة الأولى من الاحتلال بداية من التعليم الابتدائي ثم الثانوي والمدارس الشرعية وأخيرا التعليم التبشيري.

1- التعليم الابتدائي:

ذكرنا من قبل أن الكتاتيب والمساجد كانت تقدم التعليم الابتدائي للأطفال قبل الاستعمار، لكن بعد غلقها واستغلال بعضها الآخر وتأثر مدارس أخرى بالحرب وقطع التمويل المالي بعد مصادرة الأوقاف، تركت هذه المؤسسات فراغ، فلم يعد هناك بديل لها يقصده الأطفال للتعلّم، ونستغرب مما كتبه الوكيل المدني جانتي دي بيسي إلى نائبه الوكيل بعنابة يوم 1832/12/22 يقول: إن حركة التعليم هنا بالجزائر تجري على أحسن وجه حاول من جهتك أن تعمل على تنشيط هذه الحركة... استعن بالترجمين... عينهم رؤساء

⁽¹⁾ Bernard (Paul), «L'enseignement primaire des indigènes en Algérie», Revue du Monde Musulman, novembre, 1906, P : 05.

⁽²⁾ عند مطالعتي لبعض المصادر والمراجع وجدت استخدام مصطلح الثقافة الفرنسية ويقصد به الثقافة الاستعمارية أو الثقافة الغربية، وفي نظري هناك فرق بين هذه المصطلحات؛ فالثقافة الفرنسية هي مجمل الأفكار وطرق التفكير السائدة في فرنسا والتي كانت نتيجة للتطور الفكري في فرنسا وأوروبا بصفة عامة وقد تجسدت بعضها في شعارات الثورة الفرنسية وفي كتابات المفكرين وأعمال الفنانين، بينما الثقافة الاستعمارية فهي توظيف كل فكرة تحقق للاستعمار هدف إخضاع الشعوب فكريا.

⁽³⁾ Hardy (Georges), «Problèmes d'enseignement colonial», Revue de Paris, n 14, septembre 1929, P : 354.

للمدارس... حدد أماكن وأسسها مدارس... وأن الكتب باللغة الفرنسية ستأتي عن قريب"⁽¹⁾، فمشروع التثقيف الاستعماري بدأ تطبيقه من العقود الأولى للاستعمار.

أنشأت السلطات، باقتراح من دو روفيغو" ابتداء من سنة 1833 أول مدرسة مختلطة بمسجد "سوق الجمعة" الذي كان من جملة الحبوس الإسلامية المؤممة، تعلم الفرنسية لأبناء الجزائريين واليهود، والعربية لأبناء الفرنسيين، ثم انشئت مدارس أخرى على شاكلتها في القبة"⁽²⁾، وفي سنة 1835 فتحت مدرسة في دالي إبراهيم، وكانت تدرس إلى جانب الفرنسية العربية الدارجة، وكانت لقيت بعض الإقبال حيث دخل بها 50 تلميذا جزائريا، وكان هؤلاء التلاميذ كلهم من أبناء الفرقة العسكرية المنشأة حديثا، والذي كان جنودها يمتحنون الشرطة وقت الحكم العثماني وهم المسمون زواوة أو "زواف"⁽³⁾ كما ينطقها الفرنسيون، إلا أن سعد الله يذكر أن تأسيس أول مدرسة كانت سنة 1836، وهي الوحيدة خلال سبع سنوات الأولى من الاحتلال، ولم تستقبل سوى 90 تلميذ خلال هذه الفترة والسبب هو: «إن الجزائريين الأولين قد قاطعوا المدرسة الفرنسية الوحيدة في الجزائر خوفا على أبنائهم من الغزو الفكري والديني، ثم أن كثيرا منهم كانوا ما يزالون ينتظرون الفرج؛ أي خروج العدو من بلادهم، ولذلك ظلوا في حالة ترقب»⁽⁴⁾، والمعروف أن تلك المدارس لم تكن موجهة للجزائريين عامة ولكن لأبناء الموالين للاستعمار الذين يخدمون مصالحه، أو الموظفين في الإدارة.

احتوت المدرسة التي تم تأسيسها سنة 1836 على قسم واحد، وفي السنة التي تليها تم تنظيم دروس للكبار لتعلم اللغة الفرنسية التي أصبحت معرفتها شرطا للتوظيف في المصالح الإدارية الخاصة بالأهالي⁽⁵⁾، كما تم انشاء مدرسة بمستغانم وأخرى بعنابة؛ حيث تشير بعض الروايات أن عدد تلاميذ الجزائريين⁽⁶⁾ بلغ سنة 1837 «أربعمائة وخمسة وعشرون تلميذا مسجلين في مختلف المدارس الفرنسية العمومية والخاصة»⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ حميدة (عميراي)، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري بداية الاحتلال، دار البعث، الجزائر، 1984، ص: 44.

⁽²⁾ أحمد (منور)، المرجع السابق، ص: 62.

⁽³⁾ مصطفى (هشماوي)، جذور أول نوفمبر 1954 في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2010، ص: 203.

⁽⁴⁾ أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 01، المرجع السابق، ص: 92.

⁽⁵⁾ جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص: 16.

⁽⁶⁾ كانت الإدارة الفرنسية في بداية الاحتلال تدرج أبناء اليهود مع أبناء الجزائريين ضمن مصطلح الأهالي، ولهذا الإحصائية المشار إليها في المتن تجمع أبناء اليهود والجزائريين جميعا. ينظر: جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 17.

⁽⁷⁾ المرجع نفسه، ص: 17.

على الرغم من الاعتمادات والاهتمامات قصد جلب أكبر عدد ممكن من الجزائريين إلا أن الإقبال كان ضعيفا من طرف هؤلاء، فمثلا كان عدد الدارسين سنة 1839 يقدر بـ1324 تلميذ، منهم 1009 أوروبي، و220 إسرائيلي و95 جزائريا بالنظر إلى أن عدد سكان الجزائريين يفوق عدد الأوربيين والإسرائيليين⁽¹⁾، كانت البرامج المقدمة لأطفال الجزائريين في المدارس الفرنسية العربية تحتوي على « اللغة العربية والفرنسية، الحساب نظام الموازين والمكاييل والمقاييس إلى جانب معلومات عامة في التاريخ والجغرافيا»⁽²⁾، وقد أدرجت اللغة العربية ليتعلمها أبناء الفرنسيون.

وما نلاحظه أن الاستعمار لم يعطي أهمية كبيرة للسياسة التعليمية قبل 1848، وما قام به هو خدمة لأبناء المستوطنين، وأبناء الجزائريين الموالين لفرنسا من القادة ورؤساء القبائل والجنود الذين انضموا للجيش الفرنسي، وسبب عدم اهتمام الاستعمار بالتعليم يرجع إلى انشغاله بالعمليات الحربية كما يذكر لويس رين⁽³⁾؛ أي انشغاله بالقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر ومقاومة أحمد باي الأكثر انتشارا.

في 1848 تحول نظام الحكم في فرنسا من الملكي إلى الجمهوري، وقد كان له أثر على التعليم؛ حيث حاول الجمهوريون وضع صورة للمدرسة الاستعمارية في الجزائر وهيكلتها وفقا للحاجيات الجديدة والفرنسة الثقافية والأخلاقية للشعوب المستعمرة⁽⁴⁾، كما سعوا إلى إدماج الجزائر في فرنسا، وذلك بإدماج كافة المؤسسات بما فيها التعليم: "ولذلك أعلنت حكومة الجمهورية أن التعليم الأوروبي في الجزائر قد أصبح تابعا لوزارة المعارف العمومية في فرنسا، وليس من اختصاصات وزارة الحربية، ولا الحاكم العام الفرنسي في الجزائر"⁽⁵⁾، وقد أنشأت تلك الوزارة أكاديمية لها في الجزائر كما هو موجود في المستعمرات الأخرى، بينما التعليم الأهلي الاسلامي فقد بقي تحت إشراف وزارة الحربية والادارة المباشرة لسلطة الحاكم العام العسكري في الجزائر⁽⁶⁾، وهو ما فسح المجال لرسم خريطة الطريق في السياسة التعليمية الاستعمارية.

(1) حميدة (عميراوي)، المرجع السابق، ص: 44.

(2) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 31.

(3) Louis (Rinn), Notes sur l'instruction publique musulmane en Algérie, Fontana, 1880, P : 10.

(4) Linda (Lehmil), « L'édification d'un enseignement pour les indigènes : Madagascar et l'Algérie dans l'Empire français », Revue Labyrinthe, N 24, Hermann- France, 2006, P : 92.

(5) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج03، المرجع السابق، ص: 285.

(6) المرجع نفسه، ص: 285.

جاء مرسوم 14 جويلية 1850 لتنظيم وتوسيع من دائرة المدارس العربية الفرنسية؛ أي المدارس العلمانية المؤسسة في المدن الكبرى التابعة للمناطق المدنية، والتي سيطر عليها الاستعمار وإقرار السلام فيها⁽¹⁾، فنص المرسوم على إنشاء أربعون مدرسة ابتدائية تحتوي كل واحدة منها في غالب الأحيان على قسم واحد⁽²⁾، بينما ذكر عبدالقادر حلوش أن المرسوم نص على إنشاء عشر مدارس عربية فرنسية فقط⁽³⁾، خصصت منها ستة للذكور وأربعة للإناث تتوزع على المدن التالية: الجزائر العاصمة، وهران، قسنطينة، مستغانم، البليدة، ويقوم بالتدريس فيها مدرسان: الأول جزائري ويداوم صباحا والثاني أوروبي ويداوم مساء، ويعطي المرسوم للحاكم العام حق تأسيس مدارس أخرى عندما يرى ذلك ضروريا، وقد شمل برنامج التعليم اللغة العربية واللغة الفرنسية والحساب باللغة الفرنسية، ويشرف على المدرسة مدير يشترط فيه أن يكون حاملا شهادة الكفاءة في تدريس اللغة العربية، وتمنح للمتخرجين من هذه المدارس شهادة بدرجة أولى أو الثانية أو الثالثة؛ فالأولى للذين يتكلمون اللغة الفرنسية فقط، وشهادة الدرجة الثانية للذين يتكلمون ويكتبون اللغة الفرنسية، وشهادة الدرجة الثالثة للذين يتكلمون اللغة الفرنسية ويكتبونها ويعرفون الحساب بها والتاريخ والجغرافية⁽⁴⁾، فركيزة هذا البرنامج هو تعليم اللغة الفرنسية ونشرها بين الجزائريين والتي هي محور العملية التعليمية الموجه لأطفال المسلمين الجزائريين⁽⁵⁾، وجاء هذا المرسوم بعد التقرير الذي كتبه توك فيل سنة 1848، ووصف الحالة المزرية للتعليم وسياسة التجهيل وعدم الاهتمام بتعليم أبناء الأهالي.

يعلق سعد الله عن البرامج المعتمدة في تلك المدارس بقوله: "وحين أنشئت مدارس ابتدائية فرنسية موجه للجزائريين سميت باسم خاص وهو -المدارس العربية الفرنسية، وكان عددها قليلا جدا، ومحتوى برامجها لا يتجاوز غسل المخ وتوجيه جيل من الجزائريين نحو الفرنسية وقطعه عن جذوره، وذبدبت الأسرة والمجتمع ممن ورائه"⁽⁶⁾، كما يتبين محتوى البرنامج من خلال الأسئلة التي نشرتها إحدى الجرائد المهتمة بالتعليم في الجزائر

(1) عبدالقادر (حلوش)، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص: 50.

(2) الطاهر (زرهوني)، المرجع السابق، ص: 15.

(3) يذكر جمال قنان أن المرسوم الصادر في 14 جويلية 1850 نص على إنشاء ست مدارس ابتدائية أطلق عليها اسم المدارس العربية الفرنسية في كل من مدينة الجزائر، قسنطينة، وهران، عنابة، مستغانم، والبليدة على نفقة الحكومة والتعليم فيها يكون مجانا. ينظر: جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 29-30.

(4) عبدالقادر (حلوش)، المرجع السابق، ص: 50-51.

(5) Bernard (Paul), Op.cit, P : 11.

(6) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج03، المرجع السابق، ص: 285.

خلال فترة الاستعمار الفرنسي؛ ففي الرياضيات لا تتجاوز الحساب بالعمليات الأربعة المعروفة، وفي الفرنسية تعليم بعض القواعد المرتبطة باللغة الفرنسية فقط⁽¹⁾، وهو ما يبين نية الاستعمار والمشرفين على التعليم. عنيت الإدارة الاستعمارية بالتعليم الابتدائي خاصة في عهد نابليون؛ حيث أنه في سنة 1852 كان عدد المدارس بالمناطق الثلاث قد بلغ 223، وعدد التلاميذ 12.766 تلميذا⁽²⁾، أما توران فتري في تقرير اعتمدت عليه: أن عدد المدارس سنة 1852 في المدن الثلاثة (الجزائر، وهران، قسنطينة) 1144 مدرسة وعدد التلاميذ 13249 تلميذا، وفي تقرير آخر عدد المدارس 429 وعدد تلاميذها 8092 تلميذا⁽³⁾، وقد تطور التعليم الابتدائي عبر ستة سنوات التي تليها وهو ما يوضحه الجدول التالي⁽⁴⁾:

السنة	عدد المدارس	عدد التلاميذ
1854	348	19.271
1855	408	21.964
1856	407	24.641
1857	393	24.651

نلاحظ من خلال الاحصائيات المقدمة في الجدول، أن الجزائريين أقبلوا على التعليم مقارنة بعشرين سنة الأولى من الاحتلال لعدة أسباب تمثلت في القضاء على مقاومة الأمير عبدالقادر في الغرب الجزائري، ومقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري، وانخفاض وتيرة المقاومات الشعبية، كما أن سنة 1852 عرفت تحول فرنسا إلى النظام الإمبراطوري بقيادة نابليون الثالث الذي حاول التقرب للجزائريين بسياسته.

إن الاحصائيات المقدمة حول عدد المدارس تختلف من مصدر لآخر وهذا راجع إلى بعض التقارير تخصى الأقسام وتضيفها إلى عدد المدارس، بينما تقارير أخرى تخصى المدارس بمفهومها الإداري والهيكلي، ولهذا يذكر محفوظ قداش والجيلالي صاري أن عدد المدارس بلغ 12 سنة 1862، 8 منها في مقاطعة الجزائر العاصمة، والبقية في مقاطعة قسنطينة في حين بلغ عدد المعلمين والمستخلفين 26، لم تصل أعداد الطلبة

⁽¹⁾Le Journal de l'enseignement Primaire, n 20, année 1, 2 Janvier 1898, P : 06.

⁽²⁾ عبدالحמיד (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المرجع السابق، ص: 224.

⁽³⁾ ايفون (توران)، المرجع السابق، ص: 140.

⁽⁴⁾ عبدالحמיד (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المرجع السابق، ص: 224.

سوى إلى 297، بيد أن هذه الأرقام الضئيلة ارتفعت لتصل إلى 1200 طالب، ونظرا لنقص التأطير فقد انشأت سنة 1865 مدرسة المعلمين⁽¹⁾، من أجل تأطيرهم.

بعد زيارة نابليون إلى الجزائر 1865، زاد الاهتمام بقضية تعليم الجزائريين، فاقترح الحاكم العام ماكماهون⁽²⁾ (Maréchal Mac-Mahon) بموافقة مدير التربية والتعليم بالجزائر أن تكون برامج التعليم في المدارس العربية الفرنسية هي نفسها البرامج الموجودة في فرنسا مع وجود اختلاف في إعطاء مكانة للغة العربية في الجزائر، كما يكون للتعليم الاسلامي نصيب في هذه البرامج⁽³⁾، وهذه السياسة نابعة من السياسة العامة لنابليون في استقطاب الجزائريين ودمجهم في الامبراطورية الفرنسية.

إن التحول الذي عرفه التعليم الابتدائي هو إشراف البلديات على المدارس الابتدائية خاصة من الناحية المالية؛ ففي 1865/05/11 صدر مرسوم حكومي نص على وضع المدارس العربية الفرنسية تحت مسؤولية البلديات في المناطق المدنية⁽⁴⁾، وسيكون لهذا المرسوم انعكاس سلبي على مستقبل قضية تعليم أبناء الجزائريين؛ بحيث يتحكم المستوطنون في مصير هذه القضية، ويجد دعاة التنوير صعوبة في تطبيق أفكارهم على أرض الواقع.

وملخص القول: أن السلطات الادارية الاستعمارية استمرت في إنشاء المدارس لا طبقا لحاجيات البلاد والسكان بل طبقا لحاجياتها الادارية ومصالح الترجمة، لذلك لم تتجاوز عدد المدارس التي انشئت 16 مدرسة عام 1880، أي بعد خمسين سنة من الاحتلال⁽⁵⁾، كما تنوعت السياسة الفرنسية قبل سنة 1870 في استقطاب أبناء الجزائريين نحو المدارس الفرنسية، لكنها فشلت والسبب في ذلك كما يري ابن الحاج الجزائري أنه منذ سنة 1830 أنشأ الفرنسيون مدارسهم الخاصة بهم، وحالوا جذب الجزائريين إليها فنفروا منها وربطوا بينها وبين التنصير والاستعمار، وفضلوا تعليم أولادهم على الطريقة القديمة؛ طريقة الكتاتيب والزوايا والمساجد، لكن استلاء الفرنسيين على بقية الأوقاف جعل التعليم فيها يتضاءل ثم ينعدم شيئاً فشيئاً⁽⁶⁾.

(1) محفوظ (قداش) وجيلالي (صاري)، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، المرجع السابق، ص: 266.

(2) حاكم عام بالجزائر في عهد الامبراطور نابليون بونابرت حكم الجزائر في فترة 1864-1870.

(3) عبدالقادر (حلوش)، المرجع السابق، ص: 52.

(4) المرجع نفسه، ص: 55.

(5) زبير سيف الاسلام، المرجع السابق، ص: 29.

(6) محمود بن الشيخ علي (الجزائري)، نصيحة عمومية لأهل الحضر والبادية، تقديم وتعليق: ابن الحاج الجزائري، ط1، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، 2008، ص: 75.

إذن لم تقم إدارة الاحتلال بأي جهد ذي شأن في ميدان التعليم في المرحلة ما بين 1830-1850، فبعدما قامت بقطع شريان الحياة لمؤسسات التعليم التقليدية باستلائها على الأملاك الوقفية، تركت الباب مفتوحاً أمام كل مغامرة في هذا المجال يقوم بها المهاجرون الذين يتوافدون على البلاد للاستقرار بها⁽¹⁾، فقد سجلت خلال المرحلة الثانية (1850-1870) مبادرات نوعية في مجال تعليم الأهالي لم يسجل مثلها في المراحل اللاحقة؛ ففيها وضعت اللبنة الأولى لمنظومة التعليم الأهلي للمستوى الابتدائي وذلك بفتح عدد من المدارس الحكومية المسماة بالمدارس العربية الفرنسية وإنشاء المدارس الإسلامية الثلاثة لتخريج أعوان القضاء الإسلامي وموظفي الشؤون الدينية، إلى جانب معهدين ثانويين في كل من مدينة الجزائر وقسنطينة، كما فتح المجال أمام الجزائريين للالتحاق بمدرسة تكوين معلمي الابتدائي والمدرسة الفلاحية⁽²⁾، وهو ما سنتعرف عليه في العناصر القادمة.

2- التعليم الثانوي:

كان الأوروبيون بحاجة لمدارس التعليم الثانوي من أجل تجنيب أولادهم السفر لفرنسا لموصلة دراستهم، وتلبية لذلك أنشأت الإدارة الاستعمارية مؤسسة أسمتها "كوليج الجزائر في يناير 1835"⁽³⁾، وفي سنة 1848 تم إلغاء اسم الكوليج وإحلال بديله اسم الثانوية، فأصبح يطلق عليه (ليسيه الجزائر)، وهو إطلاق غير دقيق لأن مستوى التعليم فيه كان متوسطاً، وهناك إحصائيات على عدد التلاميذ في الثانوية في فترة (1847-1850)؛ إذ كان عددهم 1847 يقدر بـ165 تلميذ، ثم ارتفع العدد إلى 204 سنة 1849، وبحلول سنة 1850 كان عدد التلاميذ 226 تلميذ⁽⁴⁾، وهذه الإحصائيات هي مجموع عدد التلاميذ الأوروبيين والجزائريين واليهود، وهو ما يعني أن أبناء الجزائريين كان عدد قليل بالنظر إلى إقبال الأجناس الأخرى على التعليم.

علاوة على ثانوية الجزائر التي يكتسي فيها التعليم الثانوي ما يكتسيه بثانويات فرنسا من تطور وأهمية فإن للجزائر سنة 1858 خمس كوليجات صغيرة بعنابة وقسنطينة وسكيكدة ووهران ومستغانم حسب أحد

⁽¹⁾ جمال (قنان)، «التعليم الأهلي في عهد الاحتلال 1830-1914»، الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، عنابة-الجزائر، يومي 14-15 جوان 2009، ص: 31.

⁽²⁾ جمال (قنان)، التعليم الأهلي في عهد الاحتلال 1830-1914، المرجع السابق، ص: 32.

⁽³⁾ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 03، المرجع السابق، ص: 292.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص: 300.

التقارير؛ حيث تدرس بها اللغة اللاتينية، ويتلقى الأطفال حصصاً في النحو من غير أن يضطروا إلى الابتعاد عن عائلاتهم⁽¹⁾، وفي التقرير نفسه يذكر صاحبه أن عدد التلاميذ قد ارتفع بشكل سريع في فترة (1852-1858): ففي سنة 1852 كان عدد الطلبة 230، ثم ارتفع العدد إلى 286 سنة 1854، وإلى 333 سنة 1855، ثم إلى 419 تلميذ سنة 1857⁽²⁾.

تعتبر ثانوية المارشال بيجو⁽³⁾، أول ثانوية بمفهومها الحديث أنشأتها الإدارة الاستعمارية في الستينيات من القرن التاسع عشر، والتي تقدم تعليم ثانوي، كما تأسست بمدينة قسنطينة مدرسة ثانوية الثانية⁽⁴⁾ في الجزائر سنة 1867 حيث استقبلت في البداية 108 طالب جزائري، وفيما يخص المدرسة الثالثة في وهران فقد تم تأجيل افتتاحها إلى غاية 1870 بسبب تأخر في البناء⁽⁵⁾.

اصطدم التعليم الثانوي بالعديد من العوائق، فإلى غاية 1865 لم يكن متوفراً سوى مدرسة ثانوية واحدة بالجزائر العاصمة مع أعداد لم تصل سوى إلى 104 في سنة 1863، مقابل 69 في سنة 1861، في حين أن التوقعات عند تأسيسها كانت تصل إلى الرقم 150⁽⁶⁾، وبعدها تأسست ثانوية قسنطينة.

تأسس أول معهد عربي فرنسي في الجزائر بعد صدور المرسوم الامبراطوري في 14/03/1857، وكان مخصص لأبناء الموظفين الجزائريين في الإدارة الاستعمارية والعائلات الكبرى وأبناء الفرنسيين، وأبناء الجنود الجزائريين⁽⁷⁾ الذين ماتوا أو جرحوا في ميادين الحرب خدمة لفرنسا، وأصدر مرسوم آخر بتاريخ 16/06/1865 بموجبه يتم تأسيس معهدين آخرين في كل من قسنطينة وهران، وكان الطلبة الذين

(1) عبد الحميد (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المرجع السابق، ص: 223.

(2) عبد الحميد (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المرجع السابق، ص: 223-224.

(3) تسمى الآن: ثانوية الأمير عبدالقادر بباب الوادي بالجزائر العاصمة، وقد خصص لها مشروع لترميمها سنة 2009 من طرف وزارة التربية الوطنية الجزائرية.

(4) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 03، المرجع السابق، ص: 301.

(5) محفوظ (قداش) وجيلالي (صاري)، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، المرجع السابق، ص: 267.

(6) المرجع نفسه، ص: 267.

(7) بعد حلول الاحتلال الفرنسي في الجزائر كوّن فرقة عسكرية من الجزائريين عرفت بـ "الزوّاف" نقاتل إلى جانب جيش الاحتلال، ووصفهم محمد بيرم في رحلته عندما تحدث عن نابليون الثالث وعلاقته بالجزائريين بقوله: واختص منهم في باريس قسماً من العساكر لحراسة ذاته وأكرم مقامهم ورفع من شأنهم واتخذ قسماً من الفرسان في مصاحبته في ركوبه بملابسهم العربية وكذلك العسكر يلبسون العمامة ويسمون بالزوّاف وقد حاربوا في الدفاع عن الفرنسيين في حرب سنة 1287هـ/1870م بحمية أكثر من حمية الفرنسيين أنفسهم وشهد لهم بالشجاعة والصبر والمعرفة والجرأة كل من الفرنسيين والألمان. ينظر: محمد بيرم الخامس (التونسي)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج 04، دار صادر، بيروت-لبنان، (د.ت)، ص: 13.

يتخرجون من هذه المعاهد يتوجهون للعمل في الجيش أو إدارة المكاتب العربية، ويشترط الدخول لهذه المعاهد أن يكون فرنسياً أو حاملاً للجنسية الفرنسية مع ضرورة معرفة اللغة الفرنسية⁽¹⁾. وإذا سلطنا الضوء على بعض الإحصائيات المقدمة عن هذه المعاهد؛ فأن معهد قسنطينة قد تطوّر عدد التلاميذ به، ففي سنة 1868 كان العدد 156 منهم 115 جزائري و41 أوروبياً، ثم ارتفع العدد إلى 205 تلميذ سنة 1870 منهم 116 جزائري و89 تلميذ أوروبي⁽²⁾. ورغم تفوق عدد الجزائريين، وخصوصية البرنامج الذي أعطى جزءاً للعربية والتعليم الإسلامي إلا أن الإقبال كان ضعيفاً مقارنة بعدد السكان والأعداد الهائلة التي فقدت حق التعليم بعد انهيار المدارس الإسلامية.

لم تلقى هذه المعاهد ترحيباً، بل عارضها المستوطنون معارضة شديدة لما تقدمه للجزائريين من خدمات تعليمية، واحتجوا بالنفقات المالية الباهظة، وقد تحققت رغبتهم بعد مجيء الحاكم العام المدني دو قايدون فألغى معهد الجزائر وألحقه بثانوية الجزائر العامة لإرضاء مطالب الأوروبيين⁽³⁾، وسيتبع نفس السياسة مع باقي المعاهد التي أنشأها ماكمهون.

إن التجربة الأولى للسياسة التعليمية قبل 1880 قد ركز الاستعمار على المرحلة التحضيرية والابتدائية، ولم يولي اهتماماً للتعليم العالي لأنه في الحقيقة تحصيل حاصل لتطور التعليم في المراحل التي تسبقه "لم يكن التعليم العالي يشمل سوى على دروس عمومية بالعربية في كل من مدينة الجزائر وقسنطينة ووهران، ولا يزال يقدم خدمات كبيرة بتعليم اللغة العربية لرعايا يتولون وظائف إدارية مفيدة، ويرجع الفضل إلى المارشال راندون الذي طالب وتحقق طلبه بإنشاء مدرسة للطب بعاصمة المستعمرة، حيث توفر للشبان الأوروبيين امكانيات البدء بعين المكان في الدراسات الطبية الأولية، كما تسمح في نفس الوقت بتكوين الشبان الأهالي في استعمالات الطب وفي الجراحة العامة من أجل تقديم خدمات في الأوساط الريفية التي لازالت تحت رحمة استغلال الشعوب⁽⁴⁾، ولهذا فتجربة التعليم العالي ستنتقل مع بداية الثمانينيات بتأسيس المعاهد والمدارس العليا وتوجت بإنشاء جامعة الجزائر.

(1) عبدالقادر (حلوش)، المرجع السابق، ص: 57.

(2) المرجع نفسه، ص: 58.

(3) عبدالقادر (حلوش)، المرجع السابق، ص: 59.

(4) عبدالحמיד (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المرجع السابق، ص: 223.

3- المدارس الشرعية الثلاثة: سيطرت فرنسا على المساجد والمؤسسات التعليمية الدينية الإسلامية، ونظرت لارتباط المجتمع بها واستحالة التخلي عنها سعت فرنسا لتسييرها حسب المصالح السياسية لها بل من القضاء عليها وإزالتها، وكما تتحكم في هذه المساجد رأى السياسة الاستعماريون توظيف أئمة وقضاة وفقهاء مواليين للاستعمار أو على الأقل عدم معارضته، ومن أجل تكوينهم وفقا للعقلية الاستعمارية تم تأسيس المدارس الشرعية الثلاث، كما يجب أن نشير أن إنشاءها كان في فترة نابليون الجمهوري ثم الامبراطوري والذي حاول تقديم تعليم للجزائريين يمزج بين التراث الإسلامي والثقافة الفرنسية، كما كان الهدف من تأسيس هذه المدارس هو "تكوين فئة مسلمة تلعب دور الوسيط بين السكان والادارة الاستعمارية، كما كانت السلطات الفرنسية تنوي إبعاد السكان الجزائريين عن تأثيرات رجال الدين الجزائريين الأحرار في الزوايا والمساجد والمدارس الحرة"⁽¹⁾، وبالتالي فتأسس هذه المدارس كان في إطار سياسة توجيه الفكر الديني الإسلامي لخدمة الاستعمار. تطبيقا لتلك السياسة الاستعمارية صدر مرسوم رئاسي في 30 سبتمبر 1850 ينص على إنشاء "مدرسة عليا" في كل من مدن: المدية، تلمسان، قسنطينة، عرفت بالمدارس الشرعية، وكذلك سميت بالمدارس الحكومية الثلاث أو المدارس الرسمية، وكان الفرنسيون يطلقون عليها الاسم العربي وهو "المدارس Les Medersas"، ولم يطلقوا عليها الاسم الفرنسي écoles أو lycées أو collèges أو يترجمون معنى هذه إلى العربية، بل اعتمدوا في التسمية على التقاليد الإسلامية التي تطلق اسم مدرسة على المكان المخصص لتدريس العلوم بالمستويات الثانوية والعالية، وكان هدف تلك المدارس تكوين مترشحين للوظائف الدينية، والقضاء الإسلامي، والتعليم العام الأهلي والمكاتب العربية، يشمل برنامج التعليم في هذه المدارس على المواد التالية: النحو والأدب العربي، الفقه والتوحيد. يتشكل الإطار التربوي من المدير الذي يقوم بنفس الوقت بتدريس إحدى مواد البرنامج، وأستاذين آخرين يتم تعيينهم من طرف وزير الحربية بناء على اقتراح الوالي العام⁽²⁾، ومع بداية عقد الستينات رأت الإدارة أنه من الضروري إدخال بعض التعديلات على البرنامج؛ حيث أدخلت مادة اللغة الفرنسية والتي يقوم بتغطيتها معلمون فرنسيون، كما تم إدخال مادة الحساب والنظام المتري⁽³⁾، وهذا تمهيدا لتحديث تلك المؤسسات بما يخدم الاستعمار، كما ستصبح هذه المدارس مقصد للراغبين في المناصب وهو ما سيؤثر على الفتوى والقضاء ومستقبل ديناميكية المسجد داخل المجتمع.

(1) عبدالقادر (حلوش)، المرجع السابق، ص: 59.

(2) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 47.

(3) المرجع نفسه، ص: 55.

ولأبأس أن نتعرف عن الحجم الساعي اليومي لتلك المدارس، فمدرسة البلدية ثماني ساعات: ساعتين لكل مادة، أما بالنسبة لمدرستي تلمسان وقسنطينة أربع ساعات ودروس وثلاث ساعات للمطالعة تحت المراقبة، السنة مقسمة إلى سداسين كل سداسي ينتهي باختبار حول الموضوعات التي تم تدريسها... لا يسمح للراسبين بإعادة السنة إلا مرة واحدة في المسار الدراسي ككل⁽¹⁾، لكن هذه القوانين لم يتبع فيها الصرامة منذ البداية؛ فكان الانضمام في هذه المدارس ضئيلا في مرحلتها الأولى بسبب عملية الانتقاء والظروف الاقتصادية، مما جعل الادارة تنشأ منحة للطلبة فتطور العدد من 66 طالب سنة 1858 إلى 125 في الموسم 1862-1863 ثم ارتفع العدد إلى 142 طالب سنة 1870⁽²⁾، كما واجهت الادارة الاستعمارية مشاكل في إيجاد أساتذة، وهو ما جعلها تلجأ إلى طلبة الزوايا المتفوقين في الجنوب الجزائري، وقد عثرت على وثيقة هي رسالة من الوالي العام إلى علماء توات⁽³⁾ يطلب طلبة يتم تكوينهم وتوظيفهم في مناصب الفتوى والقضاء.

إن إشراف الادارة الاستعمارية على مؤسسات فقهية اسلامية وتمويلها يعتبر ضربا من المغامرة لدى المستوطنين الذين رفضوا إطلاقا تعليم الجزائريين ماعدا التعليم المهني، وقد عارض رجال الكنسية السلطة الاستعمارية وتمويلها لتلك المدارس التي يدرس فيها مادة التوحيد التي تثبت أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بدلوا جهدهم بكل الوسائل لإثبات أن الدين الحقيقي هو دين عيسى وأنه ثالث الثلاثة؛ ففي نظر رجال الكنسية كيف يمكن لفرنسا أن تمول ماليا أفكار تعادي المبشرين، ولهذا فتلك «المدارس كانت محل نقد رجال الكنيسة؛ حيث كانوا قبل وقت استطاعوا إبعاد مادة التوحيد والعربية التي أبدلوها بالدارجة»⁽⁴⁾، كما كانت محل نقد من طرف العلمانيين والملحدون الذين رفضوا تدريس أي مادة تتعلق بالدين في المدارس الفرنسية الموجهة لأبناء الجزائريين.

إن التحولات التي عرفتها فرنسا مطلع العقد الثامن من القرن التاسع عشر وانتقالها من النظام الامبراطوري إلى النظام الجمهوري، قد انكس سلبا على تلك المدارس بسبب تغلغل الفكري العلماني لدى الجمهوريين وإعطاء سلطات واسعة للمستوطنين، وفسحت السلطة المجال لحركة التبشير وبدعم منها، ونتيجة

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص: 51.

⁽²⁾ محفوظ (قداش) وجيلالي (صاري)، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، المرجع السابق، ص: 268.

⁽³⁾ عثرت على تلك الوثيقة صدفة أثناء تنقلي بين خزائن المخطوطات في ولاية أدرار، وهي موجودة بخزانة البلبيالي -كوسام- غير مفهرسة، متكونة من صفحة واحدة، مكتوبة بالغة العربية وفيها ختم الوالي العام، وحسب ما فهمت من الرسالة أنها المراسلة الثانية بعد رفض شيوخ توات تلبية طلب الوالي العام في الرسالة الاولى. للاطلاع على نص الوثيقة ينظر: الملحق رقم: 01.

⁽⁴⁾ مصطفى (هشماوي)، المرجع السابق، ص: 205.

لتلك الظروف والضغوطات أصدر قرار في 15 أوت 1875، وألغى المدارس الفرنسية الإسلامية وأخرجها في ثوب آخر وهو المدارس الشرعية الفرنسية⁽¹⁾، وهو ما سيعرف تغيير في مناهجها وشروط الالتحاق بها ومستقبلها مقارنة بالمرحلة الأولى من تأسيسها. وهذا ما سنعرفه في الفصل القادم.

4- التعليم الديني (التبشير والتنصير):

لم تكن الحروب الصليبية بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي وثقافتها بعيدة عن استعمار الجزائر، ولهذا كانت الأسباب الدينية من أسباب الاستعمار الفرنسي للجزائر؛ حيث شجع الحكام العامون منذ البداية عملية تنصير الجزائريين، وتحويل المساجد إلى كنائس مثل ما تم لجامع كتشاوة، وقد صرح الجنرال بيجو: «إن الجزائريين لن يكونوا فرنسين إلا إذا كانوا نصارى»⁽²⁾، وبالتالي فالتوحيد الديني ينتج عنه توحيد سياسي.

كان واضحا النزعة الدينية في الحملة الفرنسية على الجزائر؛ فاحتلال الجزائر معناه عودة المسيحية لشمال إفريقيا بعد اثني عشر قرنا «إن سقوط الجزائر يعني سقوط قلعة إسلامية وعودة المسيحية إلى ديارها، ففي اليوم الأحد الموالي لدخولهم مدينة الجزائر أقاموا احتفالا دينيا ضخما في الساحة الرئيسية للقصابة، حضره الجنرالات والضباط والجنود... وقد رتلوا آيات الإنجيل بأصوات عالية أمام آيات القرآن التي أصبحت ميتة والتي كانت تغطي كل الجدران»⁽³⁾، لكن يجب أن نقول أن الجنود الذين رافقوا الحملة لم يتشبعوا بالتشريع المسيحي بقدر تعطشهم للسلب والنهب.

يرى محمد الطاهر وعلي أن التعليم التبشيري في الجزائر مر بمرحلتين؛ فالمرحلة الأولى من بداية الاحتلال إلى غاية 1967، ثم المرحلة الثانية 1830-1904، وأطلق على المرحلة الأولى "مرحلة الانتظار في الشروع في الحملة التنصيرية بين أفراد الشعب الجزائري"⁽⁴⁾، ورغم أن المخططات التبشيرية وضعت في هذه المرحلة إلا أن الفرص لم تتوفر لتحسيدها على أرض الواقع كما كان مأمولا، فالتعليم التبشيري كان منتشرًا بين أبناء الأوروبيين، ولم يسطع أن يستقطب أبناء الجزائريين⁽⁵⁾ سوى بعض اليتامى الذين فرض عليهم التعليم التبشيري قهرا تحت مظلة التعليم وتقديم خدمات إنسانية.

(1) المرجع نفسه، ص: 205.

(2) عمار (ليل)، ملحمة الجزائر الجديدة، ج 01، المرجع السابق، ص: 105.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج 01، المرجع السابق، ص: 79.

(4) محمد الطاهر (وعلي)، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1904؛ دراسة تاريخية تحليلية، منشورات دحلب، الجزائر، 2013، ص: 104.

(5) المرجع نفسه، ص: 104.

ظهر تحالف بين السلطة السياسية والسلطة الدينية التبشيرية لنشر المسيحية، بل أن المارشال بيجو ذكر أن هناك توافق بين المبشر والجندي في حفل تنصيب الإخوة لاتراب La Trappe في سطاوالي عام 1843، وأن عمل أولئك الإخوة سيساعد على إخضاع الجزائريين فيقول: «الخصال الحميدة والأعمال الصالحة التي اشتهرت بها طائفة "الإخوة لاتراب" سوف تساعد في استمالة قلوب العرب إلينا بعدما أخضعناهم بقوة السلاح»⁽¹⁾.

كما ادعى الاستعمار الفرنسي أن الهدف من وراء احتلاله للجزائر هو نشر الحضارة، وقد كان مفهوم الحضارة لدى الجنيرالات الأوائل هو نشر مبادئ المسيحية، وهو ما يتبين لنا من خلال رسالة الجنرال دوفيفي⁽²⁾ (Franciade Fleurus Duvivier) سنة 1843: «وهناك مشروع آخر سوف يرضي المشاعر النبيلة لدى الفئة الصالحة من أمتنا، إذا تواصل العمل فيه إلى أن يتم احتلال الجزائر نهائياً، وهذا المشروع ديني وأخلاقي محض، ويتعلق بإدخال الحضارة إلى الشعوب الإفريقية، والحضارة المستهدفة هنا هي التي تنبثق بأكملها من أخلاق المسيح، وليست هي الحضارة المتهاففة على المادة، القائمة أساساً على ارضاء الحاجات، والمعتمدة في وسائلها على خلق المزيد من الحاجات الجديدة غير المتناهية... فإذا شئنا أن نحضّر الشعوب فما علينا إلا نشر أفكار الانجيل. ولنتأمل جيداً في هذا الأمر؛ إن الأفكار هي التي ستضمن لنا السيطرة، لأن سلاحنا في هذه الحرب هو سلاح الأفكار»⁽³⁾، وكانت هذه التصريحات عبارة عن خطابات حماسية واستقراء غير دقيق للواقع؛ لأن الجزائر كمستعمرة تختلف عن المستعمرات التي سبقتها في أمريكا وآسيا، فلم يكن الشعب الجزائري مستعد للتخلي عن الإسلام لصالح المسيحية، كما أن دعم الاستعمار المباشر للتبشير سيزيد من تأجج الثورات الشعبية.

⁽¹⁾ مصطفى (الأشرف)، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنيفي بن عيسى، دار القصة، الجزائر، 2007، ص: 275.

⁽²⁾ رجل عسكري فرنسي برتبة جنرال، ولد 1794 وتوفي 1848، تخرج من مدرسة الفنون التطبيقية سنة 1812، وقد لعب دور كبير في الدفاع عن باريس 1814 ضدّ دول التحالف الأوروبي، ورافق الحملة الفرنسية على الجزائر 1830، وعين كقائد لفرقة الزواف Zouaves، وقد قاد عدة حملات عسكرية إلى قسنطينة 1836، وقلمة 1837.. إلى أن استقال من مهنته العسكرية وعين ممثل الشعب في الجمعية الوطنية سنة 1848، وفي نفس السنة قتل برصاصة أحد المتمردين، وله دراسات عديدة حول الجزائر تتعلق باللهجات والآثار القديمة منها النقوش التي وجدها في المدينة.

⁽³⁾ مصطفى (الأشرف)، المرجع السابق، ص: 276.

كان العسكريون يقومون بشؤون الدينية منذ الاحتلال إلى غاية 1838؛ وبعد ذلك تم تعيين السيد أنطوان دوبوش⁽¹⁾ (Antoine-Adolphe Dupuch) أسقفا في الجزائر، واستمر في عمله إلى غاية 1846، فحقق إنجازات عديدة بفضل المساعدات والتبرعات، ومن تلك الإنجازات بناء 60 كنيسة و16 مؤسسة دينية كان بعضها في الأصل مساجد، كما شكل هيئة من رجال الدين تساعد في مهامه متكونة من 91 قسيسا و140 إطارا من النساء والرجال في الشؤون الدينية، وملجأ للأيتام⁽²⁾، إلا أنه خرج من الجزائر بسبب الديون، لتأتي بعد ذلك تجربة الجزويت والكاردينال لافيغري Charles Lavigerie⁽³⁾ التبشيرية في الجزائر.

انتشرت في الجزائر بعد 1867 عدة جمعيات مسيحية أهمها:

* **جمعية الآباء اليسوعيين (الجزويت):** وتمثل النواة الأولى للتعليم التبشيري في الجزائر، دخل الجزويت⁽⁴⁾ بلاد جرجرة سنة 1863 من أجل نشر التعليم التبشيري بزعامة الأب "كروزا" (Père creuzat)، بفتح قاعة للدراسة في معبده بالأربعاء ناث يراثن⁽⁵⁾، جلب إليها بعض الأطفال الجزائريين⁽⁶⁾، وقد سعت تلك الجمعية إلى تكوين معلمين المبشرين، وكذلك تأسيس المدارس لاستقبال أبناء الجزائريين فيها،

⁽¹⁾ محامي فرنسي (1800-1856) انظم لخدمة الكنيسة سنة 1825، عينه البابا غريغوري السادس عشر أسقفا للجزائر 1838، قام باسترجاع رفات القديس أوغسطين من إيطاليا وأحي ذكره في عنابة، كانت لديه علاقة صداقة مع الأمير عبدالقادر خاصة في فترة أسره.

⁽²⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، المرجع السابق، ص: 108.

⁽³⁾ الكاردينال شارل مارسيل لافيغري (Charles Martial Lavigerie) (31 أكتوبر 1825 - 18 نوفمبر 1892) هو كاردينال فرنسي ولد في ببايون (Bayonne) الأطلنطية، عمل أستاذ تاريخ بجامعة السربون بباريس فيما بين 1854 و1856. ثم اتجه إلى سوريا لمساندة الحركة التبشيرية عن طريق التعليم. ثم عين أسقفا بمدينة نانسي (Nancy) الفرنسية سنة 1863، انتقل إلى الجزائر سنة 1867 حيث أصبح كبير أساقفتها واهتم بالتبشير فأسس سنة 1868 جمعية المبشرين بالجزائر (جمعية مبشري السيدة الافريقية) التي تعرف باسم الآباء البيض وأسس في السنة الموالية جمعية الأخوات البيضاوات المسماة، وكان يهدف بعمله تحويل مسلمي الجزائر إلى الديانة المسيحية، معتبرا الجزائر بابا نحو القارة الإفريقية التي أرسل إليها بالفعل عددا من البعثات التبشيرية.

⁽⁴⁾ فرقة كاثوليكية يسوعية تنتشر في أوروبا بصفة عامة، وفي البرتغال وإسبانيا وفرنسا بصفة خاصة، وهي تعرف بالرهبة اليسوعية أو رفقة يسوع، وهي رهبة مسيحية كاثوليكية رجالية، أنشأها قسيس فرنسي يدعى أغناطيوس دي لايبولا عام 1540. وهي تنتشر اليوم في 112 دولة حول العالم وتعمل في مختلف حقول الرسالة، مثل: التربية والتعليم، العمل الفكري، النشاطات الثقافية، وعظ الرياضات الروحية، تعزيز العدالة الاجتماعية ورسالات أخرى متعددة.

⁽⁵⁾ هي إحدى بلديات دائرة الأربعاء التابعة لإداريا لولاية تيزي وزو حاليا

⁽⁶⁾ محمد الطاهر (وعلي)، المرجع السابق، ص: 107.

فمثلا انشاء مدرسة جمعة الصهاريج⁽¹⁾ التي عدد تلاميذها 125، والمعلمين أربعة في السنة الدراسية 1876-1877، ثم ارتفع عدد التلاميذ إلى 189 في السنة الدراسية الموالية، وهي أرقام ضعيفة مقارنة بتلك الجهود المقدمة، ويعتبر الجزويت أول من استخدم التعليم كقناع للتبشير، بل بلغت جرأتهم إلى تهريب الأطفال إلى الجزائر العاصمة وفرنسا، وهو ما دفع بالسلطات الاستعمارية إلى إصدار قرار سنة 1881 تنص المادة الأولى منه على: تغلق فوراً جميع مؤسسات التعليم التي فتحتها الجزويت في منطقة القبائل⁽²⁾، ولم يكن هذا القرار رافة بأبناء الجزائريين ولكن خوفاً من إعادة انتشار الثورات الشعبية.

* جمعية مبشري السيدة الإفريقية (الآباء البيض):

يعد الكاردينال لافيغري أحد الوجوه التاريخية المسيحية التي أثرت بعمق على فلسفة التبشير، وطبعتها بتفكيره وسلوكه وجرأته في شتى الميادين وهو يمثل خلال سنوات 1868-1892 قمة التبشير في الجزائر وفي إفريقيا ويعود ذلك إلى ديناميكية نشاطه وعمله التبشيري الذي يستهدف خدمة المصالح الاستعمارية في الجزائر وإفريقيا بصفة عامة⁽³⁾، فبعدما غادر ماكماهون (Maréchal Mac-Mahon) الجزائر وخلفه دي غيدون⁽⁴⁾ المتحمس للنشاط التبشيري، والذي لم يدخر أي جهد في مباركة أعمال لافيغري Charles Lavigerie ومساندته ودعمه في مخططاته التبشيرية، وهكذا أستطاع في أن يضع أسس الدعوة إلى المسيحية في الجزائر بعد أن خلعت الساحة من أي معارضة، وقد ساعدته في ذلك الظروف الاقتصادية والاجتماعية

(1) هي قرية تقع ضمن المجال الجغرافي لدائرة مقلع ولاية تيزي وزو حالياً.

(2) محمد الطاهر (وعلي)، المرجع السابق، ص: 111-112.

(3) خديجة (بقداش)، المرجع السابق، ص: 111.

(4) عين حاكما عاما على الجزائر في 25 مارس 1871، كان من حكام النظام المدني الذي شهدته الجزائر بعد انهزام نابليون الثالث أمام ألمانيا، والذين أطلقوا يد المستوطنين في تسيير أمور الجزائر. عمل على استتباب الأمن و الاستقرار في الجزائر لفائدة المعمرين، كما أرسل إلى محافظي المقاطعات الثلاثة الجزائر، وهران، قسنطينة بعدم طرد أطفال الأهالي الجزائريين من المدارس، ومع ذلك فإن سياسته تجاه الأهالي كانت تمليها فئة المستوطنين والآباء البيض المسيحيين، ففي مجال الاستيطان كان أمله كبيرا في هجرات واسعة للفرنسيين نحو الجزائر حتى لقبه الراهب لافيغري أبو الاستيطان في الجزائر، كما أنه اقتنع بوجهة نظر الأب لافيغري على أن فرنسا لم تعمر الجزائر بالقدر الكافي و بالتالي لا بد عليها أن تعمل على تنصير وفرنسة مليونين من البربر و العرب، ومن أعماله كذلك الخطيرة على المجتمع الجزائري هو إصداره قرارا في 15 سبتمبر عام 1871 يقضي بانتزاع أراضي الجزائريين الذين شاركوا في المقاومة الشعبية ضد فرنسا ومنحها للمهاجرين الجدد القادمين من منطقة الأزراس و اللورين. كما شهدت حركة التنصير في عهده مرحلة مزدهرة إلى جانب حركة الاستيطان، وقد قال في هذا الصدد ما يلي: " قضيت حياتي وأنا أساند الحركات التبشيرية في جهات العالم فكيف تسمح لي نفسي أن أقف ضدها في أرض فرنسية هي الجزائر"، ومما قاله الراهب لافيغري في شخص الحاكم العام دوقيدون ما يلي: "إننا نستبشر قدوم أيام خير لنشاطنا التبشيري، إنها سياسة حقيقية استعمارية فرنسية وحقيقة مسيحية وفرت لنا حرية أوسع تطلبها الكنيسة دوما لمواصلة مهامها المقدس"، ينظر: موقع وزارة المجاهدين <http://www.m-moudjahidine.dz>

للمجتمع الجزائري خاصة بعد مجاعة 1867 التي نتج عنها الآلاف من اليتامى فكانت بمثابة الفرصة الذهبية للمبشرين⁽¹⁾.

تفرع جمعية مبشري السيدة الافريقية إلى شقين: الآباء البيض والأخوات، وكانوا أكثر تغلغلا في منطقة القبائل من جمعية الجزويت، وقد قرر لافيغري Charles Lavigerie بإنشاء المحطات التبشيرية الأولى لهذه الجمعية في منطقة القبائل في أبريل 1871 وتحقق ذلك بوصول أول المبشرين إلى قرية ثاقمونت أو عزوز سنة 1873، كما نشطت الأخوات البيض من أجل الوصول إلى المرأة القبائلية وتنصيرها، وقد امتد نشاط الآباء البيض إلى منطقة الأوراس والجنوب الجزائري⁽²⁾، وما بين 1873-1876 غرس خمسة مراكز للآباء البيض المبشرين في تاوريرت عبدالله-بواضية، تاغمونت عزوز-بآيت عيسى، بونوبل-بآيت إسماعيل نواحي بوغني، آيت لأربعاء بآيت يتي، أو واغزن بآيت منقلات بعين الحمام، وقد تم تدعيم المراكز الخمسة بأفواج من الأخوات البيض لأغراض التبشير داخل العائلات⁽³⁾، وقد بلغت عدد المدارس الدينية المسيحية للآباء البيض 21 مدرسة سنة 1878؛ يدرس فيها 1039 تلميذا أغلبها في منطقة القبائل الكبرى وأولاد سيدي الشيخ و ورقلة⁽⁴⁾، وكانت هذه الجمعية الأكثر انتشارا على مستوى التراب الوطني.

*جمعية ميلد ماي (Mild May):

وهي جمعية مسيحية بروتستانتية إنجليزية، حيث استغلت فرصة الاحتلال وأرسلت بعثات تنصيرية إلى الجزائر، ولم يكن النشاط التعليمي لهذه الجمعية مزدهرا مثل الجمعيات التي سبقتها؛ فافتتحت بتأسيس مدرسة وحيدة في جمعة الصهاريج سنة 1890، وهي مدرسة مختلطة، اعتمدت كذلك بتعليم الكبار وصل عدد تلاميذها إلى 40 تلميذا، وكانت الدراسة تتم بالفرنسية والقبائلية⁽⁵⁾، وسبب عدم انتشارها إلى اختلافها المذهبي مع الاستعمار وعدم وجود إنجليز يدعمون نشاط المذهب البروتستانت.

اعتبرت الكنيسة الأطفال الذين آوهم ملكا لها، وكانت تعطي لنفسها الحق في اطلاعهم على عيوب ديانتهم الأصلية التي كانت تشجع على الكسل والطلاق وتعدد الزوجات والسرقة والشيعوية الزراعية (؟)

(1) محمد الطاهر (وعلي)، المرجع السابق، ص: 109-110.

(2) المرجع نفسه، ص: 114-115.

(3) محمد العربي (ولد خليفة)، المسألة الثقافية، المرجع السابق، ص: 300.

(4) الطاهر (زرهوني)، المرجع السابق، ص: 14.

(5) محمد الطاهر (وعلي)، المرجع السابق، ص: 123-124.

والتعصب وحتى التوحش وأكل لحم البشر(؟)»⁽¹⁾ وهذه الأفكار هي دعاية من أجل إبعادهم عن الدين الاسلامي، لأن تلك الادعاءات تناقض ما جاء به القرآن؛ فلا توجد آية تدعو إلى الكسل، بل يوجد آيات يأمرنا الله عز وجل بالعمل ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾⁽²⁾ كما جاء تحريم السرقة في القرآن {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ⁽³⁾ ولا أعرف في القرآن أو السنة ما يدعو للشيوعية الزراعية بمفهومها الماركسي، والأكثر من ذلك التوحش وأكل لحم البشر. ترتكز المادة التعليمية المقدمة لأبناء الجزائريين في الكنائس ومدارس الجمعيات المسيحية على نصوص من الإنجيل؛ فيقول بورجوا ⁽⁴⁾ Léon Bourgeois عن الجزويت في منطقة القبائل: "إن أغلب الدروس التي يقدمونها للتلاميذ مستوحاة من الكتاب المقدس، أو أجزاء من كتب يظهر فيها الطابع الديني في كل سطر"⁽⁵⁾، وكانت تدرس مادة الديانة المسيحية، وهي وصية لافيحري Charles Lavigerie للمبشرين: " يجب أن تحدثوهم (أي الأطفال الجزائريين) عن تاريخ الدين والكنيسة وبشكل تلقائي، وسيعرفون الكثير عن معتقداتنا وديانتنا عندما نعلمهم هذا التاريخ بشكل أفضل بما لو يحفظون دروس الديانة المسيحية على ظهر قلب"⁽⁶⁾، وقد راهن المبشرون على التاريخ الروماني في شمال افريقيا، ووجهوا خطابا للمجتمع الجزائري (الأهالي أو البربر كما كتب من طرف الفرنسيين) أن الدين المسيحي هو ديانة أجداد شمال افريقيا ولا بد الرجوع إليها بما تحتويه من فضائل وأعمال خير وغيرها.

⁽¹⁾ Charles-André Julien, histoire de l'Algérie contemporaine ; La conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), casbah édition, Alger, 2005, P441.

⁽²⁾ القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية: 105.

⁽³⁾ القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية: 38.

⁽⁴⁾ ليون بورجوا (Léon Bourgeois) واسمه الكامل هو: ليون فيكتور اوغوست بورجوا (Léon Victor Auguste Bourgeois) هو سياسي فرنسي. ولد في 21 مايو 1851 في باريس، وتوفي في 29 سبتمبر 1925، درس الحقوق وعمل في الحمامة مدة قصيرة. انتخب سنة 1888 نائبا في البرلمان الفرنسي وأصبح سنة 1890 وزير داخليتها. مثل فرنسا في مؤتمر الجزيرة الخضراء وكان عندها وزير خارجيتها. في سنة 1903 عين عضوا في المحكمة الدائمة للتحكيم بـ لاهاي. شارك في إنشاء عصبة الأمم وأصبح في سنة 1919 أول رئيس لها، حاز سنة 1920 على جائزة نوبل للسلام وترأس كذلك في نفس السنة مجلس الشيوخ الفرنسي. ينظر: ليون بورجوا، موسوعة ويكيبيديا.

⁽⁵⁾ محمد الطاهر (وعلي)، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1904؛ دراسة تاريخية تحليلية، المرجع السابق، ص: 143. نقلنا عن: Henri (bourgeois), rapport d'ensemble sur l'état de l'instruction primaire en

Algérie . Paris , 1880 , P : 72-73.

⁽⁶⁾ محمد الطاهر (وعلي)، المرجع السابق، ص: 144.

يتم تمويل التعليم التبشيري من طرف مصادر مختلفة؛ فهناك مساعدات رسمية من طرف الدولة الفرنسية، وأخرى في شكل تبرعات من طرف شخصيات ومنظمات ودول، يضاف إلى ذلك مداخيل الاقطاعات الزراعية التابعة للجمعيات التبشيرية؛ فمثلا حصل لافيغري Charles Lavigerie على مساعدات من طرف الحكومة الفرنسية سنة 1875 مبلغ 53700 فرنك، ومن الوالي العام 90.000 فرنك سنة 1874، أما التبرعات فقد قدم الكونت⁽¹⁾ شامبور (Comte chambour) وزوجته-من عائلة البوربون Maison de Bourbon- مبلغ 100 ألف فرنك، وتسلم لافيغري 60 ألف فرنك من جول كامبون (Cambon) بعد رحلته لفرنسا⁽²⁾، والملاحظ أن لافيغري Charles Lavigerie قد جال أوروبا بحثا عن الدعم المالي للجمعيات التبشيرية في الجزائر.

إن المدارس التبشيرية في الجزائر لم تكن تهدف إلى التعليم والتثقيف بقدر ما كانت تهدف إلى التنصير والادماج وإخراج أطفال الجزائريين من دينهم الاسلامي ولغتهم العربية، وهي بذلك تلتقي مع سلطات الاحتلال التي كان من أهدافها في الجزائر تجهيل الشعب الجزائري ليس فقط عن طريق تحديد عدد المدارس الموجه للجزائريين، بل كذلك وضع برامج هي أقرب إلى برامج محو الأمية، منه إلى برامج ذات مستوى عال تقود التلاميذ إلى تحضير شهادات مثل تلك التي يتقدم لنيلها أبناء المعمرين الأوروبيين⁽³⁾، في المقابل وجدت المدارس التبشيرية نفسها عاجزة عن تحقيق أهدافها بسبب ضعف الاستجابة ومغادرة لافيغري Charles Lavigerie الجزائر.

والخلاصة النهائية عن وضع تعليم الجزائريين خلال خمسين سنة الأولى من الاستعمار الفرنسي للجزائر هي ضياع وتقلص المؤسسات التعليمية الاسلامية، ولم تستطع المؤسسات التعليمية الفرنسية تعويض مكانتها، بل أن نسبة الأمية ارتفعت؛ حيث كتب أوجين فورميسترو Eugène Fourmestraux في سنة 1880: «لقد فرطنا في تعليم الأهالي حتى نزل إلى مستوى هو أدنى بكثير مما كان عليه قبيل الاحتلال»⁽⁴⁾

⁽¹⁾ الكونت لقب يطلق على النبلاء أو الشخصيات ذات الثراء والمركز الاجتماعي المرموق في البلدان الأوروبية في العصور الوسطى، حيث استعمل هذا اللقب منذ أواخر عصر الإمبراطورية الرومانية باشتقاقه من مصطلح Comes أو باللاتينية comitis ويعني "الرفقة الإمبراطورية" أو "الحاشية".

⁽²⁾ محمد الطاهر (وعلي)، المرجع السابق، ص: 148-150.

⁽³⁾ محمد الطاهر (وعلي)، المرجع السابق، ص: 143.

⁽⁴⁾ مصطفى (الأشرف)، المرجع السابق، ص: 414.

ويضيف مارسيل إيمريت⁽¹⁾ Marcel Emerit : « كان العربي في 1830 يعرف القراءة والكتابة، ولكنه أصبح يتخبط في ظلمات الجهل عندما مضى نصف قرن على الاحتلال»⁽²⁾. فما هي السياسة التي سببناها الجمهوريون مطلع العقد التاسع من القرن التاسع عشر؟ وما مصير المدارس الإسلامية المتبقية؟ وكيف يؤثر ذلك على وقع الثقافة والفكر في الجزائر من 1880 إلى بداية الحرب العالمية الأولى؟

⁽¹⁾ كاتب ومؤرخ فرنسي ولد سنة 1899، حصل على شهادة الدكتوراه في علم الأحياء، عمل أستاذ للتاريخ والجغرافيا، ثم أستاذ في جامعة بوخارست برومانيا، ثم مدرس بكلية الآداب بليب عام 1928، بعد ذلك عمل في الجيش، ومع نهاية الحرب العالمية = الثانية عين أستاذ مشارك بكلية الآداب بجامعة الجزائر إلى غاية 1962، وقد نشر أبحاث عن الجزائر والمغرب، وله كتابات في المجلة الإفريقية، مثل الدراسة التي قدمها عن سيدي عقبة:

Merciel (E), « Sidi okba et ses expéditions dans l'Extrême-sud », Revue Africaine, n42, 1898, P : 322-329.

⁽²⁾ مصطفى (الأشرف)، المرجع السابق، ص: 414.

الفصل الثاني

الجزائريون والمدرسة الفرنسية في الجزائر

1880-1914

أولاً: مساعي جديدة في السياسة التعليمية الفرنسية

ثانياً: المؤسسات التعليمية

ثالثاً: أهداف السياسة التعليمية

أولاً: مساعي جديدة في السياسة التعليمية الفرنسية:

إذا كانت الخمسين سنة الأولى من الاحتلال عرفت تحمسا في إصدار القوانين عهد نابليون الثالث لتأسيس وإنشاء المدارس الفرنسية، فإن ما بعدها هي بداية لمرحلة البحث الحقيقي عن دور المدرسة في تثقيف الاستعماري، فتعليم الجزائريين ونوعيته وشكله، والمقررات الدراسية وبناء المدارس من أهم الاشكاليات التي طرحت في السياسة التعليمية الفرنسية، حيث أبدت العديد من الأطراف عن تخوفها من تعلم الجزائريين ومنهم عالم الاجتماع كوستاف لوبون⁽¹⁾ الذي قال: «إن العبارة المتداولة اليوم على لسان كل هندي تعلم الانكليزية هي "الهند للهنود"، ولو علمنا نحن عربنا لتحولت العبارة على ألسنتهم "الجزائر للعرب"»⁽²⁾، فظلت مسألة التعليم بين مؤيد ومعارض، رغم خصوصية كل مرحلة فقد حدثت تغيرات وتحولات بعد خمسين سنة من الاحتلال، فما هي؟

1-تحولات وتغيرات:**1-1 نحو علمانية التعليم وصورة المدرسة الأهلية عند الجمهوريين:**

في سنة 1870، تغير نظام الحكم في الجزائر إلى النظام المدني، ويشمل النظام العسكري فقط المناطق الجنوبية، وبوصول "الجمهوريين إلى الحكم في فرنسا، طغت مسألة التعليم إلى سطح الاهتمام كمسألة ذات الأولوية من بين المسائل المطروحة أمام السلطة الجديدة في مسعاها للنهوض بالبلاد إثر النكسة التي أصيبت بها من جراء الهزيمة التي منيت بها في حربها ضدّ بروسيا، عدد من المثقفين ركّزوا جهودهم في البحث عن الأسباب المباشرة والجذور العميقة لهذه النكسة"⁽³⁾، ولهذا فالتعليم كان شعار مرحلة ما بعد 1880.

⁽¹⁾ طبيب ومؤرخ فرنسي ولد سنة 1841 وتوفي 1931، اعتنى بالدراسات الاستشراقية، فألّف كتاب "حضارات الهند" (1884)، و"حضارة العرب في الأندلس"، وكتاب آخر حول "حضارة العرب"، ترجمه عادل زعيتر إلى اللغة العربية، وفي هذا الكتاب تعرض كوستاف لوبون إلى البيئة والعرق في شبه الجزيرة العربية، ومصادر قوة العرب، ودولة العرب من عهد الدولة الأموية إلى الدوّال التي ظهرت في شمال افريقيا، ثم الجوانب الحضارية والعلمية في الحضارة الاسلامية، وختم كتابه بفصل حول انحطاط الحضارة الاسلامية وأسبابها. ينظر: غوستاف (لوبون)، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-مصر، 2013.

كما اهتم كوستاف لوبون بدراسة المعتقدات والأديان، وقد ألّف كتاب بعنوان "الآراء والمعتقدات" بدأه بالحديث عن المعتقد والمعرفة، وختمه بذكر مباحث تجريبية في تكوين المعتقدات، وما ينشأ عنها من حوادث غير شعورية. ينظر: غوستاف (لوبون)، الآراء والمعتقدات، تر: عادل زعيتر، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة-مصر، 2012.

⁽²⁾ أحمد (منور)، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي؛ نشأته وتطوره وقضاياها، المرجع السابق، ص: 65.

⁽³⁾ جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص: 73.

انشغل الجمهوريون منذ وصولهم إلى الحكم في رسم معالم المدرسة الفرنسية في المستعمرات خاصة الجزائريين ونموذج التعليم المقدم لأبناء المستعمرات، والذي يخدم السياسة الاستعمارية في تلك البلدان المستعمرة، ولهذا يرى بعض المنظرين الاستعماريين لابد من وضع ركائز مشتركة لبناء المدرسة الأهلية، ويكون هناك اختلاف حسب خصوصية كل بلد وحالة التعليم فيه قبل الاستعمار، ومدى قابلية أهله للتعليم في المدارس الفرنسية، كما يجب مراعاة العادات والتقاليد؛ فمؤذج التعليم والتربية لابد أن تنسجم مع حالة البيئة والاعتبارات النفسية والتكيف مع الأعراق والأعراف⁽¹⁾، وانطلاقا من هذه الفلسفة اتجه منظري الاستعمار في العهد الجمهوري الثالث إلى رسم صورة المدرسة المؤهلة لتعليم أبناء الجزائريين المسلمين.

هناك أسباب عديدة لفرض العلمانية في المدارس الفرنسية منها، محاولة استقطاب الجزائريين، الذين يرفضونها بحجة التنصير واستهداف الدين الاسلامي، وبالتالي المسألة الدينية أصبحت خارج جدران المدرسة الفرنسية في الجزائر، كما أن الفكر العلماني والاحادي انتشر بين الفئة المثقفة والسياسية في فرنسا، وهناك سبب آخر يتمثل في تجنب سيطرة القساوسة على التعليم الرسمي "وحتى لا يضطر المستعمر الفرنسي إلى مواجهة شخصيات دينية مؤثرة أخرى في المستقبل، عملت السلطات الفرنسية العسكرية على فتح العديد من المدارس العلمانية"⁽²⁾، والتوجه العلماني للحكام العامون كان بضغط من الصحافة الاستيطانية "فالصحافة في الجزائر كانت ضدّ سيطرة وهيمنة القساوسة"⁽³⁾، ولهذا لم يجبر التلاميذ على تعلّم تعاليم الدين المسيحي.

أعطى الجمهوريون صيغة قانونية للعلمانية فقد نصت مراسيم التعليم على حرية الاعتقاد وعدم الزام تلاميذ الجزائريين تعاليم المسيحية فقد نصت المادة الرابعة من مرسوم 18 أكتوبر 1892 على حرية الاعتقاد الديني: "إن حرية الاعتقاد (الديني) بالنسبة للتلاميذ الأهالي"⁽⁴⁾ تكون مضمونة في كل مدرسة سواء العمومية

⁽¹⁾Linda Lehmil, « L'édification d'un enseignement pour les indigènes : Madagascar et l'Algérie dans l'Empire français », Revue Labyrinthe, N° 24, Hermann- France, 2006, P : 101.

⁽²⁾ ساجية (مخلوف)، التنصير في منطقة القبائل أسبابه وعوامله، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس الاجتماعي، إشراف: الطيب بلعربي، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2013-2014، ص: 278.

⁽³⁾ Mgr A. Pons, La Nouvelle Église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830, Louis Namura, Tunis , 1930, P : 138.

⁽⁴⁾ الأهالي مصطلح انثروبولوجي يحمل دلالات التحقير، فهو يعني عند الأوروبيين المتخلف المحمي البدائي يطلق عليه باللغة الفرنسية Indigène، وباللغة الانجليزية Native.

منها أو الخاصة، ولا يمكن أن يتعرضوا لأي عمل يتنافى مع ديانتهم"⁽¹⁾، وهو ما بين أن التشريع الجمهوري لم يعطي أولوية أو أهمية لعملية التنصير والتبشير.

1-2 جزائريون من أجل تعليم أبنائهم في المدارس الفرنسية:

يمكن أن نتميز بين مرحلتين في موقف الجزائريين من تعليم أبنائهم في المدارس الفرنسية تفصل بينهما سنة 1880، ففي البداية رفض غالبية الجزائريين التعليم الفرنسي ونظروا إليه على أنه عملية تنصيرية تستهدف الدين الاسلامي، كما أن بعض المؤسسات التعليمية لازالت تقاوم ثقافيا السياسة الاستعمارية ضدها وهو ما سمح لأبناء الجزائريين لتعلم في المدارس القرآنية، ومع استمرار السياسة الاستعمارية عجزت هذه المؤسسات عن التصدي وتراجع مستوى عطاءها الفكري وهو ما جعل أبناء الجزائريين يقصدون المدارس الفرنسية خاصة بعد تطبيق علمانية التعليم بفرنسا وفصل الدين عن الدولة «إن التعليم الفرنسي ظل مدة طويلة من الزمان، مرتبطا في أذهان الناس بمحاولة التنصير، ولهذا فقد يكون هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن قرار مبدأ علمانية التعليم العمومي في فرنسا (أي فصل الدين عن الدولة) هو الذي جعل الجزائريين يغيرون موقفهم الأول»⁽²⁾، ويقول أحمد بن القاضي في رحلته المكتوبة سنة 1878، أن الجزائريين أصبحت لهم قابلية التعليم في المدارس الفرنسية: "ولا يستبعد ارتقاء العرب في التعليم فقد شاهد الكثير قابلية أولادهم في المدارس بالمدة القليلة"⁽³⁾، وهو ما يشجع الساسة الفرنسيون في نشر التعليم الفرنسي.

كتب جول فيري في رسالة موجهة إلى الوالي العام بالجزائر ألبير قريفي⁽⁴⁾ في شهر أكتوبر 1881 يقول فيها: "لا يخفى عليكم أنه من بين كل جهات الجزائر فإن القبائل الكبرى هي المنطقة الأكثر استعدادا للاندماج نظرا لطباع أهلها وعاداتهم وتقاليديهم، لقد لاحظتم بدون شك أنه ليس هناك مكانا آخر في غير هذه الجهة ترقب فيه السكان وصول المعلمين بلهف ويقدمون كل التسهيلات لفتح المدارس"⁽⁵⁾، وراسل السيد

= ينظر: عبدالقادر (بوعرفة)، جهاد شعبي أم مقاومة قراءة في المرجعيات الفكرية لحركة الجهاد في الخطاب الصوفي، الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جامعة السانبا (وهران-الجزائر)، 25-26 ماي 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص: 113.

⁽¹⁾ مرسوم 18 أكتوبر 1892 المتعلق بالتعليم الابتدائي العمومي والخاص للأهالي في الجزائر. ينظر: محمد الطاهر (وعلي)، المرجع السابق، ص: 286.

⁽²⁾ مصطفى (الأشرف)، المرجع السابق، ص: 415.

⁽³⁾ Ahmed ben kadi, Impressions du voyage A Paris, Alger, 1878, P : 40.

⁽⁴⁾ ألبير قريفي Albert Grévy حاكم عام مؤقت في الجزائر في فترة من 15 مارس 1879 إلى 26 نوفمبر 1881.

⁽⁵⁾ جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 74.

الحاج يعقوب بن سهيلة قائد منطقة بلعباس، إلى حاكم سان لوسيان يقول فيها: "وهذا الناس المذكورون يطلبون من الدولة الفرنسية أن تساعدهم بالقراءة لأولادهم لأنهم يحتاجون لها وتكون لهم تربية وتمتعهم من الاهمال، وها أنا أخبرتك برسول والنظر إليك والسلام"⁽¹⁾، فانتشار الجهل وضياع الأجيال وأسباب أخرى دفعت الجزائريين بقبول المدرسة الفرنسية.

والسبب في عدم إرسال الجزائريون أبناءهم للمدارس الفرنسية هو نظرة المجتمع للمتخرجين من القرويين والزيتونة أفضل من المتخرجين من المدارس الشرعية الفرنسية؛ فيقول جمال قنان: "إن ما يلاحظ في الواقع أن الطلبة خرجي الجامعات الاسلامية التقليدية عندما يعودون لوطنهم فإنهم سرعان ما يكتسبون سمعة كبيرة ومكانة عالية لدى الناس، عكس خرجي المدارس الذين لا يحضون بأي اعتبار من طرفهم بل وأكثر من ذلك فهم يشكلون مادة للتندر بجهلهم وقلة علمهم، هذه النظرة سوف تتغير لو يتلقون تعليما عاليا ومتطورا في الدراسات الاسلامية مدعما بتعليم فرنسي كاف"⁽²⁾، وبالتالي تكوين الجزائريين تكوين جيداً في العلوم الاسلامية إلى جانب العلوم الحديثة التي تنشرها المدرسة الفرنسية، يساهم في كسب ثقة مجتمعاتهم.

ويقول المجاوي عن ضرورة التعلم ويوجه رسالة إلى أولياء وآباء التلاميذ من أجل تعليم أبنائهم فيقول: "إن الدواء الناجع والعلاج النافع في إحياء النفوس الخاملة وتحريك الدماء الجامدة هو التربية والتعليم على أصول الفضيلة والانتعاش ببيان الشريعة فبذلك يحي ما اندثر من العلم (كلمة غير مقروءة) أولياء الأمر فلا يلامون حيث لمست المدارس والمكاتب لسائر العلوم الوقفية النافعة وإعطاء الحرية التامة في التعلم، فالقصور من آباء الأبناء والطلبة فنسأل الله أن يلهمهم عافية صلاحهم بمنه وكرمه"⁽³⁾، ولهذا نفهم من كلام المجاوي أن السلطات الاستعمارية وفرت وسائل التعليم لكن الجزائريين رفضوا تعليم أبنائهم.

رفع سكان قسنطينة سنة 1887 عريضة⁽⁴⁾ لأعضاء مجلس الشيوخ وأعضاء البرلمان يطالبون بنشر التعليم بين الأهالي: "إن أول إجراء يستوجب اتخاذه هو اعتماد طريقة تهدف إلى تبيد ظلام الجهالة عن طريق انشاء ونشر التعليم وتوفيره للأهالي الصغار الذي سيتم إعدادهم بهذه الطريقة لاستقبال الاصلاحات

(1) A.W.O , Dossier 4064 , Enseignement des indigènes.

(2) جمال قنان، التعليم الاهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 113-114.

(3) عبدالقادر (المجاوي)، «العلم»، جريدة المغرب، ع 12، السنة الأولى، 19 ماي 1903.

(4) عريضة طبعت بقسنطينة بتاريخ 10 جويلية 1887، وقع هذه العريضة ألف وسبعمائة شخص وتمت المصادقة على التوقيعات في بلدية قسنطينة بمحضر شيخ البلدية السيد ميرسي. ينظر: جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص: 197.

النافعة التي ستؤدي إلى التمدن وإلى الاندماج"⁽¹⁾، وكتبت جريدة ديبش كولونيال مقالة قال فيها منشؤها أن مسلمي الجزائر لهم ميل إلى التعلم ويطلبون توسيع دائرة التعليم الفرنسي والعلوم العصرية، "وجناب والي الجزائر يقابل مطالبهم بالقبول"⁽²⁾، وهناك عرائض أخرى تدعو إلى تعليم أبناء الجزائريين، لأن عدم التعليم يحرم صاحبه من الدفاع عن نفسه في المحاكم وتجنب جور المترجمين يضاف إلى ذلك المطالبة بحقوقه.

ويقول المجدوب بن خالفة عن تعليم الأهالي: "إنها لمسألة خطيرة تلك التي تتعلق بتعليم الأهالي؛ إذ هي من القضايا التي تشغل بال أكثر الجزائريين وعن حلها يتوقف ربما المصير النهائي للمستعمرة، يوجد بالفعل كثير من عدم الثقة إن لم يكن من الحقد بين ملاك البلاد الجدد وبين القدامى يمنع العنصران من الاندماج في بعضهما البعض بسهولة وهذا التشكيك وعدم الثقة الذي يغديه التعصب الديني سيستمر مادام الشعب العربي قابعا في جهالته"⁽³⁾، ويدعو فرنسا إلى ضرورة تعليم الأهالي والوفاء بعدها فيقول بن خالفة: "إنه لمن واجبات الجمهورية العمل على رفع المستوى الفكري والأخلاقي للجنس العربي المغلوب، وهذا دين أخذته فرنسا على نفسها منذ اليوم الذي وضعت فيه أقدامها على أرض الجزائر"⁽⁴⁾. بل ويطالبها بإجبارية التعليم، وإرغام الآباء على إرسال أبنائهم للمدارس "يجب اقتياد الطفل العربي إلى المدرسة ويجب افتكاكه من بين أيدي آباءه الجهلة والمتعصبين، غير قادرين على إدراك المنفعة الكامنة في التعليم وفي الحضارة الفرنسية"⁽⁵⁾

يرى أحمد بن بريهمات⁽⁶⁾ أن التعليم الفرنسي سيحقق مكاسب للجزائريين في رسالته سنة 1883، فيقول: "والآن إخواني انتبهوا جيدا لما أقوله لكم:

⁽¹⁾ عريضة ضدّ التحنس ومن أجل الدفاع عن حقوق القضاء الإسلامي 10 جويلية 1887. ينظر: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، المرجع السابق، ص: 199-200.

⁽²⁾ تعليم مسلمي الجزائر، كوكب إفريقيا، ع 24 جانفي 1908.

⁽³⁾ Medjdoub ben kelfat, de l'instruction des indigènes .

منشور في: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص: 194.

⁽⁴⁾ Medjdoub ben kelfat, de l'instruction des indigènes .

منشور في: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص: 194.

⁽⁵⁾ Medjdoub ben kelfat, de l'instruction des indigènes .

منشور في: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص: 194.

⁽⁶⁾ أحمد بن بريهمات هو ابن الشيخ حسن بن بريهمات مدير المدرسة الثعلبية، كان مترجما عسكريا وهو يعتبر من المثقفين الجزائريين البارزين ومن الذين دافعوا عن الشخصية الجزائرية ومقوماتها في هذه الفترة الحالكة من تاريخ الجزائر. ينظر: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، المرجع السابق، ص: 188.

-إننا عندما نرسل أولادنا إلى المدرسة فإننا سنعودهم على محبة الفرنسيين والصدقات التي تنسج في هذه الظروف هي وحدها التي تبقى.

-بقدر ما يكون عدد البنات كبير في المدرسة بقدر ما يكون عدد النساء أقل في بيوت الترفيه.

-بقدر ما يكون عدد الأطفال أكبر على مقاعد المدارس بقدر ما يكون عدد الرجال أقل أمام المحاكم الجنحية ومحاكم الجنايات.

إن التعليم الاجباري العلماني والمجاني، الذي سينتشر بيننا تحت رعاية الحكومة الفرنسية الكريمة يحمل في طياته سر بعثتنا وهضمتنا"⁽¹⁾

فسر بعض الكتاب قبول الجزائريين بتدريس أبنائهم على أنه خضوع واستسلام للاستعمار خاصة بعد ثورة 1871 التي منيت بالفشل "بعد فشل آخر الانتفاضات الشعبية الكبرى في سنة 1871، صار الخضوع للاحتلال أمرا واقعا وحمل معه استسلام سلبيا جعل التدريس أمرا ممكنا (أنتم الأسياد فإن ارتأيتم أن نرسل أولادنا إلى مدارسكم فسوف نفعل)، هكذا دخل المجتمع المسلم في عهد جديد من التغيير غير الواعي في بداية الأمر"⁽²⁾، فضلا أن التعليم الطريق للتوظيف في مناصب تأمن حياة العائلة وتجنّبها من تسلط المتسلطين من أتباع الاستعمار.

يرى مصطفى الأشرف أن حب المجتمع الجزائري للتعليم والثقافة منذ القدم جعله يقبل تدريجيا بالمدارس الفرنسية «وبعد المرحلة الانتقالية القاسية التي مرّ بها المجتمع الجزائري المزعزع الأركان، المحروم من حقوقه ومن أملاكه، ومن حرياته، أخذ الناس يشعرون بالحاجة إلى الثقافة، أو على الأصح بالحاجة إلى التعليم... وهذا الأمر يدل على أن الشعب العريق في الثقافة لا يتحمل الفراغ الثقافي، ولكي يشبع هذه الحاجة، فهو لا يرى مانعا من استعارة لغة أخرى بدلا من لغته التي أصبحت محرمة عليه كأداة للتعبير في المدارس، وكأداة للكتابة والتأليف»⁽³⁾، فموقف الجزائريين من التعليم في تحوّل تدريجي بعد سنة 1880، وارتفع عدد التلاميذ في المدارس الفرنسية المخصصة للجزائريين خاصة بعد صدور مرسوم إجبارية التعليم سنة 1883.

⁽¹⁾ Ahmed ben Brihmat, le Décret du 13 février et les indigènes musulmans.

نشرت في: جمال (فنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، المرجع السابق، ص: 193.

⁽²⁾ غي برفليبي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880-1962، تر: حاج مسعود وآخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص:

25.

⁽³⁾ مصطفى (الأشرف)، المرجع السابق، ص: 415-416.

3-1 قانون اجبارية التعليم:

أصدر جول فيري مرسوم 1882 ينضم التعليم في فرنسا، وألحقه بقانون 13 فبراير 1883 الخاص بتعليم الأهالي في الجزائر، وألحقه بقوانين تعديلية بداية بقانون 1887، ثم سنة 1892 وسنة 1906، وقد تضمنت هذه القوانين اجبارية التعليم بالنسبة لتلاميذ الجزائريين، فالترتيبات العامة لمرسوم 1906 تلزم كل بلدية كاملة الصلاحيات أو مختلطة بإنشاء مدارس ابتدائية عمومية يكون التعليم فيها مجانياً، ومفتوحة أمام جميع الأطفال بدون تمييز، وقد تعرض المرسوم لكيفية تطبيق إجبارية التعليم، كما حدد آليات التنفيذ والمتابعة؛ فهناك مجلس للتعليم على مستوى البلدية، ومجلس للتعليم على مستوى العمالة⁽¹⁾.

تنص المادة الأولى من مرسوم 1883 في باب النفقات إشراف البلديات كاملة الصلاحيات أو المختلطة الاشراف على المدارس الابتدائية؛ حيث تتحمل تكلفة التركيب الأولي للمباني المدرسية (البناء وحياسة أو ملكية المنازل المدارس وأماكن العمل)، وتكاليف صيانة المبنى، وكذلك نفقات اقتناء وإصلاح الأثاث حسب المادة الثالثة⁽²⁾، وأكد المرسوم الرئاسي 15 ديسمبر 1906 على مهام البلدية اتجاه المدارس والمتمثلة في صيانة المباني والأثاث المدرسي، وتحديد المواد التعليمية ووسائل العمل الزراعي والعمل اليدوي، وتوفير المواد الخام، وما يتطلب ممارسة العمل الزراعي، إضافة إلى ذلك توفير اللوازم المدرسية⁽³⁾.

غير أن معظم البلديات لم تلتزم بتلك التشريعات، خاصة فيما يتعلق بجهيز المدارس الأهلية، وهو ما دفع رابطة المعلمين توجه رسالة إلى عميد أكاديمية الجزائر "فالبلديات لم تلزم بتجهيز المدارس الأهلية مقارنة بالمدارس الموجهة للفرنسيين...ولهذا نطالب بتطبيق المادة 26 و 27 من مرسوم 1892"⁽⁴⁾، وبما أن المستوطنون يسيطرون على المجالس البلدية ومجالس المقاطعات فقد حدث جدالا ولم تلتزم البلديات بمهامها اتجاه مدارس تعليم الأهالي.

⁽¹⁾ جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 75-76.

⁽²⁾ Rendu Ambroise, code de l'enseignement primaire obligatoire commentaire de la loi du 28 mars 1882, Paris, 1883, P : 326-327.

⁽³⁾ Décret du 15 décembre 1906, Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, 2me année, No2 , 1907, P : 14-15.

⁽⁴⁾ Mobilier des écoles d'indigènes, Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, 4^{me} année, N° 10 , 1907, P : 3-4.

حدّد المرسوم الشروط التي يجب أن تتوفر لكي تكتسب المدرسة صفة كونها رئيسية بقرار يصدره الوالي العام بهذا الشأن، يجب أن تكون هاته وسط تجمع سكني أهلي بعيدا عن مستوطنة أوروبية يديرها مدير فرنسي تتبعها مدرسة أو مدارس تحضيرية تقع مقراتها في القرى والمداشر المجاورة تضم في مجموعها مع المدرسة الرئيسية ما لا يقل عن ستة أقسام، المدرسة التحضيرية تشمل على قسم واحد توكل إدارتها إلى معلم مساعد أهلي أو ممرن، أو إلى أحد أقارب المعلمين الفرنسيين في المدرسة العادية أو المدرسة الرئيسية الأهلية⁽¹⁾، ويتم تأسيس مجلس إدارة المدرسة في كل بلدية لتشجيع ومراقبة المدارس، وهو يتألف من رئيس البلدية، ومندوب المحافظ، ومندوب من مفتش المدرسة وأعضاء من الأعيان⁽²⁾

نص المرسوم من جهة أخرى على إحداث شهادتين للتعليم؛ شهادة للتعليم الابتدائي الأولى وشهادة للتعليم الابتدائي العالي، يمكن إدراج في امتحان إحدى الشهادتين مادة اللغة العربية كامتحان اختياري، ويبدو أن إدراج هذه المادة وضعت لأجل الموظفين الفرنسيين وليس لتلاميذ المرحلة الابتدائية، فالمقررات الرسمية لا تشمل مادة اللغة العربية⁽³⁾، وتمنح شهادة التعليم الابتدائي بعد إجراء فحص عام⁽⁴⁾.

تنص المادة 11 على المواد التي يتم تدريسها في التعليم الابتدائي في الجزائر وهي: مادة الأخلاق والتربية البدنية، القراءة والكتابة، اللغة الفرنسية، الجغرافيا وخاصة جغرافية الجزائر، والتاريخ ولاسيما تاريخ فرنسا والجزائر، وبعض المفاهيم في القانون والاقتصاد، والعلوم الطبيعية والفيزياء والرياضيات، والزراعة والحرف الصناعية، والحرف اليدوية، ويتلقى الفتيان تدريب على المناورات العسكرية، أما الفتيات يوجهن لأشغال الإبرة⁽⁵⁾، وفيما يخص التعليم الديني المسيحي فقد خصص له يوما واحد في الأسبوع، مع السماح باستغلال الآباء البيض للمدارس خارج أوقات التدريس لتعليم الدين المسيحي للأطفال الذين يرغبون فيه⁽⁶⁾.

هناك تحفييزات للتلاميذ المنضبطين بمنحهم تبرعات عينية كالمواد الغذائية والملابس والأحذية والكتب واللوازم المدرسية حسب ما نصت عليه المادة 33، كما نصت المادة 12 من المرسوم على تحفييزات وجوائز

(1) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص 82.

(2) Rendu Ambroise , op.cit, P : 334-335. ينظر المادة 16.

(3) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 77-78.

(4) ينظر المادة 17: Rendu Ambroise , op.cit , P : 335.

(5) Rendu Ambroise , op.cit, P : 331-332.

(6) حسب ما نصت عليه المادة 13، ينظر: Rendu Ambroise , op.cit, P : 333.

فخرية لكل معلم استطاع تعليم وتكوين 10 تلاميذ حتى حصولهم على شهادة التعليم الابتدائي⁽¹⁾، وتنص المادة 15 على أن يكون التعليم الابتدائي للأطفال من كلا الجنسين الذين تتراوح أعمارهم بين ست سنوات من العمر وثلاثة عشر عاما من العمر، بغض النظر عن آباءهم. ويمكن أن يعطى إما في مؤسسات التعليم الابتدائي أو الثانوي، سواء في المدارس الحكومية أو في الأسر من قبل الأب نفسه أو من قبل أي شخص الذي اختاره⁽²⁾.

يختار الأب أو ولي التلميذ المدرسة التي يدرس فيها ابنه سواء عامة أو خاصة أو يعلم ابنه في المنزل ويخبر رئيس البلدية بذلك قبل خمسة عشرة يوما من بداية التسجيلات، وفي حالة عدم الإشعار من ولي التلميذ يسجل التلميذ تلقائيا في المدارس العمومية، كما يكلف رئيس البلدية بالتنسيق مع إدارة المؤسسات التعليمية بوضع قائمة عن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 6 و13 سنة⁽³⁾.

أثار صدور هذا المرسوم ردود فعل متباينة في الوسط الجزائري بعضها متحفظا وبعضها معارضا، والبعض الآخر مباركا ومتحمسا، والذي تصدره أحمد بن بريهمات الذي حرّر كراسة حول موضوع تحت عنوان "مرسوم 13 فبراير 1883 والأهالي المسلمين ندد فيه بمواقف المعارضين الذي قال عنهم أنهم عارضوا لكي يعارضوا"⁽⁴⁾، ويقول أحمد بن بريهمات: "إن مرسوم 13 فبراير لا يمس مطلقا بعقائدنا الدينية فهو من جلائل الأعمال التي تكرمت به فرنسا علينا، فلنرسل إخواني المؤمنين أبنائنا إلى المدرسة، أطفالا وبناتا، ولنبعد عنا نصائح أولئك المنافقين باسم الدين الذين يتخذون من جهلنا سلاحا يستغلونه لفائدتهم الشخصية، فلتكن لنا ثقة في كرم فرنسا بقبولنا وخضوعنا للقوانين التي تسنها خاصة قانون 13 فبراير"⁽⁵⁾.

لم يستقبل المستوطنون هذا المرسوم بعين الرضا والارتياح، بل على العكس لقد واصلوا حملتهم ضدّ تعليم الأهالي على مختلف المستويات الاداري والسياسي والإعلامي والخطاب الحديد الذي تتبناه الجرائد وجود عوائق كامنة بالطبيعة في شخصية الفرد الجزائري تجعله غير قابل للتعليم، وأن أي جهد يبذل في هذا المجال هو

⁽¹⁾Rendu Ambroise, code de l'enseignement primaire obligatoire commentaire de la loi du 28 mars 1882, op.cit , P : 332-333.

⁽²⁾Ibid, P : 334.

⁽³⁾ ينظر المادة 18 و19: . Rendu Ambroise , op.cit , P : 335-336.

⁽⁴⁾ جمال (قنان)، التعليم الاهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 79.

⁽⁵⁾ Ahmed ben Brihmat, le Décret du 13 février et les indigènes musulmans.

نشرت في: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، المرجع السابق، ص: 192.

جهد ضائع وبدون جدوى"⁽¹⁾، وقد رد كامبون على هذا الادعاء في تقرير له: "إن من أدعى بكون شخصية الأهلي تتسم بالبلادة والخمول ليس له أي أساس من الصحة، فالأدلة المتوفرة لدحض هذا الادعاء كثيرة جدا ومن مختلف مناطق الجزائر فتقارير المفتشين تشهد بذلك... والمثال على ذلك أنه في إحدى دفعات مدرسة تخريج المعلمين 1887، كان السبعة الأوائل في مادة الأدب الكلاسيكي هم عرب من تلمسان قبل الفرنسيين"⁽²⁾.

وقد كان لهذا القانون تأثير في انضمام عدد كبير من أطفال الجزائريين للمدارس الفرنسية حيث تضاعف العدد بمعدل 1000 تلميذ في السنة، حيث كان عدد تلاميذ المسلمين سنة 1882 يقدر بـ 3.800، وارتفع العدد إلى 10.000 تلميذ سنة 1889"⁽³⁾.

2- المسألة اللغوية وتوظيف العامية في السياسة التعليمية:

2-1 اللغة العربية بين تعليمها ومحاربتها:

تعامل الاستعمار بأسلوبين اتجاه اللغة العربية بداية الاحتلال، فقد شجع الفرنسيون لتعلمها، بل الفرنسيون أنفسهم رغبوا في تعلمها لتسهيل الاتصال بالجزائريين، حيث انتشرت الدراسات الاستشراقية، واهتم الاستعمار بتدريس اللغة العربية، وانكب الضباط على تعلمها من أجل الحصول على منصب عالي في السلطة، وأدرجت مادة اللغة العربية في المدارس العربية الفرنسية، فهل كان الاستعمار يرغب في نشر اللغة العربية وتطويرها؟. للإجابة عن هذا السؤال نلجأ للمقارنة بين ثلاث صور؛ مكانة اللغة قبل الاحتلال، ثم أثناء وبعد الاحتلال.

جاء الاستعمار الفرنسي في نهاية مرحلة تأثير الشرق في الحضارة الأوروبية، ولهذا كانوا منبهرين من المنتج الفكري للحضارة الاسلامية ومن تعلم اللغة العربية، فكان الاهتمام بها واضح بداية الاحتلال، فتعلم بعض الضباط العربية التي تمكنهم الاتصال بالجزائريين، والسبب في ذلك هو "الاستغناء عن المترجمين الذين كانوا لا يثقون فيهم كثيرا"⁽⁴⁾، كما أكدت مختلف التقارير أن تعليم اللغة العربية للفرنسيين يساعدهم على الاحتكاك بالجزائريين؛ حيث يقول المتصرف المدني بريسون في رسالة إلى المفتش العام للتعليم سنة 1836:

(1) المرجع نفسه، ص: 80-81.

(2) المرجع نفسه، ص: 87.

(3) Les écoles françaises d'indigènes en Algérie, La Revue de statistique, deuxième année, Paris, 1899-1900, P : 181-183.

(4) شارل أندري (جولييان)، تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو وبيدات الاستعمار 1827-1871، ج 01، المرجع السابق، ص: 522.

"إن مهمة فرنسا في الجزائر تتوقف على دراسة اللغة العربية والتوسع فيها من أجل التعرف على الأهالي والاتصال بهم، بل أن الاستعمار (الاستيطان واستغلال الأرض) نفسه يتوقف على معرفة اللغة العربية ولا يكفي في ذلك الاعتماد على المترجمين"⁽¹⁾، ويرى المؤرخ جان بوجولا أن تعلم اللغة العربية شرط أساسي لتسريب الأفكار والعادات والثقافة الفرنسية إلى الأهالي، وطالب بحرية رجال الدين في تعلمها لكي يتصلوا بالأهالي ويبشوا الأفكار النصرانية عن طريقها⁽²⁾، والغريب أنه بقدر ما كان الفرنسيون مؤمنين بضرورة تعلم العربية لأنفسهم كانوا يمنعون الجزائريين من تعلمها، رغم أنها لغتهم القومية والوطنية والدينية⁽³⁾.

برز أساتذة فرنسيون يدرسون اللغة العربية؛ فقد كان شاربونو⁽⁴⁾ يلقي في الجامع الأخضر بقسنطينة دروسه في اللغة العربية منذ عام 1847، ولم يكن يقبل ضمن حلقاته إلا المسلمون الراشدون الذين يقرأون العربية ويكتبونها بعد، وكان هدفه تكوين بعض الموظفين الجزائريين⁽⁵⁾ لشغل مناصب إدارية، ولم تقتصر تعليم العربية للفرنسين الرجال فحسب، بل حتى النساء؛ ففي حوار بين امرأتين فرنسية وجزائرية ذكرت لها أنها تعلمت العربية على يد أحد شيوخ العرب الذين يدرسون في المدارس القرآنية⁽⁶⁾، وهو ما يبيّن رغبة الفرنسيين في تعلم العربية خاصة الدارحة، والنتيجة التي نستخلصها أن اللغة العربية أصبحت ضرورية لرجل السياسة والدين والفرنسيون الذين يرغبون في التواصل مع الجزائريين، ولهذا فتعلم العربية ليس خدمة لها وإنما خدمة للمصالح الاستعمارية.

إن الاستعمار لم يصدر بيانا أو قرار صريحا يحرم فيه تدريس اللغة العربية، ولكن اتبع معها أسلوب الموت البطيء، فبدأ بالأوقاف مصدر المنظومة التعليمية، ثم مرحلة المنافسة مع اللغة الفرنسية، ثم تغليب الفرنسية على العربية، وأخيرا تمجيد العربية الدارحة على العربية الفصحى؛ فيذكر أبو القاسم سعد الله أن اللغة العربية الفصحى عاشت في المدارس الرسمية الثلاث التي بدأت تعمل سنة 1950، ومرت بمراحل من حيث

(1) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج08، المرجع السابق، ص: 17.

(2) المرجع نفسه، ص: 18.

(3) المرجع نفسه، ص: 19.

(4) مستشرق فرنسي وعالم آثار، تقلد منصب رئيس للجمعية التاريخية الجزائرية، والتي كانت تصدر المجلة الإفريقية.

(5) أيفون (توران)، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة؛ المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880، تر: عبدالكريم أوزغلة ومصطفى ماضي، دار القصة، الجزائر، 2005، ص: 141.

(6) Ben sedira bel kassem , Dialogues Français arabe, Adolphe Jourdan , Alger , 1905, P : 32-33.

البرمجة: مرحلة التعريب الكامل، ومرحلة الفرنسية الجزئية 1876، ثم مرحلة ازدواجية البرنامج (العربي والفرنسي)، ولذلك كانت اللغة العربية غريبة في المدارس الرسمية في المرحلين الأخيرتين، حيث كانت تدرس كلغة أجنبية⁽¹⁾، وبعد 1883، وضعت اللغة العربية كمادة اختيارية في امتحان شهادة التعليم الابتدائي، وشهادة التعليم الابتدائي العالي " ويبدو أن إدراج هذه المادة وضعت لأجل الموظفين الفرنسيين وليس لتلاميذ المرحلة الابتدائية، فالمقررات الرسمية لا تشمل مادة اللغة العربية"⁽²⁾.

وخلاصة القول إن اللغة العربية لم تكن ممنوعة في الجزائر، ولكنها سوف تتقهقر بسبب وجودها المستدم في وضعية المغلوب، وهذا الأمر يصدق أيضا على أية لغة أوروبية⁽³⁾، والسبب في ذلك تراجع استخدامها كأداة للتواصل بين الاستعمار والمستعمر أو بين الغالب والمغلوب كما عبر عنه مصطفى الأشرف: «... لأن الذي أضر بالعربية بعد الغزو الاستعماري ليس هو انخفاض المستوى، بل هو نوع العلاقات القائمة بين الغالب والمغلوب، والمنطق الذي بنيت عليه تلك العلاقات، إن الذي أضر بها هو حرمان الناس من حريتهم، وزوال مكانة اللغة كأداة للتعبير الرسمي، والاضطراب الشديد الذي حصل في الوسط الاجتماعي والاقتصادي، ذلك الوسط الذي يوفر للغة أسباب النماء والتطور»⁽⁴⁾، كما عانت اللغة العربية من التهميش الإداري؛ حيث استخدمت اللغة الفرنسية في المعاملات الإدارية، ورغم ذلك فقد استمرت تعليم العربية «كثقافة تراثية مقتصرة على المبادئ الأساسية، وتعلم في الكتاتيب والزوايا»⁽⁵⁾، وتراجعت مكانة اللغة العربية، لتأتي الحركة الإصلاحية وتجعل إحياء اللغة العربية أحد أهدافها الأساسية.

2-2-2 نشر اللغة الفرنسية:

لقد كان الرأي العام الفرنسي السائد بداية الاحتلال يتفق على أن أول شيء يجب القيام به هو تعليم اللغة الفرنسية للعرب وتعليم العربية للأوروبيين، وقد كان الذوق روفيقو يرى الصيغة الأولى أنسب من الثانية «إن الشيء العجيب الذي يمكن القيام به هو تعويض العربية شيئا فشيئا بالفرنسية والذي لا يفتأ ينتشر في أوساط الأهالي، لاسيما إذا وفد الجيل الجديد بأعداد كبيرة للتعلم في مدارسنا»⁽⁶⁾، إذن فالقضية اللغوية بدأت

(1) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 08، المرجع السابق، ص: 15.

(2) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص: 77-78.

(3) مصطفى (الأشرف)، المرجع السابق، ص: 417.

(4) المرجع نفسه، ص: 429.

(5) المرجع نفسه، ص: 418.

(6) ايفون توران، المرجع السابق، ص: 46.

مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر رغم غلبة الطابع العسكري، فقد أشار إلى ذلك رئيس مكتب العمليات العسكرية بلي Pelet بقوله: «كان ينبغي بادئ ذي بدء التفكير في حل مشكلة اللغة قبل التفكير في التعليم، لأنه توجد في الجزائر ثلاث لغات مستعملة، وهي العربية والتركية والفرنكية، ويضاف إليها اللغة الفرنسية كلغة جديدة. ما هي اللغة التي ستختار من بين هذه اللغات كلها»⁽¹⁾، وصرح الدوق "دو روفيقو"⁽²⁾ سنة 1832 قائلاً: «أرى أن نشر لغتنا هي الوسيلة الأكثر فعالية لفرض هيمنتنا في هذا البلد»، وقال في مناسبة أخرى: «إن المعجزة الحقيقية التي علينا أن نصنعها هي أن نحل اللغة الفرنسية شيئاً فشيئاً محل العربية، بحيث نتمكن عن طريق هذا الإجراء من نشر لغتنا بين الأهالي، خاصة إذا أقبلت الأجيال الجديدة جماعات على التعلم في مدارسنا»⁽³⁾.

اللغة الفرنسية حامل راية فرنسا، وأصبحت الأداة المفضلة للتنمية في المستوطنات والغزو الأخلاقي، ولا بد من نشرها بين أبناء المستعمرات، فمشروع التوحيد اللغوي في فرنسا ومستعمراتها جزء لا يتجزأ من مشروع الاندماج السياسي "عندما يكون لدينا شعوب شمال إفريقيا تتكلم اللغة الفرنسية، سوف تكون حقاً أرضاً فرنسية وامتداداً جغرافياً لفرنسا" وبالتالي لا بد من تعليم اللغة الفرنسية لجميع شعوب المستعمرات الأصلية⁽⁴⁾، حتى يسهل التأثير الثقافي في شعوب المستعمرات.

بدأ الاستعمار في نشر اللغة الفرنسية من خلال فرنسا الوثائق الإدارية، والوثائق المستخرجة من المحاكم وكل الوثائق المتعلقة بشؤون المسلمين، ثم بدأ بفرض الفرنسية في كل المدارس سواء الفرنسية أو المدارس العربية الفرنسية، وحتى المدارس القرآنية، بل أجبر معلمو القرآن على عدم التدريس تزامناً مع ساعات التدريس الفرنسية في المدارس الحكومية، وهو ما جعل بعض النخب الجزائرية لها موقفاً من تلك السياسة فقد رفض مصطفى بن الكبابطي مرسوم ينص على إدخال اللغة الفرنسية للمدارس القرآنية سنة 1843، ووصف أبو

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص: 42.

⁽²⁾ هو جنرال تولى أمور الجزائر ما بين 31 ديسمبر 1831 ومارس 1833، وقيل أن يصبح قائداً عاماً كان وزيراً سابقاً للشرطة، تميزت شخصيته بالقسوة والظلم، وعرفت الجزائر على عهده مرحلة تميزت بسفك دماء الأبرياء والقتل الجماعي، وقد ارتبط اسمه كسفاح بمذبحة العوفية الرهيبة التي أبادها عن آخرها في 5 أبريل 1832. ومن أعماله في الجزائر: فرض غرامات ثقيلة على الأهالي من سكان البلدة والقلية بدعوى مساندة الثوار، وتهديمه للكثير من المؤسسات الدينية منها جامع السيدة الكائن بمدينة الجزائر، وتحويل جامع كمشاوة إلى كنيسة كاثوليكية.

⁽³⁾ أحمد (منور)، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي؛ نشأته وتطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص: 60.

⁽⁴⁾ Linda Lehmil, « L'édification d'un enseignement pour les indigènes : Madagascar et l'Algérie dans l'Empire français », op.cit., P : 100.

القاسم سعدالله موقفه بـ «إن موقف المفتي والأهالي عندئذ بقي رمزا للتحدي الوطني ورغبة شعبية لم تبرزها من جديد إلا نصوص الحركة الوطنية ومواثيق الثورة»⁽¹⁾.

لقد فهم الجزائريون أن تعليم اللغة الفرنسية في المدارس القرآنية هو تمهيد لتعليم الديانة المسيحية، مما دفع الادارة الفرنسية إلى توجيه رسالة للمفتي الكبايطي تنفي علاقة اللغة الفرنسية بالمسيحية: «إن هدفنا هو تعليم الأطفال اللغة الفرنسية وليس الديانة المسيحية، وفي هذه الحالة يمكن لمعلمي اللغة الفرنسية أن يتوجهوا إلى المدارس القرآنية لتعليم الأطفال المسلمين حصّة معلومة كل يوم»⁽²⁾، صحيح أن الحماس الديني تراجع لدى القادة الفرنسيون، لكن هدف التعليم هو نشر الفرنسية بقدر تحقيق الهيمنة الفكرية الاستعمارية، وهو ما حدث لجيل ترعرع في تلك الأفكار وأصبح يطالب بالإدماج فيما بعد.

رغم تأكيد أغلب منظري الاستعمار الفرنسي في الجزائر على ضرورة تعليم اللغة الفرنسية للجزائريين، فإن مصطفى الأشرف يرى أنها لم تكن إجبارية أو بالقوة «يدعي البعض بأن استعمال اللغة الفرنسية كان مفروضا علينا فرضا، وهذا كلام لا يقول به إلا من كان ساذجا، ينظر نظرة سطحية من غير تحليل ولا تمحيص، لأن هذا معناه أن الاستعمار قام بعمل يستحق التنويه، فكيف يصح هذا القول إذا علمنا أن نسبة الأميين في البلاد لا تقل عن 85% من السكان، رغم أن هؤلاء ظلوا على صلة باللغة الفرنسية طيلة 130 سنة»⁽³⁾، وبالتالي فإن ادعاء البعض أن الفرنسية طريق لتعليم علوم العصر لم يتحقق عند الجزائريين الذي أصبح أغلبهم أميين، ولم تمكنهم اللغة الفرنسية من الاطلاع على منتجات النهضة الأوروبية، بل أن تراجع مكانة اللغة العربية هو بداية الانقطاع مع الثقافة والحضارة الاسلامية وهو ما نتج عنه أزمة لغة وأزمة هوية في المجتمع الجزائري.

إن ترسيم اللغة الفرنسية في المؤسسات الادارية، وكشرط في تولي أغلب المناصب، جعل بعض الجزائريين يرسلون أبناءهم للمدارس الفرنسية لتعلم اللغة الفرنسية من أجل الحصول على وظيفة، وهو ما نستنتجه مما قاله مصالي الحاج عن أبيه وهو يحاول إقناع أمه: «ولنتركه يبدأ بالفرنسية، وفي وقت لاحق يستطيع دائما أن يبدأ بتعلم العربية، وإذا توصل بهذه الطريقة إلى نتائج إيجابية، فقد يسهل عليه حينئذ أن

(1) أبو القاسم (سعدالله)، «قضية ثقافية بين الجزائر وفرنسا سنة 1843؛ موقف المفتي الكبايطي من الأوقاف واللغة»، مجلة عالم الفكر، المجلد السادس عشر، ع01، وزارة الإعلام، الكويت، أبريل-ماي 1985، ص: 251.

(2) المرجع نفسه، ص: 258.

(3) مصطفى (الأشرف)، المرجع السابق، ص: 413.

يصنع مستقبله، فبمعرفة الفرنسية يستطيع أن يدافع على نفسه وعلينا، سيكون ترجمانا بيننا وبين الفرنسيين»⁽¹⁾، بل أن بعض نساء الاعيان تعلمن الفرنسية على يد فرنسيات⁽²⁾، نظرا للاحتكاك المباشر بينهما ورغبة الفرنسيات في التقرب لهن.

2-3 توظيف العامية في التعليم والادارة العمومية

اهتمت الادارة الاستعمارية باللهجات المحلية وبالعامية من أجل تهميش اللغة العربية الفصحى؛ حيث أحدث " رجال الادارة الفرنسية بالجزائر إجازات باللهجات المغربية... وشهادات باللسان العامي الدارج (العربية الدارجة)، واعتبروها ماثلة أو بديلة عن اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم، وحتى تربط الادارة الاستعمارية بالجزائر هذه الاجراءات بالواقع المعيش وتشجيع الطلبة على الانتساب لها، أصبحت تشترط هذه الإجازات -التي هي في الواقع شهادات في الجهل والأمية- في الوظيف العمومي وعند الترقية في السلك الإداري، كما جعلوها من الشروط المطلوبة للحصول على الجنسية الفرنسية"⁽³⁾.

وقد تولى بعض الفرنسيين تدريس العربية الدارجة، والمشاركة المرافقين للحملة مثل جوني فرعون (وهو سوري-مصري) سنة 1932، ثم واصله لويس برينييه منذ 1936، وقد شاركه في ذلك عدد آخر من المستشرقين الذين انتشروا في غرب البلاد وشرقها منهم ماشويل في وهران، وصدرت عن هؤلاء مجموعة من الكتب التعليمية بالعربية الدارجة والفرنسية، وهي كتب تقرأ من اليسار إلى اليمين، كما صدرت عنهم قواميس في نفس الموضوع⁽⁴⁾، ويقول باصي رنييه: "ظهرت منذ الاحتلال أكوام من المعاجم والقواميس وكتب المحادثة ومجموعات الرسائل بهدف تعليم العربية الدارجة"⁽⁵⁾.

أقر البرنامج الدراسي لسنة 1898 «بصفة رسمية تعليم اللغة العربية الدارجة في المدرسة الابتدائية الأهلية بمعدل ساعتين ونصف في الأسبوع وفي كل طور، ولم تكن اللغة العربية الفصحى تدرس وقتها إلا إذا قدم السكان الأهالي طلبا رسميا لذلك، ولم يخصص لها مرسوم سنة 1883، ولا برنامج سنة 1890، ولا

(1) الحاج (مصالي)، مذكرات 1898-1938، ج 01، تر: محمد المعراجي، منشورات المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص: 17.

(2) Ben sedira bel kasseem, op.cit , P : 34.

(3) ناصر الدين (سعيدوني)، الجزائر منطلقات وآفاق؛ مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2000، ص: 74.

(4) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، المرجع السابق، ص: 14.

(5) المرجع نفسه، ص: 20.

مرسوم 1892 أية مكانة محددة في المسار الدراسي» وعن سبب ذلك يقول جانمير : «لم يكن قصدنا بالطبع أن نعلمهم اللغة العربية الدارجة أي لغة أمهاتهم ولكن سوف نقدم لهم خدمة كبيرة إذا علمناهم القراءة والكتابة باللغة العربية»⁽¹⁾، وبالتالي فهو اعتراف صريح من مدير الدراسات لتهميش العربية الفصحى.

دعمت الإدارة الاستعمارية العامية تشريعيا وعمليا؛ حيث جاءت «القرارات الوزارية الصادرة في 04 جانفي و22 ديسمبر 1905 تسهيلا للحصول على شهادة الأهلية في اللغة العربية وذلك بمضاعفة معامل تقويم اتقان اللغة العربية الدارجة، ثم صدرت سلسلة من القرارات لتأسيس شهادات الكفاءة لتعليم اللغة العربية الدارجة بمستويات مختلفة في المدارس الابتدائية ومدارس تكوين المدرسين ومؤسسات التعليم الثانوي والمتوسط»⁽²⁾، ورغم إلحاح الجزائريين على تعليم اللغة العربية في المدارس العمومية، إلا أن لجنة مجلس الشيوخ التي أوفدت إلى الجزائر في سنة 1891 «استبعدت فكرة إدراج تدريس اللغة العربية في المدارس الأهلية»⁽³⁾.

في سنة 1904 صدر قانون يمنع تدريس اللغة العربية إلا بإذن خاص من سلطات الاحتلال، وحتى لو تم الحصول على هذا الاذن فكان من الضروري الاكتفاء بتدريس القرآن مع التغاضي عن كل آيات التي تشير من قريب أو بعيد إلى "الجهاد" أو يمكن أن تحتل "تفسيرات مغرضة"، فلم يكن واردا على الإطلاق تدريس التاريخ أو الجغرافيا أو الآداب العربية، ويتحدث مصالي الحاج -كشاهد عيان- عن مكانة اللغة العربية في المدارس الفرنسية فيقول: «...وهكذا فإني قد استطعت تحسين معلوماتي خاصة في اللغة الفرنسية الشيء الذي خدمني كثيرا فيما بعد، فاللغة العربية لم يحسب لها أي حساب أمام لغة المعمر، ففي القسم المتوسط الثاني مثلا كانت تدرس لنا مدة نصف ساعة في الأسبوع من العربية الدارجة»⁽⁴⁾، ويمكن أن نستنتج من قوله ومما سبق أن تدريس العامية كان هدفه هو إهمام العربية الفصحى.

لقد قدم الفرنسيون دراسات عن اللهجات الجزائرية، لكنها لم تخرج عن إطار السياسة الاستعمارية، كما لم يستفد منها الجزائريون في المنظومة التعليمية، وقد تنوعت لغة العلم والكتابة لدى المثقفين، فهناك القلة ممن تمسكوا بالعربية الفصحى، والقلة القليلة ممن يكتبون بالفرنسية، وهناك من اعتمد أسلوب العربية الدارجة في كتاباته وخطاباته، ونلاحظ هذه الفروقات من خلال الجرائد التي أنشأت بداية القرن العشرين.

(1) شارل روبر (أجران)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص: 525.

(2) المرجع نفسه، ص: 539.

(3) جمال (قنان)، المرجع السابق، ص: 35.

(4) الحاج (مصالي)، المصدر السابق، ص: 59.

3- التركيز على التعليم المهني:

التعليم المهني أو الحرفي مشروع قبل 1880، وبعد التحول للحكم المدني وزيادة النفوذ الاستيطاني، طرحت مسألة تعميم التعليم الحرفي بجدية، من أجل استثمارهم في الحياة الاقتصادية، ولقد تم تكييف برنامج الدراسة وفقاً لأهداف التعليم المهني، فأغلب الدروس المبرمجة تطبيقية وليست نظرية؛ ففي "مخطط الدراسات وبرامج التعليم الابتدائي الموجه للأهالي" لسنة 1889-1890 تم فيه «منع إلقاء دروس نظرية عن الزراعة، لأن جميع الدروس ينبغي أن تكون تطبيقية في حديقة المدرسة»⁽¹⁾، كما كرست لجنة مجلس الشيوخ التي أوفدت إلى الجزائر في سنة 1891 مبدأ فصل التعليم الأهلي عن منظومة التعليم العام وإعطائه صبغة عملية مركزة على الزراعة بالخصوص وعلى الحدادة والنجارة التقليدية⁽²⁾، من أجل تكييف الجزائريين مع الواقع الاقتصادي الاستعماري.

انعقد المؤتمر الأول للفلاحين في ديسمبر 1897، ومن بين توصياته: «المطالبة بتقليص مدة التعليم في المدارس الابتدائية الأهلية بصورة محسوسة، فيما يتعلق بجانبه النظري ليصبح تعليماً مهنياً بالدرجة الأولى وفلاحياً بصفة أحص، ومن بين ما اقترحوه أيضاً انتداب ممرنين مختصين ذو كفاءة علمية محضمة وتكليفهم بتعليم أساليب الغرسة وبارشاد الفلاحين في هذا المجال؛ أي توجيه مدرسة الأهالي إلى خدمة الفلاحة لا غير»⁽³⁾، من جهة أخرى أوصت اللجنة المكلفة بإعداد منهاج التعليم سنة 1898 المعلمين على التركيز في دروسهم لتلقين التلاميذ والترسيخ في ذاكرتهم فكرة "وجوب الاقتداء بأبائهم في الاشتغال بالزراعة فقط دون الاهتمام بالنشاطات الأخرى"، فالطفل الأهلي المكون في هذه المدارس يتهيأ لتحسين أوضاع أهله، فلن يكون مدفوعاً للبحث عن وضع آخر، فاهتماماته ستكون موجه نحو النشاط الزراعي وليس نحو الوظيفة العمومية⁽⁴⁾، فالتعليم المهني للجزائريين هو الأنسب حسب نظرة المستوطنين، وظروف الجزائريين كانت توحى بذلك.

ونظراً لأن تعليم الجزائريين تعليماً مهنياً يخدم المستوطنين، فقد سعت هذه الفئة إلى تحقيق إجبارية التعليم على الأهالي وضرورة إرسال أبناءهم إلى المدارس، وفرض قوانين تعاقب الأولياء الذين لا يرسلون أبناءهم ومنها قانون 21 ديسمبر 1897 الذي يسلب عقوبات على الأولياء المتهاونين أو الذين يرفضون

(1) شارل روبيير (أجرون)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 948.

(2) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في عهد الاحتلال 1830-1914، المرجع السابق، ص: 35.

(3) شارل روبيير (أجرون)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 524.

(4) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 98-99.

إرسال أبناءهم إلى المدرسة، وقد «لجأ الحكام إلى استعمال هذه الوسيلة بشكل واسع إلى درجة أن السداسي الأول من سنة 1898 شهد إصدار 412 حكماً لنفس السبب»⁽¹⁾، وفي عهد الحاكم العام جونار «منح الأولوية لإنشاء مدارس التعليم المهني، ومنذ سنة 1903 تم افتتاح ثلاث مدارس لصناعة الزراي...، وفي سنة 1904 تم افتتاح مدرستين للبناء... وارتفع عدد حصص التمهين إلى 20 في أواخر 1905، بينما أمر جونار بإقامة أول معرض عمومي للأعمال الفنية»⁽²⁾، والهدف تسهيل إدماج الجزائريين واستثمارهم اقتصادياً. يعتبر جونار من أكثر الحكام تعاطفاً مع المسلمين، إلا أنه أخضع لضغط المستوطنين وأصبح يجمالهم بتوسيع دائرة التعليم المهني وتقليص من فتوة تشيد الأقسام والمدارس وبنائها بأقل تكلفة وزهد في الزخرفة فقد صرح في اجتماع المكاتب الجزائرية بتاريخ 04 نوفمبر 1903 ما نصه: «لقد قدمنا الشيء الكثير لتعليم الأهالي ولم نبذل ما ينبغي من مجهود، ومن المهم أن نقدم للأهالي التعليم الأنسب لحاجياتهم ولا استعداداتهم (حسن جداً! حسن جداً!) توجيه تعليم الأهالي صوب اتجاه مهني حسب المعطيات العملية التي كثيراً ما تفلت من الاعتبار»⁽³⁾، ويتبين لنا من خلال هذا التصريح أن جونار كان اهتمامه هو نقل المسلمين من حالة البأس التي كانوا يعيشونها، فالتعليم الحرفي يساعد على اكتساب مهنة متواضعة بعد مدة قصيرة من التكوين، وقد كان يهدف هذا الخطاب إلى استقطاب المستوطنين ومجاملتهم لأنه لم يلقى الاستقبال أثناء تعيينه بقدر الاستقبال الذي لقيه في عهده الأولى.

وفي تقرير لجائير سنة 1906 ذكر أن المواد المقررة في مدرسة الزراعة بالجزائر هي: الرياضيات، الفيزياء، الأرصاد الجوية، والكيمياء العامة والتحليلية، وعلم الحيوان وعلم النبات، وعلم الأمراض النباتية، وزراعة الكروم والبستنة والفواكه، وصناعة النبيذ والهندسة الزراعية⁽⁴⁾، والجانب التطبيقي في تدريس البنات على الخياطة والتطريز بطرق احترافية، إضافة إلى ذلك طرق ترتيب المنازل والاعتناء بالنظافة، والطبخ وباقي واجبات المنزل⁽⁵⁾، وكان عدد الطلبة المقبولين في مدرسة الزراعة بالجزائر (تسمى l'Ecole de Maison-

(1) شارل روبري (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 526.

(2) المرجع نفسه، ص: 537.

(3) المرجع نفسه، ص: 682.

(4) Jonnart (M.C), Exposé de la situation générale de l'Algérie, Imprimeur du gouvernement général, Alger, 1906, P : 262.

(5) Tsourikoff Zénaïde, L'enseignement des Filles en Afrique du nord, Paris , 1935, P : 43.

(1) Carrée في الموسم الدراسي 1905-1906 هو 12، وكانت مدة التكوين بهذه المدرسة عامين، وتبلغ مساحة هذه المدرسة 56 هكتارا، منها 12 هكتار مخصص للاختبار والدراسات النباتية، وكان الهدف من هذا المشروع هو تشكيل أجيال المزارعين من ذوي الخبرة⁽²⁾، حتى يستفيد منهم الاستعمار في مشروعه الاقتصادي وهو الاستغلال الأمثل لثروات البلاد، فمثلا الاستلاء على الأراضي الخصبة كانت تحتاج إلى يد عاملة رخيصة تملك خبرة للزيادة في الإنتاج.

إن الاقتصاد الجزائري كان بحاجة إلى عمال يدويين فقط، ولهذا أكد المؤتمر الاستعماري سنة 1908، المطالبة بإلغاء التعليم الابتدائي بالنسبة للأهالي وتعويضه بتكوين مهني زراعي⁽³⁾، غير أن هذه السياسة لم يقتنع بها المكلف بالتعليم في الجزائر جانمير Jeanmaire الذي يؤكد أن التعليم المهني لن يؤدي بنتائج باهرة فضلا عن إفراغ التعليم الابتدائي من محتواه، كما أن المعلمين لم يكونوا يتقنون تعليم كل المهن ولا قادرين على التكفل بكل شيء⁽⁴⁾، ويكتب في Bulletin universitaire de l'Académie d'Alger في عددها التاسع والثلاثون (39): «إنني مقتنع بعد الشروع في التجربة وبعد فحص دقيق بأن هذا الإصلاح المراد بلوغه سوف يكون مستحيل التطبيق، وإذا حصل منه شيء فلن يعطي سوى نتائج تافهة بخصوص التعليم المهني مع إضعاف وتعقيم التعليم الابتدائي المعهود»⁽⁵⁾، ولهذا سيكون من أشد المعارضين للتعليم المهني.

إن نسبة 90 % من أبناء الجزائريين الذين قبلوا بالتعليم الفرنسي وجهوا للتعليم المهني والابتدائي من أجل الحصول على وظيفة متواضعة، في حين أن نسبة 10% فقط منهم من يوجه للتعليم العالي لتوظيفهم بعد تخرجهم في المناصب الإدارية "العليا"⁽⁶⁾، وكان الهدف من هذا التعليم كما يرى زهوني هو توفير "اليد العاملة التي يحتاج إليها المعمرون وكان له طابع سياسي يهدف إلى تعود أطفال الجزائريين على الخوف من المعمر والخضوع له بدون قيد أو شرط وإلى تجريدهم من دينهم وعروبتهم وبقى معظمهم بعد مغادرتهم

(1) تقع بالحراش حاليا.

(2) Jonnart (M.C), Exposé de la situation générale de l'Algérie, P : 262-264.

(3) غي (برفيلي)، المرجع السابق، ص: 26.

(4) شارل روبير (أجرون)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 947-948.

(5) المرجع نفسه، ص: 524.

(6) Linda Lehmil, « L'édification d'un enseignement pour les indigènes : Madagascar et l'Algérie dans l'Empire français », op.cit, P : 98.

المدرسة شبه أميين⁽¹⁾، وكان الجزائريون في حاجة إلى تعليم أرقى يسمح لهم بالاستفادة من الحضارة الغربية، وليس تعليماً يضمن لهم قوت عيشهم اليومي رغم أن له إيجابيات في تلك المرحلة التاريخية.

4-تدريس المرأة في الاستراتيجية الفرنسية:

أدركت الحكومة الفرنسية ضرورة تثقيف الفتيات رغم الصعوبات التي وجدتها، لأن المرأة ستكون أداة مفيدة في سياسة استيعاب الأهالي⁽²⁾، ولقد نصت المادة السابعة من مرسوم سنة 1850، على انشاء مدارس في الجزائر العاصمة وقسنطينة والأصنام ووهران ومستغانم ثم يتم توسيعها إلى المدن الأخرى، وكانت مدرسة الجزائر العاصمة وقسنطينة أكثر نجاحاً، لأن بعض العائلات وافقة على تعليم بناتها، ورغم التحفيزات بتوزيع الخبز والملابس إلا أن عدد الفتيات لم يتجاوز 35 أو 40 في عام 1880⁽³⁾، وفي عام 1887، كان هناك تسع مدارس للفتيات ووصلت لعشر مدارس سنة 1890⁽⁴⁾، فبدأ مشروع تعليم المرأة يتطوّر لما لها من تأثير في تغيير عادات وتقاليد المجتمع.

كتبت السيدة أليكس⁽⁵⁾ إلى وزير الحربية عن أهمية المرأة في المعركة الثقافية: «إن أقوى عنصر من حيث التأثير في إفريقيا، وكما عليه الحال في أوروبا هو المرأة فإذا تمكنت من استقطاب 100.000 من بنات الأهالي وإشباعهن بمبادئ حضارتنا بحيث يؤخذن من مختلف فئات المجتمع، وأعراق الإيالة ستصبح هذه الفتيات بحكم الظروف الزوجات المفضلات للرجال ذوي المكانة المرموقة ضمن فئة التي ينتمين إليها في المجتمع، ومن تم يضمن إلى الأبد خضوع البلد»⁽⁶⁾، ولتطبيق تلك السياسة سمح مرسوم سنة 1887 للبنات بالتردد على المدارس الفرنسية المختلطة، غير أن المداومة على الحضور من طرف البنات كانت ضعيفة جداً إلى درجة أن المعلمات طالبن بفرض إلزامية التعليم⁽⁷⁾، وارتفاع نسبة الغياب دليل على عدم الاستجابة التامة من طرف فتيات الجزائريين.

(1) الطاهر (زرهوني)، المرجع السابق، ص: 20-21.

(2) Tsourikoff Zénaïde, L'enseignement des Filles en Afrique du nord, op.cit, 1935, P36.

(3) Ibid, P : 38.

(4) Ibid, P : 41.

(5) كانت تعرف كذلك بالسيدة لوس (Luce)، اشتهر اسمها في الجزائر ما بين 1845 و1855، وقد سعت جاهدة لتعليم المرأة الجزائرية وأنها المفتاح لنشر الحضارة الفرنسية في المجتمع الجزائري.

(6) ايفون (توران)، المرجع السابق، ص: 60.

(7) شارل رويبر (أجران)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 586.

في سنة 1890-1891 وصل عدد مدارس البنات في الجزائر إلى 10 وكان أهمها مدرسة تادارت أوفلا، وهي مدرسة داخلية تحولت إلى شبه مدرسة لتكوين المعلمات، وكانت مدارس أخرى في قصر الشلالة وندرومة وبجاية وقسنطينة بقطع النظر عن مدارس الحضانة الخمس في كل من جرجرة وجيجل وقرقور⁽¹⁾، وركزت أغلبها على التكوين الفلاحي للبنين والحيطة للبنات.

يتشكل سلك التدريس من معلمات وممرضات أغلبهن فرنسيات، ولنذكر بعض الاحصائيات عن عدد البنات في المدارس الفرنسية خاصة الحرفية، حيث وصل عددهنّ إلى 1690 بنتا في سنة 1902، غير أن العدد لم يتوقف بعد ذلك عن التزايد؛ فبلغ 2.300 تلميذة في سنة 1905، ثم 3.300 في سنة 1909، ثم 3.992 في سنة 1914، كن يتعلمن اللغة الفرنسية والتطريز وغزل الصوف ونسج الزرابي، كما تم تمرينهن على الأشغال المنزلية والحيطة والسرد، ولم تكن التلميذات يأتين سوى من أوساط اجتماعية متواضعة جدا⁽²⁾، وكان يفرض عليهم الحجاب بعد سن الحادي عشر.

رفض معظم الجزائريون إرسال بناتهم إلى المدرسة الفرنسية، ولهذا استعصى على الادارة الاستعمارية فتح عدد أكبر من المدارس الخاصة للبنات «ولم يتمكنوا من فتحها إلا باستقدام البنات اليتيمات، أو بنات الأسر الفقيرة التي قدمت لها إغراءات مالية، وكان التحاق البنات بالمدرسة الفرنسية مجلبة للاحتقار، وصارت البنات المتعلمات فريسة للعنوسة، بسبب عزوف الشباب عن الزواج بهن⁽³⁾، وبعد العقد الثاني من القرن العشرين أصبح تعليم الفتيات أمر عادي بل ضروري في نظر الحركة الاصلاحية، وهو ما سيساهم في تغيير نظرة المجتمع للمرأة المتعلمة، وقد تحركت الجرائد وناقشت في مقالاتها هذا الموضوع ومنها جريدة الرجاء التي كتب فيه ما يلي "وكيف تقدر المرأة أن تقوم بحق التربية لأولادها إذا كانت جاهلة للمبادئ والاصول المبنية عليها (التربية) مأخوذة من اختبارات عيال وأجيال عديدة، وهل تعرف من نفس طبيعتها ما هي الطريقة الأحسن لاقتياد الولد للخضوع والطاعة مثلا، لما نرى كثيرا من الأمهات لا يعرفن طرق المحافظة على الأولاد ونتائج ذلك أوضح من أن نبيّنه"⁽⁴⁾.

(1) المرجع نفسه، ص: 586.

(2) المرجع نفسه، ص: 586-587.

(3) محمد أرزقي (فراد)، «التعليم الفرنسي ببلاد الزواوة خلال فترة الاحتلال»، الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، عنابة-الجزائر، يومي 14-15 جوان 2009، ص: 63.

(4) تعليم النساء، جريدة الرجاء، السنة الأولى، ع08، 24 أيار 1895.

ثانيا: المؤسسات التعليمية

1-مدارس التعليم الابتدائي:

يعتبر التعليم الابتدائي القاعدة الأساسية لتكوين النشء، وتوجيهه حسب السياسة التعليمية المعتمدة، كما أنه المنطلق الحقيقي في تحقيق سياسة الدمج، فلجأ منظرو الاستعمار والمناهج التربوية تقسيم التعليم الابتدائي إلى ثلاث مراحل وهي: المرحلة التحضيرية، ثم مرحلة الطور الأول، ثم مرحلة التعليم الرئيسي⁽¹⁾، فالمرحلة الأولى يتم فيها تحضير الطفل نفسيا، وطريقة الكتابة والقراءة ليمهد للمرحلة الثانية، ثم المرحلة الثالثة التي يتحصل فيها على شهادة التعليم الابتدائي الأساسي.

كان عدد التلاميذ في المدارس العربية-الفرنسية 1.150 أو 3.172 تلميذا سنة 1880⁽²⁾، وهو عدد ضئيل مقارنة بعدد السكان، ولهذا لجأت الإدارة الاستعمارية إلى إنشاء المدارس الوزارية كسياسة جديدة من أجل نزع سلطة البلديات على مدارس التعليم الفرنسية ووضعها تحت الرقابة الوزارية؛ «حيث قرر المرسوم الوزاري الصادر في 09 نوفمبر 1881 بإنشاء ثمانية "مدارس وزارية" في بلاد القبائل»⁽³⁾، لكن تم بناء أربعة فقط بسبب ضغط المستوطنين واستجابة الوالي العام لهم، وتوزعت المدارس الأربعة على تيزي راشد، تاوريرت، ميرا، وجمعة الصهاريج، وفي سنة 1884 أصبح عدد المدارس الوزارية ست مدارس، وعدد التلاميذ المسجلين ستمائة تلميذ⁽⁴⁾، وقد انشأت هذه المدارس نتيجة النزعة التربوية لجول فيري، لكن هذا المشروع لم يتطور بسبب معارضة المستوطنين والضغط على الحاكم العام في الجزائر بعدم تطبيق تلك السياسة.

إن المستوطنين همهم الوحيد هو الحفاظ على امتيازاتهم ومكانتهم، بينما جول فيري كان يفكر في مستقبل الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية، فهزيمة فرنسا في الحرب البروسية هو نتيجة اتراجع المنظومة التربوية والتعليمية في فرنسا، وقد يؤثر على انتشار الحركات الانفصالية داخل الامبراطورية، فأصدر قانون اجبارية التعليم 1882، والقانون الخاص بالجزائر سنة 1883، مما ساهم في رفع عدد المدارس والتلاميذ بعد هذه السنة؛ ففي وثيقة عن التعليم الأهلي ضمن منشورات الحكومة العامة نشرت في كتاب نصوص ووثائق في

(1) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في العهد الاستعماري، المرجع السابق، ص: 91.

(2) Guy Perville, les étudiants algériens de l'université française 1880-1962, Edition Casbah, Algérie, 2004 , P : 18.

(3) شارل روبيير (أجران)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 615.

(4) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 74-75.

تاريخ الجزائر تضمنت عدد المدارس التي أنشئت في فترة (1883-1887) والمقدرة بـ 50 مدرسة موزعة على النحو التالي: «منها 29 في عمالة الجزائر، و23 في عمالة قسنطينة، و07 مدارس في عمالة وهران»⁽¹⁾، وقد تطور عدد التلاميذ من 4.094 تلميذ سنة 1883 إلى 9.064 تلميذ سنة 1887، ثم ارتفع العدد إلى 23.823 تلميذ سنة 1898، وهكذا يكون معدل الزيادة السنوية هو 13 مدرسة و32 قسما، وحوالي 2.000 تلميذ، فالجهودات كما هو واضح معتبرة إلا أنها غير كافية إذا ما ذكرنا بأن عدد الأطفال الذين هم في سن الدراسة يقدر بحوالي 680.000⁽²⁾، ومعنى هذا أن نسبة التمدريس لم تصل إلى واحد بالمئة، ومن بين 170 طفل هناك طفل واحد سجل اسمه المرحلة التحضيرية وقد ينتهي مشواره فيها لبعد المسافة وقلة الامكانيات.

إن الحماس الموجد في أروقة الوزارة والادارة لم يقابله حماس بمستواه في تطبيق وتنفيذ تلك القوانين والتعليمات؛ حيث استنكر تقرير التفتيش عام 1888 عدم تشابه بين البرامج التعليمية الموجودة في فرنسا والبرامج التعليمية المطبقة في الجزائر، كما قدم مشروع سنة 1889 للتركيز على التعليم المهني⁽³⁾، ومع نهاية عقد الثمانينيات من القرن التاسع عشر كان عدد المدارس الخاصة بالأهالي خمسة وسبعون مدرسة، منها ثلاث مدارس رئيسية فقط التي تتيح لتلامذتها إمكانية متابعة دراستهم حتى الشهادة الابتدائية، وتسعة وثلاثون مدرسة للطور الابتدائي الأول (Ecole Élémentaire) وثلاثة وثلاثون مدرسة يوطرها ممرنون للتعليم التحضيري تشتمل هذه المدارس للأطوار الثلاثة على مائة وخمسة وعشرين قسما يضاف إليها تسعة وعشرون قسما ملحقا بالمدارس الفرنسية، وتشير الاحصائيات إلى أن عدد الأطفال المتمدسين في جميع المدارس العمومية والخاصة سنة 1890 يزيد قليلا عن إحدى عشر ألف تلميذ⁽⁴⁾، وهذا يعني أن نسبة التعليم تحسنت في فترة 1887-1890.

تعد سنة 1892، بداية الانطلاقة الحقيقية في رسم السياسة التعليمية في الجزائر؛ فقد دعا وزير التعليم العمومي بورجوا أمام مجلس الشيوخ سنة 1892 إلى ضرورة اعتماد برامج تعليمية في الجزائر حسب

(1) عبد الحميد (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المرجع السابق، ص: 230.

(2) المرجع نفسه، ص: 230.

(3) Linda Lehmil, « L'édification d'un enseignement pour les indigènes : Madagascar et l'Algérie dans l'Empire français », op.cit, P : 105.

(4) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 84.

طبيعة البلاد، وتجنب النقل الحربي للبرامج الموجودة في فرنسا لاختلاف الظروف⁽¹⁾، وقدم السيد كامبس دراسة شاملة عن قضية التعليم الابتدائي عند الأهالي وطريقة إصلاحها، ونوقشت في مجلس الشيوخ الفرنسي بتاريخ 5 أفريل 1892، حيث طالب بإجراء مجموعة من الإصلاحات منها:

- 1- أن يتم تنظيم التعليم الابتدائي وفقا لخطة مدروسة حسب المناطق بداية المدن المختلطة الكبيرة، والقبائل الصغيرة، والمدن التي تعاني من نقص المدارس الموجهة لتعليم أبناء الجزائريين المسلمين.
- 2- أن تتوفر هذه المدن على العدد الكافي للمدارس من أجل استيعاب الأطفال الذين هم في سن الدراسة.
- 3- تنظيم المدارس وتقسيمها إلى ثلاثة: أساسية ويرأسها مدير فرنسي، وابتدائية ويرأسها معلم فرنسي، وتحضيرية ويديرها مساعد تربوي.
- 4- يتم اعتماد البرنامج التعليمي التي وضعته إدارة أكاديمية الجزائر العاصمة بالتنسيق مع وزير التعليم العمومي 1890⁽²⁾.

- 5- تقام دورات التعلم في العمل اليدوي والتعليم الزراعي في المدارس الكبرى وفقا لبرنامج 1890.
 - 6- التنسيق بين وزير التعليم العمومي والحاكم العام في الجزائر والادارة العليا لتعليم الأهالي في إنشاء المدارس وتوزيعها جغرافيا واستخدام اعتمادات الميزانية المخصصة للتعليم واستحقاقات الموظفين، كما يقدم الحاكم العام كل سنة للوزير لحة عامة عن المدرسة، من أجل تطبيق اعتمادات الميزانية، ووضع مخطط عام لتأسيس المدارس ويتم الموافقة عليه من طرف مجلس الحكومة، كما يكلف الحاكم العام بالإشراف على التعليم المهني والزراعي.
 - 7- يتم إنشاء مدارس للبنات ورياض الأطفال في المدن المختلطة، وتعطى الأولوية في برامج تلك المدارس إلى ممارسة الإبرة والرعاية المنزلية، ويتم الإشراف على هذه المدارس من طرف أساتذة اللغة العربية، أو أساتذات اللغة الفرنسية، أو من الأخوات ويساعد المشرف مساعد تربوي من الجزائريين⁽³⁾.
- كما أوصى التقرير برفع أجور مفتشي المدرسة الابتدائية وزيادة المنح من أجل مراقبة دقيقة للمدارس الابتدائية، وفي ختام التقرير يذكر أن هذه المقترحات سيتم تسويتها عبر المراسيم الجمهورية⁽⁴⁾.

⁽¹⁾Combes (M) , Instruction publique, Revue algérienne et tunisienne de législation et de jurisprudence , N° 09 publiée par l'École de droit d'Alger , 1893, P : 52.

⁽²⁾Ibid, P : 47-48.

⁽³⁾ Ibid, P : 48-50.

⁽⁴⁾ Ibid, P : 50.

وضعت أكاديمية الجزائر في السنة نفسها مخطط آخر لنشر التعليم بين الأهالي، أعطت الأولوية لإنشاء المدارس كخطوة أولى، في كل من منطقتي القبائل الكبرى والصغرى، وفي تسع عشرة مدينة وهي: الجزائر، وهران، قسنطينة، البليدة، المدية، شرشال، مليانة، تلمسان، مستغانم، معسكر، سيدي بلعباس، تيزي وزو، دلس، سطيف، بجاية، باتنة، عنابة، قلمة، بسكرة، ويوجد بهذه المناطق ستين ألف طفل في سن الدراسة⁽¹⁾، وهذه المناطق استراتيجية متوزعة بين شرق الجزائر وغربها وجنوبها.

واستجابة لتلك النصائح والتقارير، صدور مرسوم جديد في 18 أكتوبر 1892؛ أكد مبدأ مدارس التعليم العام مفتوحة أمام الأطفال الجزائريين مثلهم مثل الأطفال الأوربيون وبنفس الشروط، كما أن مدارس التعليم الأهلي هي أيضا مفتوحة في وجه الأطفال الفرنسيين والأجانب الذين يريدون التسجيل فيها⁽²⁾، وقد خصص البرلمان اعتماديا ماليا إضافيا لسنة 1892-1893 بمبلغ أربعمئة ألف فرنك لإنشاء المدارس، ومبلغ مائة وخمسين ألف فرنك للمرتبات والتعويضات⁽³⁾، فقرارات هذا المرسوم تعطي بعدا اجتماعيا في المنظومة التربوية بدمج المجتمع الجزائري في المجتمع الاستيطاني، وتسهيل احتكاك أطفال الجزائريين بالثقافة الفرنسية.

ارتفع عدد تلاميذ الجزائريين في المدارس الفرنسية نتيجة الإصلاحات و اجبارية التعليم «ويرجع سبب ارتفاع عدد التلاميذ في المدارس إلى قانون إجبارية التعليم؛ حيث تطوّر عدد الأطفال الجزائريين الذين كانوا يؤمّون المدرسة الفرنسية، فقد كان عددهم سنة 1879 على سبيل المثال لا يزيد عن 3172، وفي سنة 1892؛ أي بعد الإصلاحات التي أقرها قانون جول فيري، بلغ العدد 11500»⁽⁴⁾، وتدلل إحصائيات أخرى أن عدد التلاميذ الجزائريين وصل إلى 12263 تلميذ، سنة 1892؛ أي في ظرف عشر سنوات، تزايد العدد بنسبة 800 تلميذ سنويا، ورغم ذلك فإن هذه الأعداد قليلة مقارنة بعدد الأطفال الذين بلغوا سن الدراسة، ولنأخذ على سبيل المثال إحصائيات 1889؛ بعد ست سنوات من صدور مرسوم إجبارية التعليم:

- عدد الأطفال ذكورا وإناثا الذين بلغوا سن التمدرس من سن 6 إلى 13 سنة: 535.389 .

- عدد المسجلين في المدارس الابتدائية: 10.631.⁽⁵⁾، بنسبة تقدر بـ 1.98، وتلميذ من بين 50 طفل.

(1) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في العهد الاستعماري، المرجع السابق، ص: 96-97.

(2) المرجع نفسه، ص: 90.

(3) المرجع نفسه، ص: 97.

(4) أحمد (منور)، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي؛ نشأته وتطوره وقضاياها، المرجع السابق، ص: 66.

(5) الطاهر (زرهوني)، المرجع السابق، ص: 15.

إذا نظرنا إلى هذه الاحصائيات فمن بين 100 طفل يتعلم طفلان. أي بنسبة 2%، بينما وصلت نسبة التمدرس لدى المستوطنون 84% نهاية القرن التاسع عشر؛ حيث وصل عدد المسجلين 78.531 طفل من بين 93.531 طفل بلغ سن الدراسة⁽¹⁾، فالواقع يدل أن فئة جد ضئيلة من الجزائريين القاطنين في المدن الكبرى قبلت بتوجيه أولادها إلى المدرسة الفرنسية دون التخلي عن أصولها الثقافية والدينية، فقد كان ينظر إلى هذا السلوك كنوع من الخضوع والقبول بالأمر الواقع⁽²⁾، كما أن الظروف الاجتماعية لم تسمح للجميع بإرسال أبنائهم للمدرسة.

بدأ تواجد عدد التلاميذ في المدارس الفرنسية بتزايد مستمر مع مطلع القرن العشرين "فكان عدد التلاميذ الذين التحقوا بالمدرسة الفرنسية 25000 تلميذ سنة 1900"⁽³⁾، وفي عام 1901 كان مجموع التلاميذ والطلاب من كلا الجنسين، مسلمون وأوروبيون 199.734، بحيث كان نصيب الذكور من هذا العدد 140.551، بينما كان نصيب الإناث من عدد هذه المقاعد الدراسية 59.183 مقعداً⁽⁴⁾، وقد بلغت تكاليف التعليم العمومي الموجه لأبناء الجزائريين 1.116.702 فرنك لسنة 1901⁽⁵⁾، وهو مبلغ ضعيف لأنه لا يمثل حتى العشر من الضرائب التي كان يدفعها الجزائريون فمثلاً قدرت سنة 1895 بـ 16.187.092 فرنك⁽⁶⁾؛ وكتب رئيس بلدية Guillotville (عين البنيان حالياً) في احتجاج له بأن: "تتوزع مصاريف التعليم العمومي كما يلي: 52 فرنك لكل تلميذ فرنسي، و2 فرنك لكل تلميذ أهلي"⁽⁷⁾؛ أي بنسبة 4% من ميزانية التعليم موجهة لأبناء الأهالي، و96% مخصصة لأبناء المستوطنين رغم قلة عددهم.

(1) المرجع نفسه، ص: 18.

(2) جمال (خرشي)، المرجع السابق، ص: 360.

(3) المرجع نفسه، ص: 361.

(4) مصطفى (زايد)، التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر (1962-1980)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص: 110.

(5) Barbedette (M), Rapport au nom de la commission des finances chargée d'examiner les projets budgétaires votes par les délégations financières, conseil supérieur de l'Algérie, Alger, 1906, P : 15.

(6) Coppolani Xavier et Octave Depont, les confréries Religieuses musulmanes, Alger, 1897, P : 243.

(7) شارل رويبر (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 946.

بادر جونا ر بإصلاحات عند تعيينه كوالي عام على الجزائر، كما حاول التقرب إلى الجزائريين وهو ما انعكس على التعليم وإرسال الجزائريون أبناءهم إلى المدارس الفرنسية؛ فضلا عن عدد التلاميذ في المدارس فقد بلغ عدد الأقسام المفتوحة للأهالي 97 قسما في فترة من سنة 1901 إلى 1906 وعدد التلاميذ فيها 3880 تلميذ⁽¹⁾، بينما استفاد الأوروبيون من فتح 497 قسما⁽²⁾، وهو ما يدل على الفرق الشاسع في الاستفادة من المؤسسات التعليمية، وازدواجية التعامل في السياسة التعليمية الاستعمارية اتجاه أبناء الأهالي وأبناء المستوطنين.

ويقدم لنا الأستاذ ناصرالدين سعيدوني احصائيات حول نسبة تدرس أطفال الجزائريين مقارنة بأبناء الأوروبيين، فمن بين 68 ألف طفل متمدرس يوجد فقط 23823 طفل جزائري سنة 1898، و24975 طفل جزائري من بين 140551 طفل متمدرس في الجزائر سنة 1901، وقبل ثلاث سنوات من الحرب العالمية الأولى عدد أطفال الجزائريين في المدارس الفرنسية يقدر بـ40778 من أصل 177757 طفل⁽³⁾، في حين أن الجزائريين يمثلون تسعة أعشار سكان الجزائر، ورغم ذلك فتلك الاحصائيات مبالغ فيها وغير دقيقة، فعمليات التفتيش لم تكن فجائية وإنما كانت رسمية، مما يجعل أغلب التلاميذ يرتادون المدرسة مواسم التفتيش. ارتفع عدد المدارس الحكومية الابتدائية الموجهة للجزائريين عام 1905 إلى 256 مدرسة و476 قسم، وعدد المدارس الخاصة 14 انشأتها الجمعيات المسيحية، ونقدم جدول عن تطوّر عدد التلاميذ الجزائريين في المدارس الفرنسية في فترة 1882-1903⁽⁴⁾:

السنة	عدد التلاميذ	عدد المدارس والأقسام
1882	3.172	-
1883	4.095	923
1884	4.821	726
1885	5.695	874

(1) شارل رويبر (أجران)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 542.

(2) المرجع نفسه، ص: 682.

(3) ناصر الدين (سعيدوني)، الجزائر منطلقات وآفاق؛ مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2000، ص: 34.

(4) Jonnart (M.C), Exposé de la situation générale de l'Algérie, op.cit, P : 373.

1.646	7.341	1886
1.723	9.064	1887
1.574	10.638	1888
575	11.206	1890
141	11.347	1891
916	12.263	1892
1.176	13.439	1893
3.335	16.794	1894
2.889	19.683	1895
1.339	21.022	1896
1.446	22.468	1897
1.355	23.823	1898
304	24.127	1899
438	24.565	1900
719	25.284	1901
637	25.924	1902
1.527	27.448	1903

إن هذه الاحصائيات التي قدمتها التقارير لا تؤكد صحة الواقع، لأن نفس التقارير أقرت بارتفاع نسبة الغياب «كانت نسبة تغيب التلاميذ جد مرتفعة، تفيد تقارير التفتيش بلغت نسبة الغياب 20.53% من مجموع التلاميذ المسجلين في المدارس الأهلية بعمالة الجزائر، و25.8% في قسنطينة؛ و26.32% في تيزي وزو ولا شك أن التلاميذ كانت تكتظ بالتلاميذ يوم حضور المفتش ثم تفرغ بعد ذلك»⁽¹⁾، لأنه لا يوجد رغبة حقيقية من الإدارة المحلية في تطبيق السياسة التعليمية.

⁽¹⁾ شارل رويير (أجران)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 953.

حاولت الادارة الاستعمارية إصلاح المنظومة التعليمية في الجزائر نهاية العقد الأول من القرن العشرين، حيث اقترح السيد جاكسيه GASQUET في اجتماع لجنة التعليم في 10 أوت 1909: إعادة مناقشة قانون التعليم الإلزامي على مستوى البرلمان، وان تكون المدة القانونية لسن التعلم بين 6 و13 سنة مع الأخذ في الاعتبار الحالات الاستثنائية، تكوين وتأطير جميع المعلمين بتفعيل المؤتمرات والندوات، التعاون مع الجمعيات في العملية التعليمية مثل جمعية علم النفس الطفولة، يجب أن تكون أساليب التعليم الابتدائي ملموسة وفعالة، كما يجب أن تعطى أهمية كبيرة لممارسة الرياضة البدنية⁽¹⁾ في المدرسة الابتدائية (النظافة والألعاب والجمباز)، وفيما يتعلق بالتربية الأخلاقية يجب علمنتها وإبعاد الدين في التدريس، وإجراء إصلاحات في برامج الفرنسية والتاريخ والجغرافيا والأعمال اليدوية⁽²⁾، ولهذا أخذ منحى التلاميذ الجزائريون في المدارس الفرنسية شكلا تصاعديا، ففي سنة 1908 كان العدد حوالي 33.400؛ أي نسبة 4.3%، وارتفع العدد إلى 47.200 تلميذ سنة 1914 بنسبة 5%⁽³⁾، وارتفاع العدد يرجع إلى استجابة الجزائريون وتقبلهم التعليم الفرنسي من جهة والتطبيق الميداني لإلزامية التعليم، خاصة مع ظهور قانون التجنيد الإلزامي، ورغبة فرنسا في تجنيد عدد أكبر من الجزائريين استعدادا للحرب العالمية الأولى.

إن محتوى الدروس المقدمة في المرحلة التحضيرية والابتدائية متنوعة نذكر على سبيل المثال في مادة الجغرافيا يدرسون أنواع المجاري المائية وأنواع البحار وتضاريس سطح الأرض، وفي الحساب التدريب على العمليات الحسابية الأربعة من 1 إلى 20، وفي الرسم التعريف بالأشكال الهندسية البسيط مثل المربع والمستطيل والمثلث، وبالنسبة للطور الابتدائي تمارين في اللغة مثل التعريف بالفعلين المساعدان (Etre -)

⁽¹⁾أوصت العديد من التقارير والدراسات الطبية على ضرورة تفعيل الأنشطة الرياضية في مناهج التعليم، ومنها دراسة الطبيب بمستشفى قسنطينة هنري مالبوت الذي أشار إلى الأنشطة الرياضية وتأثيرها على صحة الانسان والوقاية من الأمراض خاصة للأطفال وأوصى بإدراجها في مناهج ومقررات التدريس، مستشهدا بأن الرومان انتبهوا مبكرا لفائدة الرياضة على جسم الانسان فشيّدوا الملاعب لممارسة مختلف الألعاب الرياضية. ينظر :

Henri Malbot, L'art D'élever les enfants en Algérie, Constantine- Algérie, 1899, P : 78-79.

⁽²⁾GASQUET (M), «commission de l'allègement et de l'adaptation des programmes», Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, 4^{me} année, N° 12 , 1909, P : 09-11.

⁽³⁾Guy Perville, les étudiants algériens de l'université française 1880-1962, op.cit, P : 18.

Avoir، وتصريفهما، الحروف الملحقة بالأسماء عند استعمالها في صيغة الجمع، وفي مادة الأخلاق يتم التركيز على الجوانب الإيجابية في السلوك مثل: الجد، الوفاء، الاخلاص في العمل، وتقبيح الجوانب السلبية كالكسل⁽¹⁾، كما تتناول دروس الأخلاق القوانين العامة المتحكمة في العمل والتضامن أي تلك القوانين التي تعتبر كل عمل نزيه شرفاً⁽²⁾ وبالنسبة لمادة التاريخ يتم التركيز على إبراز الصفات الحميدة لشخصيات مختارة من التاريخ الفرنسي كالشجاعة، الوطنية، الصدق⁽³⁾، وقد وضعت هذه البرامج من أجل خدمة الاستعمار وتطبيق فكره في الجزائر.

وقد انتقد Compes في تقرير له طريقة تدريس المعلمين المساعدين والممرين "والتي تشبه الطريقة المتبعة في الزوايا والكتاتيب القرآنية التي تعتمد على الحفظ والذاكرة ففي مادة اللغة Langage، وهي مادة أساسية في الطور التحضيري، كثير من المعلمين لا يعرفون تلقين اللفظة وتوصيلها لذهن التلميذ بالشيء الملموس أو المحسوس، وآخرون يتوقفون طويلاً عند القواعد النحوية المجردة والتوسع فيها مما يجعل التلميذ يشعر بالتيه والضياع وما ينجم عنه من إحباط والشعور باليأس، سجل أحد المفتشين في تقريره أن معلماً في مدرسة مستغانم كرّس ساعة كاملة لشرح مختلف الاستعمالات لكلمة quelque أي بعض، لأطفال في المرحلة التحضيرية في مادة المطالعة التوضيحية فالشرح يدور حول قواعد اللغة بدل التركيز على شرح مدلولات الأشياء واستخراج من الكلمات المكونة للجملة معاني محددة ترسخ في الذاكرة"⁽⁴⁾

وبالنسبة لمرحلة التعليم الأساسي؛ في مادة اللغة يتم التدريب على المحادثة كوصف مأدبة عشاء في إحدى المناسبات العائلية، كما يتم التدريب على استعمال الضمائر وبناء أنواع الجمل، وفي مادة الأخلاق تتمحور حول الطاعة والانضباط، وفي مادة التربية البدنية يتم تعريف التلاميذ بمؤسسات الدولة كالوالي العام ومجلس الحكومة، وفي مادة الجغرافيا يتم التعريف بالدول الأوروبية الكبرى، وفي مادة الحساب يرتقي التلميذ للتعرف على الكسور وفي الرسم على الأشكال الهندسية المركبة⁽⁵⁾.

(1) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في العهد الاستعماري، المرجع السابق، ص: 94.

(2) غني (برفيلي)، المرجع السابق، ص: 35.

(3) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في العهد الاستعماري، المرجع السابق، ص: 94.

(4) المرجع نفسه، ص: 86.

(5) المرجع نفسه، ص: 94.

تم التركيز في المناهج التربوية على ضرورة نشر وتعليم اللغة الفرنسية، والجدول التالي يبين لنا توزيع الحجم الساعي للمواد التعليمية للأطوار الثلاثة في من الجزائر ومدغشقر⁽¹⁾ اللاتان خضعتا للاستعمار:

	Langue française			Langue « indigène »			Autres matières		
	CP	CE	CM	CP	CE	CM	CP	CE	CM
Algérie	15 h	11 h ½	5 h 1/2	2h½	2h 1/2	2h 1/2	12 h 1/2	16 h	22 h
Madagascar	8 h	8 h	7 h	7 h	6 h	4 h	15 h	15 h	15 h
France	17 h ½	14 h ½	12 h	/	/	/	12 h 1/2	15 h 1/2	18 h

ونلاحظ من خلال الجدول⁽²⁾ أن الحجم الساعي لتدريس الفرنسية في الجزائر أكثر منه في مدغشقر، ويتقارب مع الحجم الساعي في فرنسا، بينما الحجم الساعي لتدريس اللغة العربية في الجزائر أقل من الحجم المخصص لتدريس اللغة المحلية في مدغشقر، وهو ما يؤكد على رغبة الاستعمار الفرنسي في دمج الجزائر أرضا وشعبا. كما يوضح الجدول توزيع الحجم الساعي الأسبوعي بين اللغة الفرنسية وبقية المواد التعليمية في الأطوار الثلاثة سنة 1898⁽³⁾:

Matières d'enseignement المواد التعليمية	Cours préparatoire المرحلة التحضيرية	Cours élémentaire المرحلة الأساسية	Cours moyen مرحلة المتوسط
Education morale أخلاقيات التعليم (التربية الأخلاقية)	/	1 h	1 h
Langue française (langage, lecture, écriture, exercices écrits) اللغة الفرنسية	15 h	11 h 1/2	5 h ½
Calcul et système métrique الحساب والنظام المترى	5 h	5 h	5 h
Dessins (et travaux manuels en CP) الرسم	2 h ½	2 h 1/2	1 h ½
Agriculture et travail manuel الفلاحة والعمل اليدوي	/	2 h 1/2	3 h
Langue arabe اللغة العربية	2 h ½	2 h 1/2	2 h ½
Connaissances usuelles (économie domestique, hygiène, notions scientifiques, législation usuelle) مهارات معرفية (الاقتصاد المنزلي والنظافة والمفاهيم العلمية،	/	/	5 h
Notions sur la France et l'Algérie (historiques, géographiques, administratives) مبادئ حول فرنسا والجزائر	/	/	1 h ½

⁽¹⁾مدغشقر هي دولة جزرية في المحيط الهندي قبالة الساحل الجنوبي الشرقي لأفريقيا، واسمها القديم الجمهورية المالاجاشية، اللغة المحلية هي الملاغاشية تنتمي إلى لغات الملايو بولينيزية المنشأ، ويتحدث بها في جميع أنحاء الجزيرة، في 1883 غزت فرنسا مدغشقر وخاضت حروب مع حكم الميرينا الملكي، واستمرت إلى غاية نهايته 1896 وتم ضمها إلى المستعمرات الفرنسية. .

⁽²⁾ Linda Lehmil, « L'édification d'un enseignement pour les indigènes : Madagascar et l'Algérie dans l'Empire français », op.cit, P : 108.

⁽³⁾Ibid, P : 111.

اللعب Récréations, chants, marches et mouvements gymnastiques والموسيقى والجمباز	5 h	5 h	5 h
---	-----	-----	-----

ونلاحظ من خلال الجدول التركيز في المرحلتين الأوليتين على تعليم اللغة الفرنسية، ففي المرحلة التحضيرية تمثل نصف الحجم الساعي، وفي المرحلة الأساسية ما نسبة 40 %، بينما تحظى اللغة العربية بساعتين ونصف فقط في الأسبوع.

تخضع المدارس للتفتيش، ويتم تعيين المفتش بعد اجتياز مسابقة يشترط فيها أن لا يقل عمره عن 25 سنة، وأن يكون له معرفة باللغة العربية واللغة القبائلية، وأن تكون له خبرة لمدة عامين كمندوب للتفتيش، وبعد ذلك يمنح شهادة الكفاءة في التفتيش⁽¹⁾، وهذا يدل على الحرص الاستعماري في مراقبة المدارس وما مدى خدمتها للاستعمار، ويشرف على هذه المدارس معلمون فرنسيون، وقد نص المرسوم الرئاسي 15 ديسمبر 1906، فقد تضمنت المادة السادسة أن يكون مساعدي الإدارة من الأهالي في المدارس الأهلية، ويحدد عددهم في بلدية الحاكم العام⁽²⁾، وتتكلف المجالس المدرسية وبإشراف المفتش الرئيسي، في وضع قائمة للتلاميذ في سن الدراسة والتشاور حول أفضل الطرق لسير الدراسة بشكل عادي ومنتظم⁽³⁾، كما يشاركونهم في ذلك المجلس البلدي وباستشارة أعيان البلاد.

أما حالة المعلمين؛ ففي تقرير للجنة تفتيش برئاسة فرانسيس جورج ويبريه التي زارت فورنسيونال Fort-National بتاريخ 24 مارس 1907، أنه يوجد شعور بالضيق لدى المعلمين بسبب صعوبة المعيشة، وقلة الخدمات البريدية والرعاية الطبية، وندرة المواصلات والتنقل إلى بعض المناطق الجبلية على ظهر البغال، في المقابل عدم وجود تعويضات مالية، وهو ما جعل اللجنة توصي بضرورة حل تلك المشاكل للمعلمين وتكثيف المعلمين الفرنسيين في المدارس الأهلية كما جاء في تقرير اللجنة: "المعلم الفرنسي هو محور التعليم الأهلي، وجوده ضروري في أي مدرسة لضمان النجاح"⁽⁴⁾ أي نجاح السياسة التعليمية الاستعمارية،

⁽¹⁾ ينظر المادة 58:

⁽¹⁾ Décret du 15 décembre 1906, Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, op.cit, P : 19-20.

⁽²⁾Ibid, P : 12.

⁽³⁾ ينظر المادة 8 من المرسوم الرئاسي 15 ديسمبر 1906:

Décret du 15 décembre 1906, Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, op.cit, P : 12.

⁽⁴⁾Passage dans le cadre français Rapport de la commission , Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, 2^{me} année, N°3 , 1907 , P : 18.

وهناك معاناة أخرى للمعلمين تتمثل في عدم وجود وسائل التدفئة في الشتاء وتلوث المياه وبعد المراكز الصحية حيث تستغرق المسافة للوصول إلى الطبيب من 30 إلى 100 كلم، واستئجار سيارة يتطلب 20 إلى 100 فرنك، كما أن رحلة السفر لرؤية العائلة والأصدقاء في العطلة مكلفة جدا ودون تعويض جزئي أو كلي من الحكومة⁽¹⁾، وهو ما جعل رابطة معلمي المدارس الأهلية ترسل السلطات الاستعمارية من أجل لتكفل بمشاكل المعلمين وإيجاد منح وتعويضات.

وقد استمرت معاناة المعلمين في المدارس الأهلية رغم العرائض التي رفعتها رابطة المعلمين، ففي أحد التقارير لسنة 1912 يذكر أن "عدة سنوات قمنا ببناء بعض المدارس ووسائل الاتصال لاتزال بدائية، التي هي الشغل الشاغل للمعلم، وضعف الخدمات الطبية"⁽²⁾، ونظر لتعدد العرائض والمطالب فقد صدر أمر رئاسي برفع أجور معلمي التعليم الابتدائي سنة 1913، وقسمهم إلى أربع رتب؛ فيتقاضى أصحاب الرتبة الرابعة 2300 فرنك، والثالثة 5000 فرنك، والثانية 5700، أما المرتبة الأولى فيتقاضى أصحابها 5900 فرنك بأثر رجعي منذ الفاتح جانفي 1912⁽³⁾، وسلم الأجور كالتالي⁽⁴⁾:

المعلمون المرسمون	الدرجة الأولى	الدرجة الثانية	الدرجة الثالثة
الراتب	2500 فرنك	2200 ف	1700 ف
المعلمات المرسمات	الدرجة الأولى	الدرجة الثانية	الدرجة الثالثة
الراتب	2000 ف	1800 ف	1300 ف

فشلت سياسة التعليم الفرنسية في الجزائر بسبب العجز في وضع مخطط عام لها يتم تطبيقه بجدية على أرض الواقع، كما أن التعليم كان موجه لمناطق معينة ولفئة اجتماعية محدودة، ولم يكن وفقا لخطة محكمة تعتمد على المعطيات الواقعية فيقول شارل اندري جوليان: «عجز التدريس عن التزويد بمخطط واضح أو

⁽¹⁾Maubourguet (M) et Grégoire (Muot), «Extrait du rapport sur l'indemnité de résidence», Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, 2^{me} année, N°4, 1907, P : 11.

⁽²⁾Rapport sur la situation du personnel de l'enseignement des indigènes, Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, 7^e année, N° 23, 1912, P : 12.

⁽³⁾ التعليم العمومي أمر دولي، جريدة المبرشر، ع5655، 04 أفريل 1914.

⁽⁴⁾ جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في العهد الاستعماري، المرجع السابق، ص: 92.

بمنهج فعال، ولم يتم فتح المدارس في الأماكن التي تأكد فيها نفعها بل في الأماكن التي أمكن فيها إقامتها؛ أي في البلديات المختلطة والبلديات الأهلية... فمن المفارقات الكبيرة أن يشرع في التعليم بداية من الجبلين الغلاظ والقاطنين في أبعد القرى عن المدن وعن مراكز الاستيطان عوض التعلق بالحضر الذين كانوا في احتكاك دائم مع تواجدنا»⁽¹⁾، ورغم أن الاستعمار قبائل بعينها، فمثلا تيزي وزو من منطقة القبائل لم يكن بها سوى مدرسة، فيقول جوليان «إثر سنة 1882، تركز الجهد التعليمي في منطقة القبائل فكيف يمكن أن نتصور أن بلدية تيزي وزو المكتملة الوظائف والتي كانت تعد 30.000 من السكان الأهالي لم تكن في سنة 1907 تتوفر سوى على مدرسة واحدة مع قسمين تم إنشاؤها من طرف السلطة العسكرية في سنة 1860»⁽²⁾، ومعنى هذا أن إنشاء مدرسة كان يتطلب شروط الموالية لفرنسا، فمعظم القبائل الموالية هي التي استفادت من التعليم قبل تعميمه فعليا بعد الحرب العالمية الأولى.

ومن القبائل التي استفادت من التعليم قبيلة مت وآيت بني وبني واغليس وبني يعلا «وهكذا تتحول قبيلة مت صدفة إلى قبيلة مستنيرة على غرار آيت بني القبيلة الأكثر حظ في التمدرس في الجزائر، وعلى غرار بني واغليس (9مدارس فيها 22 قسما لمجموع 17.000 ساكن)، أو بني يعلا في قرقور -بلاد القبائل الصغرى- (7 مدارس منها 4 منذ 1892)»⁽³⁾، فالتعليم كان موجه لمناطق محددة إما لمواالاتها للاستعمار أو من أجل إخضاعها فكريا ومعنويا.

2-مدارس التعليم الثانوي:

يختلف التعليم الثانوي من حيث غاياته وأهدافه عن التعليم الابتدائي، فهو يمكن الدارسين من الحصول على ثقافة عامة تحضّرهم لتقلّد وظائف التأطير وقيادة المجتمع، لهذا السبب كانت ظاهرة تضاعف عدد الثانويين وعدد الحاصلين على البكالوريا قبيل 1914، مدعاة للحيرة والتخوّف لدى المستوطنين⁽⁴⁾، وكان يمارس نوع من التمييز الاجتماعي شبه المؤسس في التعليم الفرنسي خاصة الثانوي إلى غاية تبني الإصلاحات في عهد الجمهورية الخامسة، كان أولاد العائلات يزاولون التعليم في كل مراحل الدراسة، من

(1) شارل روبر (أجرون)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 571.

(2) المرجع نفسه، ص: 571.

(3) المرجع نفسه، ص: 572.

(4) غي (برفيلبي)، المرجع السابق، ص: 35.

الأقسام الصغرى إلى البكالوريا، وتلك علامة تميز الطبقة البرجوازية⁽¹⁾، ولهذا فالتعليم الثانوي كان موجه لأبناء الأوروبيين والبعض من أبناء الموالين للاستعمار.

كان أبناء الجزائريون المسلمون يسمح لهم بالتعليم الابتدائي فقط، بينما يقتصر التعليم الثانوي على أبناء الأعيان والنبلاء منهم؛ حيث اعتبر المستوطنون أن التعليم الثانوي يكون تائرين ضد فرنسا ومصصلحة فرنسا تقتضي تشكيل حلفاء، فيقول المندوب Barbedette «إن من مصلحتنا أن ننشئ طبقة بورجوازية محافظة تتكون من التجار وصغار الملاك، لا أن نضاعف عدد الثائرين»، نتيجة لذلك تم التصويت ضد التعليم الثانوي ولصالح التعليم الابتدائي العالي⁽²⁾، كما كان للاستعمار هدف وهو إرضاء العائلات الكبيرة وتكوين طبقة تكون جسر التواصل مع بقية المجتمع الجزائري، وهو ما يذكره الاستاذ حلوش في دراسته "إن أكثر المتعلمين والذين بإمكانهم الالتحاق بالتعليم الثانوي كانوا من أبناء (الخيام الكبرى)؛ أي التلاميذ المنحدرين من العائلات الأرستقراطية (الباشا آغا، الأغا، القواد...)، أو من موظفي الحكومة الفرنسية الخوجة، الترجمان وغيرهما، والمعروف أن الإدارة الفرنسية كانت تحاول كسب بعض العائلات الجزائرية الكبيرة لتكون مساعدا قويا لها حتى تستطيع حكم الجماهير الشعبية، وكذلك من أجل موازنة التأثيرات الدينية التي بإمكانها أن تسبب المشاكل لفرنسا"⁽³⁾، ولهذا اقتصر التعليم الثانوي على فئة معينة حسب الدعم المالي لطلاب الثانوي.

نظرا للظروف الاقتصادية الصعبة للمجتمع الجزائري، لم يكن باستطاعة تلاميذ الجزائريين مواصلة الدراسة بدون دعم مالي من سلطة الاحتلال عبر نظام المنح، وقليلون من يستفيدون منها وفقا للشروط الموضوعية "كان توزيع المنح الدراسية مرهونا بالفوز في الامتحان ولم تكن تمنح إلا للمتشحين المؤهلين من أبناء العائلات الفقيرة، ولكن قرار بتاريخ 1886 قد سمح بمنحها من غير اجتياز الامتحان، كامتياز للعائلات التي أسدت خدماتها لفرنسا، كانت الإدارة تستغل تلك الفرصة لتجازي خدامها المخلصين من بين الباش آغوات والآغوات والقياد والعساكر وأعاون القضاء ورجال الدين والمترجمين والمعلمين وأعاون الصحة"⁽⁴⁾، وكانت الاجراءات المتبعة تمهد إلى الحفاظ على سلطة العائلات والأسر الكبيرة الموالية للاستعمار، التي خدمته لسنوات عديدة، وأصبحت جزء من المنظومة الاستعمارية في نظر الاستعمار.

(1) المرجع نفسه، ص: 35.

(2) شارل روبير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 590.

(3) عبدالقادر (حلوش)، المرجع السابق، ص: 189.

(4) غي (برفيلبي)، المرجع السابق، ص: 47-48.

سنورد بعض الاحصائيات عن نسبة تدرس أبناء الجزائريين في التعليم الثانوي ونقارنها مع نسبة الأوروبيين واليهود؛ ففي إحصاء سنة 1886-1887، كان عدد التلاميذ في التعليم الثانوي 2769 من بينهم 101 جزائريا من مجموع 3.262.422 ساكنا؛ أي ما نسبته 0.03%، في حين أن نسبة التعليم الثانوي للمستوطنين تمثل 11.9% من مجموع سكان الأوروبيين⁽¹⁾، والجدول التالي يبين لنا الفرق بين عدد تلاميذ المستوطنون والجزائريون في المرحلة الثانوية⁽²⁾:

المؤسسات	الأوروبيون	الجزائريون
	1897	1898
الثانويات	1631	1665
المعاهد	971	1030
المجموع	2602	2695
الفرق	93+	6-

ومن خلال المعطيات المقدمة في الجدول يتبين لنا الفرق الشاسع في عدد تلاميذ الأوروبيون وتلاميذ الجزائريون، وفي سنة 1898 انخفض عدد تلاميذ الجزائريين في التعليم الثانوي، إلى 44 تلميذ فقط، ومعنى ذلك أن التشريعات والقوانين الفرنسية لم تطبق بدرجة الحماس الذي كتبت فيه وتم الموافقة عليها.

كان عدد تلاميذ الثانوية 1889 يقدر بـ 81 تلميذ⁽³⁾، وسبب انخفاض العدد إلى منافسة المدارس الاسلامية الثلاثة، ومدرسة تكوين المعلمين⁽⁴⁾، وبعد عشر سنوات؛ أي سنة 1899 كان عدد تلاميذ الثانوية من المسلمين 89 ثانويا⁽⁵⁾، ثم انخفض العدد إلى 85 طالبا سنة 1900⁽⁶⁾، وبعد هذه السنة حدث تحسن في تواجد أبناء الجزائريين في الثانويات⁽⁷⁾، بسبب سياسة جونار ورغبة فرنسا في رفع المستوى التعليمي لتلاميذ الجزائريين وتجنيدهم في الجيش الفرنسي، ولذا رفعت من حصة الدعم المالي "لقد رفعت حصة القروض

(1) عبدالقادر (حلوش)، المرجع السابق، ص: 189.

(2) المرجع نفسه، ص: 190.

(3) محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954، تر: محمد المعراجي، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والاشهار، الجزائر، 2008، ص: 235.

(4) Guy Perville, op.cit, P : 18.

(5) محفوظ (قداش)، جزائر الجزائريين، المرجع السابق، ص: 236.

(6) Guy Perville, op.cit, P : 18.

(7) Ibid, P : 18.

المخصصة لمنح الدراسة الثانوية ضمن ميزانية الأهالي، بكيفية محسوسة من سنة 1904 إلى سنة 1914، وكانت الغاية من ذلك في عهد الحاكم جوناو هو تدعيم مكانة البرجوازية المحافظة⁽¹⁾ من جهة، ومن جهة أخرى توسيع دائرة التعليم الثانوي ضمن الاصلاحات الحاكم العام جوناو، كما انتشر وعي بين فئات المجتمع الجزائري حول ضرورة التعليم الثانوي بفضل انتشار الصحافة، وكان لهذه العوامل وغيرها أثر في زيادة نسبة الجزائريين في مدارس التعليم الثانوي الفرنسية.

نذكر بعض الاحصائيات عن عدد الطلبة في تلك المدارس سنة 1905، حسب بعض التقارير، حيث وصل العدد الاجمالي 4060 طالبا، منها 1310 طالب في ثانوية الجزائر، و508 في ثانوية قسنطينة، و979 طالب في وهران، و252 في كوليج البليدة، و90 في المدينة، و197 في سطيف، و147 في مستغانم، و154 في ثانوية تلمسان، ورغم ارتفاع عدد الطلبة في الثانويات إلى أن عدد الجزائريين 124 طالب، في حين أن عدد الفرنسيين 3.373، وعدد اليهود 478⁽²⁾، وارتفع عدد التلاميذ الجزائريين في الثانوية إلى 180 سنة 1910 وغالبيتهم كانوا ينتمون للعائلات الكبيرة، وهذه الاحصائيات ضعيفة جدا مقارنة بعدد السكان⁽³⁾، ومع اقتراب الحرب العالمية الاولى واحتياج الجيش الفرنسي للضباط رفعت نسبة تدرس أبناء المسلمين الجزائريين في التعليم الثانوي حيث بلغ العدد 386 سنة 1914⁽⁴⁾.

إن معظم أطفال الجزائريين يغادرون مقاعد الدراسة من المرحلة الابتدائية بسبب الظروف الاقتصادية والاجتماعية القاسية وعدم قدرة الآباء في تغطية تكاليف دراسة أبنائهم، وهو ما دفع على محمد بن محي الدين والصالح محمد بن حنّي العاملين في إدارة الشؤون الأهلية والمشرف عليها السيد لوسيان إلى دعوة الحكومة الاستعمارية إلى رفع نسبة المنح الموجهة لأطفال الأهالي من تشجيع التعليم الثانوي⁽⁵⁾، كما طالب السيد آيت سالم -أحد الأعيان- إلى زيادة المنح الدراسية المخصصة لطلبة التعليم العالي، أو على الأقل الإعفاء من رسوم الامتحانات، ويقول أن منحة 1000 فرنك غير كافية لتمكين الطلاب من شراء الكتب التي يحتاجونها وضمان صيانتها ودفع رسوم الامتحانات، فإن لم يكن هناك زيادة في قيمة المنحة الدراسية فعلى

(1) غني (برفيلبي)، المرجع السابق، ص: 48.

(2) Jonnart (M.C), Exposé de la situation générale de l'Algérie , op.cit, P : 344-345.

(3) محفوظ (قداش)، جزائر الجزائريين، المرجع السابق، ص: 236.

(4) شارل روبر (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 589.

(5) Gouvernement Général de l'Algérie , Délégations Financières section Arabe 2^e séance 16 mai 1911, Alger, 1911 , P : 21.

الأقل إعفاء الطلبة من رسوم الامتحانات⁽¹⁾، غير أن هذه المطالب لم تلقى ترحيبا من طرف الإدارة الاستعمارية بسبب ضغط المستوطنين.

والخلاصة أن إجبارية التعليم المزعومة والمقررة سنة 1883 لتطبق على أطفال الجزائريين، كانت غير مطبقة بآتم معنى الكلمة، بل كانت محاربة من طرف المستوطنين بوسائل نكر منها:

1- قلة المعلمين؛ فالمعلمون الفرنسيون لا يعينون إلا في المناطق الشمالية وفي المدن خوفا على أنفسهم من العزلة وبعد المسافة، وكان عدد المعلمين الجزائريين قليلا جدا 156 سنة 1887، وانخفض العدد إلى 108 سنة 1893، ثم ارتفع إلى 158 سنة 1895⁽²⁾، فضلا عن قلة رواتب المعلمين خاصة الجزائريين، مما دفع السيد مورينو تقديم تقريرا للبرلمان الفرنسي سنة 1913، صرح فيه بأن رواتب المعلمين دون الكفاية، وأنه يلزم عقد فرض للزيادة (658000 فرنك)، إلا أن الحكومة سمحت فقط ب65000 فرنك⁽³⁾.

2- ادعى المعمرون أن إنشاء المدارس لصالح أبناء الجزائر يستلزم نفقات باهظة يتعذر على ميزانية البلاد أن تتحملها ولا سيما أن سكان البلاد لا يساهمون بقسط مقبول في نظريهم في مدخولات الخزينة، وهذا طبعا غير صحيح إذا أخذنا بعين الاعتبار الضرائب فقط الذي دفعها سكان البلاد سنة 1891، والتي مثلت نسبة 60% من مدخولات البلديات⁽⁴⁾ المكلفة ببناء المدارس.

3- مدارس تخريج الأئمة والقضاة (المدارس الشرعية الفرنسية):

تعتبر المدارس الشرعية الفرنسية الوجه الجديد للمدارس الشرعية الإسلامية؛ حيث اسندت إشرافها لملتش الأكاديمية سنة 1883، وهو ما جعل هذه المؤسسات تأخذ صفة التعليمية⁽⁵⁾، وادخل عليها العديد من التعديلات والتشريعات ومنها: «تحدد سن الدراسة ما بين 18-25 سنة، ويخضع المترشح لاختبار شفاهي، بحث دقيق في عائلة المترشح وقدرة اندماجها وولائها لفرنسا، ثم تقدم ملفات المترشحين إلى الحاكم العام ليضع القائمة النهائية»⁽⁶⁾، وفي سنة 1884، انتزعت إدارة المدارس الإسلامية من أيدي الجزائريين لتوكل

⁽¹⁾ Gouvernement Général de l'Algérie , Délégations Financières Section Kabyle 1^{re} séance 15 mai 1911, Alger, 1911 , P : 19.

⁽²⁾ الطاهر (زرهوني)، المرجع السابق، ص: 19.

⁽³⁾ المشكلة الأهلية أمام البرلمان الفرنسي، جريدة الفاروق، ع43، 09 يناير 1914.

⁽⁴⁾ الطاهر (زرهوني)، المرجع السابق، ص: 20.

⁽⁵⁾ جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في العهد الاستعماري، المرجع السابق، ص: 103.

⁽⁶⁾ مصطفى (هشماوي)، المرجع السابق، ص: 205-206.

للفرنسيين وحدهم، فالإطار التربوي لمجموع هذه المدارس يتكون من ثلاث مديرين وخمسة عشر أستاذا ومعيدين اثنين إلى جانب وقاف (حارس) لكل مدرسة⁽¹⁾، ووضعت تحت إدارة مدراء فرنسيين لمراقبتها ومتابعة الطلبة وتطبيق المناهج التربوية لتحقيق الأهداف الاستعمارية.

ادخلت على هذه مجموعة إصلاحات، فقد صدر مرسوم في 23 جويلية 1895 ينص على تمديد مدة الدراسة إلى أربع سنوات تليها سنتان بالتعليم العالي، ليحصل الدارس بعد ذلك على شهادة "دبلوم الدراسات العليا"⁽²⁾، كما نص المرسوم على أن يكون المدرسون انصافا بين الفرنسيين والجزائريين، وكان يشترط في الفرنسيين معرفة اللغة العربية (الدارجة) وتكون الإدارة بيد أحد الفرنسيين وكلهم يعينون من طرف الوالي العام في الجزائر⁽³⁾، وكان الأساتذة المسلمون يتقاضى في المدارس الثلاثة ما بين 1200 و1800 فرنك بينما المفتون والأئمة في المدن الكبرى يتقاضون 1500 فرنك⁽⁴⁾.

وضعت عدة شروط للدخول إلى هذه المدارس وبعد اجتياز امتحان، ومن تلك الشروط نذكر كما جاء جريدة المبشر:

- نسخة من الدفتر المعد لتسجيل المواليد أو ملخص من دفتر الأحوال الشخصية يشهد بأن عمره أول جانفي سنة الامتحان لا يقل من 15 سنة ولا يزيد على 20 سنة، ولا يخص إلا للمسلمي وطن الحكم العسكري.
- شهادة من الحكم الفرنسي بمحل سكنه تتضمن مروءته وحسن سيرته.
- إجازته في المبادئ الفرنسية أو نظيرها الممضي قانونيا، وخلاصة من دفتر العقوبات الشرعية.
- تزكية من شيخ البلدة التي بها محل سكني الطالب أو المتصرف، أو حاكم الدائرة العسكري، ويأخذ الطالب لهذا القصد ورقة مطبوعة من مدير المدرسة التي طلب الدخول فيها.
- شهادة طبية تثبت أن بدن الطالب سالم من كل مرض.

أما الاختبار للدخول إلى هذه المدارس فتشمل الكتابة أو الإنشاء باللغة الفرنسية (رحلة أو حكاية) في مدة ساعتين، والثانية إنشاء باللغة العربية في مسألة نحوية ابتدائية وتحرير رسالة بالعربية المعربة في موضوع سهل ومدتها ثلاث ساعات، وأما المسائل الاستنطاقية فهي اختيران في الفرنسية، واختياران في العربية، فالمسائل

(1) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 105.

(2) مصطفى (هشماوي)، المرجع السابق، ص: 206.

(3) المرجع نفسه، ص: 207.

(4) شارل رويبر (أجرن)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 927.

الفرنسية قراءة وتفسير مكتوب فرنسي من مجموع كتب منتخبة متداولة في المكاتب الابتدائية، أما المسائل العربية هي إملاء مكتوب فصيح بسيط يكتب في اللوح وإعرابه ومسائل في مبادئ النحو العربي وقراءة وتفسير وتعجيم عمل عربي مأخوذة من كتاب عربي سهل العبارة (ألف ليلة وليلة أو المستطرف أو ابن بطوطة)⁽¹⁾

يزاول الدراسة في هذه المدارس ثلاث أصناف من الطلبة: الممنوحون (الذين يستفيدون من منحة)، غير الممنوحين، والمستمعون الأحرار، الذين ليس لهم الحق في المشاركة في الاختبار أو الانتقال من سنة إلى أخرى، بينما الطلبة المسجلون رسمياً فهم مجبرون على الحضور المتواصل للدروس حسب مرسوم 1878، والذي بدأ تطبيقه 1884، لأن الطلبة قبل هذه السنة يمكن اجتياز الامتحان والانتقال من سنة لأخرى دون حضور كل الدروس، ويقدم للطلبة منحة سنوية تقدر بـ300 فرنك، فهناك من يحصل عليها وهناك من ينال نصف المنحة حسب ظروفه الاجتماعية وتقدير الإدارة⁽²⁾، وتنشر أسماء الطلبة المستفيدين من المنحة أو نصفها في جريدة المبشر، وأغلبهم هم أبناء المتعاونين مع الإدارة الاستعمارية سواء قائد أو مساعده أو ابن مترجم أو القضاء أو يعمل في سلك القضاء أو التعليم مثل قائمة الطلبة المستفيدين لسنة 1913⁽³⁾

يشمل المنهاج الدراسي في هذه المدارس الذي تم تحديده في القرار الصادر في أول أكتوبر 1884 على المواد التالية: الفقه، النحو، الأدب العربي، اللغة الفرنسية، الحساب، التاريخ والجغرافيا، إلى جانب هذا الطلبة ملزمون بحضور الدروس المسائية المخصصة للكبار في اللغة الفرنسية، والذين يتقنونها عليهم حضور دروس الفقه الاسلامي المبرجة في المدرسة العليا للحقوق، ودروس اللغة العربية والآداب في المدرسة العليا للآداب⁽⁴⁾، يضاف إلى ذلك الفقه الفرنسي والقوانين وقواعد التمدن⁽⁵⁾ ولإصلاح مناهج هذه المدارس طالب أساتذة من تلمسان بتدريس تحليل بكامله، لكن أساتذة فرنسيون من نفس المدرسة عارضوا هذه الفكرة، ففي رأيهم لا يمكن إدراج مسائل خطيرة مثل الجهاد في المقررات التعليمية، كما اتفقت الآراء على ضرورة إعادة مادة التوحيد التي شطبت من المقررات سنة 1863؛ حيث تبين لهم أنه من أسباب العزوف عن هذه المدارس⁽⁶⁾.

(1) مباراة القبول في المدارس الجزائرية سنة 1913-1914 الدراسية، جريدة المبشر، ع 5560، 10 ماي 1913.

(2) جمال (قنان)، التعليم الاهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 107.

(3) قرار الوالي العام الخاص بالتعليم العمومي 03 جويلية 1913، جريدة المبشر، ع 5578، 16 جويلية 1913.

(4) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 104-105.

(5) سفر السيد شومبي وزير العلوم إلى الجزائر، جريدة المصباح، ع 22، 28 أكتوبر 1903، ص: 01.

(6) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 116-117.

بلغ عدد التلاميذ في هذه المدارس سنة 82 تلميذ سنة 1890، وتخرج منها 14 تلميذا فقط⁽¹⁾، وفي الموسم الدراسي 1904-1905 بلغ عدد المترشحين لامتحان القبول 94 في المدارس الثلاث، والتي كان عدد طلابها في ست سنوات السابقة لهذا الموسم 217 طالب؛ منها 106 في مدرسة الجزائر العاصمة، 60 في مدرسة قسنطينة، و51 في مدرسة تلمسان، الذين تلقوا منحة دراسية، يضاف إلى ذلك 23 طالب متطوع⁽²⁾، وقد وجدت هذه المدارس وسياسة الإدارة الاستعمارية معارضة في الأوساط الفرنسية؛ حيث يقول أحد الجنرالات «أن يقضى على هذه المدارس؛ أقرب إلى النزاهة الفكرية من الحفاظ عليها حية بشكل اصطناعي»، ولقد تم ترديد هذه العبارات في سنة 1884 أثناء نقاش مماثل جرى على مستوى المجلس الأعلى " وإن خطر أولئك المتعصبين قد تضاعف لما تعلموا أساليب التعرف علينا"⁽³⁾.

4-مدارس التعليم التبشيري والتنصيري: يدرج التعليم التبشيري⁽⁴⁾ والتنصيري في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ضمن التعليم الحرة الذي كذلك مؤسسات التعليم الاسلامي، وقد وضعت فصول خاصة في قوانين ومراسيم التعليم لسنة 1883، و1892، ومرسوم 1906، وقد استخدمت الكنيسة التعليم كوسيلة لنشر المسيحية، كما يقول عبدالعزيز الكحلوت نقلا عن هنري جاسب: "إن التعليم في مدارس الإرساليات التبشيرية إنما هو وسيطة إلى غاية فقط، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحين وشعبا مسيحية، ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه... فإننا لا نردد حينئذ في أن نقول إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى المسيحي إلى مدى علماني محض... ومثل هذا العمل لا تقوم به الجمعيات التبشيرية التي تسعى إلى أهداف روحية فقط"⁽⁵⁾؛ أي أنشأت

⁽¹⁾ المهدي (البوعبدلي)، تاريخ المدن، جمع وإعداد: عبدالرحمن دويب، ط01، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص: 77.

⁽²⁾ Jonnart (M.C), Exposé de la situation générale de l'Algérie , op.cit, P : 341.

⁽³⁾ شارل رويير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 607.

⁽⁴⁾ التبشير عند المسيحيين يعني هجوم المسيحية على الديانات المستوطنة في البلاد التي يتوجه إليها المسيحيون للتبشير فيها خصوصا على الاسلام. ينظر: محمد بن ناصر (الشثري)، التنصير في البلاد الاسلامية أهدافه وميدانه وآثاره، ط01، دار الحبيب، الرياض-المملكة العربية السعودية، 1998، ص: 15

وهناك فرق بين التبشير والتنصير؛ فالتبشير أطلق على حركة نشر المسيحية قبل الاسلام، على اعتبار أن دعاء المسيحية كانوا يحملون للشعوب الوثنية بشاراة الانجيل، وقد انتهى دور هذه البشارة الدالة على الدعوة للديانة المسيحية بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم. ينظر: حسين (ممدوح)، مدخل إلى تاريخ حركة التنصير، ط01، دار عمّار، عمان-الأردن، 1995، ص: 06.

⁽⁵⁾ عبدالعزيز (الكحلوت)، التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، ط2، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس-ليبيا، 1992، ص: 103.

الارسلات التبشيرية مدارس ومؤسسات تعليمية، من أجل خدمة التبشير والدعوة للنصرانية وقيادة الناس إلى المسيح حتى يصبح الناس شعوبا مسيحية⁽¹⁾، فنشر العلوم الحديثة تمهيدا لتلقي مبادئ الدين المسيحي. حاول الاستعمار استغلال التبشير والتنصر ليسيطر سيطرته، وقد عرفنا في الفصل الماضي ملازمة الحركة التنصيرية للحركة الاستعمارية في الجزائر، "ولقد ارتبط الاستعمار منذ اليوم الاول بقوتين أساسيتين هما: التبشير والاستشراق، وكان الهدف هو دعم الوجود الاستعماري بخلق عقلية موالية للغرب، منحرفة عن أصالة الاسلام الذي يعطيها دائما القدرة على المقاومة والجهاد والمواجهة"⁽²⁾، لقد كانت رغبة الاستعمار الفرنسي للجزائر بسط نفوذه وإخماد الثورات، وكانت الحركة التبشيرية تطمح لأن تعود المسيحية هي دين شعوب شمال إفريقيا، فالعلاقة بينهما وطيدة خاصة في عهد لافيغري، لكنها ستتحول عندما يدرك الاستعمار أن المجتمع الجزائري متمسك بدينه، وأن انتشار الحركات التبشيرية أحد الاسباب الرئيسية للثورات الشعبية، مما جعل الاستعمار يغيّر من سياسته اتجاه الارساليات التبشيرية.

بدأ هذا التغيير مع سنة 1880، حيث أثارت قصة تهريب طفل يبلغ من العمر 13 سنة⁽³⁾ ضجة كبيرة مما دفع الوالي العام إلى إغلاق بعض مدارس الجزويت رغم أن ظاهرة تهريب وتنصير الأطفال القصر كانت منتشرة وهو ما اعترف به عامل عمالة الجزائر في رسالته للوالي العام: "يبدو لي بأنه من المهم لإكمال تقريرتي، أن أخبركم بأنه ليست هذه أول مرة تقع مثل هذه الأحداث إذ أنه بخلاف ابني محمد تونري اللذين نصرا بدون رغبة والدتهما، وبخلاف بوجمة الذي آل إلى نفس المصير كذلك بدون رغبة وليه، أخبرت بأن شابا أهليا آخر علي أرمضان البالغ من العمر 15 سنة لقي نفس المصير منذ أشهر مضت (أي خلال 1880) ويوجد حاليا في فرنسا"⁽⁴⁾، ولقد كان لهذه الحادثة آثار سلبية على نشاط اليسوعيين ومصير مدارسهم،

(1) محمد بن ناصر (الشثري)، المرجع السابق، ص: 15

(2) أنور (الجندي)، الاستعمار والاسلام، دار الأنصار، القاهرة-مصر، 1979، ص: 05.

(3) الطفل اسمه بوجمة بن أحمد، كان يتابع دراسته في المدرسة الحرة التي كان يديرها يسوعيون في آيت الأربعاء عند قبيلة بني يني، وقد أثر عليه لتزك دينه الاسلامي واعتناق المسيحية وهجر أمه، وقد تم تنصير شابين قبائليين قاصرين وحاول اليسوعيون إرسالهم إلى إحدى الكنائس الأوروبية، لكن ولي أمر التلميذ وأمه كتب شكوى مما جعل السلطات الاستعمارية تتدخل وتحجز المسافرين قبل سفرهم، وقد كان لهذه القصة أثر في تراجع مدارس الجزويت في منطقة القبائل. ينظر القصة الكاملة في: تهريب القصر من طرف اليسوعيين، رسالة عامل عمالة الجزائر إلى الوالي العام رقم 28323، بتاريخ 1 ديسمبر 1880، ينظر: محمد الطاهر (وعلي)، المرجع السابق، ص: 259-260.

(4) المرجع نفسه، ص: 260.

ومراكزهم⁽¹⁾ في الجزائر، كما المنافسة بينهم وبين الآباء البيض وبعض الارساليات وتحالف السلطة مع الآباء البيض قد ساهم بشكل كبير في تطهير الجزائر من مدارس الجزويت بعد صدور قرار 1903⁽²⁾، الذي يمنع اليسوعيين من إنشاء المدارس.

سمح ضعف نشاط اليسوعيين (الجزويت)، انتشار أعمال الآباء البيض فقد بلغ عدد الكنائس ثلاثين كنيسة، فتح فيها الرهبان سبع عشرة مدرسة بما ستون قسما يعمل بها أربعة وثلاثون قسيسا وخمسون من الأخوات البيض هذا بالإضافة إلى المؤسسات الخاصة بإرسالية الآباء البيض التي كانت توفر بمنطقة التعليم ل1044 بنتا يقوم على تعليمهم ستة وأربعون راهبا⁽³⁾، ولقد بلغت تكلفة بناء بعض الكنائس في منطقة القبائل لوحدها 40 ألف فرنك حسب ما جاء في رسالة ديوان عامل عمالة الجزائر إلى الوالي العام سنة 1880: "أظن أنه من المفيد أن أخبركم عن الأشغال الكبرى التي ينجزها حاليا الآباء البيض الموجودون في ثاقمونت أو عزوز (دوار بني محمود-بلدية يسر المختلطة)، إن المباني التي شيدها هؤلاء المبشرون يمكن أن تقدر بمبلغ أربعين ألف فرنك"⁽⁴⁾، وهو ما يؤكد تعاطف السلطة مع الآباء البيض دون الجمعيات التبشيرية الأخرى. أصدر لافيحري في سنة 1886 عدة تعليمات إلى مبشريه بالشروع في تقديم تعليم ديني في شكل سرد تاريخي: «لن يلبثوا أن يحصلوا على معلومات أكثر من عقائدنا وديانتنا وحينئذ سوف نطلعهم على التاريخ المسيحي كما يجب، وأكثر مما يحصلون عليه من حفظ كتاب العقائد عن ظهر قلب»، كان على ذلك التعليم الديني أن يقتصر على شرح الحقائق الأساسية المتضمنة في النظام الطبيعي الذي أناره الوحي، وقد سمي تأويل تلك النصوص سياسة جديدة⁽⁵⁾، ولقد حرص المبشرون على إعطاء أولوية للتعليم الديني المسيحي بينما تعليم

⁽¹⁾ بعد سنة 1880، لم يعرف اليسوعيين نشاط موسع بسبب متابعة الإدارة الاستعمارية، قد فتحتوا مدرسة حرة في سطيف عام 1899، ومدرسة أخرى في بجاية عام 1900، وبظهور احتجاجات من طرف الجزائريين على نشاطهم تقرر في سنة 1903 منعهم من الاستمرار في إنشاء المدارس التابعة للكنائس، والتي تعرف بالمدارس الحرة. ينظر:

Mgr A. Pons, La Nouvelle Église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830, op.cit, P : 198.

⁽²⁾ Mgr A. Pons, La Nouvelle Église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830, op.cit, P : 198.

⁽³⁾ ناصر الدين (سعيدوني)، المرجع السابق، ص: 88.

⁽⁴⁾ رسالة ديوان عامل عمالة الجزائر إلى الوالي العام المدني للجزائر رقم 461، بتاريخ 9 جويلية 1880. ينظر: محمد الطاهر (وعلي)، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 دراسة تاريخية تحليلية، المرجع السابق، ص: 257.

⁽⁵⁾ شارل رويير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 560.

العلوم الحديثة يكون سطحيا فقط "حرص المنصرون والمستعمرون على تقديم تعليم متواضع، وقد جلب الكتب والمناهج ومرافق التدريس والنظم التعليمية إلى إفريقيا في القرن التاسع عشر، وظل التعليم يحمل طابع القرن التاسع عشر... ولم تصل الأفكار الجديدة إلى المستعمرات ولم تصل التغييرات العلمية الهائلة إلى الفصول الدراسية"⁽¹⁾، لأن غاية التعليم هو نشر المسيحية.

امتدت الحركة التنصيرية بامتداد الاستعمار بل سعت لتمهيد الطريق له في احتلال الصحراء ثم التوسع في إفريقيا، فتأسس في سنة 1891، فرع لجمعية الآباء البيض في الصحراء الجزائرية عرف بـ "جمعية إخوان الصحراء المسلحين"، والهدف الرسمي من تأسيس هذا الفرع هو مكافحة بيع الرقيق في إفريقيا، غير أن الهدف الحقيقي من تأسيسه هو حماية المنصرين في الجنوب الجزائري، خاصة بعد هلاك العدد منهم، وفتح الطريق لقوات الاحتلال لسيطرت نفودها في أقصى الصحراء الجزائرية، ثم التوغل أكثر في إفريقيا"⁽²⁾، وتوغل دو فوكو Charles de Foucauld⁽³⁾ في قلب الصحراء حتى وصل تمارست معقل الطوارق وملجأهم سنة 1905، وبقي فيها مدة 12 سنة، عاش مع الطوارق واندمج معهم وقدم لهم مساعدات التي يحصل عليها في بلاده، وحاول قدر المستطاع تنصيرهم لكن محاولاته باءت بالفشل"⁽⁴⁾، كما تم إنشاء مراكز في كل من غرداية وتمنراست وتيميمون وأدرار وبني عباس في الجنوب الغربي.

ورغم جهود المبشرين، فإن أعمالهم باءت بالفشل وقد اعترف الأب شارميتون Le Père Charmetant بذلك سنة وفاة لافيغري 1892، حيث قال: "يجب الاعتراف أنه حتى هذه الساعة التي أكتب فيها هذه الأسطر، لا تزال الأغلبية الساحقة من الأمة البربرية بعيدة عن ملكوت السماوات، ولن نكتفي بالقول بأن تنصيرها ليس بالأمر القريب المنال، بل نؤكد أنه لم يبدأ بعد، إذ ماذا يمثل بعض المئات من المنصرين أمام 300.000 مسلم؟"⁽⁵⁾، لأن المبشرون في البداية راهنوا على بساطة الإسلام (الإسلام

(1) عبدالعزيز (الكحلوت)، المرجع السابق، ص: 100.

(2) ساجية (مخلوف)، المرجع السابق، ص: 278-279.

(3) ولد في 15 سبتمبر 1858، في مدينة ستراسبوغ، درس في كلية سان سير، زار عدّة بلدان في حملته التبشيرية منها المغرب الأقصى، وبقي طويلا في منطقة تيدكلت والمنيعة في الجنوب الجزائري لكنه لم يفلح في تمسيح المسلمين، فانتقل سنة 1905 إلى تمنراست وأسس الاخوان الزرق (حتى يتلاءم مع لباس الطوارق)، وألف كتب في الدين واللغة والتاريخ. ينظر: الحاج التومي (سعيدان)، سكان تيدكلت القدمات والاتكال على النفس، دار هومه، الجزائر، 2005، ص: 294.

(4) فاطمة الزهراء (سليمي)، نشاط الحركة التبشيرية في الجزائر، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع، إشراف: جمال معتوق، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2012-2013، ص: 171.

(5) ساجية (مخلوف)، المرجع السابق، ص: 284.

الشعبي كما يسميه ألفريد بل)، الذي سيتخلى عنه الجزائريون بسهولة ويعتقدون المسيحية، لكن النتيجة كانت معاكسة للتوقعات، حيث تمسك الجزائريون بالإسلام رغم شعبيته في الكثير من المناطق.

إن عجز الآباء والأخوات البيض الكاثوليك عن تنصير أية نسبة تذكر من أهالي منطقة القبائل والمجتمع الجزائري عامة، هو الذي دفعهم للانسحاب الظاهري، ولكن سرعان ما عوضهم زملائهم من البروتستانت التي بدأت بمحاولة طوماس هوكارت Thomas Hocart الذي استقر في بداية الأمر في بجاية، ثم انتقل سنة 1888 إلى إحدى المداشر بقلب منطقة القبائل، ويؤسس أول إرسالية فرنسية بمنطقة إلمائن⁽¹⁾، و في سنة 1908 قاد الأب أ. رولاند (E.Roland) وزوجته حملة التبشير، فقد أسس ملجأ لإيواء النساء، وبيت ثاني لإيواء الطلبة المعوزين القادمين من القرى لمواصلة دراستهم بتيزي وزو، ثم بعد ذلك تم إنشاء مؤسسة رولاند فرعاً للكشافة "الكشافون الوحدويون" التي جلبت إليها بعض شباب تيزي وزو واستخدم⁽²⁾، «وقد ذهبت جهود هذا الأب البروتستانتي هدراً على الرغم من الدعم الكبير الذي تلقاه من أتباع مذهبه، من بروتستانت الجزائر وفرنسا، ولم يتمكن حتى العقد الثاني من القرن العشرين من تنصير أكثر من ثلاثة أشخاص»⁽³⁾، ولم يلقى نشاط البروتستانت ترحيباً أو دعماً من طرف السلطة أو المعمرين كما رفض الجزائريون نشاطهم التنصيري رغم الفكر التحرري في معتقدات الكنيسة الذي تميزوا به.

إلى جانب الإرساليات التبشيرية الفرنسية، اهتمت الكنيسة الأسقفية الميثودية⁽⁴⁾ الأمريكية الأصل بتنصير شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة؛ حيث بدأ نشاطها سنة 1908، فأُسست مركز في الجزائر العاصمة، ومركز آخر في قسنطينة 1910، ثم مركزين آخرين سنة 1911 في وهران والأربعاء نايت إرثن⁽⁵⁾، واستطاع الميثوديست فتح عدة مكاتب رغم أن القانون لا يسمح للأجنبي بذلك منها مكتب في وادية، يوجد بهذا المكتب مبشر وعائلة من الأهالي متنصرة وإرادات المركز في كل سنة ستون ألف فرنك، وهناك مكتب آخر

(1) المرجع نفسه، ص: 285.

(2) محمد الصغير (فرج)، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، تر: موسى زمولي، دار ثالة، الجزائر، 2007، ص: 186.

(3) محمد العربي (ولد خليفة)، المسألة الثقافية، المرجع السابق، ص: 300-301.

(4) ويعرفون كذلك بجماعة الميثوديزم (النظاميون)، نشأت في القرن الثامن عشر واستحقت اسم النظامية للتنظيمات التي أخذت نفسها بها، أسسها جون ويزلي Jon Wesley (1707-1788)، وأغلب أتباعها من الطبقة الوسطى والدنيا، ولهذا الجماعة نزعة تحررية من قيود الكنيسة. حول هذه الجماعة ومؤسسها ينظر: عبدالجليل (شليبي)، الإرساليات التبشيرية، منشأة المعارف، الاسكندرية-مصر، (د.ت)، ص ص: 195-203.

(5) ساجية (مخولف)، المرجع السابق، ص: 287.

في سيدي عيش والمعطر أو المطر يقوم بشؤونه عائلة فرنسية وسويسري⁽¹⁾، وتعد الكنيسة الميثودية الأكثر نشاطا بسبب الدعم المالي الذي تتلقاه من الولايات المتحدة الأمريكية يتحدث روني فانلاندر في مقال له عن جماعة الميثوديسيت في الجزائر فيقول: "فجماعات التبشير الأمريكية بالقبائل لها مركز قيادتهم بالجزائر (العاصمة) وإدارتهم المادية بيد وكيل عام لها يجول يده في الأموال الهاطلة عليها من أمريكا وتلك الأموال موضوعة بنك انكليزية بالجزائر، أما القيادة الدينية الأدبية فبيد مطران أمريكي وجماعة الخدم والعمال أغلبهم أمريكيان وانكليز وسويس⁽²⁾، وتملك هذه الجماعة التبشيرية مأوى للأطفال ومدرسة للبنات، ومعهد للأطفال، ويتمتع الأطفال بالأكل والشرب واللباس مجانا والسفر لبيوتهم وقت الراحة مجانا ولعائلاتهم ستون فرنكا على سبيل المنحة والعطية⁽³⁾، وللمشرف على الميثوديسيت في منطقة القبائل علاقة جيدة ووطيدة مع القياد والجماعات الدوارية يحافظ عليها ويظهر مزيد المراعاة والتنازل للولاية والحكام⁽⁴⁾، وقد ساهم ذلك في زيادة نفوذها واستمرارها، غير أنها لم تحقق أهدافها.

تجرأ بعض الميثوديسيت على حمل المسلمين التخلي عن دينهم إكراها والدعوة جهرا للمسيحية وفقا لمذهب الكنيسة الميثودية "إن الآباء البيض لا يستبيحون الطعن في عقائد المسلمين لاعتبارهم أن جميع الأديان حسنة لاشتمالها على تلقين الأخلاق الفاضلة فلا يسعنا أن نقول مثل ذلك في جانب المبشرين المتوديسيت لأنهم كثيرا ما يتجرؤون أمام الأهالي على القدح والطعن العنيف في الإسلام وعلى صد هؤلاء الأهالي عن أداء واجباتهم الدينية ومن وسائلهم في ذلك إكراههم على الإفطار في رمضان وإعطائهم الخمر والمأكولات المحرمة عليهم دينيا"⁽⁵⁾، لكن أعمال المتوديسيت رغم المبالغ الهائلة لم تتجاوز تنصير بضع أسر، وهو ما أدى بها للتراجع كما تراجعت بقية الجمعيات التبشيرية.

وأهم المشاكل التي حالت دون انتشار التنصير في الجزائر هو تغلغل الدين الاسلامي والنفوذ الروحي للطرق الصوفية في المجتمع الاسلامي، وقد اعترف بذلك المستر بولس في كتابه عن الارشاليات التبشيرية وعملها في بلاد الاسلام فيقول: "إن الدين الاسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في

⁽¹⁾ روني فانلاندر، «جماعة المبشرين الأمريكيين (ميثوديسيت) ببلاد القبائل»، مجلة الشهاب، المجلد الخامس، الجزء الخامس، المطبعة الجزائرية الاسلامية، قسنطينة-الجزائر، جوان 1929، ص: 12.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص: 14.

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص: 14.

⁽⁴⁾ روني فانلاندر، المصدر السابق، ص: 15.

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، ص: 13.

إفريقية، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا، لأن انتشار الانجيل لا يجد معارضا لا من جهل السكان، ولا من وثنتهم، ولا من مناضلة الأمم المسيحية وغير المسيحية... بل أن هذا الخصم المعارض هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في إفريقية"⁽¹⁾، وهكذا نصل إلى سنة 1914، ومنحنى التعليم التبشيري في تناقص بسبب نقص الدعم واحفراق في تحقيق الأهداف، وما بقى سوى بعض العادات التي ساهم المبشرون في انتشارها⁽²⁾ كرسم صورة صليب في حلق الرأس أو قبعة مسيحية، أو وضع وشم للصليب على كتفي الصبيان، ورسم صليب على الكسكس في الصحن بعد اعداده كي لا تأكد منه الشياطين حسب المعتقد الشعبي.

5-تطوّر التعليم العالي وإنشاء جامعة الجزائر:

ساهمت عدّة عوامل في تطوير التعليم العالي بالجزائر نهاية القرن التاسع عشر، والذي بدأ مشروعه الحقيقي مع قرار إنشاء المدارس العليا بالجزائر 1879، ومن تلك العوامل: تطوّر عدد الأبحاث والدراسات بالجزائر في مجال الاستشراق والاهتمام بالمخطوطات من طرف المستشرقين وتطوّر الدراسات الطبية للأمراض المنتشرة في الجزائر، ومن جهة أخرى ظهرت أبحاث في مجال الآثار والطبيعة والبيئة، وبرزت ضرورة إيجاد حلول قانونية للمشاكل الاجتماعية خصوصا وأن السلطة الاستعمارية خاضعة للقانون المدني الفرنسي، والمجتمع الجزائري خاضع للتشريع الاسلامي والأعراف المحلية، ولهذا يمكن القول أن بداية تطوّر التعليم العالي مع تطوّر الأبحاث التي كان تشرف عليها الادارة الاستعمارية خاصة في أربع مجالات هي: الاستشراق، الطب، الطبيعة، القانون ودراسة التشريع الاسلامي والأعراف، ولهذا أوّل قرار سياسي إنشاء أربع مدارس وفقا لتلك التوجهات البحثية.

5-1 إنشاء المدارس العليا:

5-1-1 المدرسة العليا للطب: يرجع سبب إنشاء مدرسة الطب إلى رغبة الادارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر إلى تكوين أطباء وممرضين جزائريين يعالجون أبناء جنسهم، ويحتلوا مركز الوسط بين المسلمين الجزائريين والادارة الاستعمارية، ومن جهة أخرى فالهدف من إنشاء مدرسة الطب من أجل تعميم العلاج والقضاء على الأمراض الناتجة عن الحروب والتي تهدد المستوطنين وليس الجزائريين فقط، وقد يرجع سبب إنشاء مدرسة الطب

⁽¹⁾ شاتليه (ل)، الغارة على العالم الاسلامي، تر: مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، ط2، منشورات العصر الحديث، جدة-المملكة العربية السعودية، 1387هـ، ص: 35-36.

⁽²⁾ مقابلة مع الحاج عبدالرحمن عكرمي، 58 سنة، تاريخ 15 سبتمبر 2015، مكان مدينة أدرار، وكذلك مقابلة مع: عكرمي حاجة، 91 سنة، مكان تسابيت أدرار، 13 سبتمبر 2015، وكذلك مقابلة مع: مرزوق مبارك، 97 سنة، 15 أوت 2015.

إلى ضغط المستوطنين في تعليم أولادهم في المراحل التحضيرية داخل الجزائر قبل الالتحاق بالجامعات الفرنسية، ويقول أبو القاسم سعد الله عن هدف تأسيس هذه المدرسة هو: "تخريج بعض الجزائريين في التمريض والتطبيب المحلي والمعالجة حسب الأمراض المنتشرة في الجزائر، وسموا هؤلاء احتياطيين يدفعون بهم إلى الأرياف بدل الفرنسيين للاتصال بالأهالي والتغلب على بعض الأمراض وإتباع أساليب الصحة"⁽¹⁾، وقد فتحت هذه المدرسة أبوابها لأبناء الأهالي المتحسين والمتعاونين مع الإدارة الاستعمارية.

صدر مرسوم إنشاء مدرسة الطب كان في 04 أوت 1857، وقد منح لهذه المدرسة ثماني أساتذة دائمين يتقاضون سنويا 2000 فرنك، وأربع أساتذة مناوبين يتقاضون سنويا 700 فرنك⁽²⁾، وكانت هذه المدرسة لا تمنح شهادة دكتوراه في الطب وإنما "شهادات لممارسة بعض المهن المتعلقة بالصحة مثل: طبيب مسؤول صحي، وصيدلي مركب أدوية من الدرجة الثانية"⁽³⁾ وإلى غاية 1882 فلم يتجاوز عدد أطفال الأهالي في مدرسة الطب ثلاثة.

وعندما تأسست المدرسة العليا للطب أصبحت تمنح شهادات إلى غاية إنشاء كلية الطب مثل: "ضابط الصحة، وقابلات التوليد وصيدلة من الدرجة الثانية، وتعاقب على إدارة المدرسة الكثير من الأساتذة اللامعين أشهرهم؛ Berlherard (1858-1862)، و Potin (1863-1868)، ثم الطبيب Trolhier (1868-1870)، و Toxier (1870-1895)، والذي قدّم حصيلة عمل المدرسة سنة 1895، كما يلي: 85 طبيب منهم 22 يعملون في الجزائر، 218 مطبق من الدرجة الثانية منهم 95 صيدلي و 71 قابلة توليد، و 46 ضابط صحة"⁽⁴⁾، ومن الذين أشرفوا على مدرسة الطب البروفيسور Bruch جراح وطبيب عيون الذي ترأس المدرسة لثلاث عهديات متتالية (1895-1904)، وفي عهد curtillet (1904-1909) عرفت المدرسة الطبية التحضيرية عهدا جديدا⁽⁵⁾.

(1) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 03، المرجع السابق، ص: 437.

(2) Louis Paoli, «L'enseignement supérieur A Alger», Revue Africaine, Volume 49, Alger, 1905, P: 408.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 07، المرجع السابق، ص: 276.

(4) تخميلي (العكروت)، جامعة الجزائر بين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين الجزائريين 1909-1956، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص: 55-56.

(5) المرجع نفسه، ص: 56.

كانت مدرسة الطب تحضيرية للانضمام إلى كليات الطب في فرنسا، "لكن منذ 1889 ارتفع مستواها إلى درجة التكوين الكامل، ومع ذلك بقي الامتحان في المستويات الثالث والرابع ومناقشة الدكتوراه لا يكون إلا في باريس، وكانت مدرسة الطب تحضر للدكتوراه في الطب كما تمنح شهادات في الصيدلة والتوليد"⁽¹⁾.

نأخذ بعض الاحصائيات عن مدرسة الطب منذ نشأتها؛ حيث يقدم أحد الباحثين احصائيات عن عدد الطلبة في كلية الطب والصيدلة؛ فإجمالي عدد الطلبة سنة 1879 هو 42 طالب، وارتفع العدد إلى 100 طالب سنة 1889، و202 سنة 1894، ثم انخفض العدد إلى 186 سنة 1898⁽²⁾، كان عدد طلابها 49 سنة 1900-1901، ثم ارتفع العدد إلى 67 في الموسم 1903-1904، ثم ارتفع العدد إلى 76 سنة 1906، وكان عدد طلبة الصيدلة 14 في الدفعة الأولى، وفي الدفعة الثانية 22، ثم ارتفع العدد إلى 38⁽³⁾.

5-1-2 المدرسة العليا للآداب: تأسست سنة 1879، كغيرها من المدارس الثلاثة الأخرى (الطب، العلوم، الحقوق)، وأول من تولى كرسي اللغة العربية في هذه المدرسة هو هوداس، وقد ساعده في ذلك بلقاسم بن سديرة، وفي نفس السنة (1880)، "حلّ بالجزائر أستاذ يافع ولكنه طموح، وهو رينيه باصيه"⁽⁴⁾، خريج مدرسة اللغات الشرقية الحية، فعهد إليه بتدريس الأدب العربي، وتوطدت العلاقة بين هوداس وباصيه، وتوحدت نظرتهما في خدمة الإدارة والاستشراق⁽⁵⁾ لأن الهدف الرئيسي من تأسيس مدرسة الآداب هو تشجيع وتطوير الدراسات الاستشراقية بالجزائر.

⁽¹⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 07، المرجع السابق، ص: 276.

⁽²⁾ Jean Alazard, histoire et historiens de l'Algérie (1830-1930), librairie Félix Alcan, Paris, 1931, P : 367.

⁽³⁾ Jonnart (M.C), Exposé de la situation générale de l'Algérie, op.cit, P : 337.

⁽⁴⁾ ولد سنة 1855 في فرنسا، وأظهر منذ البداية اهتماما باللغات الشرقية، ولا سيما العربية، تخرج من مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس اشتغل بها لمدة سبعة سنوات (1873-1880) ومدرسة الآداب العليا، قبل أن يلتحق بالجزائر 1880، وعند وصوله للجزائر تولى تدريس الأدب العربي القديم (الجاهلي)، ونشر كتابا في ذلك، ثم تولى تدريس اللغة العربية بعد سفر هوداس سنة 1882 إلى فرنسا، وفي سنة 1894 تولى إدارة المدرسة العليا للآداب في الجزائر بعد وفاة إميل ماسكري، وعندما تحولت المدرسة إلى كلية 1909، أصبح باصيه عميدا لها إلى غاية وفاته 1924، وقد ترك أعمال كثيرة في الدراسات الاستشراقية منها 25 عملا حول الدراسات البربرية. ينظر: أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 06، المرجع السابق، ص: 29-30.

⁽⁵⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 06، المرجع السابق، ص: 27.

يوجد بمدرسة الآداب سبعة كراسي حسب تقرير الحاكم العام في الجزائر تيرمان 1885؛ وهي: الفلسفة وتاريخ الفلسفة، اللغة الفرنسية وآدابها، اللغات القديمة والأدب، اللغات الأجنبية، التاريخ والآثار الإفريقية، جغرافية إفريقيا، اللغة العربية⁽¹⁾، وأول مدير لمدرسة الآداب هو إميل ماسكري E. Masquery، وهو "من العلماء الأدباء الذين تركوا بصمتهم على الأدب الفرنسي إلى جانب الاستشراق... وقد حذق العربية ودرس التصوّف على يد الشيخ علي ابن سماية الذي كان أستاذاً في مدرسة الجزائر ومحرّر في جريدة المبعثر"⁽²⁾

يوجد فرع للفنون الجميلة في مدرسة الآداب، وحسب تقرير جونار، فإنه يضم في الموسم الدراسي 1904-1905 على 240 طالب؛ منهم 18 أجنبياً، و18 من الجزائريين، و204 من الفرنسيين، تتوزع أعمارهم بين 7 أكثر من 30 سنة و49 بين 20 و30 سنة، و184 أقل من 20 سنة، وتلقى فيها الدروس في الفترتين الصباحية والمسائية وتمحور المقررات الدراسية حول علم التشريح، والزخرفة، وتاريخ الفن وعلم الآثار، هندسة معمارية، النحت والتماثيل، الرسم⁽³⁾.

ويوجد بهذه المدرسة مصلحة الدراسات التاريخية تهتم بالتنقيب والحفريات ودراسة الآثار القديمة، ولها ثلاث فروع في الجزائر العاصمة ووهران وقسنطينة؛ حيث أجرى الفرع الخاص بالجزائر العاصمة حفريات في شرشال فاكتشف تمثال لهرقل، ومسرح قدم بإشراف السيد Waile، وأعمال ترميم في تيفزيرت Tizirt بتوجيه من السيد أرماند Armand الأستاذ في كلية الفنون الجميلة في الجزائر العاصمة، أما في فرع وهران فكان الاهتمام بترميم المساجد أكثر في الدراسات الأثرية منها ترميم مسجد الباي محمد الكبير بوهران بإعادة بناء السقوف المنهارة والمدرجات من مؤذنته، واستبدال أجزاء من الطلاء والأرضية الداخلية، وفي تلمسان ترميم مسجد أبي الحسن، أما فرع قسنطينة فقد اهتم بترميم مسرح قلعة وبناء متحف بجانبه مع مواصلة الحفريات بتوجيه من السيد جولي Joly⁽⁴⁾.

ثم توجيه فريق بحث إلى تيمقاد لإجراء حفريات عام 1905، حيث تم اكتشاف قنوات المنبع الرئيسية، واكتشاف المنازل على الجانب الغربي من كارنو ماكسيموس الشمالية، واكتشاف الأعمدة الحجرية

⁽¹⁾Louis Tirman, Exposé de la situation générale de l'Algérie année 1885, Alger, 1886, P : 135.

⁽²⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، المرجع السابق، ص: 35.

⁽³⁾Jonnart (M.C), Exposé de la situation générale de l'Algérie, op.cit, P : 18-19.

⁽⁴⁾ Ibid, P : 19-22.

المخصصة لتطهير المراحيض، كما تم العثور على كاتدرائية مسيحية في شمال المدينة بين المتحف والباب الشمالي نصف كروية⁽¹⁾، وهناك مكتشفات أخرى كنتائج لتلك الحفريات التي خصص لها مبلغ مالي قدره 6000 فرنك.

5-1-3 المدرسة العليا للعلوم: تأسست سنة 1879، وكانت في أولها تضم فقط تسعة من الأساتذة ومن المكلفين بالدروس، بالإضافة إلى تسعة مكلفين بالتحضير، وكان "برنامج مدرسة العلوم في الجزائر هو برنامج الكلية المماثلة في فرنسا، والفرق هو أن مدرسة العلوم في الجزائر لا تمنح شهادة ليسانس، وعلى الطالب أن يحصل على ذلك في فرنسا قبل تأسيس جامعة الجزائر"⁽²⁾، توسعت مدرسة العلوم بعدما "ضم إليها المرصد الفلكي الذي كان في القبة ثم نقل إلى بوزريعة، وكذلك ضمت إليها مصلحة الأرصاد الجوية بعد أن أعيد تنظيمها سنة 1884، وكان للمدرسة عدّة مخابر لمواصلة البحث، ويدرسون طلبة الطب فيها أيضا المواد الطبيعية والكيميائية، ومن ملحقات المدرسة؛ المحطة الحيوانية ودراسة النباتات وإجراء التجارب عليها"⁽³⁾، ويدرس بمدرسة العلوم عدّة تخصصات ومواد ومنها: الرياضيات، الميكانيك، الفيزياء، الكيمياء، علم الحيوان، علم النبات، الجيولوجيا، علم المعادن يضاف إلى ذلك علم الفلك⁽⁴⁾.

تشمل مدرسة العلوم تسعة أساتذة محاضرين، يعلمون في التخصصات التالية: الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم الحيوان وعلم النبات والجيولوجيا وعلم المعادن، غير أنها تمنح فقط شهادة الفيزياء والكيمياء والطبيعة وفقا للقرار الوزاري 31 ديسمبر 1893⁽⁵⁾، وعدد الطلبة في كلية العلوم 11 طالب سنة 1879، وبعد عشرة سنوات ارتفع العدد إلى 32 سنة 1889، و33 طالب سنة 1894، وارتفع العدد إلى 67 سنة 1898⁽⁶⁾.

5-1-4 المدرسة العليا للحقوق: تأسست مدرسة الحقوق سنة 1879؛ وكان هدفها تطوير الدراسات القانونية وتدريب القانون المدني الفرنسي، وقد أصدر أساتذة هذه المدرسة المجلة الجزائرية التونسية، ولنذكر

⁽¹⁾ Ibid, P : 22-24.

⁽²⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج07، المرجع السابق، ص: 292.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص: 293.

⁽⁴⁾ Louis Tirman, Exposé de la situation générale de l'Algérie année 1885, op.cit, P : 134.

⁽⁵⁾ Louis Paoli, L'enseignement supérieur A Alger, op.cit, P : 416.

⁽⁶⁾ Jean Alazard, histoire et historiens de l'Algérie (1830-1930), op.cit, P : 368.

بعض الإحصائيات عن تطوّر عدد الطلبة في مدرسة الحقوق: في سنة تأسيس المدرسة 1879 كان عدد الطلبة 80، وارتفع العدد بعد عشرة سنوات إلى 156 طالب سنة 1889، ثم 242 سنة 1894، وارتفع العدد إلى 250 نهاية القرن التاسع عشر⁽¹⁾، وفي سنة 1885، كان عدد الطلبة بمدرسة الحقوق يصل إلى 98 طالب موزعون كآلي: 15 طالب في السنة الأولى ليسانس، و16 في السنة الثانية، و12 طالب في السنة الثالثة ليسانس، و23 في السنة الأولى قانون إداري، و15 في السنة الثانية قانون إداري، و12 طالب لنيل شهادة عليا في الحقوق، و05 لنيل شهادة في المحاماة⁽²⁾.

وفيما يخص نفقات هذه المدارس في العمالات الثلاث؛ فبناء على تقرير وزير التعليم العمومي، وبالنظر للمادة 8 من قانون 20 ديسمبر 1879، فإن الحصة السنوية من التكلفة التي تتحملها المدن الكبرى لتغطية نفقات التعليم العالي فهي موزعة كالتالي: 13% من ميزانية عمالة الجزائر، و12% من ميزانية عمالة قسنطينة والحصة نفسها لعمالة وهران⁽³⁾، غير أن هذه المدارس ظلت كمرحلة تحضيرية للالتحاق بالجامعات الفرنسية من أجل نيل شهادة الماجستير أو الدكتوراه إلى غاية تحويلها إلى كليات وإنشاء جامعة الجزائر.

2-5 تأسيس جامعة الجزائر:

صدر قانون 30 ديسمبر 1909؛ والذي حوّل المدارس العليا إلى كليات أربعة وهي: كلية الآداب، كلية الطب والصيدلة، كلية العلوم، كلية الحقوق، وبالتالي تم تأسيس جامعة الجزائر، وقد تطورت بسرعة "حتى أصبح الفرنسيون يسمونها (السربون الإفريقية) وكانوا يعتبرونها الجامعة الفرنسية الثالثة لارتفاع مستواها التعليمي...ومن بين أساتذتها في العلوم الاجتماعية ماسكري، وباصيه وموران وفانيان"⁽⁴⁾، وكشفت إحصائيات جامعة الجزائر عن توجه أغلب الطلبة المسلمين "نحو فروع الآداب والحقوق، كما كشفت حصيلة الشهادات المسلمة للطلبة الأهالي في المدارس العليا في فترة 1880-1909 ثم الكليات من سنة 1910 إلى 1915 عن سيطرة مطلقة للدراسات الأدبية (ثلاثي الحاصلين على الشهادات)، ثم الدراسات القانونية، ثم

⁽¹⁾ Ibid, P : 367.

⁽²⁾ Louis Tirman, Exposé de la situation générale de l'Algérie année 1885, op.cit, P : 126.

⁽³⁾ rapport du ministre de l'instruction publique 8 novembre 1896 , Revue algérienne et tunisienne de législation et de jurisprudence , N° 13, publiée par l'École de droit d'Alger , 1897, P : 12.

⁽⁴⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقاني، ج06، المرجع السابق، ص: 100.

العلمية وأخيرا الطبية"⁽¹⁾، والسبب يرجع إلى طبيعة التكوين المسبق وقلة الرصيد المعرفي في التخصصات العلمية.

نسجل بعض الاحصائيات لعدد الطلبة في كليات جامعة الجزائر؛ فكان عدد التلاميذ في كلية الطب سنة 1910 يقدر بـ 178 طالب، ووصل العدد في سنة 1914 إلى 195 طالب⁽²⁾، وفي سنة 1911 كان عدد الطلبة الجزائريين في الجامعة: 168 طالب في الأدب، و23 في الحقوق، و13 في الطب، و23 في العلوم⁽³⁾، وعشية الحرب العالمية الأولى كان عدد الطلبة في كلية العلوم 128 طالب⁽⁴⁾، بينما كان عدد الطلبة في كلية الآداب سنة 1910 يقدر بـ 204، وانخفض العدد إلى 182 طالب سنة 1914⁽⁵⁾، أما كلية الحقوق فنسبتها الأكثر من مجموع عدد الطلبة في جامعة الجزائر إذا قارنا بين سنتي 1910 و1914؛ فعدد الطلبة في كلية الحقوق سنة 1910 هو 281، وارتفع العدد سنة 1914 إلى 432 طالب⁽⁶⁾.

رغم ارتفاع عدد الطلبة في كلية الحقوق غير أن حظ أبناء الجزائريين قليل؛ "ففي سنة 1914، تخرج من كلية الحقوق 12 طالبا مسلما بشهادة ليسانس في الحقوق وطالب واحد في الكفاءة، وتخرج من كلية الطب دكتور واحد وصيدلي واحد وثلاث قابلات، ومن المدرسة العليا ثم من كلية الآداب حاز طالب على دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية، وحاز 33 على دبلوم في اللغة العربية، و3 في البربرية، و193 على الأهلية العربية، و3 على الأهلية البربرية، وفي مدرسة العلوم حصل 22 على شهادات الدراسة في العلوم"⁽⁷⁾.

وخلاصة القول حول تطوّر التعليم العالي في الجزائر واستفادة الجزائريين منه يقول جمال قنان: "في سنة 1884 هناك ستة طلبة جزائريين في المدارس العليا التي أنشئت سنة 1879، وتحولت إلى كليات عند إنشاء جامعة الجزائر التي فتحت أبوابها سنة 1910 حتى عام 1914 هناك بضعة وعشرون جزائريا من حملة الشهادات الجامعية، معظمها في كلية الآداب والحقوق والقليل منها في الطب والصيدلة والعلوم"⁽⁸⁾،

⁽¹⁾ غي برفيلبي، المرجع السابق، ص: 60.

⁽²⁾ Jean Alazard, histoire et historiens de l'Algérie (1830-1930), op.cit, P : 367.

⁽³⁾ Journal officiel de la République française, 27 Janvier 1914.

⁽⁴⁾ Jean Alazard, histoire et historiens de l'Algérie (1830-1930), op.cit, P : 368.

⁽⁵⁾ Ibid, P : 368.

⁽⁶⁾ Ibid, P : 367.

⁽⁷⁾ شارل روبيير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 591.

⁽⁸⁾ جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 156.

والشهادات التي يقصدها جمال قنان شهادة ليسانس أو الدكتوراه بينما لو اعتمدنا جميع الشهادات فالعدد يتجاوز العشرين بكثير.

6- تعليم الجزائريين بين التأييد والمعارضة:

لقد بقي نظام التعليم الجزائري موضوع صراع سياسي بين البورجوازية الاستعمارية من جهة والسلطة السياسية الفرنسية والطبقات الاجتماعية الجزائرية المختلفة من الجهة الثانية، وموضوع الصراع السياسي هذا يتركز حول كمية وطبيعة المقدم للنشء الجزائري، بالنسبة للبورجوازية الاستعمارية فإن كمية وطبيعة التعليم تظل تابعة لحاجات تراكم رأس المال: والمقصود منه تكوين قوة عمل مؤهلة للأعمال الزراعية وعلى أبعد تقدير تشجيع التعليم التقني، وقد واجهت عملية فتح المدارس أمام الجزائريين معارضة سريعة من قبل المعمرين، الذين كانوا يعتقدون أنها تكلف البلديات غالبا جدا، وأنها تقوم بخلق أناس مشردين وناقمين يهجر الأراض أو متمردين على فرنسا، وإجمالا يجب ألا تتمتع المدرسة بأية استقلالية⁽¹⁾، ويمكن أن نقسم المواقف من سياسة تعليم الجزائريين إلى:

6-1 موقف المستوطنون والصحافة الفرنسية في الجزائر: معظم الجرائد والصحافة الفرنسية في الجزائر،

خاضعة لإدارة المستوطنين وهي تعبر عن وجهة نظرهم من مختلف القضايا المتعلقة بالمسألة الأهلية أو مشاكل الجزائريين، وقد تناولت قضية تعليم الجزائريين بنوع من السخرية، واتهمت العقل العربي بالجن، وعدم القدرة على التعلم، فكتبت *vigie Algérienne* في 13 جوان 1897 "مهما استطعنا تعليم الأهالي الكتابة والقراءة باللغة الفرنسية فلن نستطيع تعليمهم التفكير على الطريقة الفرنسية"⁽²⁾، ففي نظر هذه الصحافة أن التعليم يكون متطرفين وثوار؛ حيث كتب الصحفي "مورا" في الحوليات الإفريقية متحدثا عن الفقيه "جامير": "ألم يترك لنا كنزا من الحكمة حين قال: الرسمىون يؤكدون أن تعليم الأهالي هو ما سيأتي بكل السعادة للجزائر وفرنسا، أم المستوطنون الصغار والكبار وعدد من الجزائريين الآخرين من أصحاب الخبرة الكبيرة، فيحذروننا في أسى بأنه سيأتي بكل المصائب... وإن حدثا ذا دلالة قوية وقع مؤخرا في "جامير"⁽³⁾

⁽¹⁾ عبد اللطيف (بن اشنهو)، تكون التحلف في الجزائر؛ محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين عامي 1830-1962،

تر: محمد يحي ربيع وآخرون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص: 475.

⁽²⁾ شارل رويبر (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 944.

⁽³⁾ كتبت عن هذه القصة جريدة ليكو دالجي في تاريخ 14 سبتمبر 1926، وأحداثها تمثلت في احتفال طلبة أوريبيون (أبناء المستوطنين) بمناسبة تخرجهم ومعهم طلبة جزائريون، وقد تعاطوا الخمر مما دفع بأحدهم تسلق تمثال الجمهورية الفرنسية في بلدية جامبير وتلفظ بعبارات تدعو إلى سقوط الجمهورية وتحيا السوفيات، وقد استغلت الصحافة ذلك الحادث واعتبرت أن الفاعل هو من أبناء

يجعلنا نميل إلى الاعتقاد هؤلاء الآخرين كانوا على حق، وأن الأهلي الذين علمناهم لا يعترفون إلا قليلا بهذه الهدية التي قدمناها لهم... ويبدو أن تسعة أعشار الطلبة الأهلي والأسوأ من هذا ثلاث أرباع المعلمين من هذا الجنس يحملون عقلية التمرد هذه ضد مؤسساتنا⁽¹⁾، ويبدو أن الصحافة الاستيطانية قد أدركت خطورة التعليم في تزايد الوعي الوطني والوطنية لدى الجزائريين.

إن مشروع جول فيري وجون كامبون قد ألهم الصحف والجرائد الاستعمارية بعد 1895، وجعلها تناهض فكرة تعليم الجزائريين خاصة في مرحلة التعليم الثانوي والعالي، فيقول شارل روبري أجرون: «لم يسبق للصحافة والرأي العام على الصعيد المحلي، أن عبروا عن مناهضتهم للسياسة التعليمية بمثل تلك الشراسة التي أظهرها خلال سنوات 1894-1898، وما حملوها من أحكام مسبقة استعمارية سرت كالعدوى في ذلك البلد الأم»⁽²⁾، كما عارض المستوطنون التشريعات المدرسية التي جاء بها جول فيري، خاصة فيما يتعلق بإجبارية تعليم أبناء الجزائريين بقولهم: «إنه مخطط مكلف وخطير في آن واحد»⁽³⁾، فحجج المستوطنين في معارضة تعليم أبناء الجزائريين، هو اعتقاد الكثير منهم أن التربية والتعليم تكلف فرنسا مبالغ مالية معتبرة، وأن التعليم غير مناسب للأهلي لأنه يشكل خطرا على أمن فرنسا، ولهذا نشر التعليم المهني والحرفي فقط⁽⁴⁾، وبالتالي فالجزائري في نظر المعمرون يحتاج لتعليم حربي يؤهله للعمل في مزارعهم أما تعليمه من أجل تثقيفه فهو مكلف من الناحية المادية، في المقابل يمكن أن يكون له انعكاسات خطيرة على مستقبل الاستعمار في الجزائر. صرح نائب عن وهران في البرلمان الفرنسي سنة 1891: "إن تعليم القراءة والكتابة لأهل البلد يعتبر من الأشياء الكمالية وتعليم أكثر من هذا يجعلهم في درجة لا تليق بهم" وهذا تقريبا ما صرح به مفتش سطيف للتعليم الابتدائي حين قال في سنة 1897: "أنه لا حاجة إلى وضع تعليم شامل للصغار لأننا لا نود أن يصبحوا علماء متعطلين مرتبين في درجة لا يستحقونها لأن المناصب المرموقة محجوزة كلها للفرنسيين لا

=الأهلي المتعلمين الذي ثار ويحمل فكر ثوري بعدما تعلم، وأن تعليم أبناء الأهلي سيساعد على ثورتهم ضد فرنسا، واستغلال هذا الحادث من الصحافة الكولونيالية من أجل تقليص الاهتمام بتعليم أبناء الجزائريين المسلمين.

⁽¹⁾ فرحات (عباس)، الجزائر من المستعمرة إلى الاقليم؛ الشاب الجزائري، تر: أحمد منور، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2007، ص: 112.

⁽²⁾ شارل روبري (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 943.

⁽³⁾ أحمد (منور)، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي؛ نشأته وتطوره وقضاياها، المرجع السابق، ص: 65.

⁽⁴⁾ Linda Lehmil, « L'édification d'un enseignement pour les indigènes : Madagascar et l'Algérie dans l'Empire français », op.cit., P : 103.

غير⁽¹⁾، ويقول الوالي العام بالجزائر تيرمان Tirman سنة 1886: "إن عدوانية الأهالي تقاس بمدى مبلغهم من العلم"⁽²⁾، ومن أجل عرقلة مشروع جول فيرى لجأ المستوطنون إلى وسائل ضغط منها: مصالح الولاية العامة، المجالس العامة للعمال، المجالس البلدية وحتى الجمعية الوطنية عن طريق لجنة المستعمرات والميزانية⁽³⁾، أي استخدام المجالس المنتخبة لمعارضة أي مشروع يخدم الجزائريين خاصة التعليمي.

ولم يكن ذلك المستوطنون، بل سعوا إلى محاصرة مشروع تثقيف الجزائري وذلك بالتحكم في ميزانية التعليم العمومي الموجه لأبناء الجزائريين، والموافقة على انشاء المدارس من طرف المجالس البلدية، وهو ما طالب به النائب Barbedette: «إن ما نريده هو أن لا يرتبط تعليم الأهالي بالقرارات التي تتخذها باريس... وان تخضع سلطة مدير الدراسات لمراقبة اللجان المالية»⁽⁴⁾، كما أوصى مؤتمر المستوطنين المنعقد بتاريخ 21 مارس 1908 ب: «إلغاء التعليم الابتدائي بالنسبة الأهالي؛ وتخصيص الاعتمادات المالية للتكوين الفلاحي التطبيقي من طرف ممرين فرنسين في الدواوير أو بوسائل أخرى»⁽⁵⁾، وهذه نظرة عنصرية في التعامل مع مسألة التعليم بين أبناء الجزائريين وأبناء المستوطنين.

وقد استغرب المستوطنون رعاية فرنسا للمدارس الاسلامية الثلاثة رغم صبغتها الدينية، وأن فرنسا تدعي العلمانية، وقد دعا نوابهم المنتخبين إلى إلغاء تلك المدارس بحجة أن هذه المؤسسات تمثل بؤرا للتعصب، وتلقن لطلبتها الكره والحقد "على الرومي وتغذي في نفوسهم المشاعر الدينية وتأجيج روح الاعتزاز بجنسهم"⁽⁶⁾، والسبب الجوهرى في معارضة المستوطنين رغبتهم في بقاء الجزائري يعانى في ظلمات الجهل من أجل استعباده واستغلاله، فضلا أن هذه المدارس اسلامية دينية وبالتالي لقيت معارضة من طرف اللاتكين والعلمانيين الفرنسيين.

6-2 موقف الجزائريين:

أيّد أغلب المثقفين الجزائريين التعليم في المدارس الفرنسية بعد 1880، فكان الموظفون في الادارة الفرنسية يدرسون أولادهم في المدارس الفرنسية، ولم يرفضوا التعليم الفرنسي، فمثلا نشرت جريدة المبرشر مقالا

(1) الطاهر (زرهوني)، المرجع السابق، ص: 20.

(2) غني (برفيلبي)، المرجع السابق، ص: 26.

(3) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 73.

(4) شارل روبر (أجرون)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 544.

(5) المرجع نفسه، ص: 550.

(6) جمال (قنان)، التعليم الاهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 109.

عن محمد الشريف بن علي الشريف تربيته فيه في ذكرى وفاته، جاء فيه: "ورث الفقيد ملا سلافه من النفوذ الديني برياسة هذه الزاوية المفتوحة أبوابها للفقراء (كذلك كانت زاوية للعلم) ولم يكن له مدخل في أي طريقة ولا نسبه إلى أي ورد ديني ولم يمنعه شرف الأصل من قبول التعليم الفرنسي وخدمة الوظائف العمومية"⁽¹⁾، وفي رد القايد يحي الشريف على رسالة اللجنة البرلمانية الفرنسية بتاريخ 28 جويلية 1891 يقول: «إن التعليم بالفرنسية والعربية مما يجب الاعتناء به والاجتهاد في تحصيله، وغاية قصدنا تكثير المدارس وكل مدرسة يكون فيها معلمان أحدهما لتعليم التلاميذ اللغة الفرنسية ومما يتعلق بها والآخر يعلمهم القرآن العظيم وأحكام دينهم من صلاة وصيام وغيرهما»⁽²⁾، وهناك علماء ومثقفون أيدوا التعليم في المدارس الفرنسية ودعوا إلى ذلك أمثال ابن رحال وابن سديرة والعلامة عبدالقادر المجاوي وغيرهم.

وبعد انتشار الفكر الاصلاحى وتحولات اقتصادية واجتماعية جعلت أغلبية النخب الجزائرية تقبل بالتعليم في المدارس الفرنسية، وأصبح تعليم أبناء الجزائريين ضروري لأولياهم من أجل إيجاد وظيفة، واحتل التعليم المرتبة الأولى لدى رجال الاصلاح لأنه أساس أي تقدم "إذا نظرنا إجمالاً أو تفصيلاً إلى الامم الراقية نجدها ما بلغت شأواً تقدمها وتدرجت في معارفها فأصبحت تربط أخبار الأقطار من شرقها لغربها في آن واحد تغوص البحر بكل سهولة وتحلق في الجو بكل سرعة إلا بالقراءة والتعليم وإن التعليم فيها لازم لزوم الغذاء للبدن في أفرادها على اختلافها"⁽³⁾، بل أن أغلب العرائض التي وقعها الآلاف من الجزائريين تدعوا الإدارة الاستعمارية إلى فتح المدارس والاهتمام بالتعليم.

بينما غالبية المجتمع لم يرسلوا أطفالهم للتعليم سواء بسبب الظروف الاجتماعية أو الاقتصادية وحتى الفكرية، أو لبعدها المسافة أو لانعدام وجود مدرسة؛ بل إن البعض من الجزائريين كانوا يدفعون أموالاً كي لا يدرسوا أبناءهم في المدارس الفرنسية؛ فيذكر أحد المعلمين، عندما بدأ التدريس في بلاد القبائل سنة 1890 بأن الناس كانوا يعطونه أموالاً مقابل عدم تسجيل أبناءهم في المدارس⁽⁴⁾، والسؤال المطروح لماذا رفض بعض الجزائريين إرسال أبناءهم للمدرسة؟

يعدد مجدوب بن خالفة ثلاثة أسباب وراء عدم إرسال الجزائريين أطفالهم للمدرسة وهي:

⁽¹⁾ رثاء الشريف ابن علي الشريف، جريدة المشرق، ع5526، 11 جانفي 1913.

⁽²⁾ يحي (الشريف)، جواب القايد يحي الشريف للجنة البرلمانية الفرنسية. ينظر: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، المرجع السابق، ص: 225.

⁽³⁾ محمد (نحار)، «حسن التعليم أساس كل تقدم»، جريدة المنتقد، العدد الأول، 02 جويلية 1925.

⁽⁴⁾ شارل رويبر (أجرون)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 567.

-خوف الجزائريين من تمسيح أبنائهم فيقول عن الجزائريين: " فهم يعتقدون أن معلمينا-أي المعلمين الفرنسيين-متعصبين مثل المؤذنين عندهم ويظنون أنهم يقضون وقتهم في تعليم الديانة المسيحية التي يدرسونها لهم ويحاولون إدخالهم فيها، ومادام هذا اعتقادهم فليكن لهم معلمون من الأهالي فهؤلاء لا يشكون فيهم كثيرا"⁽¹⁾.

-السبب الثاني يتمثل في العادات والتقاليد: "وهناك أسباب أخرى تمنع الأهالي من الذهاب للمدرسة، كثيرا منهم يرغبون في إرسال أبنائهم إليها ولكنهم يخافون من انتقادات الجيران وليس هناك طريقة أخرى لمعالجة هذه الحالة سوى فرض إجبارية التعليم الذي سيخلصهم من هذه المخاوف"⁽²⁾.

-أما السبب الثالث فيرجع إلى رغبة الجزائريين وطموحاتهم في تعليم أبنائهم القرآن والعلوم الإسلامية: "وهناك سبب آخر أكثر خطورة يمنع المسلمين من الارتياح إلى المدارس الفرنسية وهو المتمثل في الصلوة التي يشعر بها كل مسلم في وجوب حفظ القرآن...فالتغلب على هذه العقبة يكمن في اعتقادي في انشاء مدارس بنصف التوقيت ... وبهذا يستطيع المسلمون الصغار الذهاب صباحا لتعليم القرآن في الزاوية وبعد الظهر إلى المدرسة الفرنسية لتعليم اللغة"⁽³⁾.

وهناك أسباب أخرى؛ منها خوف الجزائري على دينه، فيقول محمد بن رحال: «يمكن للعربي أن يخضع لإلزامية التدريس غير أنه لن يطلبه من تلقاء نفسه لأنه يرى فيه بكيفية ما مكيدة تهدف إلى تجريدته من ملته ودينه»، أما الاستاذ بن سديرة فقد رافع بجرارة مدافعا على قضية التعليم الفرنسي، ولكنه التمس من الفرنسيين أن يجتنبوا الوقوع في الهفوات أثناء تدريسهم ويجتنبوا إرغام المسلمين عليه بالقوة⁽⁴⁾، والحل في نظر ابن رحال وابن سديرة هو تدريس الدين الإسلامي في المدارس الفرنسية وعدم إكراه الجزائريين على تعليم أولادهم.

أما أحمد بن بريهمات فيدين الفكرة التي تقول أن الجزائريين لا يرغبون في تعليم أبنائهم، وإنما يرى السبب في بعد المدرسة عن منازلهم، فيكتب في مقال بعنوان "مرسوم 13 فبراير 1883 والأهالي المسلمين": «إنني أريد بهذه المناسبة رفع تهمة غير صحيحة موجهة ضد العرب الساكنين في المناطق الريفية، لقد تردد كثيرا بكونهم يرفضون تعليم أبنائهم فالعرب هم في وضع يستحيل عليهم إرسال أبنائهم إلى المدرسة لسبب بسيط

(1) Medjdoub ben kelfat; de l'instruction des indigènes .

منشور في: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص: 195.

(2) المرجع نفسه، ص: 195.

(3) المرجع نفسه، ص: 196.

(4) شارل رويير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 624.

من السهل إدراكه... إن الأهالي يجدون أنفسهم بعيدون عن المدرسة، فهل من المعقول أن يطلب من طفل يتراوح عمره ما بين سبعة إلى اثني عشر سنة أن يمشي يوميا ما بين ستة عشرة إلى عشرين كيلومترا للذهاب للمدرسة؟ فالأهالي الصغار الذين ينطلقون من مزرعتي للذهاب إلى قرية الأربعاء في عرّيتي يتحتم عليهم أن يقطعوا يوميا 28 كيلومترا»⁽¹⁾

يوجد تفسيرات عديدة حول رفض الجزائريين للتعليم؛ فيذكر أبو القاسم سعد الله: "أن المؤلفين والمعلقين قد تضاربت أقوالهم في هذا الموضوع -أي تجربة التعليم في الجزائر في العهد الفرنسي- فمنهم من ينسب الجهل الذي خيم على الجزائر خلال القرن الماضي إلى رفض الجزائريين إرسال أولادهم إلى المدارس تعصبا منهم ضد الفرنسيين وضد حضارتهم، ومنهم من ينسب التقصير إلى الحكومة الفرنسية وإدارتها في الجزائر لأنها قصدت إهمال تعليم الجزائريين وأرادت تجهيلهم وقطعهم عن ماضيهم وتعلم قرآنهم ولغتهم، ومن المؤلفين من ذهب إلى أن الجزائريين غير قابليين للتعلم أصلا رغم جهود الفرنسيين"⁽²⁾، والأسباب التي نرجحها حول ضعف عدد التلاميذ في المدارس الفرنسية تتمثل عدم جدية الاستعمار قولا وعملا في معالجة المسألة التعليمية، فالمدارس كانت محصورة ومحدودة في أماكن معينة، بل كانت مدعاة للسخرية مما جعل مدير الدراسات جانمير يصفها بالأكواخ، كما أن المناهج التربوية لم تكن مفيدة جدا، ولهذا لم لجأ إلى المدرسة من الجزائريين للحصول على وظيفة تضمن مستقبل عائلته في ظل الظروف الاجتماعية الصعبة.

ثالثا: أهداف السياسة التعليمية

تهدف السياسة التعليمية إلى تحقيق ثلاث أهداف أساسية هي: تجسيد الطموح السياسي للتعليم، بحيث يصبح شعوب المستعمرات موالية لفرنسا وتحبها، والغرض الثاني حضاري وهو نشر الحضارة والأفكار الفرنسية، والغرض الثالث اقتصادي وهو الاستفادة من الموارد البشرية للمستعمرات⁽³⁾، ولهذا اجتهد بعض الحكام العامون في تطبيق السياسة التعليمية؛ فعند عين جول كامبون Jules Cambon اهتم بالتعليم "وبمجرد التوقيع على الميزانية أمر بلديات المدن الكبرى بالشروع في تشيد المدارس أو فتح أقسام لفائدة الأهالي

⁽¹⁾ جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، المرجع السابق، ص: 191.

⁽²⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص: 279.

⁽³⁾ Linda Lehmil, « L'édification d'un enseignement pour les indigènes : Madagascar et l'Algérie dans l'Empire français », op.cit., P : 101.

وقد وعد تلك البلديات بأن الدولة سوف تتكفل بدفع نصف تكاليف البناء⁽¹⁾، وتأتي سياسة كامبون في إطار مساعي الاستعمار في احتلال الشعب الجزائري معنويا وهو ما عبر عنه وزير الداخلية كنستون Constans في مداخلته أمام مجلس الشيوخ بتاريخ 30 ماي 1893 بقوله: " فبعد أن أنجزنا الاحتلال العسكري وفرضنا السيطرة الاقتصادية على الجزائر، فإن الأمر الآن يتعلق باحتلالها معنويا"⁽²⁾، وسنركز على ثلاث أهداف أساسية هي: نشر اللغة والثقافة الفرنسية، السيطرة الفكرية والمعنوية، وأخيرا تكوين النخب.

1- نشر الثقافة الاستعمارية:

هدف الاستعمار في الجزائر نشر الثقافة الاستعمارية ليس لتثقيف الجزائريين، ولكن من أجل إخضاعهم للفكر الاستعماري، أي الخضوع والقبول بالاستعمار، ويقول جونار عن هدف المدرسة الفرنسية "الهدف الأساسي للمدرسة نشر التعليم والأفكار الفرنسية، والمساهمة في التقدم والحضارة لشعوب شمال إفريقيا، كما تساهم المدرسة في نشر الاحترام والتعاطف، ولها هدف عملي يتمثل أساسا في تشجيع الجزائريين لتعلم مهنة معينة تساعدهم على تحقيق الرفاهية، كما أن للمدرسة بعدا فكريا وأخلاقيا"⁽³⁾، ويقول غي بريفييلي: "كانت المدرسة الفرنسية تسعى إلى تبليغ قيم متجددة باستمرار، وإن لم تكن قيم عصر التنوير موضوع اتفاق الجميع"⁽⁴⁾. وترتكز السياسة الفرنسية على:

- تجهيل السكان من الجزائريين لصالح رفع المستوى العلمي للأوروبيين.

- تنصير كل ما يمكن تنصيره، عن طريق نشر المسيحية، والحط من شأن الاسلام والمسلمين.

- الفرنسية، أو إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية.

وقد وجدت هذه الأسس طريقها للتطبيق في ظل الادارة الاستعمارية⁽⁵⁾.

وصرح بورجوا -وزير التعليم العمومي- أمام مجلس الشيوخ الفرنسي، أن مهمة المدرسة الفرنسية هو نشر الحضارة "لابد في فترة قصيرة إنشاء شبكة كاملة من المدارس لتمكين جميع أطفال الأهالي المشاركة في التعليم الأساسي التي تقدمه مدارسنا، ليس فقط لمصلحة أولئك الأطفال، ولكن من أجل تبليغ رسالة الحضارة

(1) شارل رويبر (أجران)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 876.

(2) المرجع نفسه، ص: 865.

(3) Jonnart (M.C), Exposé de la situation générale de l'Algérie , op.cit, P : 380.

(4) غي بريفييلي، المرجع السابق، ص: 23.

(5) مصطفى (زايد)، المرجع السابق، ص: 104.

الفرنسية... إن هذه المدارس الابتدائية كانت الحضارة التي أنشئت من أجلها في كل منطقة من الجزائر⁽¹⁾، كما يرى بورجوا أن التعليم المهني يساعد على نشر الثقافة والحضارة الفرنسية في وقت وجيز نظرا للاحتكاك المباشر: "...وعلى وجه الخصوص نشر التعليم الزراعي والصناعي وتعميمه على أوسع نطاق، لأنه الوسيلة لجعل الجزائريين يفهمون ويتقبلون أفكارنا ومشاعرنا التي تصل إليهم في أقرب وقت ممكن للتغلب على عقولهم"⁽²⁾، فعمل الجزائري عند المستوطن الأوروبي يجعل الجزائري يتعلم اللغة الفرنسية، وعند تحسين ظروفه المادية سيقبل المستوطنون في مظاهر الحياة المادية.

إن نشر الثقافة الاستعمارية تتطلب القضاء على كل أفكار معادية لها، ولهذا السياسة التعليمية كانت تهدف إلى "القضاء على الشخصية الوطنية للشعب الجزائري بأبعادها المتعددة، وبالتالي القضاء على مقومات المجتمع الجزائري"⁽³⁾، في المقابل نشر اللغة والثقافة الاستعمارية، وقد تعاونت المدارس الرسمية مع المدارس التبشيرية في تحقيق ذلك الهدف؛ فيقول محمد الطاهر وعلي: "مما لاشك فيه أن التعليم التبشيري يستجيب للأهداف العامة لسياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، فهو يعمل على نشر اللغة الفرنسية وتلقين مبادئها للأطفال⁽⁴⁾ وهذا رغم محدودية انتشاره"⁽⁵⁾، ويضيف "إن لغة وثقافة المحتل بين الأوساط الجزائرية وخاصة مجتمع الأطفال هو النتيجة الحتمية الذي يريد المبشرون وغيرهم بلوغها من وراء محاربة الدين الإسلامي واللغة العربية في الجزائر، فهم يريدون أن يكون تفكير الأهلي (الجزائري) فرنسيا ولغته فرنسية، وعاداته فرنسية"⁽⁶⁾، لكن لا تمنح له المواطنة الفرنسية من الدرجة الأولى، ولكن مواطن من الدرجة الثانية.

يعلق غي برينفلي عن إجبارية التعليم، فيقول: "إن التعليم الاجباري لم يكن يرمي إلى تحقيق مقاصد طموحة، بل كان يوفر لجميع الأطفال حتى سنّ الرابعة عشر، تكويناً قاعدياً يمكنهم من تلقي المعارف والقيم الضرورية لجعلهم أعضاء واعين وصالحين في المجتمع؛ فالمدرسة الجمهورية التي أقامها جول فيري، كانت تشيع

⁽¹⁾Instruction publique, *Revue algérienne et tunisienne de législation et de jurisprudence*, No 09 publiée par l'École de droit d'Alger, 1893, P : 50.

⁽²⁾Ibid, P : 52.

⁽³⁾ مصطفى (زايد)، المرجع السابق، ص: 104.

⁽⁴⁾ كانت بعض الكنائس تفتح أبوابها لتعليم اللغة الفرنسية لأبناء الجزائريين، ولازلت توجد كنيسة بولاية أدرار تعلم الفرنسية لمن يرغب في ذلك .

⁽⁵⁾ محمد الطاهر (وعلي)، المرجع السابق، ص: 69-70.

⁽⁶⁾ محمد الطاهر (وعلي)، المرجع السابق، ص: 70.

القيم الوطنية والمدنية التي تمكن الطبقات الشعبية العريضة من تأسيس الجمهورية الديمقراطية⁽¹⁾، وإن كان الهدف تحقق في فرنسا، فإن في الجزائر فإن سياسة التجهيل إحدى ركائز السياسة الاستعمارية، والاحصائيات المقدمة تثبت ذلك؛ فقد وصلت نسبة الامية لحماية العهد الاستعماري 94.9% بين الرجال، و98.4% بين النساء، أما القلة التي أتيح لها التعليم والثقافة فلم تتجاوز نسبتها 5.1% من الرجال و2.6% من النساء⁽²⁾، أما جوان غيليسي فتذكر في كتابها "الجزائر الثائرة" أن نسبة 9% من الرجال و2.1% من النساء من يعرفون القراءة والكتابة فقط⁽³⁾، وهذه مأساة ثقافية سيعاني منها الشعب الجزائري حتى بعد الاستقلال، منها البحث عن الاطارات الأجنبية، والاختلاف حول التعريب والتغريب، ومسألة اللغة دليل على ذلك، وستساعد سياسة التجهيل إخضاع الشعب الجزائري فكريا ومعنويا.

2- الإخضاع الفكري والمعنوي: وجه الاستعمار الفرنسي المدفع للتوسع واحتلال مناطق الجزائر وإخضاع الشعب الجزائري، لكن القادة السياسيين والعسكريين مقتنعون بأن هذه السياسية ليس الحل النهائي، وإنما الحل عندما يصبح الجزائريون يمدحون ويمجدون فرنسا، ولن يتم ذلك إلى عن المدرسة، وبالتالي فههدف المدرسة الفرنسية في الجزائر هو إخضاع الشعب الجزائري بالتوازي مع سياسات اقتصادية واجتماعية أخرى، ويقول لويس رين عن هدف السياسة التعليمية: "ومن الأهداف الحقيقية التي يسعى لها التعليم والمدرسة الفرنسية في الجزائر القضاء على منبع الثورات؛ أي إضعاف مفعول الطرق الصوفية ولا يتم ذلك إلى بتحويل ذهنية المجتمع المسلم (الجزائري) عن طريق انشاء المدارس في كل مكان كما يرى لويس رين في ختام دراسته عن الاخوان والمرابطون⁽⁴⁾، ومعروف أن الزوايا وشيوخ الطرق الصوفية قادت المقاومات الشعبية.

حتى تأثر المدرسة تأثيرا قويا، وضع لها برنامجا ومنهاجا دقيقا يعتمد على الأحداث التاريخية، حتى يقنع الجزائريين أن أصلهم أوروبي، فيقول لويس برتراند Louis Bertrand: "أيحط من قدر الجزائري أو التونسي المسلم أن نذكره بأصله الروماني، إن كل مل يهمننا في الجزائر هو إعادة خلق شعب الجزائر الروماني وأن نعيد مسيرة الزمن من جديد"⁽⁵⁾، ونشر أحد المدرسين الفرنسيين في الجزائر مقال يتحدث فيه عن إلزامية تأثير مادة

(1) غني (برفيلبي)، المرجع السابق، ص: 34.

(2) مصطفى (زايد)، المرجع السابق، ص: 106.

(3) المرجع نفسه، ص: 108.

(4) Louis Rinn, marabouts et khouans étude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan , Alger, P : 520.

(5) عماد (حاتم)، «الثقافة العربية في ظل الاستعمار»، مجلة الثقافة، ع70، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، أوت 1982، ص: 73.

التاريخ، وهو تكوين المعجبين بفرنسا والمتعلقين بها وأصدقاء مخلصون لها فخورين بحمايتها ومستعدين لخدمتها، فتدريس التاريخ في المدارس الأهلية يجب أن لا يكون على غرار ما يدرس في المدارس الفرنسية، ذلك أن تدريس التاريخ للأطفال الفرنسيين هو اطلاعهم عن ماضيهم أمجاد ومحن ونجاح وإخفاقا، فهذا التاريخ ليس المطلوب في المدارس الأهلية، هناك وقائع وأحداث يجب على الفرنسيين أن يعرفوها ولكن ليس مطلوب بالنسبة للأهالي، فالمطلوب من هاتين المادتين التاريخ والجغرافيا أن تقدم لأطفال الأهالي بشكل يجعل فرنسا "محبوبة من طرف العرب، فخورين بحمايتها لهم، أكبر دولة وأغنى دولة وأكثرها تحضرا وكرما وإنسانية"⁽¹⁾، لكن هذه الافكار التي تدرس في المدارس يجب أن تطابق السياسة الاستعمارية على الأرض.

كتب فورتان Fortin وماسون Masson اقتراح حول مهمة التعليم في الجزائر: «إن سكان الجزائر ليس لهم بعد إدراك بالوطنية الجزائرية؛ فبنسبة لهم الوطن هو القبيلة، إذ لم يستوعبوا بعد المفهوم الواسع للوطن الذي يدينون به للاستعمار الفرنسي؛ فواجب التعليم الفرنسي هو أن يعلمهم أن يقولوا "نحن جزائريون"⁽²⁾، وقد اقترحا في مشروعهما أن تنشر جغرافية مبسطة عن الجزائر بأسماء القبائل والجبال، وجغرافية فرنسا وتاريخ مبسط عنها، وكتاب عن تاريخ علاقة الصداقة بين المسلمين والأوروبيين، مع ضرورة استبعاد الأحداث التي تثير الصراعات وتاريخها⁽³⁾، وإذا نظرنا إلى الدراسات التاريخية الاستعمارية، فهي كثيرة ومنها ما نشر في المجلة الافريقية، ولم تخلوا دراسة من ذكر روما والرومان في شمال إفريقيا ومحاولة ربط عادات وتقاليد وثقافة البربر بالثقافة الرومانية القديمة، وتصوير الاسلام والعرب على أنه غريب في المنطقة بما يخدم السياسة الاستعمارية.

يوصي صاحب المقال المعلمين بتلقين تلاميذ الأهالي دروس في التاريخ والجغرافيا تبين عظمة فرنسا ومكانتها المرموقة بين دول العالم بأقوال بعض العلماء والأعلام البارزين مثل ما قاله -الكاتب ورجل الدولة- فيزو Guizot الذي قال: "لا توجد فكرة قوية عبرت العالم ولا مبدأ حضاري كبير إلا وقد مرّ بفرنسا"، أو قول آخر " ففي كل رقعة من الأرض نمت فيها فكرة كبيرة إلا وكتاب فرنسي كان قد بذرها" أو القول بأن "كل رجل متحضر إلا وله وطنان، وطنه وفرنسا"⁽⁴⁾، ويقول مجدوب بن خالفة: "إن من مصلحة المحتل أن يعمل على تمدين المستعمرة، وعلى هذا فالتعليم يمكن أن يجعل من العربي رجلا مستنيرا ومتخلقا، وخاصة لكي

(1) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 100-101.

(2) ايفون (توران)، المرجع السابق، ص: 66.

(3) المرجع نفسه، ص: 66.

(4) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 101.

يصبح فرنسيا، فتعليم القراءة والكتابة لا يكفي فهذه المعارف السطحية جدا يكون ضررها أكثر من نفعها، فهو محتاج إلى تعليم معمق وراسخ إذ هو وحده الكفيل بتغيير أفكاره جذريا. ولن يفده من هذه الزاوية شيء أفضل من دراسته للتاريخ والجغرافيا"⁽¹⁾، لكن كيف يمكن التلميذ الجزائري تقبل تلك الأفكار وهو يشاهد مصادرة أراضي أبيه وأهله، والأحكام القضائية الجائرة ومختلف المعاناة الاقتصادية والاجتماعية.

المدرسة التي تساعد على الاخضاع تكون مجهزة ومؤهلة لذلك من إمكانيات ومعلمين فرنسيين يمتلكون كفاءات، ولي معلمين يدرسون في القصدية كما يقول مدير رابطة التعليم في الجزائر Serpagg: «ما دام تعليم الأهالي مهمة سياسية أكثر منه غرضا تربويا فمن الأنسب إذا أردنا أن نجعل الأهالي طيعين لنا أن نتصور تعليما من نمط خاص بحيث لا يوكل فيه للأطفال إلى معلمين من حملة شتى أنواع الشهادات ولكن إلى ممرين أهالي يتخذون من القصدية مدارس بمبلغ 150 أو 200 فرنك على أكبر تقدير»⁽²⁾، فالتعليم إذن ليس مهمته التطوير، وإنما له أهداف سياسية فقد جاء في برنامج 1890 «لم تعد فرنسا راغبة في أن تجعل من العرب رعايا خاضعين وإنما مواطنون راضين بسلطتها»⁽³⁾، والمقصود بالرضى الخضوع الفكري وليس الخوف من سلطة الاستعماري، لأن الخضوع الفكري يضمن استمرارية الولاء لفرنسا.

إن التجنيس هو الطريق نحو الاخضاع الفكري والمعنوي للمجتمع الجزائري، ولهذا "عمل الاستعمار سياسة الفرنسة والادماج والتجنيس والقضاء على الشخصية الجزائرية ولما عجزت فرنسا عن فرض هذه السياسة الهدامة بواسطة القوانين جعلت من التعليم وسيلتها لتحقيق هذه الهدف وقد جعلت من المدرسة وسيلة لتجريد الشعب الجزائري من شخصيته الاسلامية العربية تدريجيا"⁽⁴⁾، وكانت فرنسا تستغل كل الفرص لتدعيم أسس الإدماج، فكان التلاميذ يخرجون من القسم صفوفًا وهم ينشدون أناشيد فرنسية مثل نشيد العلم الفرنسي، ونشيد جنودنا الشجعان، وغيرها من الأناشيد التي تبعث روح القومية الفرنسية⁽⁵⁾، وإن كان لسان

⁽¹⁾ Medjdoub ben kelfat; de l'instruction des indigènes .

منشور في: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص: 194-195.

⁽²⁾ شارل رويبر (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 538.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص: 552.

⁽⁴⁾ أنيسة (بركات)، «التأثير الثقافي في الأسرة الجزائرية من الاحتلال إلى استرجاع الاستقلال»، مجلة الثقافة، ع 82، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 1984، ص: 200.

⁽⁵⁾ أعمار (مكساوي)، سياسة فرنسا تجاه تعليم أبناء الجزائر في التعليم الفرنسي (1830-1900) دراسة تحليلية تربوية تاريخية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في علوم التربية، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2011-2012، ص: 48.

تلاميذ الجزائريين يرددونها في الصغر، لكن عندما يتقدم في السن يدرك الحقيقة فينتكر لتلك الأفكار الاستعمارية أو يناضل من أجل تحقيقها بين مجتمع أهله مثلما هي مطبقة في المجتمع الفرنسي في فرنسا.

إن الاحتلال المعنوي عن طريق المدرسة الفرنسية كان يهدف في آن واحد إلى إضفاء الشرعية على الاحتلال المادي وتكريس نتائجه السياسية، حيث يقول أحد القادة العسكريين: "إن لفتح مدرسة في المجتمع الأهلي مفعولا يعادل قوة فيلق عسكري في عملية بسط الأمن في البلاد"⁽¹⁾، وكتب أحمد طالب الابراهيمى: "فرنسا لم تكتف بتجريد الانسان الجزائري من أرضه ومسح شخصيته، بل عملت كذلك على إفساد الأفتدة والعقول، وقد تجلّى عملها التخريبي في إغلاق المساجد والمدارس التي كانت تعلم العربية، وفي هدم الزوايا، لأنها كانت مراكز لتثقيف الشباب وغرس روح المقاومة في نفوسهم، وهكذا قضت فرنسا على الثقافة الجزائرية عندما قطعت عن تلك الثقافة جميع الروافد التي كانت تغذيها وتنميتها"⁽²⁾، والأكثر من ذلك تكوين أقلام جزائرية تدافع عن فرنسا وتحرم محاربتها، وتأخذ مثال عن ما كتبه ابن زكري عن فرنسا وموقفه من ثورة المقراني.

كتب ابن زكري سنة 1903 واصفا ثورة المقراني على أنها: "القضية الفظيعة والفتنة الشنيعة الصادرة من أسافل أسلافكم سنة احدى وسبعين وثمانمائة وألف 1871، إلا أنها جريمة فذرة يجف القلم صونا من كتابتها ويعرق جبين الكاتب المتفكر حياء من معرفتها لأنها خدعة من خادع ومكر من ماكر فقد خادعوا الله بالتعدي على شريعته وهو خادعهم ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، أفسدوا في الأرض إفسادا ما أتى به قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما فعل نمrod منهم ببعيد، أضاعوا الأرزاق على أهلها وهدموا الأبنية على بانيها، وسفكوا الدماء وقتلوا الأنفس بغير حق، أي كتاب أو سنّة يحاجون به عند أحكم الحاكمين يوم الفزع الأكبر... إن الثورة المشار إليها عبارة عن حركة أقوام إن لم نقل وحوش تولد عنها الفحش والبغي والعدوان والفساد في الأرض، وكل ما يمقته الطبع السليم من قتل النفوس التي حرم الله بغير حق وهتك حرمة بشرتهم بالذبح وشق البطون وقطع الاعضاء وإلقائها في النار (في إشارة إلى ما فعله المجاهدون بأجساد الفرنسيين) هذه دعوى ودليلها المشاهدة والعيان"⁽³⁾، ويقوم في النهاية يزيل الشك عن موقفه: "إن الثورة الحادية والسبعين ليست من الشرع بشيء فيحرم انعقادها والسعي في إيقاد

⁽¹⁾ غي (برفيلبي)، المرجع السابق، ص: 24.

⁽²⁾ مصطفى (زايد)، المرجع السابق، ص: 108-109.

⁽³⁾ محمد السعيد بن أحمد (ابن زكري الزواوي)، أوضح الدلائل على وحب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، مطبعة فونتانة، الجزائر، 1903، ص: 19-20.

نارها"⁽¹⁾، وهذا لو تمعنا فيه مهما كانت مبرراته فهو خطاب استعماري، يتماشى مع المشروع الاستعماري في استغلال مواقف العلماء والشيوخ، وتسييس آراء النخبة.

نفترض أن موقف ابن زكري راجع لاختلافه مع الطريقة الرحمانية وزواياها، ولهذا حرم ثورتهم ضدّ فرنسا، لكن عندما وصلنا قراءة ما كتبه، وجدنا أنه يحرم الثورة ضدّ فرنسا: "فاجعل ما وصفته لك مقدمة صغرى مسلمة ببرهان المشاهدة قائلة هذه الثورة فحش ومنكر وبغي وفساد في الأرض، فتضم إليها الكبرى قائلة وكل ما كان كذلك فهو حرام عقلا وكتابا وسنة، فتخرج النتيجة بعد إلغاء الوسط قائلة هذه الثورة حرام كذلك أي عقلا وكتابا وسنة"⁽²⁾، ويقول عن الثائرين: "ومن المعلوم أن الثائرين لم يقصدوا بثورتهم إعلاء كلمة الله بل ما كان قصدهم إلا الرياسة والتفاخر وحوز الغنائم والاستكثار من حطام الدنيا، وما غاية شأنهم إلا إحداث الفساد في الأرض"⁽³⁾، ولم يكتب ابن زكري عن جرائم الفرنسيين، بل أعطى صورة مغايرة عن الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

مجد ابن زكري فرنسا وأعطاهما صورة حسنة في نشر التعليم وتهيئ القبائل الذين ثاروا عليها في مشهد الاستعمار يحسن لمن أساء إليه، فيقول: "ثم أخذت في أسباب فتح أبصاركم بإحداث المكاتب لتعليم أولادكم وتهذيب أخلاقهم حتى ينتقلوا من عالم التوحش إلى عالم التنافس وانفقت في ذلك أموالا طائلة في بناءها واشتراء آلات التعليم وترتيبها وتعيين الرواتب للمعلمين وما يعطى مكافأة التلاميذ الفائزين في مسابقة الامتحان في آخر كل سنة... وقد أيقظتكم أيضا من بيت الغفلة من حيثية أخرى حتى حرصتكم على تعاطي الصنائع والحرف ووجهت هممكم إلى اكتساب المعيشة من عدة وجوه كالتجارة والفلاحة والغرس والتلقيح والبناء وإنتاج المواشي وتسهيل الطرق بامتداد الخطوط الحديدية واتساع غيرها ونصب القناطير على الأودية والشعب والأعظم من ذلك كله إزالة الخوف من قطاع الطريق فاتسع سبيل الأمن في الجبل والساحل"⁽⁴⁾، هذا مثال من أمثلة كثيرة تبين كيف استطاع الاستعمار في إخضاع بعض النخب فكريا، وأكد سيكون لهم تأثير داخل المجتمع، مما خفض منحنى المقاومات الشعبية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، في المقابل الاحتلال المعنوي بدأت تظهر معالمه سنة 1914 «مهما يكن الأمر؛ فإن الاحتلال المعنوي للجزائر

(1) المصدر نفسه، ص: 22

(2) المصدر نفسه، ص: 21.

(3) المصدر نفسه، ص: 24.

(4) محمد السعيد بن أحمد (ابن زكري الزواوي)، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، المصدر السابق، ص: 30-

الإسلامية عن طريق المدرسة كما كان يحلم الجمهوريون الفرنسيون كان في بداية إرهاباته حين اندلعت الحرب العالمية الأولى»⁽¹⁾، ويمكن أن نميزه في التيار الاندماجي وإيمانه المطلق برسالة فرنسا الحضارية في الجزائر.

3- تكوين النخب.

سعت الإدارة الفرنسية منذ البداية إلى تكوين نخب مثقفة بالثقافة الفرنسية تخدم مصالحها؛ حيث تكفلت بتعليم أبناء بعض الأعيان في فرنسا سنة 1844 وعدادهم ثمانية «لقد أحاطتهم بعناية كبيرة فخصصت لهم ميزانية بمبلغ عشرين ألف فرنك - 2500 فرنك عن كل طفل - للصرف عنهم، فغاية إدارة الاحتلال من وراء احتضانها لهذه المجموعة من الأطفال هي إعطاء صورة مشرفة عن فرنسا عندما يعودون إلى بلادهم»⁽²⁾، وفي تقرير أعدته مصالح الولاية العامة حول موضوع التعليم من نفس السنة جاء فيه: «أنه الآن وقد استتب الأمر لفرنسا بخضوع القبائل التي كانت تدين بالولاء للأمير عبدالقادر يجب التفكير في المستقبل، فما دامت فرنسا قد قررت الاستقرار في البلاد فإنه يتحتم عليها تجاوز مرحلة التسيير اليومي للأمر وفق مستجداتها، والقيام منذ الآن بغرس أشجار شابة والتي تستوجب انتظار عدة سنوات قبل أن تعطي ثمارها، فمن يريد محصولا وافرا عليه أن ينتقي بذورا جيدة ويحسن رعايتها»⁽³⁾، ومعنى هذا أن تكوين النخب ستساعد في إدارة البلاد وأن تكون وسيطة بين الاستعمار والجزائر وكبديل عن الأغوات الوساطة التقليدية، لأن النخبة ستساعد في تغيير الثقافة والعادات.

يتحدث صاحب كتاب أوضح الدلائل في إصلاح الزوايا ببلاد القبائل عن رغبة السياسيين الفرنسيين في تكوين نخبة تمجد فرنسا لكنهم فشلوا في ذلك فيقول: "ذهب رجال السياسة مذاهب عديدة، وتطرقوا أفكارهم طرقا عديدة حرصا على الوصول إلى ما به إفهام القبائل وكشف الغطاء عن أبصارهم وإزالة الريب عن قلوبهم حتى يعاينوا ما لفرنسا عليهم من المزايا والمكارم معاينة تستلزم ارتسام ذلك في مرآة عقولهم، لكن لن تجد واحد في اجتهادهم قد أصاب"⁽⁴⁾، ويرد combes على المنتقدين للمدارس الإسلامية الثلاثة، والطلبة المتخرجين منها: "فإذا أغلقنا هذه المدارس فمن أين نأتي بموظفي القضاء الإسلامي والشعائر الدينية، فرجال الدين باقون مادام الدين باق، لقد التزمنا وأعطينا وعدا باحترامه... فبفضل هذه المدارس يكون بين أيدينا

(1) شارل روبر (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 592.

(2) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 19.

(3) المرجع نفسه، ص: 20-21.

(4) محمد السعيد (ابن زكري) الزواوي، أوضح الدلائل في إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، المصدر السابق، ص: 10.

وتحت تصرفنا رجال الدين من صنعنا، فإذا أسقطنا هذه الورقة من أيدينا سنجد أنفسنا مضطرين الاستعانة بمن نصنعهم بدل غيرهم"⁽¹⁾، فمهمة تلك المدارس تكوين النخب الدينية التي ستوظف في المساجد وبالتالي سيطرة الاستعمار على المؤسسات الدينية.

نشر اللغة الفرنسية عنصر ضروري في تكوين النخبة؛ فتصبح اللغة الرسمية في حديثهم وكتاباتهم، كما يساعدهم في إدماجهم وفرنستهم «كان تعليم الفرنسية يتجاوب مع هدف مزدوج أثناء الحقبة الاستعمارية؛ وهو: تكوين "نخبة مثقفة" من الشرائح المميزة للشعب الجزائري حيث تكون وظيفتها المساهمة في الإدارة الاستعمارية، ثم فرنسة هذه النخبة ودمجها "بقيم" الحضارة الفرنسية»⁽²⁾، والأكثر من ذلك تغيير نظرة الجزائريين للغة، فتصبح نظرهم أن تعلم اللغة الفرنسية تقدما، وتعليم اللغة العربية والتمسك تخلفا.

إن صورة النخبة في الفكر الاستعماري جاءت في مقدمة برنامج التعليم لسنة 1898، أن غاية التعليم هو إعداد أبناء الأهالي لأن يكونوا "رجال ذوي أخلاق حميدة متفتحين ومتبصرين مستعدين للاقتراب منا بواسطة استعمال لغتنا، يدركون مدي التقدم الذي سيحصلون عليه لتحسين أحوالهم المعيشية، ونظافتهم وطرقهم في الزراعة والصناعة وفي معاملتهم التجارية"⁽³⁾، لقد صرح مدير الدراسات بأن: «الهدف من تعليم الأهالي هو أن نجعل منهم رجالا يتميزون بالنزاهة وبعقول مستنيرة وندربهم على الاحتياط للمستقبل، وعلى حب العمل ليصبحوا على أتم استعداد للتقارب معنا واستعمال لغتنا ومعاينة الرقي الذي نعرض عليهم المساهمة فيه لتحسين أوضاعهم وظروفهم الصحية وممارستهم الفلاحية وأشغالهم الصناعية»⁽⁴⁾، وصرح جونار أمام المجلس الأعلى بتاريخ 17 جوان 1910: «إن المدرسة الابتدائية التي هي في فرنسا حجر الزاوية في هيكل الجمهورية، تشكل في الجزائر حجر الأساس في عملية إرساء هيمنتنا»⁽⁵⁾، ويكون ذلك عن إنشاء نخب موالية للاستعمار.

مهمة هذه النخبة هي تجسيد التبعية الفكرية للاستعمار والخضوع له "إن الهدف الذي يرمى إليه الاستعمار... هو تكوين نخبة مزيفة من المثقفين مقطوعة عن الجماهير الشعبية، بحيث يشعر أولئك المثقفون

(1) جمال (قنان)، التعليم الاهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، (المرجع السابق)، ص: 111.

(2) عبدالقادر (جفلول)، تاريخ الجزائر الحديث؛ دراسة سوسيولوجية، تر: فيصل عباس، ط3، دار الحدائة وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص: 245.

(3) جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، المرجع السابق، ص: 98.

(4) شارل رويير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 525-526.

(5) شارل رويير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 558.

بأنهم غرباء بين ذويهم، فتقطع صلتهم بأبناء البلاد، ويتنكرون للتقاليد، ويتشبهون بأسيادهم، ويصابون بما سماه جول غوتي Jules Goutie البوفارية العقائدية وهو نوع من التبعية الفكرية، إذ يحاولون دائما أن يحتدوا حدوا الاجنبي وأن يتقمصوا شخصية الأجنبي"⁽¹⁾ غير أن المدرسة المستوردة لخدمة بعض المشاريع المريبة قد فشلت فشلا ذريعا، فهدفها قبل كل شيء مساعدة الأهالي على الاندماج في المخطط الاستعماري الكبير، وإقناعهم أن ذلك في صالحهم⁽²⁾، لأن من والى الاستعمار وطالب بالإدماج تراجع عن ذلك وخير دليل على ذلك مسيرة فرحات عباس.

ونقدم احصائيات عن عدد المتحصليين على شهادات في المدارس الفرنسية، وهم أمل فرنسا في تكوين نخب موالية لها؛ فعدد الشهادات الابتدائية التي أحرزها الأهالي من سنة 1883 إلى 1913 كما يلي: 4.991 شهادة في التعليم الابتدائي الخاص بالأهالي، و 2.614 شهادة في التعليم الابتدائي العادي؛ أي ما مجموعه 7.605 شهادة⁽³⁾، لكن أغلب من تحصلوا على هذه الشهادات من أجل التوظيف وتحسين الظروف المادية والاجتماعية، والبعض من واصل دراسته أصبح قلما يدافع عن فرنسا وحضارتها ويطالب بتطبيقها في الجزائر وإدماج الجزائريين.

ونختتم هذا العنصر بما قاله أحمد طالب الابراهيم عن السياسة الفرنسية في تكوين النخب "وقد أخذ المستعمر بعد أن شوه الصورة الراسخة في الأذهان عن ماضي بلادنا، وبعد أن أطفأ في قلب الإنسان الجزائري جدوة الاعتزاز بقيمته كإنسان والمبادئ التي يؤمن بها، أخذ المستعمر بعد ذلك يلقنه في المدرسة الفرنسية عادات جديدة في التفكير، والسلوك، وقد كتب أحدهم من ذوي النظريات الخاصة في التعليم الفرنسي، كلمة صريحة في هذا الموضوع فقال: إن أحسن وسيلة لتقييد الشعوب البدائية في مستعمراتنا، وجعلهم أكثر ولاء وأخلص لخدمتهم لمشاريعنا هو أن نقوم بتنشئة أبناء الأهالي منذ الطفولة، وأن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا باستمرار، وبذلك يتأثرون بعاداتنا الفكرية وتقاليدنا، فالمقصود باختصار هو أن نفتح لهم بعض المدارس لكي تتكيف عقولهم وحسبما نريد"⁽⁴⁾، وهو تصريح واضح من أحد منظري الاستعمار ف تكوين نخب تدافع عن

(1) مصطفى (زايد)، المرجع السابق، ص: 109.

(2) محفوظ (سماتي)، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، تر: محمد الصغير بناني وعبدالعزیز بوشعيب، دار دحلبي، الجزائر، 2007، ص: 206.

(3) شارل روبيير (أجرون)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 575.

(4) مصطفى (زايد)، المرجع السابق، ص: 109.

مشاريعها الاستعمارية، لكن هذا الهدف لم يتحقق كما أراد الاستعمار بسبب قلة من استجابة للسياسة التعليمية الفرنسية من الجزائريين.

الفصل الثالث

الواقع الثقافي في الأوساط التقليدية

أولاً: التعليم في المساجد والمدارس

ثانياً: الروايات بين القمع الاستعماري، التجدد

وضرورة الإصلاح

ثالثاً: الطرق الصوفية؛ الواقع ومسألة الولاء

رابعاً: الثقافة الشعبية

أولاً: التعليم في المساجد والمدارس

1: الكتابيب والصمود الثقافي: ارتبطت الكتابيب بالمساجد كما ارتبطت الزوايا بالطرق الصوفية، فإنشاء تلك المؤسسات التعليمية الصغيرة تاريخياً عبارة عن انشقاق عن المؤسسة الأم (المسجد)، فوظيفة الكتابيب تحفيظ القرآن الكريم للأطفال وترتيبه لهم، وقد دعت الحاجة لتأسيسها من أجل "تجنيب المساجد أوساخ الأطفال وضوضائهم والاحتفاظ بنقاوتها، وطهارتها و قارها، وهذه الكتابيب أحيانا بيوت منفردة وأحيانا مجموعات من البيوت، وقد تكثفت في عهد الاستعمار الفرنسي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، كأسلوب لمواجهة سياسة التنصير والتمسيح والفرنسة وحماية الشخصية الجزائرية، ومقاومة سياسة التجهيل الفرنسية"⁽¹⁾، فقد عوضت الكتابيب أحيار المساجد رقم قلتها مقارنة بفترة قبل الاستعمار، لأن عدد معلمي القرآن تناقص بسبب تقلص مؤسسات تخريج حافظي القرآن.

أصبحت الكتابيب رمز استمرار التعليم القرآني؛ "فكان الجزائريون يعتمدون على التعليم على ما كان يسمى بالكتاب أو في البداية بالشرعية"⁽²⁾، وقد شملت المبادئ المتلقات حفظ القرآن والكتابة والرسم القرآني وكذلك التربية الدينية وحفظ الأحاديث وأداء الصلوات وحسن الأخلاق، وذلك بوسائل تقليدية مثل اللوح والدواة وقلم القصب"⁽³⁾، وكان الطالب (معلم القرآن) ينصت إلى قراءة الأطفال ثم يملي عليهم آيات يكتبونها مع حث الكبار على احترام قواعد الرسم الاملائي، كان تعليمهم مقتصر على ذلك، والفائدة التربوية الوحيدة هنا هي أن الأطفال يتعلمون الكتابة باللغة العربية أو بالنقل الصوتي للغة المنطوقة من غير مراعاة لأية قاعدة نحوية"⁽⁴⁾، وهو المنهج المتبع في أغلب مناطق الجزائر.

إن المنهج المتبع في الكتابيب يعتمد على التعليم الشفوي بقراءة القرآن من طرف المعلم وتكراره من طرف التلاميذ، بداية من تعليم الحروف"⁽⁵⁾، فيجلس الأطفال من مختلف الأعمار ذكورا وإناثا على الأرض في

⁽¹⁾ يحيى (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص: 129.

⁽²⁾ تختلف اسمه من منطقة إلى أخرى، وله تسميات عديدة منها: المسيد، وفي بعض مناطق الجنوب الجزائري تسمى الحضرة، أقريش.. وهي عبارة عن مدرسة صغيرة مهمتها تحفيظ القرآن الكريم والقراءة والكتابة.

⁽³⁾ شخوم (السعدي)، «التعليم التقليدي في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين»، الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، عنابة- الجزائر، يومي 14-15 جوان 2009، ص: 44.

⁽⁴⁾ شارل روبر (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 583.

⁽⁵⁾ Mercier (E), Question indigène en Algérie au commencement du xx^e siècle, op.cit, P : 184.

شكل دوائر نصفية، فيملي عليهم أجزاء من القرآن الكريم يكتبونها على ألواح خشبية مطلية بطين الصلصال، وأقلام من الخشب وصمغ مصنوع من الصوف المحروق، وبعد كتابته وتصحيحه في الفترة الصباحية يتمرن الأطفال على قراءته قراءة أولية، ثم يتلون في المساء ويقرؤونه جهرا حتى يحفظونه ثم يمحوه في صباح اليوم الموالي، ويكتبون غيره وهكذا بصفة دورية حتى يأتون على كل سور القرآن وأحزابه⁽¹⁾، ويبدأ الطفل بالحروف ثم الفاتحة ثم سورة الناس وما قبلها حتى يصل إلى سورة البقرة، فيكون قد أتم القرآن فيما يعرف بـ"الختمة" فيعمل والده حفلة يستدعى أقاربه ويكرم فيها التلميذ ومعلم القرآن.

يعطينا أحد الفرنسيين صورة عن طريقة التعليم داخل الكتاتيب في وصفه وهو يشاهد معلم قرآن يدرس فيقول بولسكي: إن حصة الحفظ تجري في مدرسة (مكتب) صغير مفتوح عادة على الشارع، وكل المارة يشاهدون ما يجري، الأرض مغطاة بالحصير، والتلاميذ يجلسون عليها حفاة متربعين، ويقف المؤدب وسطهم بعضا في يده، وللتلاميذ ألواح خشبية يكتبون عليها بأقلام مبراة من القصب، وهم يكتبون من إملاء المؤدب، وبعد أن يطلع المؤدب على ما كتبوا يقرأون جميعا بصوت عال، إن هناك الكثير من الضجيج في هذه المكاتب، وقلما يفقد المؤدب صبره، وله شخصية مهابة، والتلاميذ غالبا ما يظهرون الحماس والاهتمام، ثم أن الصباح والقراءة العالية تشغل التلاميذ عمّا يجري في الشارع وعن الزوار، إن هناك علاقة متينة وثقة متبادلة بين المؤدب والتلاميذ... وعلاقة الود والاحترام بين المؤدب والتلميذ تستمر مدى الحياة⁽²⁾ ولا تنتهي بالخروج من المدرسة⁽³⁾، وهذه الصورة تنطبق على مختلف الكتاتيب في أنحاء الجزائر، لأن الوسائل التعليمية موحدة، وطريقة التدريس متوارثة من جيل لآخر.

ينتقد أبو يعلى الزواوي هذه الطريقة، ويقترح منهج آخر في التدريس فيقول: "أرى أن يجعل الأولاد المتعلمون طبقات على حسب الأسنان والإدراك أي قسما قسما ويكون تعلم الصغار من سبعة أعوام إلى اثني عشرة سنة مقتصرًا على قراءة القرآن بالإملاء وكتابة على قاعدتنا في الألواح من خشب أو قصدير، وكذلك العناية بالحفظ وصناعته لأنه معراج وسلم إلى الأدب واللغة العربية فيتمادون إلى حدّ البلوغ مع قواعد عربية ومسائل صرفية إلى دراسة الفقه والتوحيد والتفسير والتاريخ العام وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

(1) يحي (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص: 129.

(2) هناك مقولة مأثورة عندنا متداولة: "من علمني حرفا صرت له عبدا"، ومن بين العادات أن الطالب المتعلم الذي يزاول دراسته في الزاوية، بعد رجوعه يزور معلمه الأول بعد زيارة والده، ويدعو له في كل دعاء "اللهم أغفر لنا ولوالدنا ولمشايجنا ولمن له الحق علينا، ولجميع المسلمين والمسلمات" في الدعاء المتداول.

(3) أبو القاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص: 41.

والجغرافيا والإنشاء والحساب والفرائض والمعاني والبيان والمنطق إلى أن يبلغوا ثمانية عشر عاما من أعمارهم، فيزيدون سنة أو سنتين في الأصول والعلوم العالية ودراسة السياسة العامة الدولية فيمتحنون أثناء تلك المدة ويتخرج منهم أفراد يتولون الوظائف الدينية وغيرها⁽¹⁾، ولاشك أن هذا الاقتراح أحسن في تطوير منهجية التعليم داخل الكتاتيب لأنها تتم بشكل عشوائي يغيب فيها المنافسة والمستويات، ويتم تدريس الكل في قسم واحد قد يصل الفارق بين أصغرهم وأكبرهم 20 سنة، وهذا ما يؤثر سلبا على العملية التعليمية.

لقد انتقد بشدة غي برفيلبي منهج التعليم في الكتاتيب وغيرها من مؤسسات التعليم الاسلامي فقال: "كان التعليم التقليدي يعتمد على تلقين مضامين الوحي الإلهي باللغة المقدسة، أي اللغة العربية الكلاسيكية، ولقد أدى ذلك النمط التعليمي البالي إلى تقليص مجالات أعمال الفكر ومن ثمّة إلى تعميم رونق الحضارة العربية الاسلامية التي أيقظت العالم المسيحي من سباته، فليس تم علم يستحق الذكر سوى تدريس القرآن والمواد المساعدة على فهمه وشرحه وتطبيقه، وأما عدا ذلك فزوائد عديمة القيمة"⁽²⁾، ورغم أن مهمة تخريج العلماء توكل إلى المساجد والمدارس والزوايا، فإن الكتاتيب هي القاعدة الأساسية لبث روح العلم في نفسية التلميذ، لكن تراجعها كان سبب الواقع الثقافي الذي آلت إليه الجزائر والعالم الاسلامي بصفة عامة، بل أن بعض الكتاتيب اقتصرت على تحفيظ بعض السور الصغيرة وآيات من القرآن لأداء الصلاة، وقل الاهتمام بطلب العلم حتى في العلوم الدينية.

ومما زاد الوضع أكثر تدهورا أن معلمي القرآن لا يحفظون كل القرآن فضلا عن أحكامه ورواياته، وأصبحت مهنة طالب (معلم القرآن) مقصد الأغلبية من أجل الاسترزاق في زمن الاستعمار وما يرادفه من كلمة المجاعة والحرمان، ولهذا لا نستغرب من تصريح لوروي بوليو L.beaulieu سنة 1886 الذي قال فيه أن معلمي المدارس القرآنية جهلة تقريبا، وهم لا يعرفون إلا القراءة والكتابة⁽³⁾ ويصف كامبون حالة المعلمين في خطاب له أمام مجلس الشيوخ بتاريخ 19 جوان 1894 فيقول: "إننا نرى رجال فقراء، نصف عراة، غريب أمرهم يجوبون المدن والبوادي، ويعيشون بما يتصدق عليهم الناس، ويعلمون القرآن، هؤلاء الأشخاص يحتاطون بشهرة قدسية لا تزول عنهم ما داموا يكونون لنا العداوة والبغضاء"⁽⁴⁾، فالمعلمون الذين

(1) أبو يعلى (الزواوي)، تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي، ط01، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص: 152.

(2) غي (برفيلبي)، المرجع السابق، ص: 23-24.

(3) أبو القاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج03، المرجع السابق، ص: 51.

(4) محفوظ (سماتي)، المرجع السابق، ص: 211.

يحفظون بعض سور القرآن فقط يلجؤون للأرياف للإشراف على المصلى وتحفيظ ما حفظوا من القرآن، والقداسة التي تحيط به قد لا تمنح لعالم متفقه في مدينة، فيلجأ له السكان في الفتوى والتبرك وحتى التداوي بالرقية الشرعية التي أصبحت تحت مسميات عديدة.

حاول الاستعمار القضاء على الكتابات والتعليم القرآني بصفة عامة واستبداله بالتعليم الفرنسي؛ فيقول لويس رين: "في مجال التعليم، تهدف جهودنا منذ 1830 للحد من التعليم القرآني واستبداله تدريجياً بمجانبة التعليم أكثر عقلانية، وأكثر ملاءمة، وفوق كل هذا يكون أكثر فرنسيا"⁽¹⁾، لأن تلك المؤسسات وإن كان مردودها ضعيف بسبب ظروفها المالية الصعبة، فهي في نظر الاستعمار عقبة تعيق المشروع الاستعماري، ولهذا خصصت الإدارة الاستعمارية مبلغ قليل موجه للمؤسسات الدينية الإسلامية مقارنة بالمؤسسات الدينية الأخرى المسيحية واليهودية؛ والجدول التالي⁽²⁾ يوضح ذلك:

المذاهب	عدد الأفراد (نسمة)	قيمة الانفاق الفرنسي	معدل الانفاق (الفرنك)
الكاثوليك	310.000	920.100	2,93
البروتستانت	7.500	83.100	11,08
اليهود	35.665	26.100	0,731
المسلمين	2.842.497	216.340	0,076

وهناك إحصائيات أخرى لسنة 1906؛ فكان مبلغ الانفاق على المسيحية هو 884.000 فرنك، واليهودية 31.000 فرنك، والاسلام 337.000 فرنك⁽³⁾، وهذا كان في عهد الحاكم العام جونار الذي اهتم بالمؤسسات الدينية الإسلامية قليلا مقارنة بالولاة الذين سبقوه، فيذكر المهدي بوعبدلي أن ميزانية كافة الوظائف الشرعية والدينية في مدينة الجزائر قدرت بـ 60 ألف فرنك سنة 1892، في حين كانت تصل في العهد العثماني إلى سبعة ملايين فرنك للعاصمة وأربعين مليون للجزائر كلها⁽⁴⁾، والقيمة المخصصة للمسلمين مخصصة فقط لتسديد رواتب الموظفين من مفتين وأئمة وغيرهم، بينما لم يكلف الاستعمار نفسه عناء ترميم

⁽¹⁾ Louis Rinn, marabouts et khouans étude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan , Alger , P : 05.

⁽²⁾Ibid, P : 13.

⁽³⁾كريم (ولد النبوة)، الجزائريون والإدارة المحلية الاستعمارية في عمالة وهران 1866-1947، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الجليلي ليايس-سيدي بلعباس، 2005-2006، ص: 327.

⁽⁴⁾المهدي (بوعبدلي)، تاريخ المدن، جمع وإعداد: عبدالرحمن دويب، ط01، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص: 76.

المؤسسات الدينية الاسلامية فضلا عن بناء مؤسسات جديد رغم الأموال الضخمة التي يجمعها من الضرائب.

لم تكثف الادارة الاستعمارية بالتضيق المالي على الكتاتيب، بل أخضعتها ومختلف المؤسسات التعليمية إلى الرقابة والتفتيش بموجب قانون 30 أكتوبر 1886، وأكد على ذلك المرسوم الوزاري 15 ديسمبر 1906، وتخضع للرقابة فيما يتعلق النظافة والصرف الصحي والالتزامات المفروضة، والمعلومات المقدمة⁽¹⁾، كما أن للحاكم صلاحيات تحديد عددها⁽²⁾، وبالتالي فإنشاء كتّاب يتم بترخيص من الادارة الاستعمارية، كما منعت من ممارسة عملها فترة التدريس في المدارس الفرنسية الموجهة للأهالي.

2-المدارس:

اصطلح المسلمون اسم المدرسة على المكان المخصص لإلقاء الدروس بمستوى عال⁽³⁾، وهي المكان المخصص للتعليم وحده، وكانت تؤدي في المدينة دور الزاوية في الريف⁽⁴⁾، وهناك فرق بين الزاوية والمدرسة؛ فالزاوية امتداد للرباط وبديل له وانتشرت في الجبال والسهوب والواحات من أجل التفرغ للعبادة والعمل الخيري كإطعام المساكين وابن السبيل، ثم أصبحت لتعليم كتاب الله وعلوم الدين، أما المدرسة فهي مؤسسة علمية أنشئت أساسا في المدن، والزاوية مؤسسة حرّة بينما المدرسة غالبا ما ارتبطت بالسلطة، والزاوية لها مهام متعددة بينما المدرسة مخصصة للتعليم فقط⁽⁵⁾، والزاوية غالبا ما تكون تابعة لطريقة صوفية نظرا لطبيعة العلاقة التاريخية بينهما، والقواسم المشتركة في الأهداف.

⁽¹⁾ ينظر المادة 48:

Décret du 15 décembre 1906, Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, op.cit, P : 18.

⁽²⁾ ينظر المادة 56:

Ibid, P : 19.

⁽³⁾ محمد (نقادي)، إسهامات العلامة الأبي التلمساني في الحياة الفكرية بحواضر المغرب، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص: 92.

⁽⁴⁾ عبدالحق (شرف)، العربي بن عبدالقادر بن علي المشرفي حياته وأثاره المتوفي 1895م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص: 62.

⁽⁵⁾ أحمد (بحري)، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث 1500-1900، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2012-2013، ص: 233-234.

توجد بالجزائر مجموعة من المدارس مثل مدرسة ابن مروان بعنابة والكتانية وسيدي الخضر بقسنطينة والتاشفينية ببجاية وسيدي بومدين بتلمسان وسيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر العاصمة، وهناك مدرسة بليانة ونذرومة وغيرها⁽¹⁾، وتذكر بعض التقارير الفرنسية أن عدد المدارس في الغرب الجزائري سنة 1903، وصل إلى 731 مدرسة يوجد بها 6.137 تلميذ؛ ففي وهران 114 مدرسة و1.174 تلميذ، وسيدي بلعباس 83 مدرسة و494 تلميذ، ومعسكر 199 مدرسة و1.106 تلميذ، ومستغانم 137 مدرسة و1.717 تلميذ، وتلمسان 119 مدرسة و1.545 تلميذ⁽²⁾، وقد جمعت هذه الإحصائيات بين الكتابات والمدارس.

تعد مدرسة مازونة من أشهر المدارس الموجودة في الغرب الجزائري؛ التي تتكون من مسجد جامع للصلاة المفروضة ومكتبة كبيرة فيها مختلف المصادر الفقهية والأدبية، إضافة إلى مرافق أخرى لإيواء الطلبة⁽³⁾، وكانت تعتمد في مناهجها التعليمية على التلقين والحفظ كغيرها من المدارس، ومعنى التلقين "ترديد أقوال المتقدمين من علماء المذهب وحفظها حفظا متقنا على ظهر قلب"⁽⁴⁾، ومما تميزت به هذه المدرسة مكانتها في تاريخ الجزائر الثقافي، فقد كانت تمنح الاجازات، وقد تحدث عنها ابن حمدوش في رحلته⁽⁵⁾، وفي نهاية القرن التاسع عشر أصبحت هذه المدرسة هيكل بدون مضمون، أما مدرسة سيدي بومدين في تلمسان فأصبحت مقصدا للتبرك بعدما كانت مقصد لطلب العلم، فلم يكن هناك أي طالب للعلم عندما زارها بمودان سنة 1902م⁽⁶⁾.

نتقل للجنوب الجزائري، فقد سلمت المدارس من الهجمة الشرسة للاستعمار في عقود الأولى فأقصى مناطق الجنوب لم يصله الاستعمار إلى غاية القرن العشرين، وإن كانت الرحلات الاستكشافية قبل ذلك، ومن بين المدارس التي اشتهرت بتندوف؛ المدرسة التندوفية التي تقع في التخوم الصحراوية، وكان يدرس فيها علماء

⁽¹⁾ يحي (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص: 128.

⁽²⁾ A.W.O, Dossier 4064, Ecoles coraniques et Medersa, Enseignement des indigènes département d'Oran.

⁽³⁾ أحمد (بحري)، المرجع السابق، ص: 217.

⁽⁴⁾ بدرالدين أحمد (عمّاري)، «المدرسة الفقهية بمازونة المناهج والمقاصد»، الملتقى الدولي الثاني حول مدرسة مازونة الفقهية الجزائرية، غليزان، 27-28 ماي 2014، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015، ص: 54.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص: 56.

⁽⁶⁾ Le commandant de Pimodan, Oran Tlemcen sud – oranais (1899-1900), Paris, 1903, P : 117.

من فطاحل الشناكطة كمحمد يحيى الولاقي وأمثاله، بل أن محمد التركي مصحح القاموس درّس في هذه الزاوية في طريقه نحو المشرق سنة 1330هـ، والمدرسة التامازيكية نسبة لقبيلة تامازت والتي اشتهرت بعد مجهودات الأستاذ محمد بن عبدالمالك اليزيدي الإيسبي، والمدرسة الإيرازنية، وهي إحدى فروع مدرسة الشيخ سيدي الحسن التيملي المتوفي عام 1308هـ، والمدرسة الجاكانية، نسبة للقبيلة العربية تاجاكانت التي نزلت في تندوف⁽¹⁾ 1270هـ، وهناك مدارس أخرى في تندوف بل أن كل قبيلة حاولوا تأسيس مدرسة تشتهر بها القبيلة، وكل أسرة علمية نزلت بتندوف أسس مدرسة لتحفيظ القرآن وتعليم النحو خاصة.

شرعت الإدارة في محاصرة ومضايقة المدارس كغيرها من المؤسسات التعليمية الاسلامية، فمن الناحية المالية استولت على أوقافها شريان الحياة لها، ومن الناحية القانونية؛ فقد نص المرسوم الصادر في سنة 1892 على حظر فتح المدارس الحرة الاسلامية بجوار المدارس العمومية، ويمنعها من استقبال التلاميذ أثناء أوقات الدروس الرسمية، كما اشترط توفر تلك المدارس الحرة على ترخيص مسبق من طرف مصالح العمالة قبل مزاولة التدريس، كانت هذه الرخص تمنح بعد تماطل طويل أو ترفض لشتى الأسباب ومن الممكن سحب الرخص في أي وقت⁽²⁾، وهو ما جعل مصير هذه المدارس مرتبط بقرار الادارة والمحكمة الاستعمارية.

رغم السياسة التي تعرضت لها المدارس القرآنية فقد كانت أكثر استقطابا للتلاميذ من المدارس العمومية الفرنسية وهو ما جعل الادارة الاستعمارية تصدر تعليمات للحد من منافسة المدارس القرآنية للمدارس العمومية ومن تلك التعليمات: «لا يجوز للمدارس الإسلامية الخاصة استقبال الأطفال البالغين سن التمدرس (من 6 إلى 13 سنة) وذلك خلال أوقات عمل المدارس العمومية»⁽³⁾، وهذه التعليمية خضعت لها الكتابات والزوايا، ومختلف المؤسسات التعليمية الحرة.

صحيح أن الجزائريين تمسكوا بمؤسساتهم التعليمية الاسلامية رغم الاضطهاد الاستعماري لها، غير أن هذه المدارس لم يعد لها مفعول كما كان سنوات تأسيسها، وأهم مسألة أصبحت محل جدل، منهج التعليم داخل هذه المدارس، والذي أصبح عقيما في بعض الأحيان، فتلقين الدروس تختلف من شيخ لآخر، وقد تكون بأسلوب معقد فيصب على السامعين الفهم والاستيعاب، فيروي الزواوي قصة حدثت لصديق له أنه حضر دروس في الأجرومية عند شيخ ولم يفهم شيئا، وحضر درس واحد عند شيخ آخر ففهم ما قاله ذلك

(1) صلاح مؤيد (العقي)، المرجع السابق، ص: 553-554.

(2) شارل روبيير (أجرنون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 582-583.

(3) شارل روبيير (أجرنون)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 954.

الشيخ "ذكر لي إنسان أنه حضر ثمانية عشر مرّة المقدمة الأجرومية الشهيرة وما فهم منها شيئا ثم حضر عن طالب علم آخر مرة واحدة وما غاب عنه شيء من محتواها فاستفاد في نصف شهر ما لم يستفيد منه في أعوام وهذا من حسن الصناعة والإجادة لا البركة فقط"⁽¹⁾، لأن طريقة الإلقاء وترتيب الأفكار تساعد المستمع على الاستيعاب.

اتبع بعض المشايخ منهج القديمي في الشرح فهو ينتقل من النحو إلى البلاغة إلى القرآن إلى المنطق في شرح الأجرومية مثلا بأسلوب ولغة صعبة مما يجد المستمع صعوبة في إدراك ما يقوله الشيخ خاصة في زمن عرفت فيه الجزائر تراجع اللغة العربية، بل أن الغالبية لا يدرك محتوى ما يقوله الشارحون في دروسهم إلا بالعامية، حتى طلبة العلم الذين استعصى عليهم الفهم يلجؤون إلى التدوين الحرفي لشرح الشيخ ويحفظونه عن ظهر قلب، وإن أصبح مدرسا يكاد يكرّر حرفيا ذلك الدرس الذي سمعه، وهو ما جعل هذا المنهج محل انتقاد لدى الزواوي ومثله من العلماء.

ومما يعاب على المنهج الذي أصبح متبعا في المدارس اقتصره على تحفيظ القرآن فقط وتعلم بعض مسائل الفقه، وهو ما رفضه الشيخ عبدالقادر المجاوي ورأى عدم جدوى المنهج القديم أو التعليم القديم كما أسماه فيقول: "التعليم القديم غير نافع في زماننا لنقصانه، إذ تعليم القرآن وحده على الكيفية المألوفة بهذه الأقطار لا يفيد المتعلم، فلا بد من معرفة العلوم النافعة في الدين والدنيا، أما إذا اقتصرنا على أحد العلمين ضاع ما يفتقر لذلك العلم المجهول، ولكن أهل زماننا تركوا العلمين معا ولا حول ولا قوة إلا بالله"⁽²⁾، وهذا المنهج سائر ظروف الاستعمار وهجرة أغلب العلماء للمغرب أو المشرق، فضعف التحصيل في العلوم العقلية فضلا عن بعض العلوم النقلية خاصة تفسير القرآن.

يرى الزواوي أن سبب ضعف التحصيل لدى الطلبة في المدارس راجع إلى المنهج المتبع، حيث يمضي طالب العلم مدة أكثر من اثني عشر سنة ولا يتقن فن من الفنون، في حين الطالب الفرنسي في المدارس الفرنسية يستطيع تحصيل العديد من الفنون والعلوم بفضل النظام والمنهج المتبع "إشكال أوردته على جملة من الطلبة والمعلمين والمتعلمين منذ ثمانية عشر عاما وهو: ما لنا نرى التلاميذ الذين يتعلمون في المدارس الإفريقية يتخرجون في مدة اثنتي عشرة سنة يحسنون فنون منها الخط والكتابة والإنشاء والحساب والجغرافيا وتاريخ أوروبا ومعرفة رجالهم والعظماء ويتقنون لسانا غير لسانهم ولغة غير لغتهم ونحوا غير نحوهم وصرفا غير صرفهم وفقها

⁽¹⁾ أبو يعلى (الزواوي)، تاريخ زواوة، المصدر السابق، ص: 151.

⁽²⁾ عبدالقادر (المجاوي)، إرشاد المتعلمين، تحقيق: عادل بن الحاج همال الجزائري، ط01، دار ابن حزم، الجزائر، 2008، ص: 05.

غير فقههم وأدبا غير أدبهم وغير ذلك من العلوم النافعة ونرى الذين يتعلمون في مدارسنا يمتصون أكثر من اثنتي عشرة سنة ولا يحسنون فنا واحدا من الفنون المذكورة في لسانهم⁽¹⁾، فمقارنة الزواوي بين الطلبة الفرنسيين وطلبة المدارس نابع من حس أن التفوق الأوروبي في العلوم نابع من حسن المنهج، وبالتالي تغيير المنهج بداية النهضة الفكرية داخل المدارس والزوايا.

وقد دعا الزواوي إلى إدخال العلوم الحديثة بمناهجها الأوربية إلى المدارس فيتم تدريس الاقتصاد السياسي والاقتصاد الإداري والطب والحكمة إضافة القرآن وتفسير الحديث والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة والهندسة وعلم الكلام والتاريخ والجغرافيا⁽²⁾، و من جهة أخرى ضرورة إصلاح الإدارة داخل كل مدرسة ووضع هيئة تفتيش عالية المستوى والأداء، فالإدارة "أول خطوة المسيرة في الإصلاح وأم المسألة وأصلها، إذ معنى الإدارة السياسة الرشيدة وحسن التدبير وهذا الأمر ليس باليسير، بل هو الأصل لطرق التعليم...وكذلك التفتيش وهذان الأمران يؤخذان من العارفين الذين ينصحون...وقد بلغ الإفراج في هذا الزمان (بداية القرن العشرين) من حسن الإدارة ما به كفاية لمن يريد أن يكتفي"⁽³⁾، ولو وجد كلام الزواوي آذان صاغية لأحدث تطورا في تاريخ المدارس القرآنية، بل ربما تكون الأساس لتأسيس الجامعات في الجزائر، لأن الجامعة التي تم تأسيسها من الفرنسيين ولأجل الفرنسيين.

3-المساجد:

المساجد⁽⁴⁾ عبارة عن مباني مخصصة بالدرجة الأولى لأداء الصلوات والتعبد، وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الفروض الدينية وبعض العلوم الاسلامية، وإلقاء الدروس للخاصة والعامة، كما يعالج الإمام فيه قضايا المجتمع ومشاكله، ونظرا لمكانته وفضله فقد تسارع الأمراء والخلفاء والأثرياء إلى بناء المساجد، ومنها جامع صالح باي بعنابة، وجامع الباي بقسنطينة، والجامع الكبير بقسنطينة، وجامع الباشا بوهران، وممن بناه الأثرياء: جامع سيدي لخضر بقسنطينة، وسيدي رمضان، وسيدي الصوفي بجاية، وسيدي الحاوي بتلمسان، وهناك

(1) أبو يعلى (الزواوي)، تاريخ زواوة، المصدر السابق، ص: 150.

(2) المصدر نفسه، ص: 151.

(3) المصدر نفسه، ص: 155.

(4) تستعمل كلمة المسجد والجامع لنفس الشيء، رغم أن المصطلح الفرنسي يفرق بين الجامع وهو المصلي الذي له منارة أو صومعة، وتصلى فيه الجمعة وتلقى فيه الخطبة ويمتاز بالحجم الكبير والضخامة والاتساع للمصلين، أما المسجد فهو المصلي الصغير الحجم...وبعض المساجد الصغيرة كانت تابعة للزوايا أو للقباب (الأضرحة). ينظر: أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 10.

بعض المساجد أسستها الجمعيات الدينية الخيرية⁽¹⁾ ومن تبرعات السكان رغم معاناتهم الاجتماعية وظروفهم المادية.

سنشرع في الحديث عن أشهر المساجد التي بقيت تصارع البقاء، ولنبدأ بالجزائر العاصمة ومنطقة الوسط؛ فيصف بيرم مساجد العاصمة في رحلته سنة 1295هـ بقوله: "وبها أربعة جوامع للخطب اثنان مالكيان واثنان حنفيان، والجوامع نظيفة مستقيمة وبقية ما كان بها من الجوامع هدمت وبدلت"⁽²⁾، وهذه المساجد هي الجامع الكبير، وجامع الجديد، وجامع سيدي محمد الشريف، وجامع سيدي رمضان، وقد تداول عليها علماء أمثال الحفناوي وعبدالحليم بن سماية، وابن زكري، وعبدالقادر المجاوي وغيرهم.

دوّن لنا الشيخ الخضر بن الحسين في رحلته للعاصمة 1903م معلومات موجزة عن الحياة العلمية بالمسجد الكبير، الذي كان الشيخ عبدالحليم بن سماية يدرّس به فيقول: "وبعد صلاة الظهر تنقلنا إلى الجامع الكبير، فالتقينا بالشيخ عبدالحليم بن سماية... وبعد ذلك أخذ في تقرير مبحث صفة الكلام من كتاب الصغرى للشيخ السنوسي بصوت جهوري، فوضح معناها ثم أقام عليها الدليل ثانيا، وتعرض في أثناء ذلك إلى مسائل لها علاقة بالمبحث كتنبهه على أن الحدوث الذي وصف به القرآن في بعض الآيات كقوله تعالى: (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ)⁽³⁾، هو عائد إلى الألفاظ التي نتلوها لا إلى المعنى الذي هو قائم بالذات العلية"⁽⁴⁾، وهذا الدرس يشمل العقيدة الأشعرية التي لخصها الإمام محمد السنوسي.

ويتحدث تقرير في سنة 1907، أن الشيخ الحفناوي كان يدرس بالمسجد الكبير بالعاصمة خمس مرات في الأسبوع من منتصف النهار إلى الساعة الواحدة؛ أي لمدة ساعة، "ويحضر دروسه عمال المسجد البسطاء ومن خواص المسلمين الذين هم غرباء عن المدينة في الأصل، ولكنهم مرتبطون بها أعمالا وشغلا، والقصد من حضورهم هو تعميق ثقافتهم المتوسطة بمعلومات دقيقة لها علاقة بواجباتهم الدينية، ويدرس السيد الحفناوي باب الشعائر من الفقه الاسلامي وفقا لسيدي خليل"⁽⁵⁾.

(1) يحي (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص: 127-128.

(2) محمد بيرم الخامس (التونسي)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج4، المصدر السابق، ص: 05.

(3) سورة الأنبياء، الآية: رقم 2

(4) محمد الخضر (بن الحسين)، الرحلة الجزائرية 1904، منشور ضمن مجموع خمس رحلات إلى الجزائر 1904-1932، تقديم: محمد صالح الجابري، ط01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، 2004، ص: 35.

(5) تقرير عن التعليم الذي يقوم به المدرسون بمساجد مدينة الجزائر سنة 1907. نشر في: عبدالحاميد (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص: 232.

يذكر نفس التقرير واصفاً الشيخ الحفناوي: "والمدرس جدّ مثقف ويتمتع بفكر حر وواضح، سلس في لغته يكتيف دروسه بحيث تكون في متناول تلامذته بشكل جيد، وهكذا ما يجعلنا نظمئن لفهم مستمعيه لدروسه، وتؤكد من استفادتهم من تعليمه، وهو يعرف الفرصة كيف يعطيهم بعض مبادئ العلوم الأوروبية ويجعلهم يتقبلونها، من ذلك مثلاً أني سمعته -عرضاً- يقول خلال هذه السنة من بين ما قاله في درسه بأن العرق يشمل بنسبة معينة على أحد العناصر الكيميائية للبول"⁽¹⁾، ولا نستغرب هذا من الشيخ الحفناوي لأنه كان موسوعي ومحقق، ومدرك لأهمية العلوم الحديثة في حياة المسلم، ولهذا لم يكن معارضاً لتعلمها فضلاً عن تعليمها.

الجامع الجديد هو ثاني المساجد في الجزائر العاصمة، يكتب عنه محمد الأخضر بن الحسين سنة 1903 ما نصه: "ويقال له الجامع الصغير، فوجدت به العالم الفاضل الشيخ بوقندوزة"⁽²⁾ المفتي الحنفي جالسا في زاوية وحوله جماعة من الطلبة على شكل دائرة يتناوبون سرد صحيح الإمام البخاري واحد بعد واحد، والشيخ مصغ إليهم، فإذا ناب أحدهم خطأ استرده إلى ما هو صواب، وهذه عادتهم في سائر أيام رمضان"⁽³⁾، كما كان يلقي دروس أخرى للعامّة.

ونظراً لأهمية هذين المسجدين الجامع الكبير والمسجد الصغير، فقد حاولت السلطات الاستعمارية التخلص منهما "بين 1905-1911، جرت مناقشات ساخنة في بلدية الجزائر حول هدم الجامعين الرئيسيين الباقيين وهما الجامع الكبير والجامع الجديد لتحميل مدينة الجزائر وبناء فندقين مكان الجامعين، ولو خوف هذه السلطات من ردود فعل المسلمين ومواقف بعض النواب الجزائريين في البلدية، وعلاقة ذلك بموضوع التجنيد الاجباري وحركة الهجرة، لمضي الفرنسيون إلى الجامعين المذكورين وتخلصوا منهما كما فعلوا مع الجوامع الأخرى"⁽⁴⁾، ورغم ذلك فقد تحكّموا فيه بتعيين الأئمة والمدرسين ومراقبة دروسهم وخطبهم.

(1) المصدر نفسه، ص: 232.

(2) قال عنه محمد بيرم في رحلته للجزائر: الأصيل الفهامة الشيخ أحمد أبو قندورة المفتي الحنفي بالقاعدة المشار إليها (أي الجزائر)، وذو تبحر في المعارف السياسية ومتقن للغة الفرنسية وصاحب حمية في المدافعة عن أهالي وطنه وهو عضو أيضاً في مجلس الوالي وله مشاركة في الفقه والحديث. ينظر: محمد بيرم الخامس (التونسي)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج04، المصدر السابق، ص: 16.

(3) محمد الخضر (بن الحسين)، المصدر السابق، ص: 34-35.

(4) أبو القاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 13.

وثالث المساجد، هو مسجد سيدي محمد الشريف كان الشيخ عبدالقادر المجاوي يلقي دروسه، فيقول محمد لخضر بن الحسين: "وبعد صلاة التراويح ذهب الشيخ (يقصد المجاوي) ونحن في صحبته إلى جامع الشريف، وأقرأ به درسه الاعتيادي من الأربعين النووية، في مجمع عظيم من الخاصة والعامة وكان حديث تلك الليلة: الدين النصيحة"⁽¹⁾، ويصف لخضر بن الحسين الشيخ المجاوي بقوله: "ولهذا الشيخ أيضا خلق عظيم نحمده عليه، وهو سلوكه في معاملة التلامذة طريقا وسطا لا ينحط عن مكانة النفس، ولا يرتفع عن سماحة التواضع، تحمله عواطف النسب العلمي عن العناية بشؤونهم، وبذل الوسع في قضاء مآربهم"⁽²⁾، ويمكن أن نصفه عالم الجزائر في زمانه، لم يجد الظروف المناسبة لتحقيق أفكاره ومناهجه التي اكتسبها بهجرته للمغرب وتنقلاته في الجزائر وطول مدة تدريسه في قسنطينة ثم العاصمة.

اشتغل عبدالحמיד ابن سماية⁽³⁾ بالتدريس في مسجد صيد الأسماك، وكان يلقي دروسه خمس مرات في الأسبوع لمدة ساعة يوميا من الساعة العاشرة والربع إلى الساعة الحادية عشر وربع "ومستمعوه من عمال المسجد ومن بعض الخواص الراغبين في التعلم، وكذلك من طلبة القسم العالي بمدرسة الجزائر، وخلال الفترة الممتدة من أكتوبر 1906 إلى مارس سنة 1907، كان قد درس قواعد النحو العربي، أما من مارس إلى جويلية من سنة 1907 فقد درس مادة البلاغة"⁽⁴⁾، وحول عدد الحضور لدروسه ورد في تقرير تفتيش لسنة 1912 ماييلي: "يكشف سجل المناداة عن حضور المستمعين للدروس العامة بشكل منتظم، وذلك حتى شهر أفريل سنة 1912، بحيث كان عددهم يتراوح بين 10 و36، في حين كانت الدروس الخاصة يثابر عليها حوالي خمسة عشر مستمعا بشكل جيد إلى تاريخ أفريل 1912"⁽⁵⁾، وتتمثل مواد التدريس في "شرح الأحاديث، وتفسير سور من القرآن، وبالنسبة لمواد الدروس الخاصة فهي نصوص من كتاب المستطرف، ومن كتاب الفوائد أيضا"⁽⁶⁾، إضافة إلى كتب الفقه والعقيدة.

(1) محمد الخضر (بن الحسين)، المصدر السابق، ص: 37.

(2) المصدر نفسه، ص: 38.

(3) ذكر تعريف مختصر له في تقرير تفتيش سنة 1912، هو: "المدرس: ولد عبدالحמיד ابن سماية يوم 15 جويلية 1866، وهو أستاذ بالمدرسة (أي مدرسة الجزائر)، وفي نفس الوقت مدرس بمسجد صيد الأسماك، متزوج منذ 1887، وله سبعة أولاد، وهو جدّ مثقف، وله نفوذ بالجزائر". ينظر: تقرير عن التعليم الذي يقوم به المدرسون بمساجد مدينة الجزائر سنة 1907، المصدر السابق، ص: 234.

(4) المصدر نفسه، ص: 232.

(5) ابن سماية عبدالحמיד تفتيش سنة 1912، نشر في: عبدالحמיד (نوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص: 234.

(6) المصدر نفسه، ص: 235.

ومن المساجد التي قدر لها البقاء خلال الاحتلال جامع سيدي رمضان رغم أن أوقافه صودرت بعضها، وللجامع موظفون منهم الخطيب الذي يقوم بخطبة الجمعة والعيدين، كما أن من مهامه إلقاء الدروس للعامّة في الأخلاق والدين والتوحيد، وهناك إمام المسجد يؤمّ الناس في الصلوات الخمس، ثم أصبح الإمام هو الذي يقوم بدور الخطيب اقتصاداً للنفقات، كما أن من موظفي الجامع، مؤذنان عاديان لجمع الأوقاف، أما صلاة الجمعة فلها ثلاث مؤذنون وستة من "الحزابين" أو قراء القرآن وخمسة موظفين لقراءة كتاب (تنبيه الأنام)⁽¹⁾ في المواعظ والتصوف وقارئ واحد لصحيح البخاري، وآخر لقراءة التوحيد، بالإضافة إلى قراء احتياطين للقرآن الكريم خلال شهر رمضان⁽²⁾، ويذكر ابن زكري أن المساجد في بلاد القبائل وصلت إلى سبعين جامع وفي كل قرية يوجد مصلى⁽³⁾، أما مسجد شرشال فقد تحول إلى اسطبل للخيل⁽⁴⁾ حسب ما جاء في تقرير جوناو ونشره فكتور ويل في سنة 1905.

ننتقل إلى مقاطعة قسنطينة لتتفقد حال المساجد نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لقد اتجهت السياسة الاستعمارية نحو هدم المساجد والجموع لبناء المستشفيات العسكرية وغيرها من مؤسسات الاستعمار، ولم يبق في عنابة سوى جامع سيدي أبي مروان الذي هدم فيما بعد وحول إلى مستشفى عسكري⁽⁵⁾ وجامع صالح باي⁽⁶⁾، كما تقلصت محيط الجامع الكبير بتلمسان كما يذكر بمودان سنة

⁽¹⁾ قراءة هذا الكتاب كانت تتم في معظم مساجد الجزائر، وإلى يومنا هذا يتم قراءته في مساجد أدرار، ومضمون هذا الكتاب في ذكر حصال النبي صلى الله عليه وسلم، ويتم قراءته بأن يفتتح المكلف به القراءة بذكر صفة من صفات وأخلاق الرسول ثم يصلي عليه جماعة. مثل: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد (تقرأ جماعة)، الذي تمت بفضل الأعمال الصالحة (تقرأ من طرف المكلف فقط)، ثم بعد ذلك نفس الصلاة على الرسول جماعة، ثم يقرأ المؤلف خصلة أخرى وهكذا حسب ترتيب ما جاء في كتاب تنبيه الأنام. ينظر: عبدالجليل المرادي (القبرواني)، تنبيه الأنام في الصلاة على خير الأنام، مخطوط رقم 1594، قسم المخطوطات، مكتبة جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: 02.

⁽²⁾ أبو القاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 53-54.

⁽³⁾ محمد السعيد بن أحمد (ابن زكري) الزواوي، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، المصدر السابق، ص: 105.

⁽⁴⁾ Victor waille, «Nouvelles explorations A Cherchel ; Rapport adresse A M. Jonnart, Gouverneur General de l'Algérie», Revue Africaine, n° 49, année 1905, P : 78.

⁽⁵⁾ Papier (AL), La Mosquée de Bône, Adolphe Jourdan, Alger, 1890, P : 03.

⁽⁶⁾ الذي قال فيه الشاعر:

مشيد أركان به النور ساطع

لعمرك بيت الله للسر جامع

به بونة للسعد منها مطالع

بدت ونه زهر الكواكب رفعة

1902⁽¹⁾، وجامع أبي مروان كان أعظم مساجد عنابة لضخامته ولاحتماله موقعا هاما يشرف على البحر من جهة ويطل على البحر من جهة أخرى"⁽²⁾، كما يتميز بزخرفة جعلها محل أبحاث علماء الأثر الفرنسيين. ويعطينا بيزم في رحلته صورة عن جامع عنابة فيقول: " أتيت الجامع وإذا هو نظيف محروس قائم الأدوات مفروش بالحصير من السمار على نحو ما هو في تونس، ولما كنت لابسا لنعل كالحف مما يصح المسح عليه وهو نظيف دخلت به المسجد وصليت به وكان هناك بعض الناس فرأيتهم ينظرون إلي منكرين الدخول بالنعل إلى المسجد لكن لم يقل لي أحد منهم شيئا، فلما فرغت من الصلاة خاطبني من بجانبني فقال لي أنت مسلم ولم تدخل المسجد بنعلك فقلت له هل تعرف الفقه قال نعم قلت له ما هو مذهبك قال مالكي فانظر في مختصر الشيخ خليل في كتاب الطهارة فإنك تجد فيه مسألة المسح على الخفين وأن المسافر يمسح عليهما ولا ينزعهما ويصلي فيهما وأنا مسافر... فهذا جائز شرعا وليس في نعلي نجاسة ولا وسخ فرضي بذلك وأخبر الحاضرين جهرا بأن الرجل مسافر وعارف بالحكم"⁽³⁾، وهو ما يدل أن تدريس الفقه كان بسيطا ولم يكن معمقا، بل أن مضمون مختصر خليل الذي يرجع له الخاص والعام في منطقة المغرب العربي وحوض النيجر، أصبح البعض يجهل مضمونه، ولهذا لماذا يستغرب المصلين بالمسجد من فعل الشيخ الخضر بن الحسين. ومن المساجد الموجودة بقسنطينة 1897، والتي يتم تسييرها من طرف سلطة الاحتلال؛ الجامع الكبير الذي وصل عدد المصلين به 700، ومسجد الكتاني الموجود بساحة نيقرييه، إمامه في السنة المذكورة حاج سعيد بن باش تارزي، وعدد المصلين 500، وجامع سيدي لخضر، وحسب التقرير فإن عدد المصلين به 500، وإمامه حسين بن سوداني⁽⁴⁾، ومن المساجد الحرة نذكر: مسجد سيدي مغرف الذي يدرس به 16

به جاد تاج الدين والمجد صالح
 أمير البرايا زاد ظفرا ونصرة
 إلى درج العلياء راق وطالع
 مؤيد دين الحق للشرع تابع
 فمدّ أساس البيت الرفيع على الهدى
 أرخه للخير برك جامع

ينظر: Papier (AL), La Mosquée de Bône , op.cit , P : 10.

⁽¹⁾ Le commandant de Pimodan, Oran Tlemcen sud – oranais (1899-1900), op.cit, P : 86.

⁽²⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 93.

⁽³⁾ محمد بيزم الخامس (التونسي)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج04، المصدر السابق، ص: 04.

⁽⁴⁾ وضع الزوايا والمساجد بقسنطينة في سنة 1897. نشر في: عبد الحميد (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص: 256.

تلميذ، وسيدي ميمون، وسيدي عبد المؤمن الذي لم يتجاوز عدد التلاميذ به 13 تلميذ، ومسجد محمد النجار الذي كان موجود في نهج بريقو به 30 تلميذ، ويرتاده 17 مصلي⁽¹⁾.

يتحدث محمد الأخضر بن الحسين في رحلته سنة 1904 عن المساجد في قسنطينة فيقول: "ب هذه المدينة مدرسة إسلامية معدة لتخريج القضاة والعدول، وثلاث جوامع تقام فيها الجمعة: الجامع الكبير، والجامع الأخضر، والآخر يسمى بجامع سيدي الكتاني، وفي هذا الجامع منبر من الرخام فيه بيت من الشعر يتضمن اسم مؤسسه وتاريخ تأسيسه ... وبه مكتبة عمومية تحتوي على عدد من الكتب المطبوعة المتداولة، والتقينا بأشهر علمائها الشيخ حمدان بن الونيسي...والعالم أحمد بن الحبيبات"⁽²⁾، وقد درّس بهذا المسجد الشيخ عبدالقادر المجاوي.

ومن العلماء الذين اشتهروا بالتدريس في مساجد مدينة قسنطينة نذكر: "الشيخ أحمد الحبيبات تلميذ الشيخ عبدالقادر المجاوي، والشيخ حمدان الونيسي والمدرس الرسمي بجامع سيدي الكتاني، ومنهم الشيخ الطاهر بن زقوطة تلميذ الشيخ حمدان والامام بالجامع المذكور، ومنهم الشيخ الزواوي الفكون تلميذ الشيخ الونيسي والإمام بالجامع الكبير، ومنهم الشيخ يحيى الدراجي الإمام بمسجد سيدي الذرار"⁽³⁾، ونظرا للتاريخ الثقافي العريق لقسنطينة، وقرىها جغرافيا من جامع الزيتونة، فقد وجد بهذه المساجد علماء أبدعوا في التعليم والتأليف. كان الشيخ ابن مرزوق يلقي دروسه في جامع الكتاني بقسنطينة، خلال سنتي 1912-1913، ستة أيام في الأسبوع، بمعدل ساعتين في اليوم، من الساعة الواحدة إلى الثالثة مساء، ويصل عدد الحضور إلى 20، وكان يلقي دروسه في القواعد والأدب والتوحيد والفقهاء الإسلامي، والكتب المستعملة فهي الأجرومية بشرح سيدي خليل، قطر الندى، لامية الأفعال، رسالة أبي يزيد، ومختصر سيدي خليل (باب النكاح والطلاق)⁽⁴⁾، لكن طريقة تدريسه كانت تقليدية رغم سعت علمه ويدل على ذلك قلة الحضور.

⁽¹⁾المصدر نفسه، ص: 257.

⁽²⁾محمد الخضّر (بن الحسين)، المصدر السابق، ص: 31.

⁽³⁾الدروس المسجدية بقسنطينة، مجلة الشهاب، المجلد الخامس، الجزء العاشر، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، نوفمبر 1929، ص: 40.

⁽⁴⁾سان (هاتي)، تقرير تفتيش للدروس الملقاة بمسجد (سيدي الكتاني) بقسنطينة خلال السنة الدراسية 1912-1913 من طرف المدرس السيد ابن مرزوق أحمد بن السعيد. نشر في : عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر، المصدر السابق، ص: 236-238.

وهناك مسجد في سوق أهراس إمامه الشيخ محمد الصالح بن الشايب ذكره محمد الخضر بن الحسين في رحلته للجزائر 1904، والذي ألقى به درسا حول الفقه وبعض المسائل المتفرقة وكانت الدروس تلقى بهذا المسجد بعد صلاة المغرب، فعندما تمت الصلاة سأل أحد المصلين فأخبره أن اليوم درس التوحيد "ورأيت في يد أحدهم سفرا فالتفت إلى ذلك الفاضل وقلت له: هل لكم درس في هذه الساعة؟ فقال: نعم درس في التوحيد، ولكن نريد أن نعوضه بمسامرة علمية معكم"⁽¹⁾، وقد تمت فألقى الشيخ الخضر بن الحسين محاضرة تناول فيها بعض القضايا الفقهية.

وعندما وصل محمد الخضر بن الحسين إلى عين البيضاء وصف ما وجده في مسجدها بقوله: "فلما وافينا المسجد وجدناه غاصا بتلامذة ذلك المدرس (يقصد الشيخ أحمد بنا الناجي) وغيرهم ففسحوا لنا مقعدا في المحراب، ثم قام رجل ووزع أجزاء نسخة قرآن على الحاضرين وهذه عادتهم في ليلة كل جمعة"⁽²⁾، لأن الجمعة يوم عطلة ويقصد المسجد كل المسلمين لسماع الخطبة وأداء صلاة الجمعة، ولأنه سافر من عين البيضاء في نفس اليوم، فلم يترك لنا معلومات عن حالة المسجد في الأيام العادية، ولا عن الكتب التي يتم تدريسها. كان بتلمسان أربع أو خمس مساجد مفتوحة على مدار السنة، أضف إلى هذا أن كل حي فيه مسجد صغير يستعمل كمدرسة للأطفال، وأخيرا فالكبار والصغار يذهبون في الوقت المناسب للحضور في الدروس التربوية إلى المدارس أو إلى المحلات الطرقية الإسلامية في المدينة"⁽³⁾، ومن بين تلك المساجد التي ذكرها بمودان سنة 1902؛ الجامع الكبير، ومسجد سيدي الحلوي، ومسجد سيدي بومدين الذي يتميز عن غيره بكثرة الزيارات إليه خاصة في العطل، بينما المدرس التابعة للمسجد أصبحت خالية من طلبة العلم"⁽⁴⁾، وكانت تلك المساجد تضاهاي في فنها المعماري مساجد قرطبة وغرناطة وإشبيلية حسب ما ذكره باللو"⁽⁵⁾.

وفي مدينة سيدي بلعباس، أسس سكانها المسجد الأعظم العتيق سنة 1884 بحج القرابة، واستمر هذا المسجد إلى ما بعد الاستقلال"⁽⁶⁾، ويعد جامع خنق النطاح من المساجد الحديثة في مدينة وهران الذي

⁽¹⁾ محمد الخضر (بن الحسين)، المصدر السابق، ص: 28.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص: 30-31.

⁽³⁾ الحاج (مصالي)، المصدر السابق، ص: 13.

⁽⁴⁾ Le commandant de Pimodan, Oran Tlemcen sud – oranais (1899-1900), op.cit, P : 116-117.

⁽⁵⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، المرجع السابق، ص: 109.

⁽⁶⁾ يحيى (بوعزيز)، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 228.

بناه محمد الكبير بعد فتح وهران، والذي قال عنه ألبير باللو سنة 1904 "إنه كان خارج المدينة وله شكل مربع وأنه كان نصف مهدم" وأخبر أن مصلحة الآثار قد أنقذته من أيدي الهدامين⁽¹⁾، أما بقية المساجد الأخرى فلم يعد لها وجود إما شكلا (هيكل) أو مضمونا.

وإذا كانت المساجد جردت من أدوارها في الشمال، فإن مساجد الجنوب تعددت مهامها لأن الاستعمار لم يحكم سيطرته بعد نهاية القرن التاسع عشر، ففي إحدى التقارير الفرنسية تؤكد أن إمام المسجد هو الذي يعقد الزواج وينظر في الطلاق ومختلف المسائل القضائية، والمسجد هو المؤسسة المسؤولة عن تنفيذ العقوبات كالنفي، أو الجلد أمام الناس للزاني أو السارق أو من يقام عليهما الحد⁽²⁾، ومن خلال وصف التقرير يبين لنا أن المساجد في توات كانت تؤدي أدوارا هامة ثقافيا واجتماعيا قبل أن تحترقها يد المخابرات الاستعمارية.

أما بسكرة وغيرها من مدن الجنوب فلم تتعرض مساجدها إلى الهدم والاحتلال، وإنما عانت ما عانته المساجد الأخرى من الاستلاء على الأوقاف والإهمال، وقد كان لبسكرة نفسها سبعة عشر مسجدا سنة 1880، بعضها يرجع إلى قرون خلت مثل جامع سيدي الجودي، وفي شكوى من أهالي بسكرة إلى السلطات الفرنسية أن هذه المساجد كانت في حالة إهمال فظيع، وأنهم عجزوا عن القيام بها لحرماتهم من أوقافها⁽³⁾، ومن أشهر تلك المساجد، مسجد سيدي عقبة بن نافع الفهري.

لم يكتفي الاستعمار بتهديم المساجد والاستلاء على أوقافها، بل سيطر على ما بقي منها عن طريق تعيين الأئمة والخطباء والمفتين وسائر الموظفين ومراقبة الدروس وخطبة الجمعة، وهذا في المساجد الكبرى التي لها تأثير أما المساجد الصغيرة فقد تركت لحالها، ففي سنة 1900، كان عدد الأئمة 149 إمام الذين عيّنتهم السلطات الاستعمارية⁽⁴⁾، ومهمتهم تمثلت فقط في إمامة الناس في الصلاة وتعليم القرآن والحفاظ على التقاليد⁽⁵⁾، وصلاة الجمعة مع الخطبة، ومن بينهم 25 مفتيا، إضافة إلى الحزابة والمؤذنون، وعدد المقيمين

⁽¹⁾أبوالقاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 101.

⁽²⁾Lacroix (N) et H.M.P de la Martinière, Documents pour servir A l'étude du nord ouest africain, Tome 03 , Alger, 1897, P : 222.

⁽³⁾أبوالقاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 95-96.

⁽⁴⁾شارل روبر (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج02، المرجع السابق، ص: 469.

⁽⁵⁾Coppolani xavier et octave depont, les confréries religieuses musulmanes, op.cit, P : 09.

253 في كل القطر الجزائري، وقد بلغ مجموع عدد الموظفين في الشؤون الاسلامية 573 مقابل 539 سنة 1894⁽¹⁾، وهو رقم ضعيف لا يكفي لتلبية حاجيات كافة المؤسسات الدينية، لأن الاستعمار ركّز على مساجد المدن ذات التأثير الاجتماعي بينما المساجد الأخرى لم يتم تعيين موظفين لها، بل يتم تعيينهم من طرف أعيان المنطقة أو الدوار أو القبيلة.

كان الموظفون في المساجد يتقاضون أجرا من خزينة الدولة "وفي كل تلك العلوم مدرسون في الجوامع لهم مرتبات من قبل الدولة الفرنسية وهي قائمة بمصاريف إقامة الجوامع وما فيها من قراءة الأحزاب أو كتب الحديث لأنها استولت على جميع الأوقاف والمساجد واقتصرت في كل بلد على عدد مخصوص من المساجد تقوم به وغيره تصرفت فيه بما ناسبها وحرمت المستحقين من مالهم"⁽²⁾، فالسلطات الاستعمارية كانت تعين الموظفين في المساجد وتدفع أجورهم حتى لا يطالب الجزائريون باسترجاع أملاك وأوقاف المساجد، وهدفها الخفي هو التحكم في المساجد وتوجيهها حسب السياسة الاستعمارية.

في سنة 1907 أصبح مستخدمي المساجد يشملون على 182 إمام منهم 23 مفتي، و19 مدرسا، و135 حزّبا، و80 مؤذنا، و64 مستخدم آخر؛ أي ما مجموعه 480 موظفا مأجورا، فنلاحظ إذن عدد الأئمة ازداد ولكن على حساب المستخدمين الصغار حيث ظلت المبلغ المرصودة في الميزانية مستقرة⁽³⁾، وهذا راجع إلى سياسة جونار في الجزائر الذي رد الاعتبار للمؤسسات الدينية خاصة المساجد، حيث تكفلت الولاية العامة بالجزائر بالمساجد الكبرى، بينما اسند مهمة ترميم والاعتناء بالمساجد الصغرى للبلديات، وفي تقريره لسنة 1905، يذكر أنه خصص مبلغ 31.765 فرنك لترميم المساجد⁽⁴⁾ الكبرى، بينما ترميم المساجد الصغرى يتم مناقشتها في مجلس المقاطعة وعلى مستوى المجالس البلدية.

ومهما كان الدعم الذي قدمت السلطات الاستعمارية للمساجد، فإن سياسة الاستعمار التي استمرت لعقود من الزمن قد سبب تدهورت الحياة الدينية في الجزائر وتراجع عدد المساجد "ولا يوجد في القطر الجزائري بأكمله غير 166 مسجدا جامعا كما ذكر ذلك صاحب بحث التشريع الجزائري، ولا نشك أن هذا

⁽¹⁾ شارل روبيير (أجران)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج02، المرجع السابق، ص: 469-470.

⁽²⁾ محمد بيزم الخامس (التونسي)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج04، المصدر السابق، ص: 19.

⁽³⁾ شارل روبيير (أجران)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج02، المرجع السابق، ص: 470.

⁽⁴⁾ Jonnart (M. C), Exposé de la situation générale de l'Algérie, op.cit, P : 91.

العدد سيهبط إذا دام حكم جيلا آخر"⁽¹⁾، وكانت مساجد المدن أكثر تضرر من مساجد الأرياف، لأن الأولى كانت مستقلة بذاتها ودخلها من عائدات الأوقاف، فعندما استولى عليها الاستعمار انهارت تلك المساجد، ومساجد المدن كانت أكثر حجما مما أهلها أن تتحول إلى مؤسسات استعمارية، وبما أن طبيعة الاستعمار استيطاني، فقد حاول محو كل آثار اسلامية في المدن لإنجاح مشروعه، وتزايد عدد المستوطنين في المدن الكبرى ولّد لهم حقد اتجاه المسلمين ومؤسساتهم فهدموا بعضها، وحولوا البعض الآخر إلى كنائس، إضافة إلى ذلك بعض المساجد في المدن ذهبت ضحية الحرب والانتقام، بينما مساجد الأرياف فلم تتضرر كثيرا لأنها مرتبطة بالزوايا والزوايا مرتبطة بالطرق الصوفية فهي تتجدد كلما تجددت الطرق والزوايا، وحجمها لا يضاهي حجم مساجد المدن، كما أن أغلبها مخصص فقط للصلاة.

ثانيا: الزوايا بين القمع الاستعماري، التجدد وضرورة الإصلاح

الزوايا ظاهرة ثقافية واجتماعية، تطوّرت في المجتمع الجزائري والمغاربي بصفة عامة عبر قرون من الزمن، لتجد نفسها في القرن التاسع عشر تصدم بالظاهرة الاستعمارية تختلف عنها في الدين والثقافة والفكر، فكانت النتيجة مواجهة عسكرية، وما انبهر به الفرنسيون استحابة الجزائريون الفورية لشيخ الزوايا، فكان القضاء عليها هو الحل لاستقرار الاستعمار في الجزائر. لكن كيف وماهي الخطوات؟ لقد تعرضنا في الفصل الأول أن الاستعمار استولى على أوقاف الزوايا ونكّل بمن ساهم في المقاومات الشعبية، والنتيجة بعد خمسين سنة من الاحتلال انخفاض عددها وتراجع مردودها. فهل استسلم شيخ الزوايا أم أنهم أحدثوا حركة تجديدية بإنشاء زوايا جديدة؟ وما هي الأساليب التي استخدمها الاستعمار في السيطرة عليها بعد 1880؟ ثم أن تراجع مردودها العلمي والفكري وأسباب أخرى أنتجت حركة إصلاح قادها شيخ درسوا ودرّسوا بالزوايا. فكيف يمكن إصلاح وتطوير الزوايا؟ سنحيب عن هذه الأسئلة من خلال دراسة ثلاث نقاط رئيسية: القمع الاستعماري، وضع الزوايا وتجديدها، وأخيرا الدعوة لإصلاح الزوايا. لكن قبل ذلك نشير إلا ماهية الزاوية وهيكلها ومناهجها نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

(1) أحمد رمزي (بك)، «فرنسا ومستعمراتها، الاستعمار يواجه الاسلام في الجزائر»، مجلة الرسالة، ع740، القاهرة-مصر، 8 سبتمبر 1947، ص: 10.

الزاوية هي مؤسسة ثقافية واجتماعية أكثر حجما من المدارس والكتاتيب والمساجد، تتكون من مسجد، وقاعة أو قاعات للتدريس، ومسجد، ومراقد لإيواء الطلبة "كان يلحق ببعض الزوايا مكان لإيواء طلبة العلم من المناطق البعيدة، والآباء الميسورون الحال يدفعون على أولادهم مبالغ لشيخ الزاوية"⁽¹⁾، كما تحتوي الزاوية على مطعم وغرفة خاصة لإيواء الضيوف وعابري السبيل وكل من يقصد الزاوية، يضاف إلى ذلك مكتبة الشيخ ومنزله وكل ما يمتلكه من أوقاف تشرف على تسييرها بنفسها، وقد تتفاوت الزوايا فيما ذكرناه من هياكل، ونظرا لكبر حجم بعض الزوايا جعل لويس رين يشبهها بجامعات أوروبا في العصور الوسطى "فالعديد من المرابطين لهم زوايا توازي الجامعات في أوروبا العصور الوسطى، يساعده معلمون لتعليم القرآن والشريعة الإسلامية، وقواعد اللغة"⁽²⁾، غير أن هذه الصورة ستختفي بفعل الاضطهاد الاستعماري المباشر وغير المباشر.

مداخيل الزوايا من الأوقاف والهبات، وقد وصلت مداخيل الزوايا 347 التابعة لـ 24 طريقة سنة 1896 بـ 2924320 فرنك، أي ما يقارب ثلاثة ملايين فرنك⁽³⁾، وشيخ الزاوية هو المشرف عليها، وقد يوكل الأمر لغيره في مداخيلها ومصاريفها، وقد يكون المشرف امرأة؛ مثل ما حدث للزاوية الهاشمية القادرية في منطقة سوف بعد وفاة مؤسس الزاوية اسندت مهمة الاشراف على الزاوية لابنته "كانت ابنته السيدة زهور هي خليفته على رأس الزاوية التي لم تكن لها أي مورد مالي يساعدها على التكفل بطلبتها الذين يقصدونها لحفظ القرآن الكريم ودراسة مختلف العلوم والفنون... فكانت تشرف على تسيير شؤون الزاوية نهارا وتشتغل بنسج البرانس ليلا لبيعها والاستعانة بثمنها على الظروف الصعبة التي كانت تمر بها"⁽⁴⁾، وهذه حالات خاصة لأن غالبا من يشرف على الزاوية يكون رجل إما الشيخ أو رجل آخر يعرف بالوكيل.

يعتمد التعليم في الزاوية على التلقين للمعلومة دون الحاجة لدليلها: "كان العلم إلى ما قبل النهضة مباشرة عبارة عن أقوال يسلمها الشيخ لكتابه، ويسلمها التلميذ لشيخه، فإذا استقامت تراكيب الكتاب وأفادت معنى صحيحا لم يكن في ذهن الشيخ قوة على التماس الدليل، ولم يكن من حق التلميذ أن يطالبه

⁽¹⁾ أحمد (مريوش) وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص: 186.

⁽²⁾ Louis Rinn, marabouts et khouans étude sur l'islam en Algérie, op.cit , P : 18.

⁽³⁾ coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit , P : 241.

⁽⁴⁾ صلاح مؤيد (العقبي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 560-561.

بالدليل إذا تاقت نفسه إلى الكمال بمعرفة الشيء بدليله"⁽¹⁾، وهذه شهادة الشيخ البشير الابراهيمي عن الزوايا التي عايشها وتعلّم فيها، بينما بعض شيوخ الزوايا الأخرى يخصصون الدليل للطلبة الذين وصلوا لمراتب عليا في العلم، ثم أن ظاهرة أخذ العلم بدون دليله قد تطوّرت مع ظهور المختصرات وانتشارها، وتعلّق طلبة العلم بها دون الرجوع إلى أمهات الكتب، فثلا الطالب يرجع إلى مختصر خليل ولا يرجع إلى الكتاب الذي اختصر وهو المدونة التي تحتوي على الحكم بدليله.

يستخدم في العملية التعليمية وسائل تقليدية وهي اللوحة والصمغ "اللوحة هي عبارة عن قطعة من الخشب ملساء، يكتب عليها بقلم من القصب بواسطة حبر مصنوع من صوف الغنم الذي يحرق على النار ويمزج بالماء داخل زجاجة، أما طريقة إزالة هذا الحبر من اللوح فيكون عن طريق الماء والصلصال (طين)"⁽²⁾، وهذه الوسائل كانت منتشرة في كل مؤسسات التعليم الاسلامية، ورغم احتكاك هذه المؤسسات بمؤسسات الاستعمار وما تملكه وسائل أكثر تطورا فإن قداسة اللوحة والصمغ ظلت في ثقافة الزاوية أكثر من أي وسيلة أخرى، بل يعاب على من يحفظ القرآن من الكتاب مباشرة ولم يكتبه في اللوحة ويمليه عليه الشيخ، فاللوحة هي رمز التعليم والتعلّم في الزاوية.

الطريقة المعتمدة في الزاوية كمنهج تربوي وتعليمي، أن تتولى شيخ الزاوية ومساعدوه تدريس المتون وشرحها، مع مراعاة التدرج الضروري من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب، لتمكين الطلبة من الجمع بين حفظ الأساسيات وفهم التفاصيل والمكملات في كل مادة مع إتاحة فرصة التوسع حفظا وفهما للطلبة الأكثر استعدادا لذلك وإقبالا عليه"⁽³⁾، كما تقوم مؤسسة الزاوية بتقديم دروسا خاصة للشيوخ الطاعنين في السن، ومن جملة تلك الدروس التركيز على فرائض الصلاة، والطهارة، كما كان يعمل بعض المدرسين على تحفيظ شيء من القرآن الكريم إلى هؤلاء الشيوخ الذين لا يعرفون القراءة والكتابة وإنما كانوا يحفظونها مشافهة"⁽⁴⁾، وهذه تعرف بالدروس العامة، في حين الدروس الخاصة موجّهة لطلبة العلم المتمين

⁽¹⁾ محمد البشير (الابراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الابراهيمي، ج01 (1929-1940)، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1997، ص: 147.

⁽²⁾ الغالي (بن لباد)، الزوايا في الغرب الجزائري التنجانية والعلوية والقادرية دراسة أنثروبولوجيا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأنثروبولوجيا، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان، 2008-2009، ص: 170.

⁽³⁾ صلاح مؤيد (العقي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 361.

⁽⁴⁾ الغالي بن لباد، المرجع السابق، ص: 168.

للازوية فقط، وهناك دروس يخصصها الشيخ للضيوف الذين يرغبون استثمار رحلتهم في العلم، وتكون غالبا في مسائل فقهية اعترضتهم، أو أسئلة يوجهونها للشيخ يجيب عنها.

التعليم داخل مؤسسة الزاوية لا يعتمد على سن معين، إنما يعتمد فيه على درجة التحصيل، فالطالب سواء كان كبيرا أو صغيرا لا ينتقل من مرحلة إلى أخرى إلا إذا استوعب المصنف وتمكن من إدراك معانيه⁽¹⁾، ومدة الدراسة في الزاوية غير محدودة، بل تعتمد على مدى استيعاب الطالب للمواد المقررة عليه حفظا وتعلما⁽²⁾، بل يسمح لمن بلغ أربعين سنة أو خميس التعلّم في الزاوية لأن طلب العلم من المهدي إلى اللحد، لكن ما يجب عليهم هو الالتزام بنظامها الداخلي الصارم، والاحترام حسب المستوى العلمي.

1-التضييق والقمع الاستعماري للزوايا:

لو قارنا بين القمع الاستعماري للزوايا قبل 1880 وبعدها، لقلنا أن خمسين سنة الأولى من الاحتلال كانت أكثر همجية لأن هذه الزوايا كانت العدو المباشر في ساحة الحروب، ولهذا سياسة الانتقام والتنكيل هي العنوان لتلك المرحلة، لكن بعد تضاؤل المقاومات الشعبية وقبول أغلب الزوايا بالوجود الاستعماري كتابيا أو شفويا أو عمليا، هل توقف القمع الاستعماري؟

مهما أبدت الزوايا ولاءها للاستعمار، كان ينظر لها على أنها وكر للتعصب وإثارة الحروب ومعاداة المسيحيين، ولهذا تعامل الاستعمار معها ظاهريا بإعطاء مكانة لشيخوها وحضور المناسبات الدينية لها، وباطنيا سعت السياسة الاستعمارية إلى إضعاف عقيدتها، لأن غاية الاستعمار كما يرى الدوق دومال «والفكرة العامة التي بدت واضحة تماما في ملخص الدوق دومال هي التجديد الضروري للتعليم العربي التقليدي الذي كان يراد له فقط أن يتبنى شكلا أقل عداء للهيمنة الفرنسية، لم يكن أحد يفكر في تطوير تعليم من النوع الموجود في المتروبول»⁽³⁾، وبالتالي سعت الإدارة الاستعمارية ترسيم الإسلام الشعبي ووضع شيوخ يوجهونه حسب السياسة الاستعمارية، والأمثلة كثيرة عندما، فقد كتب شيوخ رسائل تحرم محاربة فرنسا، وحتى حج بيت الله الحرام الذي هو فرض في الإسلام لمن استطاع، أفتوا بعدم الذهاب إليه لظهور أمراض، وفي الحقيقة ظهور أفكار إصلاحية كانت فرنسا تخشى تسربها للجزائر عن طريق الحجاج.

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص: 168.

⁽²⁾ أحمد (مريوش) وآخرون، المرجع السابق، ص: 186.

⁽³⁾ ايفون (توران)، المرجع السابق، ص: 126.

دفعت الزوايا ثمن تحريكها للثورات الشعبية؛ «ما من انتفاضة وقعت في الجزائر إلا وكان الإخوان التابعون للزوايا قد لعبوا فيها دورا حيويا»⁽¹⁾، وبالتالي وجهت الادارة الاستعمارية سياستها نحو محاصرة الزوايا وتبطيل مفعولها الجهادي، لأن سياسة المهادنة والمصاحبة لم تأتي بجديد، وخير دليل على ذلك ثورة المقراني والشيخ الحداد، «جاءت انتفاضة 1871 لتقدم الدليل على صحة تحاليل ومخاوف السلطات، وحيث أن ذروع الغضب ارتفعت بشكل واسع وبأعداد ضخمة في جميع أنحاء الجزائر، وحيث أن الشيخ الحداد شيخ الرحمانية، أي الطريقة الوطنية القبائلية، قد دعا إخوانه للجهاد، فلقد وقع الإصرار على البرهنة بأن مصادر تلك الانتفاضة ذات الأسباب المتعددة تعود إلى الطريقة، من هنا صار من البديهي أن تتحمل الطرق الدينية والديانة الاسلامية عواقب الهزيمة»⁽²⁾، وبالتالي لا بد من وضع استراتيجية جديدة لتوجيه زوايا الطريقة الرحمانية وغيرها من الزوايا.

إن أول خطوة قامت بها الادارة الاستعمارية بعد الاستلاء على أغلب أوقاف الزوايا، وضع حاجز قانوني، ويتمثل ترخيص بإنشائها «وكانت تلك الرخص تمنح بعد تحقيق دقيق (حول الشخص) من طرف المسؤولين الإداريين، كانت تلك الرخص محظورة على الطلبة الأجانب، ولم يكن يسمح بذلك التدريس في المجتمعات السكنية التي توجد فيها مدرسة فرنسية»⁽³⁾، وكانت الادارة الاستعمارية تراقب حركة الطلبة داخل الزوايا عن طريق السجلات التي فرضها في كل زاوية، خاصة الطلبة القادمين من المغرب أو تونس.

تعرضت بعض الزوايا للغلق وشيوخها للنفي والتضييق في الأوراس مثلا سلط العقاب على شيوخ الزوايا ورجال الإصلاح، فتعرضت العديد من الزوايا للهدم، وكان مصير رجالها النفي أو السجن... فأبعد عن الأوراس الشيخ الصادق بلحاج وأولاده الذين تعرضوا للنفي، ونفي الشيخ الهاشمي دردور إلى جزيرة كورسيكا، وأرسل الشيخ محمد أو مزيان إلى كاليدونيا⁽⁴⁾، وتعرض شيوخ الزاوية الهاشمية القادرية للقتل والنفي بعد مساندة الطريقة السنوسية في ليبيا ضد الاحتلال الإيطالي.

لم يكتف الاستعمار الفرنسي في الجزائر بالتضييق على المؤسسات وهدمها وتحويلها إلى منشآت أخرى، بل استهدف الدين الاسلامي فكريا، ومحاولة استغلاله لبسط سيطرته؛ حيث لجأ إلى علماء تونس

(1) شارل روبر (أجرون)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 551-552.

(2) المرجع نفسه، ص: 553-554.

(3) المرجع نفسه، ص: 561-562.

(4) ناصرالدين (سعيدوني)، المرجع السابق، ص: 83.

ومصر ومكة لإصدار فتوى تجيز شرعية حكمه وتنهاي عن مقاومته ومخالفة كل من يدعوا إلى ذلك⁽¹⁾، حيث أرسل جول كامبون Jules Cambon الجاسوس "جرني كورتللمونت Gervais Courtellemont الذي أدعى اسلامه إلى مكة سنة 1895 لأداء فريضة الحج و"التأكد من صحة فتوى صدرت منذ عامين تلزم المستعمر بدفع جزية مقابل بقاءه"⁽²⁾، كما عينت الادارة الاستعمارية رجال دين مسلمين أبدعوا في الولاء، ووصل الحال بأحدهم أن شهد مراسيم دفن الدوق أورليان " انضم الأعيان العرب بقسنطينة إلى مراسيم الدفن واجتمعوا بالجامع الكبير، لقراءة حزب من القرآن على روح الفقيد⁽³⁾، وإذا كان اختلاف فقهاء المسلمين قديما حول قراءة القرآن على الميت من المسلمين، فما هو موقفهم من قراءته على ميت من غير المسلمين، إن هذه الحادثة توضح مدى تسييس الاستعمار للفكر والثقافة الاسلامية في الجزائر.

يعلق أحمد منور عن هذه المظاهر وغيرها بقوله: «وقد استعمل المحتلون كل الوسائل في هذا الميدان لكسر مقاومة الجزائريين واختراق صفوفهم، فكانوا يدفعون لبعض الدراويش ورجال الطرق مكافآت شهرية ليتكلموا في مختلف المناسبات كلاما في صالح الاحتلال، كما كانوا يخلطون الأحاديث النبوية، ويلفقون الأقوال المأثورة التي تتبأ بدوام السيطرة الفرنسية»⁽⁴⁾، وحتى لا يكون حكمنا عام، فهناك من شيوخ الزوايا والطرق الصوفية من ناضل وأخلص في عمله، وجاهد في سبيل الله بالعلم والقلم، في حين أن بعض الدراويش صنعتهم الادارة الاستعمارية لخدمة مصالحها سواء شعروا بذلك أو لم يشعروا بما يسعى إليه الاستعمار.

استخدمت الادارة الاستعمارية سياسة التقرب من شيوخ الزوايا ومحاولة كسب ودّهم كسياسة موازية ومتزامنة مع سياسة القمع؛ حيث بادر كامبون « منذ سنة 1891 إلى استضافة شيخ زاوية الطيبية ملاي عبدالسلام وابنه ملاي العربي... ومن التحالف مع سيدي قدير زعيم أولاد سيد الشيخ المنشقين» ونوّه بالطريقة التيجاني بمناسبة تشيع جنازة شيخها أحمد التيجاني⁽⁵⁾، والحقيقة أن هذا الموقف من كامبون جاء ضمن استراتيجية احتلال الصحراء، وما يدل على ذلك إصداره للعديد من التعليمات تشدد الرقابة على المسلمين الأجانب، «وكانت بعض تلك المذكرات تتضمن تعليمات عامة تحذر من الطرق الصوفية

⁽¹⁾ في 23 أوت 1841 أصدر الشيخ "القادي" بالقاهرة الفتوى التالية: "لقبائل حق عصيان الأمير عبدالقادر، فإنه من غير المعقول محاربة المسيحيين، بما أنهم يسمحون للمسلمين بالبقاء على دينهم". ينظر: مصطفى (خياطي)، المرجع السابق، ص: 141.

⁽²⁾ مصطفى (خياطي)، المرجع السابق، ص: 142.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص: 142.

⁽⁴⁾ أحمد (منور)، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي؛ نشأته وتطوره وقضاياه، المرجع السابق، ص: 63.

⁽⁵⁾ شارل رويير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 918.

والزوايا»⁽¹⁾، فالصداقة شعار العلاقة الظاهرية، أما باطنيا فهو الحذر من الزوايا، وضرورة مراقبتها ومراقبة علاقاتها الخارجية.

عمدت السلطات الاستعمارية في الجزائر إلى تبجيل الشيوخ الذين ترضى عنهم ويقومون بتنفيذ تعاليمها حرفيا، وذلك عن منحهم الهبات والهدايا ودعوتهم لحضور الحفلات والولائم⁽²⁾، وهذا ضمن سياسة التقرب التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية من أجل استقرار البلاد وتحقيق الأمن، ومساعدتها في السيطرة على ما بقي من الصحراء والتوغل في إفريقيا، كما بثت الإدارة الاستعمارية الخلاف والانشقاق داخل الزوايا «واصلت الإدارة الفرنسية ممارستها التي أصبحت موقفا تقليديا فيما يتعلق بمراقبة الزوايا وبث الفرقة بين شتى الطرق الدينية وربط الصداقة مع أكثر الشيوخ نفوذا»⁽³⁾، وهكذا استخدمت الإدارة الاستعمارية مختلف الوسائل لتوجيه الزوايا حسب سياستها فيما في ذلك القمع، وسياسة التقرب وبث الانشقاق والخلاف وتأجيج الصراع بين الزوايا.

2- وضع الزوايا بين 1880-1914

انخفض مستوى القمع الاستعماري للزوايا بعد 1880، خاصة التابعة للطرق الصوفية نظرا لتغير السياسة الاستعمارية اتجاهها والتي حاولت الإدارة الاستعمارية كسب ود الطرق الصوفية بمختلف الوسائل منها استمرار نشاط زواياها وعدم الاعتداء على أوقافها مقابل ألا تدعوا هذه الطرق الصوفية إلى محاربة فرنسا، فحدث ما يمكن أن نسميه تعايش سلمي بين الاستعمار والطرق الصوفية انعكس إيجابا على استمرار الزوايا وتأسيس بعضها من جديد، وما يدل على التحالف وتغيير السياسة الاستعمارية هو تصريح أحد القادة العسكريين بقوله: "إن كسب شيخ طريقة صوفية أنفع لنا من تجهيز جيش كامل، وقد يكونون ملايين، ولو اعتمدنا في إخضاعهم على الأموال والجيش لما أفادتنا ما تفيدته تلك الكلمة الواحدة من الشيخ، على أن الخضوع لقوتنا لا تؤمن عواقبه لأنه ليس من القلب، أما كلمة الشيخ فإنها تجلب لنا القلوب والأبدان والأموال أيضا"⁽⁴⁾، ولهذا فالسياسة الاستعمارية ستتغير اتجاه زعماء الطرق الصوفية.

(1) المرجع نفسه، ص: 920.

(2) عمار (قليل)، المرجع السابق، ص: 142-143.

(3) شارل روبير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 483.

(4) محمد البشير (الابراهيمى)، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمى، جمع وتقديم: أحمد الطالب الابراهيمى، ج05 (1954-1964)، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1997، ص: 143.

من جهة أخرى فقد غيّرت الطرق الصوفية ومشايخها من سياستهم اتجاه الاستعمار لأن قوة الحماس انهزمت أمام قوة السلاح، ونستنج علاقتهم من خلال أسلوب الخطاب في الرسائل، ومن تلك المراسلات رسالة الشيخ أبو عمارة خلق الله إلى الوالي العام بالجزائر يقول فيها: "إلى سعادة من رفع علاه على كل سموي من رقاہ وعلاہ، أعظم العظماء الأفخم خليفة الدولة السعيدة الفرنسية (كلمة غير واضحة) على عمالة الآفاق الحاكم السيد الكبرن⁽¹⁾ حاكم والي الجزائر"⁽²⁾، وكذلك رسالة الشيخ المشار إليه إلى حاكم عين الصفراء يقول فيها: "إلى سعادة المعظم الأرفع والمكرم الأنفع الواق فيه بإسناد سيادة قانونه المحترم السيد الكرنيل (الكولونيل colonel) حاكم قسمة عين الصفراء ونواحيها"⁽³⁾، وهذه أمثلة فقط أخذناها لبنين تغيير أسلوب الخطاب لدي شيوخ الطرق في التعامل مع الاستعمار بعد فشل ثورتي المقراني وبوعامة، وهو ما سنشهد عهد جديد بعد 1890 في العلاقة بين الاستعمار والطرق الصوفية سيكون له تأثير إيجابي على بقاء ما بقي من الزوايا، وهذا الذي يهمننا في دراستنا.

2-1 زوايا الغرب الجزائري: يتعذر علينا ذكر كل الزوايا الموجودة في الغرب الجزائري، ولكن سنعرج على أشهرها، ومنها الزاوية العداوية في غليزان، وسيدي عبدالله بمعسكر، والشيخ عدّة في تيارت، والزاوية الهبرية بتلمسان، وزاوية الشيخ بملول المجاجي، وزاوية رحمة الله بتلمسان، وأخيرا الزاوية العلوية بمستغانم.

ومن بين الزوايا الموجودة في الغرب الجزائري، زاوية الشيخ سيدي ابن عبدالله في معسكر، والتي تنتمي للطريقة الدرقاوية الشاذلية، تأسست الزاوية سنة 1300هـ / 1883م، وزاوية الشيخ أبي عمران البهلولي الخلفي في نفس المدينة، ونشأت هذه الزاوية منذ نهاية العهد العثماني وخربت في بداية الاستعمار، ثم أعيد بناؤها على يد أبي عمران البهلولي الذي ترأس الزاوية منذ 1883م، ولها فروع في المناطق المجاورة لمعسكر كزاوية الشيخ الحاج محمد الولماطي بقرية الزلامطة شرق المدينة⁽⁴⁾ (معسكر).

تأسست زاوية الشيخ عدّة بتيارت، والتي تحمل اسم مؤسسها الشيخ عدّة بن غلام الله⁽⁵⁾ أحد قضاة الأمير عبدالقادر الذي قام بتأسيسها مع المسجد 1269هـ، وقد قامت هذه الزاوية بدور مهم في تحفيظ

(1) حسب تاريخ الرسالة 1318هـ/1901م، كان الحاكم العام بالجزائر شارل جونار في عهده الأولى.

(2) رسالة الشيخ أبو عمارة خلق الله إلى الوالي العام بالجزائر سنة 1318هـ/1901م، أرشيف المتحف الجهوي تلمسان فرع النعام.

(3) رسالة الشيخ أبوعمارة خلق الله إلى حاكم عين الصفراء سنة 1318هـ/1901م، أرشيف المتحف الجهوي تلمسان فرع النعام.

(4) صلاح مؤيد (العقي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 486-494.

(5) من علماء الجزائر الذي ألفوا كتب عديدة في التصوف، فقد تجاوزت مؤلفاته ثمانية عشر مؤلفا منها: الرسائل لأهل الوسائل، الأجوبة لأهل المحبة، كتاب الصبيان على متن السنوسية، مفتاح القلوب في حديث النبي المحبوب، مرشد القاصد والطلاب ملخص من

القرآن الكريم وتدرّيس علوم اللغة العربية والدين الإسلامي وتخرج منها خمسمائة طالب حافظ⁽¹⁾، وفي نفس المدينة زاوية الشيخ شعلال بن عودة، التي أسسها سنة 1880، ونظرا لقيمتها ومكانتها العلمية فقد زارها الشيخ عبد الحميد بن باديس⁽²⁾، وكان للشيخ شعلال رغبة في تطوير نظام التعليم في زاويته.

يوجد بتلمسان العديد من الزوايا نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ومنها؛ زاوية رحمة الله ومؤسسها الشيخ الحاج يلس (1855-1927)، وكانت مقسمة إلى ثلاث أقسام؛ قسم خاص للتلاميذ الصغار لحفظ القرآن، والقسم الثاني للتلاميذ الكبار والمريدين، فيجتمع بها يوميا مائة أو أكثر تحت إشراف المقدم العربي شوار⁽³⁾، أما القسم الأخير مخصص لتعليم النساء، وهو ما انفردت به هذه الزاوية عن باقي الزوايا في تلمسان "وهذه الزاوية هي الأولى التي أدخلت تعليم النساء في تلمسان وما جاورها... ويعود الفضل الأول للشيخ بن يلس في نشر الثقافة النسائية في تلمسان"⁽⁴⁾، ولاشك أن هذه مبالغة لان تلمسان كحاضرة عرفت منذ قرون بالتعليم والثقافة للرجال والنساء، لكن مبادرة الشيخ ابن يلس اصلاحية في وقت زهد الرجال قبل النساء عن طلب العلم.

ومن زوايا الغرب الجزائري كذلك الزاوية العلوية بمستغانم⁽⁵⁾، أسست من طرف الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي، وكان تأسيسها حوالي سنة 1333هـ / 1914م، وقد أوصى الشيخ بأن تكون زاويته

الصحيحين وغيرها من المؤلفات. ينظر: محمد بودينار (الونشريسي)، «سيرة وجيزة عن حياة الولي الصالح سيدي عدة بن غلام الله»، الملتقى الوطني حول دور الشيخ عدّة بن غلام الله في نشر الحكمة الصوفية وممارسة القضاء، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص: 16-17.

⁽¹⁾ صلاح مؤيد (العقي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 504.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص: 516.

⁽³⁾ ابن عوده بن صاري، رسالة للشيخ الحاج محمد بن يلس بتاريخ 21 جوان 1913. نشرت في: عبد السلام بن أحمد بن محمد بن يلس، الإمام الشاعر المادح سيدي الحاج محمد بن يلس حياته وآثاره، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص: 403-404.

⁽⁴⁾ عبد السلام بن أحمد بن محمد بن يلس، المرجع السابق، ص: 44.

⁽⁵⁾ في سنة 1912، تم شراء قطعة أرض في تيجديت، ووضع الأساس للزاوية في عام 1914، وقد تعددت مرافق الزاوية فهي تضم مسجد للصلوات الخمس، وقاعات للتدرّيس، وبيوت للفقراء والمشردين، وبيوت لخدام الزاوية، وأخرى للضيوف، وقد قدرت قيمتها بمائتي ألف فرنك، وقيمة ما حبسه عليها الشيخ ابن عليوة من دور وعقار تسعمائة وخمسين ألف فرنك من أصل الحبس الذي قدرت قيمته المحكمة الشرعية بنحو مليون وأربعمائة ألف فرنك. ينظر: غزالة (بوغانم)، الطريقة العلوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية 1909-1934، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري-قسنطينة، 2007-2008، ص: 118-119.

"مكانا للذكر والصلاة وتلقي الدروس"، وهذه الزاوية فروع في تلمسان ووهران وغيليزان، وبرج بوغريج وخنشلة وغيرها من المناطق⁽¹⁾، وقد انتشرت بعد الحرب العالمية في تيزي وزو وعنابة ومناطق من الشرق الجزائري.

2-2 زوايا الشرق الجزائري:

يذكر باعزیز بن عمر الزواوي أن عدد الزوايا في منطقة زاوية يزيد عن الأربعين: "...وهي كثيرة يبلغ عددها الأربعين وزيادة ومشهورة لا في بلاد الزاوية فحسب بل حتى في الخارج إذ يؤمها كثير من طلبة بلاد القطر من غير الزوايين⁽²⁾، "ففي أعراش بني وغيليس وحدها ما يربو عن 12 زاوية كلها ذات ثروة واسعة"⁽³⁾، ومن أشهر الزوايا في بلاد زاوية وأكبرها قديما وحديثا ماديا وأديبا زاوية عبدالرحمن اليلولي التي "تخرج فيها غالب علماء الزاوية المنتشرون للتعليم في غيرها من الزوايا"⁽⁴⁾، وشهرتها تجاوزت حدود الجزائر، بالنظر إلى عدد العلماء الذين تخرجوا منها.

كانت زاوية اليلولي في البداية مخصصة فقط لتحفيظ القرآن بالروايات السبع، وفي سنة 1263هـ، فأحلوا فيها علوم العربية مثل النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق ومنعوا دخول علم الفقه⁽⁵⁾، وكان النظام المتبع في الزاوية هو: يستيقظ الطلبة في الثلث الأخير من الليل لقراءة القرآن في اللوحة أو ما يعرف بالتكرار إلى غاية أداء صلاة الفجر، وبعد الصلاة يتلون الحزب الراتب جماعة وعلى الطلبة الحافظين الحضور إجباريا، ولا يتخلف أحد إلا بعذر مقبول، وبعد الانتهاء من الأذكار ينتقل الطلبة إلى كتابة ألواحهم وتصحيحها إلى وقت الغذاء فيجتمعون للأكل والشرب في مكان واحد وزمن متحد، ثم يفترون منهم من يذهب للشيخ المدرس لحضور درسه في فن من الفنون لمدة ساعتين، إلى غاية الظهيرة فيستعدون لصلاة الظهر، وبين صلاتي الظهر

⁽¹⁾صلاح مؤيد (العقي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 518.

⁽²⁾مؤسسها الشيخ عبدالرحمن بن يسعد المصباحي اليلولي الزواوي، تلميذ محمد السعيد البهلولي، توفي 1105هـ، من تلاميذه محمد بن عنتر. ينظر: محمد السعيد بن أحمد (ابن زكري) الزواوي، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، المصدر السابق، ص: 44.

⁽³⁾ساحلي بن الحاج (الرزقي)، «أساليب التعليم في منطقة زاوية»، مجلة الشهاب، المجلد الخامس، الجزء السادس، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، جويلية 1929، ص: 36.

⁽⁴⁾باعزیز بن عمر (الزواوي)، «الزوايا بالزاوية»، مجلة الشهاب، المجلد التاسع، الجزء الأول، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، جانفي 1933، ص: 19.

⁽⁵⁾هناك اعتقاد أن الاعتناء بالفقه يهمل تحفيظ القرآن، وكانت الزاوية مشهورة بتحفيظ القرآن ولهذا من أراد مواصلة الفقه ينتقل لزاوية أخرى. ينظر: محمد السعيد بن أحمد (ابن زكري) الزواوي، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، المصدر السابق، ص: 48.

والعصر يقرؤون القرآن فرادى، وبعد الصلاة يأخذون فترة راحة إلى غاية صلاة المغرب، فيصلونها جماعة، ويطرؤون بعدها الحزب الراتب، وبعد الانتهاء منه يستمرون في قراءة القرآن فرادى أو مثنى أو ثلاثة أو أربعة إلى غاية منتصف الليل فيجتمعون للعشاء وبعدها فترة النوم⁽¹⁾، وهذا النظام متوارث بين أغلب الزوايا يوجد تفاوت فقط في الترتيب والتوقيت، والصرامة في التطبيق.

نظام العقوبات صارم داخل الزوايا، فقد يتعرض التلميذ للأعمال الشاقة في زاوية الليل بسبب ترك الصلاة في الجماعة، أو عدم حضور قراءة الحزب الراتب، وإساءة الأدب مع غيره قولاً أو فعلاً أو إشارة، أو مس المصحف من غير طهارة أو غسل لليدين، والتكلم في المجلس من غير إذن أو إساءة الأدب، والدخول للمطبخ بدون موافقة المسير أو أكل لقمة من الطعام أو كسرة خبز أو حبة من التين أو الفول غير الذي يمنح وقت الغذاء أو العشاء وغيرها من الأسباب التي تؤدي إلى معاقبة صاحبها بالأعمال الشاقة⁽²⁾، والشخص الذي يطرد من الزاوية لا يمكن له الرجوع ولا يشفع له أحد⁽³⁾، وعقوبة الطرد لا تتم إلا إذا ارتكب طالب العلم كبيرة من كبائر الذنوب خاصة الزنا أو السرقة.

وقد عرفت زاوية الليل "بنظامها الداخلي الدقيق وبرنامج تعليمها الغني بمختلف المواد، بالإضافة إلى المادة الأساسية المتمثلة في تحفيظ القرآن حفظاً متقناً مع معرفة كاملة بالقراءات، كما عرفت كذلك بشيوخها الذين كانوا جهابذة في مختلف العلوم والفنون، ومنهم الشيخ صادق بن زكري شقيق الشيخ سعيد بن زكري، وقد تخرج من هذه الزاوية شيوخ أمثال أبو يعلى الزواوي، وأبو القاسم البوجليلي"⁽⁴⁾، وغيرهم من العلماء.

ومن العادات المنتشرة في الزوايا، يخصص يوماً يجتمع فيه طلبة الزاوية عند قبر مؤسسها أو الولي الصالح المرتبط بها يقرؤون سورة يس وسورة الملك والآيات الأولى والأخيرة من سورة البقرة، ويحتمون بالدعاء الجماعي، فمثلاً يذكر سعيد ابن زكري عن زاوية الليل أن ليلة الجمعة يجتمع فيها الطلبة عند قبة مؤسس الزاوية "واعلم أن تلك الليلة عندهم ليلة مباركة عظيمة يرغب في فضلها والحضور فيها ويتشوف إلى مجيئها...أنهم إذا صلوا صلاة المغرب وقرأوا الحزب الراتب في الزاوية يهبطون إلى قبة الولي المذكور...لا يسوغ لأحد أن يتخلف عنه صغيراً أو كبيراً، فإذا حضر الجميع واستقر المجلس بأهله استفتحوا بقراءة سورة يس

(1) محمد السعيد بن أحمد (ابن زكري) الزواوي، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، المصدر السابق، ص: 48-51.

(2) المصدر نفسه، ص: 52.

(3) المصدر نفسه، ص: 58.

(4) صلاح مؤيد (العقي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 456.

جماعة برفع أصواتهم وبعدها يتضرعون إلى الله تعالى رافعين أكفهم إليه"⁽¹⁾، وكانت أغلب الزوايا تخصص اجتماع في الأسبوع من قراءة بعض سورة القرآن ترحما على روح مؤسس الزاوية. ومن الزوايا التي انتشرت في الشرق الجزائري؛ زاوية شلاطة التي أسسها أجداد ابن علي الشريف، والتي يقول عنها لوسيان: "زاوية شلاطة أسسها منذ ما يزيد على ثلاثمائة سنة أحد آباءه -أي أجداد ابن علي الشريف-، ومنها تخرج مئات من أجيال الطلبة جاءوها الواحد بعد الآخر لاقتباس نور العلم وهي زاوية منزوية كأنها مخلوقة للعلم فالخشاش الخارجية لا تنالها إلا بصعوبة... وزاوية شلاطة ليست زاوية تعليم فقط فإنها في كل حين ملاذا وملجأ للفقراء والمساكين ولم تدخل في أي طريقة فبقية مطلقة من قيود العبودية كلها والتعليم الديني فيها لا يخرج من كونه أدبيا وعلميا وعندنا الآن كتاب (غير مفهومة) الذي ألفه لتلامذته ابن علي الشريف أحد أجداد الفقيه وسماه معالم الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار، وبه التعليم في الزاوية"⁽²⁾، وتعد من الزوايا الموالية للاستعمار إلا أنها أدت دورا علما جعلها تكتسب شهرة تلي شهرة زاوية سيدي عبدالرحمن اليلولي.

ويقول عنها الشيخ محمود كحول في ترجمته لمحمد الشريف ابن علي الشريف: "وزاويتهم في شلاطة من دائرة أقبو بقرب بجاية التي كانت ولا تزال محط رحال الطالبين للعلم وكعبة القاصدين لحفظ القرآن برواياته، حتى تخرج منها الحافظ لكتاب الله وحملة العلم الشريف زيادة عما امتازت به من كونها دار صلاح وتربية وملجأ لذوي الفاقة والمحتاجين"⁽³⁾، وقد تخصصت هذه الزاوية في تحفيظ القرآن "لذلك قيل للتنويه بها والإشادة بتخصصها في هذا الميدان: من لم يقرأ القرآن في شلاطة ولم يتعلم الفقه في تاسلنت أي زاوية أبي داود يعتبر عند المحبين ناقص السر"⁽⁴⁾، وقد درس بهذه الزاوية الشيخ البشير الابراهيمي كما ذكر صلاح مؤيد العقبي.

يوجد العديد من الزوايا في قسنطينة أغلبها تابعة لطريقة من الطرق الصوفية، إلا أن وجودها شكليا، ففي تقرير يرجع لسنة 1897، يتحدث عن الزوايا والمساجد، ورد فيه اسم أزيد من 20 زاوية، لم يتجاوز طلبة الزاوية الواحدة عشرين طالب، وبعضها لم تتعدى عتبة 10، ومنها: الزاوية التجانية، العيساوية، زاوية ابن

(1) محمد السعيد بن أحمد (ابن زكري) الزواوي، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، المصدر السابق، ص: 53-54.

(2) خطاب لوسيان في ذكرى رثاء الشريف بن علي الشريف، جريدة المشرق، ع 5526، 11 جانفي 1913.

(3) محمود (كحول) وبودي (لوي)، التقويم الجزائري لسنة 1913، مطبعة فونطانا، الجزائر، 1913، ص: 174.

(4) صلاح مؤيد (العقبي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 454.

عبدالرحمن، وملاي الطيب، وسيدي عفان، وزاوية الفقراء⁽¹⁾، وقد اشتهرت قسنطينة بمساجدها ومدارسها أكثر مما اشتهرت بزواياها.

ومن بين الزوايا في الشرق الجزائري؛ زاوية الهامل التي تأسست سنة 1863، والتي تنتمي للطريقة الرحمانية، ونظام التعليم فيها ينقسم لمرحلتين؛ الأولى يتعلم فيها طالب العلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن، ثم المرحلة الثانية مخصصة لتعليم علوم الدين وفنون اللغة إلى جانب العلوم الأخرى كالفلك والحساب والتاريخ والمنطق، وقد تخرج من الزاوية العديد من العلماء أمثال أبو القاسم الحفناوي⁽²⁾، ولهذه الزاوية مكتبة.

وقد اشتهرت في منطقة الأوراس عدّة زوايا، بعضها يتبع النظام الداخلي حيث تتكفل بإطعام وإيواء الطلبة وأخرى تكتفي بالنظام الخارجي وهي مخصصة لتلاميذ المنطقة المجاورة لها، ومن بين زوايا النظام الداخلي: زاوية الشيخ صادق بلحاج في لقصر، وزاوية الشيخ أحمد بن الصادق في غوفي عرش غريسة، وزاوية الشيخ الخرشبي في قرية الثلاث بعرض أولاد عبدي، وزاوية أولاد سيد الحاج بثنية العابد، وزاوية الشيخ الهاشمي دردور في مدرونة وادي عبدي، وزاوية الشيخ ابن العباس بأولاد يعقوب قرب خنشلة، ومن بين الزوايا التي تتبع النظام الخارجي: زاوية الشيخ عبدالسلام بتكوت، وزاوية عمر الشريف في القصر، زاوية الشيخ ابن بوبيش في الوادي الأحمر⁽³⁾، فكل منطقة إلا وسعى سكانها إلى تأسيس زاوية للإطعام للتكفل بالفقراء والمحتاجين، وأخرى للعلم. يتحدث ابن زكري عن عدد الزوايا ببلاد القبائل سنة 1903، فيقول: "...وهي كثيرة يبلغ عددها باعتبار الكبيرة والصغيرة ما بين خمسة وثلاثين إلى أربعين فيما اعلم، ويمكن أن تزيد"⁽⁴⁾، وأغلب هذه الزوايا تابعة للطريقة الرحمانية.

تعد زاوية الشيخ بملول المجاجي من أشهر الزوايا في إقليم الوسط، والتي تقع قرب مدينة تنس، والتي عرفت بتدريسها لمختلف العلوم والفنون كال تفسير والحديث والأصول والفقه والتوحيد والمنطق وغيرها، خاصة أن شيخ الزاوية كان مفسراً، وقد تخرج من هذه الزاوية السعيد قدورة والشيخ يحي الشاوي⁽⁵⁾، ومن زوايا الوسط

(1) عبدالحاميد (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص: 256.

(2) عيسى (بلقي)، «الزوايا في مواجهة السياسة الثقافية الاجتماعية الاستعمارية -زاوية الهامل نموذجاً»، الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جامعة السانبا-وهران، يومي 25-26 ماي 2005، منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص: 287-291..

(3) صلاح مؤيد (العقي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 412-413.

(4) محمد السعيد بن أحمد (ابن زكري) الزواوي، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، المصدر السابق، ص: 11.

(5) صلاح مؤيد (العقي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 476-477.

كذلك، زاوية قصر البخاري بولاية المدية حليا، أسسها الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن رقية المعروف بالميسوم بعد سنة 1865م، وفي سنة 1870 اتهمه الفرنسيون بمعارضة الحكم المدني، فهاجموا الزاوية، وفتشوا أوراق الشيخ، فوجدوا جنرالا فرنسيا كتب إليه رسالة، يطلب منه معارضة التغيير فرد عليه أنه لا يتدخل في مثل هذا الأمور، وقد وصلت شهرة هذه الزاوية الدينية شهرة زاوية الهامل⁽¹⁾، غير أن هذه الزاوية زالت شهرتها بوفاة مؤسسها كما حدث لأغلب الزوايا.

2-3 الزوايا في الجنوب الجزائري:

هناك زوايا انشأتها الطرق الصوفية، وقدر عددها كبوبلاني سنة 1899 بـ 349 زاوية؛ منها 33 تابعة للطريقة القادرية، و177 للطريقة الرحمانية، و32 زاوية للطريقة التجانية⁽²⁾، ومن بين زوايا الطريقة الرحمانية في الجنوب؛ الزاوية المختارية نسبة إلى مؤسسها الشيخ المختار بن خليفة الجلاي سنة 1815 بدائرة أولاد جلال ولاية بسكرة حاليا، وبعد وفاته سنة 1276هـ، تولى ولده الإشراف على الزاوية والتي عرفت في عهده سعة في العلم والعمران، وازداد عدد طلبتها حتى بلغ 500 طالب، وقد حظيت هذه الزاوية بسمعة طيبة في أوساط طلاب العلم نظرا لبرنامجها الثري بمختلف المواد⁽³⁾، ويضاف لها الزاوية العثمانية بطولقة بولاية بسكرة حاليا، والتي تأسست نهاية القرن الثامن عشر ومستمرة إلى يومنا هذا، وهو ما جعل شيوخها يتكون تراث عظيم من المخطوطات استفاد ويستفيد منها الباحثون اليوم، وفي فترة دراستنا (1880-1914) كان يتولى شؤون الزاوية العثمانية الشيخ علي بن عثمان الذي يرجع له الفضل في تأسيس مكتبة الزاوية⁽⁴⁾، ومن شيوخ الزاوية في الفترة المدروسة الشيخ علي بن عثمان الذي توفي في شهر ماي 1898م، وترك مؤلفات لازلت مخطوطة منها: رسالة في أن "حب الدنيا قاطع للسائر"، والنبذة اللطيفة فيما يلزم السائر في الطريقة المنيفة، ومخطوط الرد على من اكتفى بنسبة الطريقة دون أخذ العهد، ومخطوطات أخرى وكلها في منهج الطريقة والتصوف⁽⁵⁾، ومن بين زوايا الطريقة الرحمانية نذكر كذلك زاوية الشيخ الجروني التي توجد في بلدة

(1) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج03، المرجع السابق، ص: 227-231.

(2) coppolani xavier et octave de pont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit , P : 215.

(3) صلاح مؤيد (العقي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 386-389.

(4) المرجع نفسه، ص ص393-402.

(5) سليمان (صيد)، تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومه، الجزائر، (د.ت)، ص: 43-44.

سيدي خالد، أسسها الشيخ علي الجروني، وهو من المعاصرين لمحمد بن عزوز البرجي وعبدالحفيظ الخنقي والمختار بن خليفة الجلالي⁽¹⁾.

وفي الجنوب الشرقي نجد الزاوية الهاشمية القادرية بوادي سوف، ومؤسسها الشيخ الشريف الهاشمي بن ابراهيم بن أحمد الكبير (1840-1922)، وإلى جانب دورها العلمي، فقد لعبت الزاوية دورا في مقاومة الاحتلال الايطالي لليبيا بالمال والسلاح، كما أعلن شيخ الزاوية الجهاد ضد الجيش الفرنسي في منطقة سوف سنة 1917⁽²⁾ مستغلا ظروف الحرب العالمية الأولى.

وقد أدت زوايا الطريقة الرحمانية دورا كبيرا في الجنوب، فيتحدث إبراهيم مياسي عن الزاوية الرحمانية في وادي سوف "وكان أهم عمل قامت به الزاوية هو نشر التعليم والعلم وإرشاد الناس وإصلاح المفاسد، بحيث أصبحت الزاوية بالوادي عبارة عن خلية تضم العديد من الطلبة لحفظ القرآن الكريم ودراسة العلوم المختلفة، فتضمن لهم الرعاية التامة من إيواء وإطعام ولهذا استقطبت الزاوية طلاب العديد من المناطق كالزاب الشرقي ووادي ريغ"، ومن أهم شيوخها سيدي مصباح الذي ولد سنة 1255هـ/1831م، وتوفي 1327هـ/1909م، وسيدي محمد الصالح الذي ولد 1263هـ/1846م وتوفي سنة 1235هـ/1916م⁽³⁾

اشتهرت زوايا في الجنوب الغربي منها: الزاوية الكرزانية بإقليم الساورة، نسبة لمنطقة كرزاز ومؤسسها الشيخ سيدي أحمد بن موسى والذي أسس طريقة تعرف بالطريقة الموساوية في القرن العاشر الهجري وهي مستمرة إلى يومنا هذا دون أن تنقطع عن تحفيظ القرآن وتدریس العلوم، وزاوية سيدي الشيخ نسبة إلى عبدالقادر بن محمد الملقب بسيدي الشيخ، وأسس الزاوية سليمان بوسماحة الذي كثر في عهده طلابها ومريدوها لتحفيظ القرآن وتلقي العلوم الدينية واللغوية⁽⁴⁾، كما أن الطريقة الزبانية أنشأت زوايا في إقليم الساورة.

(1) صلاح مؤيد (العقي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 410.

(2) صلاح مؤيد (العقي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 560.

(3) إبراهيم (مياسي)، «دور الزوايا في نشر التعليم الأصلي، الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية»، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جامعة السانیا-وهران، يومي 25-26 ماي 2005، منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص: 329-330.

(4) صلاح مؤيد (العقي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 556-557.

ومن بين الزوايا الموجودة في تندوف؛ زاوية محمد المختار بن الأعش الجكاني الموساني، والذي أسسها سنة 1267هـ، أو 1270هـ، "وتحدث عن الزاوية عدد من الكتاب والمؤرخين ك علي بن النحوي في كتابه المحاضر، وابن الأمين الشنقيطي في كتابه الوسيط في ترجمة أدباء شنقيط، والمؤرخ السوسي في كتاب المعسول، وجميعهم أشاد بهذه الزاوية ومؤسسها من فضل على الاسلام"⁽¹⁾ في وقت كانت تعاني زوايا الشمال من التنكيل الاستعماري وإفراغها من مهمتها الحقيقية.

في أقصى الجنوب الغربي؛ يوجد زوايا توات ومنها زاوية سيدي ملاي عبدالله في أوقروت التابعة للطريقة القادرية⁽²⁾، وزاوية سيد البكري بتمنطيط، وزاوية مولاي هيبية بأولف الشرفاء (تمقطن)، وزاوية سيد علي بن حنيني بزاجلو، وزاوية كنتة، وزاوية سيدي حيدة بقصر بودة السفلانية⁽³⁾، وأسس ملاي أحمد الطاهري زاوية بسالي، وذكر أن الهدف منها تغذية "الطلبة بمناهل العلوم والمعارف المختلفة بأنواع الفنون العلمية، وإطعام الطعام للمساكين وأبناء السبيل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمقاومة للبدع وأهلها والإصلاح بين الناس والنصيحة لهم وإيقاظهم من الغفلة وتنبههم على دسائس الاستعمار ومكائده"⁽⁴⁾، ولاشك أن الشيخ كان يدرك خطورة الاستعمار خاصة من الناحية الفكرية والثقافية.

لقد كتب الشيخ أحمد الطاهري عن الحقد الاستعماري لتلك الزوايا وما تنشره من العلم فيقول: "رغم ما نشاهده من غيظ المستعمر وحنقهم وحقدهم علينا، وفي كل وقت يزداد غيظهم علينا ولاسيما عندما شاهدوا في المدرسة أعدادا كثيرة من الطلبة في مدة يسيرة، فكلما زاد إقبال الطلبة والناس عليها يزداد حقدهم ويتربصون بنا الدوائر"⁽⁵⁾، فكانت المدرسة الطاهرية تخضع لمراقبة شديدة من طرف الاستعمار، لأن مؤسسها قدم من المغرب، وقد سبق أن ذكرنا سبب انشاء الدفاتر في الزوايا من أجل تشديد الرقابة على الطلبة الأجانب، ويكون التشديد أكثر على العلماء المدرسين. وأهم العلوم التي كانت تدرس في زوايا الجنوب؛

(1) المرجع نفسه، ص: 536.

(2) Lacroix (N) et H.M.P de la Martinière, Documents pour servir A l'étude du nord ouest africain, op.cit, P : 202.

(3) صالح (بوسليم)، «مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين 12-13هـ/18-19م بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي»، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، 2010، ص: 103.

(4) ملاي أحمد (الطاهري) الادريسي، مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، الخزانة البلبالية بكوسام، أدرار، الجزائر، ص: 03.

(5) المصدر نفسه، ص: 04.

صغرى السنوسي في العقيدة⁽¹⁾، وهي مختصر للعقيدة الأشعرية الأكثر انتشارا في المغرب العربي، وفي النحو ألفية ابن مالك⁽²⁾، وفي الفقه مختصر خليل⁽³⁾ ورسالة أبي زيد القيرواني ومنظومة ابن عاشر، كما كانت تلقن للطلبة بعض مبادئ التصوّف حسب طريقة الجنيد في منظومة ابن عاشر، وبعض الزوايا كانت تدرس لطلابها السّلم المرونق في علم المنطق للشيخ عبدالرحمن الأخضر.

استمرت الزوايا في نشر رسالتها التربوية وبقيت "المراكز الوحيدة للتعليم في بلد سادته الجهل والحرمان الثقافي، ففي تقرير لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي التي زارت الجزائر في عام 1891 كتبت معترفة بتجهيل حكومتها للشعب الجزائري وتثقيف الزوايا له تقول: إن التعليم المقدم حاليا (أي سنة 1891) في الجزائر متروك في أيدي الأهالي والزوايا التي يدرس فيها القرآن وتفسيره هي المؤسسة التعليمية والتربوية الوحيدة في البلاد"⁽⁴⁾، كما ساهمت الزوايا في الحفاظ على "الموروث الثقافي العربي الاسلامي (نقل ونشر وإعادة إنتاج الثقافة الدينية الاسلامية وما تحمله من قيم وأخلاق ومعاني وسلوكيات اجتماعية، نشر قيم المحبة والتآخي والتسامح بين المسلمين)... كما ساهمت الزوايا في الحفاظ على مقومات السكان الجزائريين وحصنهم ضد الانحراف وجنبهم التفسخ والانحلال والاندماج في الثقافة الفرنسية"⁽⁵⁾، لكن بدخول المناهج الجديدة مع المدرسة الاستعمارية، وظهور بوادر الحركة الاصلاحية دفع بعض العلماء المطالبة بإصلاح الزوايا.

⁽¹⁾ وتعرف كذلك بأسماء البراهين، وهو مؤلف صغير الحجم، تعرض فيه مؤلفه صفات الله الواجبة والمستحيلة ودليلها، ثم ما يجب في حق الرسل من الصدق والأمانة والتبليغ وغيرها من الصفات. ينظر: محمد أبي عبدالله بن يوسف (السنوسي)، أم البراهين، تحقيق: خالد زهري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2009.

⁽²⁾ وتعرف كذلك بالخلاصة في النحو، وهذا التأليف يدرس في أغلب الزوايا لسهولة حفظه وشموليته على أغلب مسائل النحو والصرف، وهو عبارة عن منظومة تتكون من تسعمائة وثمان وثمانون بيتا. ينظر: محمد جمال الدين أبو عبدالله (الأندلسي)، ألفية ابن مالك في النحو والتصريف، تح: سليمان بن عبدالعزيز العيوني، مكتبة دار المنهاج، الرياض-المملكة العربية السعودية، (د.ت).

⁽³⁾ هو كتاب مختصر لبعض المسائل الموجودة في المدونة، والتي هي فتاوى الإمام مالك، وقد خشي الاستعمار من تدريس هذا الكتاب لأنه يحتوي على الباب الجهاد، ويتعرض صاحب المختصر إلى أغلب المسائل الفقهية كالطهارة، والصلاة وشروطها، والزكاة. ينظر: خليل بن اسحاق (المالكي)، مختصر العلامة خليل، تحقيق: أحمد نصر، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1981.

⁽⁴⁾ محمد (مكحلي)، «دور الزوايا الإصلاحية في تحضير ثورة التحرير، الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية»، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جامعة السانبا-وهران، يومي 25-26 ماي 2005، منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص: 280.

⁽⁵⁾ محمد (مجاود)، «دور الزوايا في الحركة الوطنية والثورة التحريرية»، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، عدد خاص بفعاليات الملتقى الدولي الأول حول الظاهرة الدينية، معهد العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة معسكر، أفريل 2008، ص: 317.

3- ضرورة إصلاح الزوايا: مع بداية القرن العشرين، طرحت مسألة إصلاح الزوايا، من حيث المناهج ومواد التدريس، والإدارة والتفتيش، فيقول باعزيز بن عمر عن منهج التدريس: "التعليم الجاري في هذه الزوايا واصفه لكم باختصار وهو أنه لم يزل على الأسلوب القديم من الابتداء بحفظ القرآن الكريم وشتى المتون والانتقال بعد ذلك إلى دراسة الفقه والنحو والصرف على طريقة لا تؤهل الطالب للبحث والاستنتاج والتصريف فيما يعلم بل نحده يتلقى كل شيء بالتسليم"⁽¹⁾، ويضيف ساحلي بن الحاج الرزقي: "إن أساليب التعليم في منطقة زواوة عقيمة، سيما في هذا الدور الأخير، والسبب في ذلك أن القائمين اليوم لم يسلكوا مسلك مؤسسي تلك الزوايا التي هي بحق معاهد دينية ودور علمية نظرا للتعاليم الدينية والمبادئ العلمية التي ما فتئت تبث روحها بعيد تأسيسها في رجال تلك المناطق الجبلية"⁽²⁾، ومن أجل تطوير تلك الزوايا كان لا بد من إصلاحها.

ينتقد الزواوي خريجي الزوايا ويقارنهم بخريجي المدارس الفرنسية فيقول: «نرى التلاميذ الذين يتعلمون في المدارس الإفريقية يتخرجون في مدة اثني عشرة سنة يحسنون فنون منها الخط والكتابة والإنشاء والحساب والجغرافيا وتاريخ أوروبا ومعرفة رجالهم والعظماء ويتقنون لسان غير لسانهم، ولغة غير لغتهم ونحو غير نحوهم وصرفا غير صرفهم وفقها غير فقهم وأدبا غير أدبهم... ونرى الذين يتعلمون في مدارسنا -زوايانا- يمشون أكثر من اثني عشر سنة ولا يحسنون فنا واحدا من الفنون... ويا ترى ما السبب في ذلك؟... السبب الوحيد في ذلك حسن التعليم والإجادة في صناعته والأخذ بطرقه المفيدة النافعة»⁽³⁾، فمقارنة الشيخ الزواوي تبين لنا مدى تأثيره بمناهج وطرق المدرسة الفرنسية، وضرورة الاستفادة منها في إصلاح الزوايا.

دعا ابن زكري الادارة الاستعمارية إلى ضرورة إصلاح الزوايا وإدخال العلوم الحديثة والتي كانت في الأصل تدرس عند المسلمين في عصور مضت "تهديب أخلاق الأمة وإصلاح المواد المدنية؛ إذ المطلوب فيه إحياء بعض العلوم المدرسة التي كانت متداولة في النواحي الزواوية في الأعصار القديمة فيكون ذلك زيادة في شهرة الجمهورية الفرنسية بإحياء الأموات ويعد من نتائج حسن استيلائها على مستعمراتها حتي تكون في مقام الامتتان أحق بالافتخار"⁽⁴⁾، فالعملية التعليمية عند ابن زكري تتم تحت إشراف الادارة الاستعمارية.

يتمثل المشروع الذي قدمه فيما يلي:

(1) باعزيز بن عمر (الزواوي)، «الزوايا بزواوة»، مجلة الشهاب، المجلد التاسع، الجزء الثاني، المطبعة الجزائرية الاسلامية، قسنطينة-الجزائر، فيفري 1933، ص: 83.

(2) ساحلي بن الحاج (الرزقي)، المرجع السابق، ص: 30.

(3) أبو يعلى (الزواوي)، تاريخ الزواوة، المصدر السابق، ص: 150.

(4) محمد السعيد بن أحمد (ابن زكري) الزواوي، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، المصدر السابق، ص: 12.

- 1- تقسيم الأوقات النهارية والليلية لقراءة القرآن والدروس العلمية، ولا شك أن ذلك يختلف باختلاف الزوايا، ويتغير بتغيّر الفصول الأربعة.
 - 2- عدد مشايخ الزاوية حسب عدد طلابها، ويتم اختيار الشيخ حسب كفاءته من طرف القائمين على الزوايا ويرسلون اسمه وسيرته للحكومة لتوافق عليه.
 - 3- يتم دفع أجرة الشيخ من أموال الأوقاف ومداحيل الزاوية، وقد تدفع نقداً أو عيناً أو حسب ما اتفق عليه الشيخ مع المتصرفين في الزاوية.
 - 4- وضع مدة زمنية لبقاء الطلبة في الزاوية وتخرجهم، فمثلاً من أراد قراءة القرآن من اثني عشرة إلى خمسة عشر سنة، ومن أراد قراءة العلوم فله ست أو سبع سنين، ولم يتمكن من تحقيق غرضه، يحال ملفه للمتصرفين في الزاوية ويتلقى شهادة حسن السيرة من الشيخ حتى يسمح له بزيادة، وإلا فلا زيادة له.⁽¹⁾
 - 5- لا يغيب الشيخ إلا لضرورة، وأن لا تزيد مدة غيابه على عشرة أيام، ويلزم أن يكون بين غيبه وأخرى أكثر من شهرين، ويستخلف مكانه أحد من تلاميذه المتأهلين للنيابة.⁽²⁾
 - 6- ينبغي على الحكومة الفرنسية الإبقاء على النظام القديم للزوايا في الحصول على عائداً لتتكفل بتسيير أجور الموظفين وإيواء الطلبة والغرباء والتشييد والبناء.⁽³⁾
- اقترح أحد العلماء ضرورة توسيع دائرة المواد التي تدرس بالزوايا، خاصة التي لها ارتباط بالحياة اليومية «وأرى أن يجعلوا قسماً في التعليم للتجارة وأنها فن يدرس وأنه لمن حسن الفنون لما فيه من تعليم حسن الخلق ومكارم الأخلاق وحسن المعاملة والرفق واللين المحمودين»⁽⁴⁾، ومن مقترحات الإصلاح تقسيم التعليم إلى مراحل، ويكون التعليم فيها بتدرج حسب درجة الاستيعاب، والحفظ "أن الرتبة الابتدائية والرتبة الوسطى ينبغي للمعلم الاقتصار فيها على تقرير المسائل مجردة من دون ذكر الخلافات والأدلة الطويلة الذليل حتى إذا اقتصر المتعلم على إحدى الرتبتين أو عاقته دون الترقى لما بعدها عوائق فقد نال ما فيه كفاية...، أما الرتبة العليا التي لا يقصدها إلا من طمحت همته إلى أن يكون عالماً معلماً فلا بد من تتبع عروق المسائل واستقصاء آثارها، وحث مطية الفكر في أبحاثها وأغوارها... والاشتغال بتحرير أصل من الأصول العلم أفيد للطلاب

(1) المصدر نفسه، ص: 36-38.

(2) المصدر نفسه، ص: 71.

(3) المصدر نفسه، ص: 73.

(4) أبو يعلى (الزواوي)، تاريخ الزواوة، المصدر السابق، ص: 152.

وأجدى"⁽¹⁾، بينما لو رجعنا إلى واقع الزوايا فطلابها في مختلف المستويات اعتمدوا على الحفظ دون دليل في كثير من المسائل، وهو ما جعل الشيخ محمد لخضر بن الحسين يلزم طلب العلم في المراحل المتقدمة أن يتعلموا المسائل بدليلها.

وصف الاستعمار طلبه الزوايا بالمتعصبين والثائرين، ومن أجل القضاء على هذا التعصب يتم إدخال مادة تدريس تاريخ فرنسا وعظماؤها، وبعض كتب الرحالة التي تمجد فرنسا وتكثف أبناء الزوايا مع الوجود الاستعماري، وتحيب فرنسا لهم: "بث العلوم المزينة للغشاوة وعلى أبصارهم المطهرة... يجلب الكتب العصرية المتفننة بفنون كالتاريخ والجغرافيا وسير الملوك وقوة الدول لاسيما ما يخص الجمهورية الفرنسية مثل الاستطلاعات البارزية، ورحلة الشيخ رفاعة"⁽²⁾ ورحلة الشيخ بيرم"⁽³⁾ وما اشبه ذلك"⁽⁴⁾، وهذا الاقتراح نابع من قناعته حول اندماج الجزائريين بالأوروبيين وإحداث تعايش فيما بينهم.

وما تعانیه الزوايا هو ضعف التأطير وقلة المدرسين "والحال أن بعض الزوايا اتسع حالها وكثر طلبتها كزواية سيدي عبدالرحمن اليلولي، وسيدي موسى، وسيدي علي موسى، وتقريت أمالك وأمثالها، فبلغ في إحداها عدد الطلبة مائة وزيادة وليس لهم إلا شيخ واحد معلم مقرئ القرآن، ويقتصرون على القرآن ويتنافسون في حفظه وتجويده وإتقان رسمه ولكنهم يجمدون عليه ولا يزيدون عليه إلا درسا نحوية في بعض تلك الزوايا كسيدي عبدالرحمن"⁽⁵⁾، والحل يكمن في زيادة عدد المدرسين ومن مختلف الفنون والمواد، لأن إمكانياتها المالية تسمح لها بذلك "ففي مقدور هذه المعاهد (الزوايا) تنظيم الدروس، واختيار الأليق من أساليب التعليم، وانتداب عدد كاف من المدرسين الأكفاء، وإعداد غرف كافية لإيواء الطلبة مع استكمال شروط الصحة"⁽⁶⁾.

(1) محمد الخضر (بن الحسين)، المصدر السابق، ص: 39.

(2) وهي رحلة رفاعة الطهطاوي إلى باريس بتاريخ 1826 للإشراف على البعثة المصرية، ودونها في كتاب اسماء "تخليص الابريز في تلخيص باريز" بين فيه عظمة فرنسا وتفوقها وتحضرها، كما قدم في هذا الكتاب "اكتشافه للحضارة الغربية: تاريخها وأصولها ومؤسستها السياسية والثقافية والاقتصادية والتشريعية والقضائية، وأدبها وأصول السلوك والعادات فيها، وحقوق الأفراد". ينظر: رفاعة رافع (الطهطاوي)، تخليص الابريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص: 319.

(3) محمد بيرم الخامس (1840-1889)، عالم ومؤرخ ورحالة تونسي زار أوروبا عدّة مرات، والذي قال عن فرنسا "فرنسا ذات النخوة والشأن المتقدمة في التمدن والسطوة والعرفان... هذه المملكة حوت من المحاسن والصفات ما أقر لها به معاصروها". ينظر: محمد بيرم الخامس (التونسي)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج 01، القسم الثاني، دار صادر، بيروت-لبنان، ص: 47.

(4) محمد السعيد بن أحمد (ابن زكري) الزواوي، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، المصدر السابق، ص: 36.

(5) أبو يعلى (الزواوي)، «كتاب مفتوح إلى الزواوة أصحاب الزوايا»، البصائر، السنة الأولى، ع 15، 17 أبريل، 1936، ص: 07.

(6) ساحلي بن الحاج (الرزقي)، «أساليب التعليم في منطقة زواوة»، مجلة الشهاب، المجلد الخامس، الجزء السادس، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، جويلية 1929، ص: 35-36.

أما مسألة التفتيش؛ فقد نص مرسوم 1892، على ضرورة وضع هيئة تفتيش الزوايا، واعتبار الزاوية ضمن المدارس الحرة كغيرها من مدارس اليهود، وتحتوي كل زاوية على سجل، يسجل فيه جميع الطلبة وتاريخ ميلادهم واسم وعنوان والدهم⁽¹⁾، ودعم هذا القانون ابن زكري في كتابه عندما تحدث عن شروط اصلاح الزوايا فقال: "استعداد الدفاتر لتقييد المطلق وحفظ ما يجب حفظه بعضها لمداخل الزاوية ومصروفها اليومي أو الشهري أو السنوي وبعضها لرسم أسماء الطلبة الداخلين في الزاوية والخارجين منها حتى يعرف عند الحكومة كل واحد منهم باسمه ولقبه وسنّه وقريته وعرشه وحكمه وعمالته وتاريخ دخوله وخروجه دفعا لما عسى أن يقع من دخول المفسدين من الأجانب في هذه الزوايا دون أن تعلم به الحكومة وبعضها لحفظ القوانين الموضوعة فيما بين الطلبة أنفسهم وفيما بينهم وبين مشايخهم وفيما بين الجميع وبين المجاورين لهم من القرى"⁽²⁾، وهذا من أجل عزل الزوايا عن التأثيرات الخارجية.

إن مسألة إصلاح الزوايا أُنذاك، كانت ضرورة من تطوير التعليم الاسلامي، خاصة إدخال المناهج الحديثة والتنوع في مواد التدريس، لكن هذا المشروع يعترضه صعوبات منها، تغيير الثقافة الذهنية التي تقسم العلوم إلى قسمين؛ علوم الدنيا وعلوم الآخرة، وتكون للمشرفين على الزوايا قابلية في تطوير مناهجها كما حدث لجامع الزيتونة في تونس وجامع الأزهر في مصر، وفي الجزائر بقيت الزوايا على حالها، ولهذا لجأ بعض العلماء إلى حل آخر، وهو تجربة المدارس الحرة التي بدأت مع الشيخ اطفيش ومعهد بني يزقن، ثم الجمعيات والنوادي التي أسست مدارس حرة، وانتشرت تجربة المدارس الحرة أكثر بعد الحرب العالمية الأولى مع انشاء جمعية العلماء المسلمين.

ثالثا: الطرق الصوفية؛ الواقع ومسألة الولاء.

عندما نتحدث عن الطرق الصوفية إنما نتحدث عن مؤسسات بل دول مجالها الجغرافي عابر للقارات، عندما سقطت العاصمة في يد الاستعمار ظن المستعمرون أن الدولة سقطت ويمكن احتلال ما بقي بسهولة، لكن بعد ذلك أدركوا أن الدولة الحقيقية يتمثل في نفوذ وقوة الطرق الصوفية داخل المجتمع الجزائري ومؤسساتها، التي تملك من الولاء ما تراهن عليه فرنسا أن يصبح يوما ولاء للاستعمار، وأن الاحتلال الحقيقي للجزائر لن يتم إلا بعد اسقاط وزوال هذه الدول العميقة (الطرق الصوفية)، ولهذا أنفق الاستعمار أموالا

⁽¹⁾ coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit , P : 205.

⁽²⁾ محمد السعيد بن أحمد (ابن زكري) الزواوي، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، المصدر السابق، ص: 35.

ضخمة لدراسة هذه الظاهرة وإيجاد الحلول المناسبة لتقليص نفوذها داخل المجتمع، وفي مقدمتها الاستلاء على الأوقاف وقطع التمويل المادي، فصحيح ما ذهب إليه أغلب المؤرخين الجزائريين أن استيلاء الاستعمار على الأوقاف أدى إلى انحيار المؤسسات التعليمية بما فيها زوايا الطرق الصوفية، لكن الاحصائيات المقدمة تبين لنا أن الأوقاف أصبحت ظاهرة متجددة يصعب القضاء عليها بسبب إيمان المجتمع الجزائري بضرورة الوقوف إلى جانب الطرق الصوفية والمؤسسات الدينية للحفاظ على القيم الروحية والدينية.

1- التربية الروحية ومسألة الولاء:

أدرك الاستعمار أن مكانة الطرق الصوفية في المجتمع الجزائري، راجع إلى الولاء الشديد لها، وسببه الأفكار والعقائد التي ترسخت في المجتمع، ومن أجل القضاء على هذا الولاء لابد من دراسة هذه الطرق واستهداف أفكار التعصب والثورة التي تنشرها بين أتباعها، وسأتعرض في هذا العنصر إلى مسألة الولاء داخل الطريقة الصوفية وعلاقة الشيخ بالمريد، لنذكر معنى الاستجابة الفورية لنداء شيوخ الطرق.

كل طريقة صوفية تتكون من هرم إداري يبدأ من الشيخ، ثم الخليفة، وبعده المقدم، وينتهي بالمريد، وهناك الوكيل المكلف بالمال، وخدام شيخ الطريقة، والفقراء؛ فالشيخ "هو المدير الروحي ... الذي وصل إلى درجة الكمال في معرفة العيوب والعلل"⁽¹⁾، يكون المؤسس الأوّل للطريقة أو فرع من فروع إحدى الطرق الصوفية، أو وريث له، وفي المركز الثاني الخليفة أو المساعد الأول للشيخ والملازم له، وبعده الخليفة يأتي المقدم وهو ممثل الشيخ في المناطق البعيدة والذي يتلقى رسائل الشيخ شفاهيا أو مكتوبة، ومهمته تنشر الطريقة وتوزيع الأوراد، وفي أسفل الهرم يأتي الإخوة أو المريدين⁽²⁾، وما يهمنا هو دراسة العلاقة بين أعلى السلطة وأدناه؛ أي بين الشيخ و عشرات الآلاف بل مئات الآلاف من المريدين.

إن مسألة وجود الشيخ المرابي والمرشد في مختلف الأزمنة والأمكنة، تعتبر من القواعد الأولى والأساسية لدى أهل التصوّف وأتباع الطرق، وبدونها لا تتحقق الغاية من سلوك طريق التصوف، بل إن الطاعة المطلقة للشيخ هي السبيل للخلاص، وتحقيق العبادة الحقيقية لله تعالى عند أهل هذه الطريق، ولذلك كان هدف كل من يسعى للوصول إلى مرتبة الولاية الكبرى هو ملازمة شيخ من الشيوخ ممن خاضوا وتدوّقوا تجربة التصوّف

⁽¹⁾coppolani xavier et octave de pont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit , P : 194.

⁽²⁾Ibid, P : 194-195.

والسير إلى الله⁽¹⁾، ويعطينا مصالي الحاج صورة عن حالة المرید بعد اعتناق الطريقة «فالمخروط الجديد قد يجد نفسه أحيانا بعد الإكثار من الصلاة كأنه تحول إلى عالم جديد، قد يشعر أنه أصبح ملاكا وهو لا يرى إلا الأضواء والله، فهو يشعر أنه مخفف ومطهر ويعتقد أنه يختفي في السماء، إن هذا السكر قد يؤثر عليه ويخل بتوازنه وفي هذا المستوى يتدخل الشيخ لتدارك الوضعية التي هيمنت على المرید الشاب، وعندما يتم تجاوز هذه المرحلة، يصير الرواد الذين تمت تربيتهم رجالا أقوياء وبقون دائما مرتبطين في كل مظاهر حياتهم بمبادئ الزاوية»⁽²⁾، وهناك أحوال عديدة تحدث للمريدين الجدد لا يدركون حقيقتها إلا باستشارة المقدم أو شيخ الطريقة بطلب المساعدة لا طلب السؤال.

يحدث كوبولاني عن علاقة المرید بالشيخ، حيث يجب على المرید التزام الصمت والهدوء والسكينة في حضرة الشيخ "فلا يرفع صوته، ولا يتحدث مع الشيخ بكلام خشن، ولا يدعو باسمه يا محمد أو يا أحمد، مثل ما تنادي زميله"⁽³⁾ كما يجب على المرید أن لا يعارض شيخه أو يسأله لأنه يجهل ما يعلمه الشيخ من حقيقة، بل يجب على المرید "الطاعة المطلقة للشيخ، والاستماع إلى نصائحه، وتلقي الأوامر والالتزام بها بدقة، وكل ما يملكه هو ملك للشيخ، والمقدم يقوم مقام الشيخ وطاعته واجبة"⁽⁴⁾، ويملك الشيوخ قداسة بين أتباعه.

المرید يطلب الإذن من شيخه في كل تحركاته، بل السفر لأداء فريضة الحج، ومن أمثلة ذلك نقرأ في رحلة⁽⁵⁾ الشيخ العربي بن عبد الله المعسكري إلى الحج سنة 1901، أنه طلب من شيخه ملاي عبدالقادر

⁽¹⁾ محمد الكبير (فقيهي)، «تأسيس الطرق الصوفية في إقليم الساورة»، الملتقى الوطني حول دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010، ص: 47.

⁽²⁾ الحاج (مصالي)، مذكرات 1898-1938، ج01، تر: محمد المعراجي، منشورات المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص: 14.

⁽³⁾ coppolani xavier et octave de pont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit , P : 202.

⁽⁴⁾ Ibid, P : 203.

⁽⁵⁾ الغريب في هذه الرحلة أن صاحبها لم يدون أحوال القرى والمناطق التي مرّ بها بالجزائر، وإنما كتب عن مشاهيرها من الأولياء، وباقي المناطق والمدن شرح وفصل في المدلول الصوفي لتسميها رغم أنها تأويلات واجتهادات منه، لا حقيقية تسميتها التاريخية، وقد فسّر حتى المدن التي لها تسمية فرنسية مثل: أبروزفيل، وأفلوريس ورونو(تدعى حاليا حاسي مفسوخ إحدى بلديات ولاية وهران) وكليبر (وتدعى حاليا سيدي بن بيقى تبعد 7 كلم عن أرزيو)، وسانت البيوني التي يقول عنها: وهذه الحروف الأعجمية، التي هي لسان العاشق المحب، والتي هي سانت البيوني، تقول أنت ستكون لي كما أني لك دائما، فسر إلي تجديني لك ومعك وفيك، ولا تنظر إليك فتحجب بك، وانظر بي إليك فتراني بي لا بك. ينظر: العربي بن عبد الله (المعسكري)، الحقيقة والمجاز في الرحلة للحجاز، تحقيق: مخلوفي ميلود المحفوظي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص: 151.

السفر للحج "ولما قرب وقت الحج، ازداد بي اللهج وصرت لا تقلني أرض ولا سما، إلا أثر من سما، فبعثت بذلك إليه (أي شيخه) والأمر منه إليه، فانعطف عليّ انعطاف الأب على الابن البار، وقال هذا من أمر الكبار، إلا أنه لما قضى به الجبار لا يسعني إلا الاصطبار، فامض إلى ما تشاء"⁽¹⁾، فالسفر للحج يتطلب ترخيص من الشيخ، أما السفر لأماكن أخرى من بديهيات الأمور أن يأخذ موافقة الشيخ، والموافقة ليس تفسيراً للنظام الصارم، بل للثقافة المتداولة أن موافقة الشيخ تمنحه البركة في سفره وتساعد على قضاء حوائجه.

ويتحدث عبدالحفيظ الخنقي⁽²⁾ عن آداب المرید اتجاه الشيخ فيقول: "...أن تحيّل شخص شيخك وتجعله نصب عينيك دائماً ما أمكنك لا يفارقك أبداً وتملك نفسك له وتجعلها بين يديه كالميت بين يد الغاسل وتتحمّل أذاه وكل ما يصدر منه خطأ أو صواباً وتسلم له الأمر كله ولا تبحث عن حاله بأن تقول كيف أكله وشربه ونومه ونكاحه ويقظته وغير ذلك مما يكون قادحاً في بصيرته"⁽³⁾، ومن ألتزم بذلك أخذ السر (أوراد الطريقة)، وحصل على الحقيقة.

ويضيف الخنقي واجبات المرید اتجاه الشيخ "الزم الأدب معه حاضراً أو غائباً، حياً أو ميتاً، وأطلب الله تعالى أن يمن عليك بالقرب منه ويكون الشيخ في قلبك ولا تطلب بأن تكون أنت في قلبه، وتحقق بأن الشيخ يراك ويرى أحوالك وما يخطر بقلبك، وأكسر ميزانك لميزانه وعظم حرمة وأماكنه وأصحابه وأولاده وأقاربه وكل من يلوذ به تكن من أولاد قلبه حقاً وتعطى منه المزاي الكبرى وتظهر لك منه العجائب والغرائب"⁽⁴⁾، وبعض هذه العجائب تتحول إلى كرامات تؤهله لأن يصبح شيخ طريقة، وبعد وفاته ولي صالح يزار قبره، رغم أن أغلبهم لم يوصوا بذلك، بل أتباعهم ألبسوه من القداسة التي تبين لنا درجة الولاء التي كان يخشاها الاستعمار.

إذا أخلص المرید مع شيخه وصل إلى مراتب الكمال، ومن جملة العجائب التي ذكرها الخنقي " ما تشهد من عجائب شيخك أن تكون أنت هو وهو أنت وأن تسمعه يذكر معك ويتكلم ولو كنت أنت في

(1) المصدر نفسه، ص: 23.

(2) ينتمي للطريقة الخلواتية الرحمانية.

(3) عبدالحفيظ بن محمد بن أحمد (الخنقي)، رسالة في امتزاج النفس بالطبائع وأسرار القلب وصفات الشيخ والمرید، المطبعة الرسمية التونسية، تونس، 1315هـ، ص: 187.

(4) المصدر نفسه، ص: 187.

أقصى المغرب وهو في أقصى المشرق، وإن حصل هذا الشهود فأنت من سالك الطريق الحق السادات الأبرار والأتقياء الأخيار ولا سبيل للشيطان عليك فابشر وأفرح بهذا الفضل العظيم... وإن لم تلحق بهذه الأوصاف الغربية ولم تشم لها رائحة فابك ونح على نفسك بكاء الكئيب اللثيم وصحح توبتك بالقصد الصحيح والإنابة والرجوع إلى مولك عسى أن ينقلك من هذه الأوصاف الخبيثة إلى الأوصاف الكاملة⁽¹⁾، ويضيف عن مكانة الشيخ بين المريدين: "الشيخ بين قومه كالنبيء بين أمته"⁽²⁾، ويدعو إلى عدم مخالفة الشيخ فيقول: "فالمرید أن يعتقد في شيخه ويسلم له الأمر في كل حال بأن لا يعترض عليه بشيء يكرهه من بقلبه أخرى بلسانه كما قال سيدي عبدالرحمن⁽³⁾ أعمل بكلامه ولو كان خاطئا لأن من قال لشيخه لا لا يفلح أبدا"⁽⁴⁾، والثقافة التي انتشرت بين المريدين أن من خالف شيخه في مسألة أو اعترض عليه لن يفلح هو، ولن ينفع بعلمه غيره، ولن تحصل له البركة في دنياه أو دينه، وتصبح له صورة سيئة داخل المجتمع لا يرجع له أحد في التعلم أو الفتوى لأن علمه غير نافع مادام أنه عارض علم الشيخ، وهذه الثقافة منعت كل معارضة للأفكار السائدة، وبعض شيوخ الطريقة له حظ قليل في العلم، ومن أتباعه علماء لا يستطيعون معارضة خوفا أو اعتقادا.

فالولاء للطريقة نابعة من رغبة المريدين في الحصول على "بركة الشيخ" ومن حصل عليها، يشاع خبره بين قومه فيلجؤون إليه للتبرك به، ويحصل على مكانة عالية، بينما الذي عارض الشيخ تنحط قيمته ولو كان عالما، فمسألة الولاء المعقدة والأكثر تعقيدا في المجتمع المغاربي يصعب تفكيكها والقضاء عليها من طرف الاستعمار، ولهذا لجأت السياسة الاستعمارية في الجزائر بعد 1880 إلى الطريق المختصر بكسب ود شيخ الطريقة الذي كان يدعوا لمحاربة فرنسا، فيتحول إلى كاتب يكتب لأتباعه رسائل بعدم محاربتها.

(1) المصدر نفسه، ص: 187-188.

(2) عبدالحفيظ بن محمد بن أحمد (الحنفي)، جواب سؤال هل يجوز لمشايخ الخلواتية العطايا الدنيوية، ط01، المطبعة الرسمية التونسية، تونس، 1315هـ، ص: 231.

(3) يقصد به عبدالرحمن بن أحمد بن حمودة بن مامش المعروف بـ باش تارزي القسنطيني الجزائري المتوفى 1221هـ-1806م مؤسس الطريقة الرحمانية بقسنطينة وصاحب المنظومة الرحمانية، والتي شرحها ابنه في مؤلف سماه رسالة المنح الربانية في بيان المنظمة الرحمانية. ينظر: مصطفى بن عبدالرحمن باش (تارزي)، مخطوط رسالة المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، خزانة المخطوطات المكتبة الموهوبية، بجاية-الجزائر.

(4) عبدالحفيظ بن محمد بن أحمد (الحنفي)، جواب سؤال هل يجوز لمشايخ الخلواتية العطايا الدنيوية، المرجع السابق، ص: 232.

2- الطرق الصوفية بين 1880-1914:

تناول العديد من الباحثين والكتاب موضوع الطرق الصوفية في الجزائر، وسنركز في هذه الدراسة على ما يميز الطرق الصوفية في الجزائر بعد 1880، في مقدمتها تحول في العلاقات بينها وبين الاستعمار من جهة، وظهور أفكار معارضة لها، فبدأ البعض يتساءل عن شرعية مداخيلها وهل يحق للشيخ أن يجمع الأموال ويسعى في كسب الدنيا، وهو يتعارض مع التصوّف وقد وجّه سؤال للشيخ عبدالحفيظ الخنقي حول مشايخ الطريقة الخلواتية هل يقبلون أموال الدنيا (الحطام)، وهل يجوز لهم أن يسألوا الناس طلبا للأموال، فأجاب مفصلا أن الشيوخ ثلاث مراتب؛ أعلاها الذي لا يسأل ولا يقبل، والثاني يسأل ويقبل وهو أدنى المراتب، والثالث يقبل ولا يسأل وهو الطريق الذي أتبعه شيوخه فيقول: "والقسم الثالث يقبل العطاء من غير سؤال، وهذا القسم أظنه من طريقتنا الخلواتية، بل تحقيقا لأنني وجدته أنفس القسمين المذكورين وأبهر وأعلى رتبة"⁽¹⁾، ولاشك أن هذا السؤال تكرره أكثر من مرة المعارضين للطريقة، فيقول الخنقي عن تكراره: "فإن بعض إخواننا سألنا على مشايخ الطريقة الخلواتية هل يجوز لهم العطاء من الدنيا في الحس لإخوانهم المجتهدين فقراء أم أغنياء أم لا فأبهمنا عنهم الأمر مرارا فلم يتركونا لأغراضنا"⁽²⁾، وقد يرجع التكرار إلى سوء فهم أن الطرق الصوفية تسعى لجمع الأموال، وهي بذلك تخالف قواعد التصوّف التي تدعو للزهد والاعراض عن الدنيا، لكن من الصعب اتخاذ هذا الموقف لأن الكثير من الشيوخ عاشوا فقراء رغم ما تملك طرقهم من أموال، وأن الأموال التي جمعت كانت تصرف في التعليم أو إيواء عابر السبيل والاعتناء بالفقراء، في زمن الاستعمار كثر فيه الفقراء والمساكين.

خشى الاستعمار الفرنسي من امتداد الطرق الصوفية للجزائر عبر المجال الجغرافي للدول المغاربية وحتى العربية والافريقية "ولكن قلنا في كثير من الأحيان أن الصوفية ليس لها حدود، تشعباتها تمتد أينما يوجد المسلمون"⁽³⁾، ويؤكد نائب في البرلمان الفرنسي وعضو لجنة الاصلاحات التي أرسلتها فرنسا للجزائر 1892، على أن الطرق الصوفية يرفضون الخضوع للقوانين الفرنسية: "إن الطرق الدينية تكوّن هيكلا من رجال الدين يتطلب من أتباعها الطاعة التامة لشيخ الطريقة، والمعارضة للقوانين الفرنسية" ولهذا فإن الحكومة فرضت ميزانية

(1) المصدر نفسه، ص: 227.

(2) المصدر نفسه، ص: 226.

(3) coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit, P : 216.

ابتداء من سنة 1892 مائة وعشرين ألف فرنك لتتبع ومراقبة هذه الطرق ونشاطها⁽¹⁾، وأهم دراسة ما قام به كوبولاني، سنتعرف على أهم الطرق الصوفية، وفروعها المنتشرة في الجزائر بعد سنة 1880، وأهمها:

2-1 الطريقة القادرية:

تنسب الطريقة القادرية إلى سيدي عبدالقادر الجيلاني المتوفى في بغداد 561 هـ، وتعد من أقدم الطرق الصوفية في الجزائر، والتي انتشرت في شرقها وغربها وحتى جنوبها حيث وصلت إلى توات في القرن السادس عشر على يد الشيخ عبدالكريم المغيلي ومنها نحو البلدان الأفريقية جنوب الصحراء الجزائرية، وتعتمد في أوراها على فلسفة أخلاقية⁽²⁾ يداولونها زعماء الطريقة بينهم بقولهم: إذا سألت عن الطريقة (القادرية) فهي العلم والأخلاق والصبر والاتقان، وإذا سألت عن الواجبات عند الطريقة فهي ذكر الله، والصدق والابتعاد عن شؤون الدنيا، وأن تحب الله وتحاف الناس، ولا تمنع القادرية أتباعها بأن يجمعوا بين طريقتين⁽³⁾، وهي أم الطرق الصوفية.

تعرضت الطريقة للقمع الاستعماري خاصة بعد القضاء على مقاومة الأمير عبدالقادر، إلا أن أتباعها حاولوا الملمة ما بقي، وظهر في نهاية القرن التاسع عشر شيوخ ورموز منهم سيدي محمد بن عودة في نواحي زمورة ولاية غليزان حاليا، وظهر شخص يدعى ابن النحال في زاوية فجوج في نواحي قلمة ووادي الزناتي، والشيخ بوتليليس بوهراون وهو خليفة للقادرية بعد أن جاءه التعيين من المشرق من عند حفيد محي الدين الجزائري محمد المرتضى، ومن مشايخ الطريقة كذلك عبدالقادر سي الأحول شيخ زاوية الشلافة⁽⁴⁾ قرب هليل سنة 1897، التي كانت تجمع خمسين مقدم وبضعة آلاف من الإخوان⁽⁵⁾، ويقول لويس رين أن أتباع الطريقة

⁽¹⁾ المهدي (البوعبدلي)، تاريخ المدن، المرجع السابق، ص: 78.

⁽²⁾ لأوراد الطريقة كتاب خاص ينسب لمؤسس الطريقة عبدالقادر الجيلاني، وهو جامع لمختلف الأذكار والأدعية في التوسل والمجالسة، والحفظ والتودد والنصر، وكشف الأسرار وفتح البصائر، وهناك أحزاب ومنها حزب الجلالة وحزب الاشراف، والوسيلة، وحزب النور وقضاء الحوائج، وكذلك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ينظر: عبدالقادر (الجيلاني)، الأوراد القادرية، ضبطه ووثقه: محمد سالم بواب، دار الألباب، بيروت-لبنان، 1992.

⁽³⁾ أبوالقاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص: 43-44.

⁽⁴⁾ تقع هذه الزاوية في وادي الخير الذي يصب في وادي الشلف بين مستغانم وغلليزان، وقيل أن الشيخ الأحول عبدالقادر كان قد نصب خيمة من الشعر وسط الزاوية على أنها ملتقاه مع الشيخ عبدالقادر الجيلاني. ينظر: أبو القاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص: 46.

⁽⁵⁾ أبوالقاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص: 45-46.

القادرية لا تعد ولا تحصى في جميع الدول الاسلامية وخاصة في المغرب، وتوات وتافيلالت وقورارة وأدرار وواد الساورة، لقد كانت في منافسة مع التجانية والزيانية والكرزانية والطيبية والشاذلية⁽¹⁾.

وفي الشرق الجزائري كانت زاوية شلاطة قادية الأصل، كما انتشرت الطريقة من جديد في نواحي تيارت ومن زعمائها بلعربي عبدالقادر بن قدور، وفي الجنوب الغربي بزاوية كنته ومن أبرز رجالها الشيخ المختار الكنتي، كما ظهرت فروع أخرى للطريقة في شرق الجزائر وجنوبها منها زوايا عميش في الوادي، والرويسات في ورقلة التي لها أتباع في الأغواط وغرداية وبين الشعابنة، وزاوية بلعباس في الأوراس، ويقوم أتباع الطريقة كل سنة حفلة أو وعدة تسمى الزيارة يختلف تاريخها من منطقة لأخرى، وكان توجه الدعوة للمسؤولين الفرنسيين لحضور تلك المناسبات⁽²⁾، ولندكر بعض الاحصائيات عنها فقد كانت تحتوي في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر 33 زاوية و521 طالب، و4 شيوخ، و301 مقدم، و21.056 مريد، و2.695 مريدة⁽³⁾، ويذكر لويس رين كان للطريقة القادرية سنة 1882، 29 زاوية و268 مقدم، و14.574 من الإخوان⁽⁴⁾، ومن فروعها الموجود في الجزائر الطريقة العيساوية، والتي لها في مقاطعة الجزائر زاويتين و11 مقدم و750 مريد، وفي مقاطعة وهران 7 زوايا، و23 مقدم، و1361 مريد، وفي مقاطعة قسنطينة 4 زوايا و11 مقدم و957 من الإخوان⁽⁵⁾، وهذه الاحصائيات تبين لنا أن الطريقة لازال لها اتباع رغم منافسة الطريقة الرحمانية والشاذلية.

2-2 الطريقة الخلواتية: ومن بين فروعها في الجزائر:

***الطريقة الرحمانية:** تنتسب هذه الطريقة إلى محمد (بفتح الميم) بن عبدالرحمن الأزهري (1126هـ/1714م-1208هـ/1794م في منطقة بني اسماعيل أو آيت اسماعيل، التي أسس بها الزاوية⁽⁶⁾)، والجدول التالي بين الاحصائيات المقدمة لهذه الطريقة بداية الثمانينيات من القرن التاسع عشر الميلادي⁽⁷⁾:

⁽¹⁾ Louis Rinn, Marabouts et khouans étude sur L'islam en Algérie, op.cit, P : 200.

⁽²⁾ أبوالقاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج04، المرجع السابق، ص: 46-47.

⁽³⁾ coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit, P : 212.

⁽⁴⁾ Louis Rinn, Marabouts et khouans étude sur L'islam en Algérie, op.cit, P : 200.

⁽⁵⁾ Ibid, P : 333.

⁽⁶⁾ شخوم (سعدى)، «دور الرحمانيين في المقاومة الشعبية»، الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جامعة السانبا-وهران، يومي 25-26 ماي 2005، منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص: 220-221..

⁽⁷⁾ Louis Rinn, Marabouts et khouans étude sur L'islam en Algérie, op.cit, P : 480.

مريد	مقدم	الزاوية	
36.660	239	92	مقاطعة الجزائر
56.303	422	118	مقاطعة قسنطينة
3.198	93	10	مقاطعة وهران
96.161	754	220	المجموع

تعد الأكثر انتشارا حسب الاحصائيات المقدمة سنة 1899، فهي تضم 177 زاوية، وعدد الطلبة (معلم قرآن) يفوق 676 طالب، و 22 شيخ، و 873 مقدم، و 140.596 مريد و 13.186 مريدة، وبمجموع المنضمين لهذه الطريقة 156.214⁽¹⁾ ومن شيوخها بعد 1880 نذكر: سيدي محمد الصغير بن الحاج علي (1875-1892)، وبعده سيدي معمر بن الحاج علي (1892-1893)، والشيخ سيدي محمد بن محمد العيد (1893)، وبعده سيدي بشير بن سيدي محمد الصغير التجاني (1897)⁽²⁾، ومن شيوخها البارزين في نشر الطريقة بالصحراء خاصة في بسكرة وجنوها الشيخ محمد بن عزوز البرجي، وبفضل نشاطه فقد عرفت الطريقة علماء أمثال عبدالحفيظ الخنقي، والصادق بلحاج، الهاشمي بن علي دردور، المختار بن خليفة الجلاي، وعلي بن عمر مؤسس الزاوية العثمانية⁽³⁾، وتعتبر زاوية الهامل الأكثر شهرة في الشرق الجزائري تنتمي إلى الطريقة الرحمانية الخلواتية، ومن أوراها: وردة الدرة الشريفة، ورد اللطيف، ورد القرآن الليلي، ورد السحر، ورد السبحة، ومن الأحزاب: حزب السيف، وحزب الهمزة⁽⁴⁾.

ب- الطريقة التيجانية:

تنتمي للطريقة الخلواتية، نشأت في عين ماضي، على يد الشيخ سي أحمد التيجاني، وقد كان لها نفوذ واسع في مدينة تومبوكتو وفي بعض المناطق الإفريقية في القرن التاسع عشر، مما حدا بالسلطات الفرنسية إلى نفي زعيمها أنداك أحمد التجاني سنة 1870 بتهمة الاتصال بالثائر الشيخ سي بوعمامة⁽⁵⁾، ويذكر لويس

⁽¹⁾ coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit, P : 213.

⁽²⁾Ibid, P : 422.

⁽³⁾ صلاح مؤيد (العقي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 394.

⁽⁴⁾ حول هذه الأوراد والأحزاب وسنية الجهر بالذكر الجماعي عقب الصلاة، وكيفية الختام بعد كل صلاة، إضافة إلى ذلك نسب طريقة القاسمي الرحمانية الخلواتية. ينظر: عبدالرؤوف بن الشيخ القاسمي (الخليلي)، مجموعة أوراد طريقة القاسمي الخلوتية الجامعة، ط06، المطبعة القاسمية، الجزائر، 1432هـ (2011م).

⁽⁵⁾ جورج (الراسي)، الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبدالقادر، دار القصة، الجزائر، 2008، ص: 222.

رين إحصائيات لها سنة 1882؛ فبمقاطعة الجزائر 3 زوايا تابعة للطريقة التيجانية و 26 مقدم و 4.348 مريد، وبمقاطعة وهران زاويتين و 20 مقدم و 588 مريد، وبمقاطعة قسنطينة 12 زاوية و 54 مقدم و 6.146 من الاخوان؛ أي ما مجموعه 17 زاوية و 100 مقدم، و 11.082 من الاخوان⁽¹⁾، لكن هذه الطريقة زادت في النمو والانتشار حسب إحصائيات كوبولاني سنة 1899، فيذكر أن بها شيخان لإدارة الطريقة، و 165 مقدم، و 9.821 من الأحباب، و 5.165 من المريدات (الأخوات)⁽²⁾، ومعلوم أن النفوذ الخارجي للطريقة التيجانية أكسبها مكانة على المستوى الداخلي.

2-3 الطريقة الشاذلية:

نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي السبتي المغربي، الذي أخذ الطريقة عن الشيخ عبدالسلام بن مشيش، والمعروف أنه لم يؤلف كتاب ولكنه ألف كتب متحركة كما قال (تلاميذ)، ومن تلاميذه أحمد بن محمد عباد الشافعي الذي ألف كتاب أسماه "المفاخر العلية في المآثر الشاذلية"⁽³⁾ وهناك الأدعية والأذكار المعروفة باسم حزب البحر، وهو تأليف يضم تعاليم الشاذلي وطريقته⁽⁴⁾، وفروع الطريقة الشاذلية بالجزائر هي: الجزولية والزروقية واليوسفية، والعيساوية، والبكائية، والأحمدية (الكرزازية)، والشيخية، والناصرية، والطيبية والزبانية والحنصالية والحبيبية والمدنية⁽⁵⁾، وسنذكر إحصائيات عن هذه الفروع فيما سيأتي.

يتحدث كوبولاني سنة 1899، عن الشاذلية فيقول: ويوجد لها في الجزائر 11 زاوية و 195 طالب، و 9 شيوخ، و 99 مقدم، و 13.251 مريد، و 652 مريدة منشرة في مقاطعة الجزائر العاصمة وقسنطينة⁽⁶⁾،

⁽¹⁾ Louis Rinn, Marabouts et khouans étude sur L'islam en Algérie, op.cit, P : 451.

⁽²⁾ coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit, P : 213.

⁽³⁾ في هذا الكتاب عرّف بشيخه وصفاته وما قيل فيه، وكراماته، وطريقته، ثم شرع في تقسيم الطرق وبيان الطريقة الشاذلية من تلك الأقسام، وتعرض لمبادئ التصوّف وآداب الذكر، والفرق بين الأحوال الربانية والأحوال الطبيعية، والفصل بين الشريعة والطريقة والحقيقة، ويعد ذلك ذكر أحزاب شيخه ودعوته وأوراده وأذكاره وما كان يعلمه لتلامذته في الأمهات. ينظر: أحمد بن محمد بن عباد (الشافعي)، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة-مصر، 2004.

⁽⁴⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 04، المرجع السابق، ص: 67.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص: 70.

⁽⁶⁾ coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit, P : 212.

أما لويس رين فيذكر إحصائيات أخرى 32 زاوية ، و268 مقدم، و14.574 من الاخوان موزعين على المقاطعات الثلاثة كالتالي⁽¹⁾:

مقاطعة وهران	7 زاوية	185 مقدم	6.921 اخوان
مقاطعة الجزائر	7 زاوية	31 مقدم	2.228 اخوان
مقاطعة قسنطينة	18 زاوية	52 مقدم	5.425 اخوان
المجموع	32 زاوية	268 مقدم	14.574 اخوان

وأهم فرع للطريقة الشاذلية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر الدرقاوية التي تولها الشيخ محمد الموسوم في نواحي مليانة بلدية جنادل، والذي كان له علاقة تواصل مع الاستعمار، حيث توسط إليه في إخماد ثورة أولاد سيدي الشيخ والمقراني بأن يكتب رسائل للإخوان يحرم انضمامهم للثورة، وكان الشيخ الموسوم بارعا في علوم اللغة والأدب والبلاغة والفقه وعلم الكلام، وهو من القلة القليلة التي تميزت بسعة العلم والإمام بالعلوم، وهو ما جعل السلطة الاستعمارية تقترح عليه إدارة المدرسة الثعالبية بالعاصمة لكنه اعتذر، وتفرغ للوعظ والارشاد في قصر البخاري الذي أسس به زاويته، وبعد وفاته سنة 1883، خلفه ابنه أحمد المختار الذي استمر في نفس نهج والده في علاقته مع الاستعمار، غير أنه لم يكن في مستوى علمه، كما أن تلاميذ الشيخ الموسوم أسسوا زوايا فرعية في جهات ومناطق أخرى منها فرع الشيخ قدور بن محمد بن سليمان الذي يشبه شيخه في الجمع بين التصوف والعلم توفي سنة 1322هـ/1905م⁽²⁾، وتنتشر الطريقة الدرقاوية أكثر في الغرب الجزائري، لها 10 زوايا، 134 طلبة، و72 مقدم، 1.118 إخوان سنة 1882⁽³⁾.

ومن فروع الطريقة الشاذلية كذلك، والتي كان لها وجود في فترة 1880-1914:

- الطريقة الزروقية والطريقة الناصرية: وتنتشر أكثر في إقليم الجزائر، لها 55 طلبة و شيخ، و16 مقدم، و2.614 مريد، و35 مريدة، أما الطريقة الناصرية فلها 3 زوايا وشيخ، و3 مقدم، و468 إخوان، و165 أخوات، ومجال انتشارها اقليم قسنطينة خاصة خنشلة⁽⁴⁾.

(1) Louis Rinn, Marabouts et khouans étude sur L'islam en Algérie, op.cit, P : 264.

(2) أبوالقاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج04، المرجع السابق، ص70-77.

(3) Louis Rinn, Marabouts et khouans étude sur L'islam en Algérie, op.cit, P : 415

(4) coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit, P : 213.

-الطريقة الطيبية: يذكر لويس رين إحصائيات للطريقة الطيبية في سنة 1882: في مقاطعة وهران 11 زاوية، و203 مقدم و9.805 مريد، وفي مقاطعة الجزائر ثلاث زوايا و62 مقدم و2.851 مريد، وفي مقاطعة قسنطينة 6 زوايا، و36 مقدم، و3.088 من الاخوان؛ أي ما مجموعه 20 زاوية و301 مقدم و15.744 من الاخوان⁽¹⁾، وقد تناقص العدد مع نهاية القرن التاسع عشر حيث أصبحت عدد الزوايا ثمانية (8)، و234 مقدم، و19.110 مريد، و2.547 مريدة، أي ما مجموعه 22.148⁽²⁾

-أولاد سيدي الشيخ (الشيخية): كان لهذه الطريقة في سنة 1882، خمس زوايا، 39 مقدم، و2.780 من الإخوان⁽³⁾، ويذكر كوبولاني في نهاية القرن التاسع عشر أن هذه الطريقة كانت تضم 4 زوايا، 45 مقدم، و10.020 مريد، و140 مريدة⁽⁴⁾ تنتشر في اقليم الجزائر وهران، كما لها نفود في توات والقرارة.

-اليوسفية: شيخ واحد، 08 مقدم، و1.437 مريد⁽⁵⁾، وفي سنة 1882 كان للطريقة اليوسفية زاوية و5 مقدم و519 من الاخوان، منهم: مقدم و60 مريد في الجزائر العاصمة، مقدم و246 مريد في عين الصفراء، مقدم و10 إخوان في تلمسان، مقدم و100 مريد في وهران⁽⁶⁾

-الكرزازية: نسبة إلى ومن العلماء الذين أخذوا ورد الطريقة الكرزازية الرحالة أبو سالم العياشي عن حفيد مؤسس الطريقة أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن موسى الساوري⁽⁷⁾، نسبة إلى منطقة في الجنوب الغربي تعرف بإقليم الساورة⁽⁸⁾؛ في نهاية القرن التاسع عشر كان لها 78 مقدم، و1.673 إخوان، و263

⁽¹⁾ Louis Rinn, Marabouts et khouans étude sur L'islam en Algérie, op.cit, P : 384.

⁽²⁾ coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit, P : 213.

⁽³⁾ Louis Rinn, Marabouts et khouans étude sur L'islam en Algérie, op.cit, P : 368.

⁽⁴⁾ coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit, P : 215.

⁽⁵⁾ Ibid, P : 214.

⁽⁶⁾ Louis Rinn, Marabouts et khouans étude sur L'islam en Algérie, op.cit, P : 273.

⁽⁷⁾ عبدالحفي بن عبدالكبير (الكتاني)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ج01، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1982، ص: 836.

⁽⁸⁾ تعود كلمة الساورة إلى صناعة السكان للأساور واستعمالهم لها. ينظر: بوبكر (بن علي)، «منطقة الساورة تفاعل ثقافي وتواصل تاريخي»، الملتقى الوطني حول دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010، ص:

أخوات⁽¹⁾، ففي مقاطعة وهران كان لها 62 مقدم، و2.924 من الاخوان⁽²⁾، ومن شيوخها الشيخ الكبير بن محمد المتوفى سنة 1881، ثم أحمد بن الكبير بوحجاجة المتوفى سنة 1896، ثم عبدالرحمن بن محمد وهو الخامس عشر في السلسلة والذي كان شيخا للزاوية سنة 1897⁽³⁾، وتنتشر هذه الطريقة في اقليم الساورة وتوات في كل من تسابيت، وبودة وتيمي، بحكم القرب الجغرافي بين توات وكرزاز⁽⁴⁾، ومن تقاليد الطريقة أن الوريث لن يصبح شيخا للطريقة إلا إذا رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام، وبعد توليته يشرع في زيارة من كرزاز إلى قصور توات بداية من قصر الولي الصالح سيدي محمد عريان الراس، وصولا إلى قبر الولي الرقاني بقصر رقان.

2-4 بقية الطرق الصوفية:

هناك طرق أخرى كان لها وجود خلال الفترة المدروسة ومنها: البوعلية التي كانت منتشرة في مقاطعة قسنطينة، لها 4 زوايا، و6 مقدم، و266 مرید، و82 مريدة⁽⁵⁾، وكذلك الطريقة العمّارية، التي تنسب إلى عمار بوسنة رغم مؤسسها الحقيقي الحاج مبارك بن يوسف المغربي وبدعم من الفرنسيين كما يقول أبو القاسم سعد الله⁽⁶⁾، وقد تكونت هذه الطريقة رسميا سنة 1882، وأصبح لها أذكار ألفها الشيخ المازوني رئيس فرع القادرية بالكاف، واتبع الحاج مبارك تعاليم المازوني⁽⁷⁾، ولهذه الطريقة ثلاث (03) شيوخ 46 مقدم، و284 مرید، و22 مريدة، و36 خليفة أو مساعد الشيخ⁽⁸⁾، ومن الطرق كذلك الطريقة المدنية لها شيخ، 14 مقدم، و1.673 مرید⁽⁹⁾، والزيانية التي تنتشر في الاقليم الوهراني، في سنة 1882 كان لها أربعة زوايا و91

⁽¹⁾ coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit , P : 214

⁽²⁾ Louis Rinn, Marabouts et khouans étude sur L'islam en Algérie, op.cit, P : 348.

⁽³⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج04، المرجع السابق، ص: 88.

⁽⁴⁾ Lacroix (N) et H.M.P de la Martinière, Documents pour servir A l'étude du nord ouest africain, op.cit, P : 203.

⁽⁵⁾ coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit, P : 213.

⁽⁶⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج04، المرجع السابق، ص: 60.

⁽⁷⁾ المرجع نفسه، ص: 62.

⁽⁸⁾ coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit, P : 213.

⁽⁹⁾ Ibid, P : 214.

مقدم، و3.088 من الاخوان⁽¹⁾، وأصبح لها زاويتين (02)، و76 مقدم، و2.673 مرید⁽²⁾، نهاية القرن التاسع عشر.

كانت الطريقة السنوسية وزواياها في الجزائر الأكثر تعرضا للتضييق والغلق؛ ففي سنة 1884 « شن حملة تهويل مقصودة ضد السنوسية، كان لها رجوع صدى في الجزائر، ففي شهر فيفري 1885؛ فانتشرت الدعاية بأن الشيخ السنوسي تربطه علاقة ببوعمامة الذي كان لاجئا في منطقة توات»⁽³⁾، حسب احصائيات لويس رين 1882، فلسنوسية في الجزائر زاوية و30 مقدم، و481 مرید⁽⁴⁾، وفي سنة 1897، كان لها شيخ مستقل عن الطريقة الأم، و20 مقدم، و874 مرید، و13 مريدة، و35 طلبة⁽⁵⁾، وتنتشر في الجنوب الشرقي.

رابعا: الثقافة الشعبية

الثقافة الشعبية أو الفلكلور Folklore مصطلح متكون من كلمتين هما: Folk أي عامة الناس أو الشعب، وLore وتعني المعرفة أو الحكمة، لتصبح الترجمة حكمة الشعب أو معرفة الشعب، واستعمل هذا المصطلح لأول مرة من قبل الباحث الانجليزي وليام جون تومز سنة 1846، واختار مصطلح الفلكلور عنوانا للحقل المعرفي والاجتماعي والثقافي الذي تشمل الأساطير والحرفات والقصص الشعبية، والنكات والأمثال والحزازير والألغاز، والتعاويد والتبريكات واللعنات والشتائم، والإجابات التقليدية المقننة والمعيرة، وعبارات التحية والوداع، والمجاملات، والملابس الشعبية، والرقص الشعبي، والمسرح الشعبي، والفن الشعبي، والمعتقدات الشعبية والطب الشعبي، والموسيقى والألغاز والأغاني الشعبية، وطرق الطبخ وأنماط التطريز⁽⁶⁾، ومن الصعب الاحاطة بكل هذه العناصر في دراستنا، ولهذا سنركز على بعض المظاهر من الثقافة الشعبية في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وتأثير الاستعمار فيها.

⁽¹⁾ Louis Rinn, Marabouts et khouans étude sur L'islam en Algérie, op.cit, P : 415.

⁽²⁾ coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit, P : 215.

⁽³⁾ شارل رويبر (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 571.

⁽⁴⁾ Louis Rinn, Marabouts et khouans étude sur L'islam en Algérie, op.cit, P : 514.

⁽⁵⁾ coppolani xavier et octave depont , les confréries religieuses musulmanes, op.cit, P : 214.

⁽⁶⁾ محمد (سعيد)، المرجع السابق، ص: 25.

1- العادات والتقاليد⁽¹⁾:

1-1- اللباس:

اللباس ثقافة شعبية فشكله ولونه ومادة صنعه تتحكم فيها عوامل اجتماعية وطبيعية، فلباس الأغنياء يختلف عن لباس الفقراء، والأسياذ يختلف لباسهم عن العبيد، ونوع اللباس في المناطق الباردة يتميز عن المناطق الحارة، ثم أن الظروف الاقتصادية والمادية تحدد ماهية اللباس للمجتمعات، بل اللباس يكتسي أهمية كبرى في التقسيم الشعبي للفرق والتيارات الثقافية، فعالم الشيخ الذي لديه زاوية أو مسجد يلبس لباسه الخاص، يختلف عن لباس الاستاذ العربي في المدارس الفرنسية.

يتحدث ابن خوجة عن لباس البربر الذين يتكلمون لهجة من لهجات الأمازيغية ويسكنون في الجبال، فيقول عنهم: "يرتدي الرجال قماشاً من الصوف، ولألبستهم شكل كيس مثقوب في الوسط لإخراج الرأس، وبه ثقبان آخران على الجنبين لإخراج اليدين، عرضه حوالي ذراع ويهبط إلى منتصف الساق، والقماش من الصوف الأسود، وهو من صنع النساء... لكن الأغنياء منهم يضيفون لباساً آخر فوقه يسمونه البرنس، وهو دائماً من نفس القماش، وشكله معروف في أوروبا"⁽²⁾، وبالتالي الظروف الطبيعية هي التي حددت هوية ونوعية اللباس.

ويلبس النساء حائك "يشبك بالدبايس ويصنع هو أيضاً من قماش ينسجه بأنفسهن يكف هذا الكساء بقطعة أخرى من القماش ذي اللون الأحمر أو الأزرق عرضها حوالي أربعة أصابع... أما الأطفال فيأخذهم عراة تماماً كما رأيتهم بنفسي (أي حمدان خوجة)، ولا تعطى لهم ألبسة إلا في فصل الشتاء أو عندما يصلون سن البلوغ"⁽³⁾، وهذا راجع إلى انتشار ظاهرة الفقر والعجز في تلبية الحاجيات من الملابس، فتلجأ القبيلة إلى توفير اللباس للأطفال في فصل الشتاء فقط.

⁽¹⁾ هناك العديد من المقالات في المجلة الإفريقية التي عالجت العادات والتقاليد خاصة في منطقة القبائل منها:

-Tauxier (H), «Examen des traditions grecques latines et musulmanes relatives A l'origine du peuple berbère», Revue Africaine , volume 6, 1862, P : 353-363.

وفي هذه الدراسة بيّن الكاتب الأبعاد التاريخية للعادات والتقاليد وأنها خليط من تقاليد الشعوب التي هاجرت وحلّت بمنطقة شمال إفريقيا.

⁽²⁾ حمدان بن عثمان (خوجة)، المرأة، تح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الجزائر، 2006، ص: 23.

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص: 23-24.

عندما ندرس اللباس لا بد أن نفرق بين ثقافة سكان المدن وسكان الأرياف، فاللباس سكان مدينة الجزائر وقسنطينة وتلمسان يختلف عن لباس المناطق الأخرى، بفعل التأثير الثقافي للأجناس الأجنبية خاصة الأندلسية والتركية، كما تأثروا بالثقافة الفرنسية فأغلب النساء ترتدي الحايك دون لبس العجار⁽¹⁾ بداية القرن العشرين، وكان التأثير على مستوى مدينة الجزائر بينما نساء بعض المدن الأخرى تمسكت بتقاليد العريقة مثل المرأة التلمسانية والقسنطينية التي كانت ترتدي الملايا والعجار في تنقلاتها خارج البيت، وهي عبارة عن ملحفة سوداء تلف الجسد كله فلا تترك منه سوى الوجه سافرا ثم يغطي هذا الوجه بما يسمى العجار، وهو قطعة قماش بيضاء شفافة أحيانا تغطي الأنف والفم فلا يبقى من الجسد سوى العينين وأحد اليدين⁽²⁾، وبقيّة المدن الجزائرية احتفظت بلباسها التقليدي الملائم لبيئتها، والحائك هو العنصر المشترك بين أغلب المناطق.

للرجال تقاليد في اللباس، وكانت القندورة والشاش هو اللباس الغالب في مختلف مناطق الجزائر، لكن يختلف شكلها ومادة صنعها من منطقة إلى أخرى، فتصنع من الصوف في منطقة القبائل ومن القطن في المناطق السهلية والصحراوية، وتطرز بخيوط من الفضة، وإذا انتقلنا لأقصى الجنوب الشرقي سنجد الشاش أهم شيء في ثقافة الطوارق "جرت العادة عند أهل الطوارق أن يرتدي الرجل الشاش ذو لون أبيض، ويحدث بعد بلوغ سن الرشد، ويبلغ طول القماش ثمانية أمتار، ولا تكتمل الرجولة الحقيقية إلا بعد لبسه، فيحق لصاحبه الجلوس مع الشيوخ الكبار، بينما النبلاء يرتدون (آلشو) وهو قماش شديد الأزرق باهض الثمن"⁽³⁾، وما يميز الطوارق هو اللثام، واختلف الباحثون والمؤرخون عن سبب وضعه، فذكروا له فرضيات ومنها من أجل الحفاظ على وجهه من حرارة الصيف وبرودة الشتاء، وبالتالي فالمناخ كان السبب في وضع اللثام⁽⁴⁾، وهناك آراء أخرى تتعلق بالحرب حتى لا يعرف النساء من الرجال.

⁽¹⁾ Marcais Georges, *la costume musulman d'Alger*, Paris, 1930, P : 104.

وهذا الكتاب من الكتب القليلة النادرة التي تخصصت في تاريخ اللباس الجزائري والعربي بصفة عامة، غير أن المجال الزمني لهذه الدراسة تركزت على الفترة العثمانية خاصة القرن السادس عشر وكتابات هايدو في ذلك، ومن الصعب الحكم أن تلك الألبسة الفخمة استمرت إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

⁽²⁾ رتيبة (حميود)، الألباس الشعبية في مدينة قسنطينة دراسة إحصائية تحليلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري-قسنطينة، الجزائر، 2005-2006، ص: 44.

⁽³⁾ عبدالرحمن (بوزيدة) وآخرون، قاموس الأساطير الجزائرية، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2005، ص: 43.

⁽⁴⁾ Louis Rinn, «Peuplement sud tribus – amazones – touareg et sumériens Chaldée touraniens», *Revue Africaine*, volume 31, 1887, P : 275.

في أقصى الجنوب الغربي، يحدثنا لacroix -رئيس الكتب العربي- سنة 1897، أن لباس سكان قرارة الزي العربي التقليدي العادي دون فخامة، ويرتدي الرجال والنساء عادة الأقمشة القطنية، وأحيانا مصنوعة من اللون الأزرق، وهذا ينطبق على عموم التواتيين، ويرتدي العبيد والزوج والحراطين سراويل وقنذورة قصيرة تتميز بالخشونة، وفي بعض الأحيان ملابس لتغطية عورتهم فقط، أما الفتيات فتتميز بعدم وضع الحايك على الكتف وإنما تحت الابط الأيسر، ويبقى الكتف الأيسر عاريا، ويقوم الرجال بخلق الرأس كله، وترك جزء في قمة الرأس من الجبهة إلى مؤخرة الرأس، والبعض الآخر يخلق جانب واحد فقط من الرأس، أما جميع الأطفال فيتكون خصلة من الشعر فوق أذنه اليمنى، ويرتدي الشرفاء خاتم من الذهب أو الفضة في أذن واحدة⁽¹⁾.

حجاب المرأة الجزائرية ضروري للحفاظ على شرف الأسرة في ثقافة المجتمع قبل الاحتكاك بالثقافة الغربية، غير أن هناك استثناءات، فأصبح الحجاب مقتصر على نساء المرابطين والشرفاء في منطقة زاووة كما أرخ لنا الزواوي فيقول: «ومنها (أي عدم حجاب من غير نساء المرابطين والشرفاء وأخيرا نساء العلماء فقط»⁽²⁾، بل وقد انتقد بعض الأفكار والأشخاص الذين رأوا الحجاب عبارة عن سجن المرأة في البيت: «... ذلك بأننا لم نفهم الحجاب المذكور في القرآن إلى الآن ففريق يقول بحبس المرأة في بيت مظلم وغلق الباب عليها وأخذ المفتاح في جيبه، وأن لا ترى ولا تُرى، ولا تخاطب ولا تُخاطب، وأنها وصوتها ولباسها وعجرها وبجرها عورة، وهذا حكم الغير لا حكم الشريعة ولا الطبيعة لأنه مناف للصحة والمصلحة الحيوية والطبيعة العمرانية»⁽³⁾، فالحجاب الحقيقي هو لباس يستر عورة المرأة ويصون شرفها وشرف عائلتها، وليس سجن في البيت كما هو سائد في الثقافة الشعبية حسب رأي الزواوي.

1-2 الزواج:

الزواج سنة اجتماعية في كل المجتمعات البشرية، وطقوسه وتشريعاته تختلف من مجتمع لآخر، وفي المجتمع الجزائري يستمد تشريعاته من الدين الاسلامي وتحقيق شروطه حسب الفقه الاسلامي، إلا أن العادات تتنوع من الشرق للغرب ومن الشمال إلى الجنوب، والأمور المشتركة تبدأ باختيار الزوجة (النظرة الشرعية)، ثم الخطوبة، عقد الزواج بحضور الولي للعدراء وباقي الشروط، والاعلان عن الزواج ويوم الدخول الزوجة لبيتها،

⁽¹⁾Lacroix (N) et H.M.P de la Martinière, Documents pour servir A l'étude du nord ouest africain, op.cit , P : 231-233.

⁽²⁾ أبو يعلى (الزواوي)، تاريخ الزواوة، المصدر السابق، ص: 126.

⁽³⁾ أبو يعلى (الزواوي)، تاريخ الزواوة، المصدر السابق، ص: 126.

وسنذكر عادات خصوصية لبعض المناطق والمعتقدات التي انتشرت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وبعدها مستمر إلى يومنا هذا.

الأم هي من تختار لابنها الزوجة المناسبة، والأب هو من يفصل في قرار الزوج المناسب لابنته، تلك هي القاعدة المعتمدة عند أغلب القبائل وإن كان الفصل النهائي يرجع لرب البيت، قد يكون للزوج حرية في اختيار زوجته، وفي بعض العائلات يتم اختيار الزوجة دون استشارته، وعن طرق الاختيار نأخذ مثال عن مجتمع وادي سوف في الجنوب الشرقي⁽¹⁾ في عموم مجتمع سوف لا دخل للمعني (الشاب) في اختيار مخطوبته، وإنما يتولى ذلك الوالدين، وهناك عدّة طرق للخطبة في المنطقة، ومنها: الخطبة من بنت العم شقيق الأب، وأحيانا تبدأ الخطبة من لحظة ولادة البنت، ومفادها أن القابلة عندما تقطع الحبل السري، تربط في الحبل خيط وتقول فلانة لفلان، ويطلق على هذا النوع من الخطبة (خطوبة من الحفرة)⁽¹⁾، هذا برضي أم الولد وأم البنت، وإذا رفضت إحدهما فترضع ابن الثانية في الحولين فتبطل الخطوبة، وقد يحدث هذا سهوا أو عمدا لأن عادة النساء المرضعات عندما تجتمع ترضع الطفل إذا بكى ولو كان غير ابنها.

تتميز منطقة سوف عن المناطق الأخرى في الجزائر بطرق الخطوبة ومنها تلك التي تتم في الأعراس بمشاهدة الشاب للفتاة عند رقصة النخ، فيقوم الشاب بوضع مرحة حمراء على رأس الفتاة التي تعجبه ويرشه بالعطر، فتكون خطيبته، وطريقة أخرى تعرف بـ "القرزين" عندما يرى الشاب الفتاة ذاهبة مع قريبتها إلى البئر ملء القرب بالماء أو غير ذلك من الأماكن الأخرى يقابلها ويحادثها، ونوع آخر يعرف بـ قصة بقصة، وهو أن تتفق أسرتين فيتزوج ابن الأولى فتاة الثانية، وابن الثانية يتزوج فتاة الأسرة الأولى⁽²⁾، وتعتبر المناسبات والحقول ومصادر المياه هي أماكن اختيار الزوجة، فيختار الشاب الفتاة المناسبة له في الاحتفالات والمناسبات، وفي بعض القبائل الفتيات هن من تختار أزواجهن، ولا يحق للعدراء الزواج بدون إذن ولي أمرها⁽³⁾، وهذا طبقا لأحكام الدين الإسلامي والفقهاء المالكي المنتشر في شمال إفريقيا.

يعلن عن موعد الزواج، ويستدعى الأقارب ويحضّر مختلف الأطعمة وتستمر أيام الزواج من يومين إلى عشرة أيام، يمارس فيها مختلف الرقصات ويحدث تكافل اجتماعي ويقدم أهل العريس مهر لأهل العروس، ففي

⁽¹⁾ الجباري (عثماني)، «عادات وتقاليد الخطوبة والزفاف في مجتمع وادي سوف خلال القرنين 19 و20 الميلاديين»، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع02، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، الجزائر، (د.ت)، ص: 111.

⁽²⁾ الجباري (عثماني)، المرجع السابق، ص: 112.

⁽³⁾ Tsourikoff Zénaïde, L'enseignement des Filles en Afrique du nord, op.cit, P : 26.

الجنوب يقدم خاتم من فضة ومن ذهب بالنسبة للأغنياء ويضاف له الأغنام والابل وأشجار النخيل في الواحات⁽¹⁾، وليس هناك شروط أو تحديد، وفي تيبازة وشرشال وحجوط والخميس ومليانة، فإن تقاليد الزواج حسب عرف سيدي معمر، وهو ولي صالح تربى على يده أخته العلياء وأتباعه لهم تقاليد خاصة في الزواج منها: لا يعطوا المرأة مهرها إلا بعد ليلة الدخلة، ويعطونها بدل ذلك "4دورو"، ولهم تقاليد أخرى منها أن تخرج العروس حافية الرجلين، وأهل العريس يخطفون شيئا من بيت العروس ليقى فال خير، ويخرجون عروسهم من بيت أهلها على الساعة الرابعة صباحا على حصان أبيض، وأهل العروس لا يتذوقون من طعام أهل العريس في اليوم الأول، "ومن يخالف هذه العادات والتقاليد لن ينجح في حياته، وسيطلق امرأته أو لا ينجب وتحل عليه المصائب لأن سيدي معمر لن يرضى عليه"⁽²⁾، وإذا حدث لمعارض هذه العادات لم يرزق بأطفال فتشاع قصته وتروى للأجيال مع صياغتها صياغة ملائمة بما يتناسب مع الاعتقاد.

وكان الفتيات يتزوجون وعمرهن تسع سنوات أو عشرة، وهذه الثقافة نابعة من عدة اعتبارات، هو البلوغ المبكر للفتيات، وخوف الآباء على بناتهن من الزنا، لأنها تجلب له العار في المجتمع، ولهذا يسعى لتزويجها مبكرا، الذي رفضه أحد الكتاب الفرنسيين أنذاك واعتبر هذا الزواج المبكر هو اغتصاب للفتيات وارغامهن على الزواج دون رغبتهن، وقد طالب الادارة الاستعمارية بالتدخل وفرض قانون يحدد سن الزواج للفتيات وهو بلوغ خمسة عشر سنة⁽³⁾، وقد أثار هذه العادة حبر الكتاب الفرنسيين وتناولها بعض الكتاب الجزائرية ومنهم الزواوي.

أنكر الزواوي تزويج البنات مبكرا لرجال لا يرغبن فيمن يتزوجن: «والحال أنه ليس من الشهامة إمساك المرأة جبرا يجبها وهي تبغضه ولا من الكرامة إذآيتها، فسحقا وتعسا لرجل لا تحبه امرأته وهو ممسك لها، لبئس الحياة حياته»⁽⁴⁾، أما صاحب كتاب تحفة الزائر فيرى أن تزويج النساء مبكرا أمر إيجابي، وأن التأخير في التزويج قد ينتج عنه آفات اجتماعية كانتشار الزنا «ولكن المرأة إذا تأخر تزويجها إلى عشرين سنة أو نيف وعشرون يحصل منها الزنا غالبا لا سيما إذا كانت تخرج وترى الرجال وتجالسهم وكذلك الرجل إذا تأخر تزويجه، لأن الانسان سواء كان رجلا أو امرأة إذ اجتمعت شهوته ولم يجد لوضعها محلا حلالا بالتزويج يطلب

⁽¹⁾ Hubertine Auclert , les femmes arabes en Algérie, Paris, 1900, P : 43.

⁽²⁾ عبدالرحمن (بوزيدة) وآخرون، المرجع السابق، ص: 60.

⁽³⁾ Hubertine Auclert , les femmes arabes en Algérie, op.cit, P : 49.

⁽⁴⁾ أبو يعلى (الزواوي)، تاريخ الزواوة، المصدر السابق، ص: 129.

لها محل حراما بالزنا»⁽¹⁾، والخوف من الزنا أو "العار" كما كان يسمى هو الدافع لتزويج البنات في سن مبكرة، خاصة من برزت عليها مظاهر البلوغ، وتتكفل أم الزوج بتعليمها شؤون المنزل وأعمال الفلاحة والزراعة في المناطق الريفية.

يسمح للرجل تعدد الزوجات في الدين الاسلامي بأن يتزوج أربع نساء أو أقل من ذلك مع ضرورة العدل بينهن، فتعدد الزوجات، وإذا نظرنا إلى واقع المجتمع الجزائري نهاية القرن التاسع عشر وقبلها فإن تعدد الزوجات "يمارس على نطاق واسع في شمال افريقيا في الطبقات الغنية في المدن"، يقضين النساء وقتهن في صناعة مواد التجميل خاصة الحناء، وتحضير الشاي، وتكون العلاقة بين الزوجات ودية في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى تكون اجتماعاتهن حول القيل والقال والقذف والتشهير⁽²⁾، أما زوجات الريف فيساعدن زوجهن العمل في المزارع، وتجلب الماء من النافورة وتلتقط الحطب للطهي، وطحن الحبوب، وتنسج الملابس فضلا عن الاعتناء بشؤون البيت، ولهذا بعض النساء هي من تدفع زوجها للزواج بامرأة أخرى، وهناك من يستغني عن تعدد الزوجات بالعبيد أو الخدم⁽³⁾، لكن ثقافة التعدد ستراجع في الطبقة المتعلمة والتي تسكن المدينة.

إذا حدث خلاف بين الزوجات أو الزوج وزوجاته ولم يوجد له حل يتم الاحتكام إلى العرف ويتدخل والده أو شيخ القبيلة دون اللجوء إلى المحاكم «ومن العادات كذلك عدم تحاكم الزوجين إلى القاضي ولا إلى العالم يحكمون العرف في شأن الزوجية والعرف عندهم غير محدود، وأكثر القبائل كما قدمنا قلما يتساهل في أخذ الخلع ولو بأضعاف ما بذل من الصداق ويعطلها مدة الحياة»⁽⁴⁾، أما عادات الميراث، فالثقافة المنتشرة «عدم توريث قبائل تيزي وزو النساء بخلاف قسم بجاية... واتفقوا على أن يتولى العاصب إرث المخلف ويلتزم بالقيام بحقوق النساء وحمائتهن والنفقة عليهن ولو لم يترك لهن وليهن شيئا بدعوى أن له حق التدخل لما عسى أن يصيبه من المعسرة إلى غير ذلك من الأسباب»⁽⁵⁾، والأغرب من العادات أن الزوجة إذا مات زوجها تصبح جزء من الميراث، فيحق لأحد الورثة تزوجها، وكانت تحرم عليهم يزوجونها لأحد الأجانب بمبلغ مالي يتم تقسيمه بين الورثة، كما أن الفراق بين الزوجين يتم عن طريق الخلع رغم رغبة الزوج وإكراه الزوجة حتى لا

(1) محمد باشا بن الأمير عبدالقادر (الجزائري)، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدالقادر وأخبار الجزائر، ج2، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الاسكندرية-مصر، 1903، ص: 176.

(2) Tsourikoff Zénaïde, L'enseignement des Filles en Afrique du nord, op.cit, P : 28.

(3) Ibid, P : 29.

(4) أبو يعلى (الزواوي)، تاريخ الزواوة، المصدر السابق، ص: 129.

(5) المصدر نفسه، ص: 129.

يدفع الزوج ما أخذه من مهرها⁽¹⁾، وهذه العادات كلها تهدف إلى رغبة العائلات والقبائل في الاحتفاظ بأرضهم لأنها كانت محور الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

نشير إلى بعض العادات المنتشرة ليست مرتبطة بالزواج، ومنها إكرام والتضامن الاجتماعي "فإكرام الضيف وحرمة أكثر من حرمة أحد أفراد القبيلة، كما اشتهروا بالشجاعة والأنفة والغيرة⁽²⁾، ومن العادات التي انتشرت في بلاد القبائل، والتي تعبر عن التضامن الاجتماعي هي وعدة "تيمشطر" أو النحر، وتقام في الأعياد الدينية والفلاحية بقرار من مجلس الإدارة "تاجماعت"، وبعد تحديد موعدها يشرع في جمع التبرعات المالية الضرورية لشراء الحيوانات (بقر، ماعز، أغنام...) للنحر ثم يوزع اللحم مجانا على كل أفراد القرية أو الدوّار، ثم بعد ذلك يتضرع أهل القرية بالدعاء إلى الله طالبين منه أن يجعل هذه المناسبة خيرا وبركة على الجميع⁽³⁾، وهناك مجالات متعددة للتضامن الاجتماعي في مقدمتها الحفاظ على نظام القبيلة والعائلة، وأيام جني المحصول يتم توزيع جزء منه على المحتاجين، ويتضامن المجتمع في الأفراح كالزواج وفي الأحزان.

2-المعتقدات والطقوس الشعبية:

2-1-الأعياد والمناسبات الدينية:

تعتبر طريقة الاحتفال بالمناسبات الدينية من أهم الثقافات الشعبية الهامة التي تزخر بها منطقة شمال افريقيا، والجزائر باعتبارها مجال دراستنا، حيث أورد جل المؤرخون، وعبر الرحالة عن طقوس الاحتفال وكتبوا عنها نظرا لغرابتها في بعض الأحيان، ولامتزاجها بمجموعة من الثقافات والحضارات الخارجية عن المنطقة، وهناك تقارب كبير في كيفية الاحتفال بالمناسبات⁽⁴⁾، ومن تلك المناسبات العيدين الفطر والأضحى ومناسبة عاشوراء والمولد النبوي ورأس السنة الأمازيغية.

*عيد الفطر:

عيد الفطر هو يوم الذي يلي شهر الصوم شهر رمضان، ويحتفل المسلمون به بعد أداء ركن من أركان الاسلام، في صبيحة ذلك اليوم يتوجه المسلمون إلى أداء الصلاة في المسجد وبعد الاستماع إلى خطبة العيد، ويتبادل المصلون التهاني، ومن المسجد يتوجهون إلى منازل الأقارب يهنؤون بعضهم البعض وتناول بعض

(1) محمد السعيد بن أحمد (ابن زكري) الزواوي، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، المصدر السابق، ص 102.

(2) المصدر نفسه، ص: 106-107.

(3) محمد أرزقي (فراد)، أزفون تاريخ وثقافة، ط02، دار الأمل، الجزائر، 2007، ص: 250.

(4) عبدالكريم (بركة)، «طقوس الاحتفال بالمناسبات والأعياد بشمال إفريقيا»، مجلة الثقافة الشعبية، ع19، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، 2012، ص: 92.

الحلويات، ويختار للعيد أجمل الملابس، وما ذكرته هو صورة الاحتفال في العالم الاسلامي بصفة عامة، وفي المجتمع الجزائري يضاف إلى هذا طقوس أخرى، ومنها ما سنذكره عن مريدي الطريقة العيساوية في تلمسان والاحتفال بعيد الفطر في اليوم الثاني والثالث.

في صبيحة اليوم الثاني من عيد الفطر يذهب التلمسانيون لزيارة قبر الولي سيدي بومدين، رجالا ونساء وأطفالا، بملابس ذات ألوان زاهية وملونة، كما تنتشر النساء في المقابر لزيارة القبور وهم يرتدون حائك أبيض، ويصف ذوتي مشهد الاحتشاد أمام قبر سيدي بومدين بقوله: قرب سيدي بومدين يتوقف حشد ضخم، هناك فمن يمارس التجارة فيبيع الكعك، وعصير الليمون، وبعض الآخر يجتمع حول حلقة الشعوذة يندهشون مما يقومون به المشعوذون، بينما تجتمع الإخوان العيساويين في مكان عين أبو يسحق وتنطلق حتى تصل سيدي بومدين، في موكب يتقدمه أصحاب الرايات وراءهم المقدم يرتدي قندورة بيضاء طويلة ويليه صف من الإخوان، وبعدهم حشد من الناس، يسير الحشد بضرب الطبول وهم يرددون عبارات دينية مثل (يا الله، يا الله) ألف مرة، والتي تنتهي بمحمد حبيب الله، ويسير الموكب بشكل بطيء، وكلما مرّ بمنطقة تجد النساء والفتيات تعلو السطوح والمرتفعات لمشاهدته، ويحرقون البخور كلما اقترب الموكب منهنّ، ويقابل ذلك صرخات من بعض الإخوان الذين وصلوا ذروة النشوة حتى يتساقطوا على الأرض بطريقة بهلوانية ويمارسون الشعوذة بطرق مختلفة حتى يصل الموكب لقبر سيدي بومدين، فتجد قبالة الباب الرئيسي المؤدي للمسجد "خمسین فتاة يرتدون ألمع الألبسة تزين الدرج الرئيسي وتشكل صورة جميلة" ثم يبدأ الرقص بين الإخوان وجها لوجه وهم يرددون له له (اختصار للفظ الجلالة الله) على قدم وساق⁽¹⁾، ويستمر الاحتفال أمام ضريح أبي مدين خلال اليوم الثاني.

في اليوم الثالث من عيد الفطر يزور إخوان الطريقة العيساوية والقادرية والطيبية عين الحوت، تبعد بمسافة ستة كيلومترات عن مدينة تلمسان، وفي منتصف الطريق يذبح الإخوان العيساويين الماعز ويلبسون جلدها ويقطعون أمعاءها، ويأكلون لحمها والدم يتساقط على الأرض منها، حتى يصل الموكب لعين الحوت فيزورون ضريح أحد المرابطين ثم يرجعون بنفس الطريقة⁽²⁾، ومريدي الطريقة العيساوية يمارسون طقوس خاصة بهم تختلف عن الطرق الصوفية، بل ينكرونها عليها مريدي الطريقة القادرية التي ينتسبون لها.

*الاحتفال بعيد الأضحى:

⁽¹⁾ Edmond Doutté, Les Aissaoua A Tlemcen, Paris, 1900 , P : 06-10.

⁽²⁾ Ibid, P : 12-13.

يحتفل المسلمون في العشر من ذي الحجة في كل سنة هجرية بعيد الأضحى بعد وقوف الحجاج بعرفة، وهو احياء لسنة نبي الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام، يتوجه المسلمون إلى المسجد للصلاة واستماع الخطبة وبعدها يتوجهون لذبح الأضحية فيأكلون منها ويهدون للأصدقاء والأحباب والجيران، ويتبادلون في بينهم التهاني، لكن لقداسة هذه الأضحية فقد ظهرت عادات جديدة.

ومن العادات التي أُلصقت بعيد الأضحى "تعلق قرون الكبش عادة في مكان عال من البيت أو على الأشجار المثمرة، وذلك اعتقاداً منهم أنها تطرد الأرواح الشريرة وتحول دون وقع عين الحسود كما تساعد على كثرة ثمار الأشجار التي تعطي غلة كبيرة، ومعروف في التقاليد الأمازيغية أن الكتف الأيمن للأضحية يؤكل في ثالث أيام العيد ويحفظ عظمها، والذي يمكن من رؤية المستقبل الصابة وكمية الأمطار ثم أخبار موتى العائلة في القبور وتتبع في ذلك قواعد مضبوطة متوارثة بين الأجيال، وتوضع عظمة الفك الأيمن لرأس الأضحية في مكان عال داخل البيت دون أن تلمس الأرض وذلك لمجموعة من الأغراض نظراً لأهمية الأضحية ودرجة تقديسها لدى الأمازيغ"⁽¹⁾، لكن هذا التقاليد ليست منتشرة بصفة عامة.

*الاحتفال بالسفر للحج والرجوع منه:

ومن المناسبات الدينية؛ مواسم الحج، فتقام للحجيج "وعدة" قبل وبعد مجيئهم يتضامن الجميع في تحضيرها وتكاليفها وقد يكون لها أوقاف خاصة، والحاج بدوره يوزع الهدايا على أقاربه وسكان حيه أو قبيلته أو الدوار بعد مجيئه، وتختلف طقوسها من منطقة إلى أخرى، كما كانت لها أهمية لدى الحجيج، فقد ذكر أبو القاسم سعد الله في ترجمته لشيخ الطريقة العَمَّارية مبارك بن يوسف الذي أراد أن يصنع لنفسه شخصية من خلال تعدد الرحلات للحج، وكثرة الوعدات لها "وكان من أهداف تكرار الحج بناء شخصية هذا المرابط الجديد في نظر العامة، ذلك أنه كلما رجع من حجة تقام له حفلات الاستقبال التي لا حدّ لضخامتها وهرجها وبذخها"⁽²⁾، وكانت كل منطقة تستقبل حجاجها والحجاج الذين يمرون عليها، وإن كان فيهم عالم قد يمكث لأيام أو أشهر لنشر العلم والإجابة عن أسئلتهم ونوازلهم.

*الاحتفال بعاشوراء:

يحتفل به المسلمون في العاشر من محرم كل سنة هجرية، وهو اليوم الذي نجى الله فيه سيدنا موسى وأغرق فرعون، ويحتفل في هذا اليوم اليهود والمسلمين، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الاحتفال بذلك

(1) عبدالكريم (بركة)، المرجع السابق، ص: 96.

(2) أبوالقاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص: 61.

اليوم واليوم الذي قبله أو بعده مخالفة لليهود، وذلك بالصيام شكرا لله، لكن طقوس الاحتفال تطوّرت في المجتمع الجزائري والمغاربي، فيحدثنا صاحب كتاب تيدكلت ما كان يحدث في منطقتهم في منطقة عين صالح حاليا بقوله: "فقبل وصول يوم عاشوراء تتسارع الفتيات لتحضير وسائل الزينة، ويصنعن أدبليز أي أساور من الطين والجلد المدبوغ... أما الأولاد فيصنعون المكاحل من الجريد، أي بنادق للعب مصنوعة من سعف النخيل، فالجميع يحتفل بهذا اليوم المبارك ويسير الموكب نحو واحات النخيل... (وعند الوصول) يبدأ الرقص هناك، وعند الختام تكسر الفتيات كل شيء ويرجعن لبيوتهن"⁽¹⁾، وهناك من يستغل الفرصة لاختار خطيبته.

هناك طقوس خاصة لسكان منطقة المخادمة بسكرة بمناسبة عاشوراء، ويعتقدون أن لم يفعلوا تلك الطقوس فإن امرأة تهددهم وتلقى عليهم المصائب، وهذه الطقوس تتمثل في "ارتداء أزياء موحشة وعشوائية وارتداء الرجال لباس النساء ووضع أقنعة من طرف مجموعة من الرجال وهناك الزعيم يسمى بالأسد يغطي كامل جسمه وبمشي منحنيًا ومغطى رأسه وينفخ في عود من الجمر في الظلام، ويقوم بالتهجم على المشاهدين ونزع النقود منهم" وتسمى هذه الطقوس بـ (شايب عاشوراء)⁽²⁾، وقد انتشرت عادات أخرى ساهم في وجودها الدول الشيعة في الغرب الإسلامي من جهة واليهود من جهة أخرى، وتحتاج إلى بحث دقيق لتفسيرها وتأصيلها.

*الاحتفال بالمولد النبوي:

المولد النبوي من الأعياد التي يتم الاحتفال بها في الجزائر؛ ففي الجنوب الجزائري قبل عشرون يوم من تاريخ مولد النبي صلى الله عليه وسلم، يحتفل الناس في المساجد كل ليلة بقراءة المديح النبوي، وهو عبارة عن قصائد مثل البردة والهمزية لمؤلفيهما الإمام البوصيري، ويوم المولد يعرف بـ "الختمة" أي يحتتم فيه الاحتفال⁽³⁾ وفي بعض المناطق يتواصل أسبوع آخر مثلما هو معروف بمنطقة تيميمون بـ "السبوع"، أي سبعة أيام التي تلي تاريخ مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي يوم المولد كل عائلة تحضر طعاما وتقدمه كصدقة، وطقوس الاحتفال تختلف من منطقة إلى أخرى، وفي منطقة تيدكلت والجنوب الغربي كانوا يحتفلون برقصة البارود كما يذكر سعيدان، وهذه الرقصة⁽⁴⁾ لازالت متواجدة في الثقافة الشعبية الحالية.

(1) الحاج التومي (سعيدان)، المرجع السابق، ص: 95-96.

(2) عبدالرحمن (بوزيدة) وآخرون، المرجع السابق، ص: 67.

(3) الحاج التومي (سعيدان)، المرجع السابق، ص: 93-94.

(4) المرجع نفسه، ص: 94.

*الاحتفال بالناير وطقوس فصلية ومناسبات أخرى:

يتم الاحتفال بالسنة الأمازيغية أو الناير كما تعرف يوم 13 يناير من كل سنة ميلادية⁽¹⁾، فيتم تحضير أطعمة وحلويات خاصة، ومن الطقوس المرتبطة بالفصول نذكر ما كان يقوم به التلمسانيون كما يروي مصالي الحاج: «في كل سنة يخرج التلمسانيون مع عائلاتهم ليذهبوا حسب تعبيرهم إلى ملاقات الربيع بتسلق الربوة التي تؤدي إلى القبة البيضاء لـ "لالة ستي" وهنا تناولون القهوة أو الشاي بالنعناع ويأكلون الحلويات المعسلة... وبعد الشاي يقدم التلمسانيون طلباتهم ودعاويهم إلى "لالة ستي" ليبقي أولادهم وأزواجهم وكل عائلاتهم في صحة دائمة وأن يجدوا ما يحسنوا به وسائل معاشهم... وفي طريق العودة تغني النساء وتزغردن وتقمّن بالنذور المرتجلة من جل مستقبل أبنائهن، إن هذا الحج الذي تقوم به كل المدينة، يتسبب في إنعاش وتهدئة كبيرين وفي فرح كبير لأمهاتنا، وترى أنهن يقمن بواجبهن»⁽²⁾، ومن الاحتفالات الفصلية كذلك احتفال سكان الجنوب بدخول موسم الزرع ويعرف بـ "طوير"، وهو أحد شهور التقويم المحلي يصادف يوم 14 من شهر أكتوبر في التقويم الميلادي.

2-2- الوالي والزيارة في المجتمع الجزائري:

الوالي هو رجل صالح له كرامات، وحكايات وروايات تروى عنه عندما يموت يدفن ويبني علي قبره ليميز عن باقي القبور ويعرف به، أو يتم دفنه في بيته أو بجوار المسجد الذي كان يدرس به إن كان عالما، ويزور الناس قبره من كل مكان، ومن استجيب لدعائه يهدي هدايا لصاحب القبر، والبعض يوقف عليه أوقافا، ولهذا وضع لكل ضريح وكيل يشرف على ممتلكات المنسوبة له، وفي كل سنة يوما معلوما يجتمع الناس حول ضريحه تعرف بـ "الوعدة" في بعض المناطق، و"الزيارة" في مناطق أخرى.

من العادات التي كانت منتشرة في أوساط المجتمع الجزائري ظاهرة "الزيارات"، وهي زيارة قبور الصالحين⁽³⁾ في أيام معلومة من السنة لكل ولي، وقد كثرت القبب في الجزائر شرقها وغربها وجنوبها فيتحدث غوتي أن الطريق بين الجزائر ووهران يكثف فيه القبب، وتلمسان مزخرقة بها، تكاد تكون المسافة بين قبة وأخرى

(1) عبدالكريم (بركة)، المرجع السابق، ص: 97.

(2) مصالي الحاج، المرجع السابق، ص: 11.

(3) لقد أرجع كوبولاني أن زيارة قبور الأولياء وتقديسهم يرجع إلى العصور القديمة في عادات البربر خاصة في عهد الرومان، وأدخلوها ضمن معتقدات الاسلام. ينظر:

خمسين متر⁽¹⁾ وقد كانت هذه المناسبة تزجج الإدارة الاستعمارية مما دفع عامل العمالة في مدينة مليانة خلال سنوات 1891-1899 «إلى حضر الزيارة المشهورة التي تقام في ضريح سيدي أحمد بن يوسف "مولي المدينة" ... وكانت الزيارة تستقطب ابتداء من شهر ماي إلى غاية شهر ديسمبر أعداد معتبرة من الناس يأتون بالأخص من المغرب الأقصى، وهو ما يشير إلى الخطورة التي يمثلها ذلك المنع لو حصل... مما حتم على العامل الاكتفاء بمنع دفن الشخصيات الدينية في مسجد المدينة»⁽²⁾، أما الصالحون الأحياء فكان يترك بملابسهم وآثار أقدامهم فيعطينا غوتي مثالا عن مدينة الجزائر إذا زارها ولي فإن سكانها يتسابقون إلى الطرق التي يمر بها طلبا لبركته، وإن كان راجلا يتركون بآثار أقدامه أو يلمسون برونسه تبركا⁽³⁾، وفي هذه الدراسة لا ننكر وجود الوالي لكن ما يجب أن نناقشه هل كل من ادعى الولاية والي؟ ان المكاسب المالية وقابلية التصديق، شجعت على كثرة أضرحة الأولياء، فإن كنا نعرف سيرة الشيخ عبدالرحمن الثعالبي وصدقه وزهده، والتصوّف الحقيقي لأبي مدين، فإن كثير من الأولياء لا نسبهم أو اسمهم أو علمهم وسيرتهم، بل يعرف فقط بما يلقب به.

كان يلجأ بعض الجزائريين إلى أضرحة الأولياء لعلاج العقم وطلب الأولاد "المقابر لديها نوع من البركة مع الخصوبة"⁽⁴⁾، ومن بين الزيارات الموجودة في بسكرة زيارة الوالي الصالح الفاتح عقبة بن نافع الفهري، وقد تحدث عن هذه الزيارة الرحالة الفرنسي إمينويل مالوي في رحلته لبسكرة (1892)، وحديثه عن مسجد سيدي عقبة، وذكر أن هذه الوعدة يحضرها المسلمون من مختلف المناطق تبركا بالوالي الصالح⁽⁵⁾، وفي هذه المناسبة يتم تحضير الطعام ومختلف الأطعمة لتقديمها للزوار الذين بدورهم يأتون بأموال يقدمونها لوكيل الضريح، ويمنحهم خيط أو شيء آخر يدل على بركة الوالي.

يكتب علي بن عمارة في مجلة الشهاب ما يحدث في طولقة فيقول: "أعتاد الكثير من نساء الزاب طولقة وما حولها من القرى السفر للشيخ عبدالرحمن الأخضرى وشدّ الرحال لقبره على رأس كل سنة مع بعض الرجال الذين لا همة لهم ولا مروءة فتتهياً النساء لذلك اليوم المشهود ويتزين بأفخر اللباس ويتطيبن بأذكى الروائح... هذه المناظر المخجلة المميّنة للشعور المخدرة للأعصاب وغيرها من البدع التي يمجها السمع وتأبأها

⁽¹⁾ Douité Edmond, Marabouts notes sur L'islam maghrébin, op.cit, P : 08.

⁽²⁾ شارل رويبر (أحرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 479-480.

⁽³⁾ Douité Edmond, Marabouts notes sur L'islam maghrébin, op.cit, P : 18.

⁽⁴⁾ Tsourikoff Zénaïde, L'enseignement des Filles en Afrique du nord, op.cit, P : 32.

⁽⁵⁾ Emmanuel Mallebay, Guide Pratique de biskra et de ses environs, Batna- Algérie, 1892, P : 30.

الطبيعة ورضي بها أهل الأغراض وألصقوها بالشرعية وصيروها جزءاً منها لا يتجزأ في نظرهم حتى إنك لو أردت البحث معهم فيها أو مع أذناهم لحكموا بفسقك وكفرك وزندقتك⁽¹⁾، وهذا المشهد يتكرر عند ضريح كل ولي في كل مناطق الجزائر، وقد يحدث أكثر مما وصف الواصفون، فعندما زرت ضريح سيدي بومدين⁽²⁾ بتلمسان وجدت كتابات على قبره يطلبون منه المال والأولاد.

هناك أماكن في الجزائر، يلجأ لها للتبرك وإبعاد الشر، ومنها كهف كبير في مدينة مناصر التابعة لولاية تيبازة حالياً يعرف بـ "باب الجمال"، يقع في جبل زايرير ويقال أن به 44 ولي صالح يسهرون على حمايته، والعبارة الشائعة بين سكان المنطقة عندما يحدث أمر سيء لشخص وينجو منه يقولون له (سترك جال زايرير)، ويقال أن سكان هذا الجبل لن يصيبهم مكروه مثل الكوارث الطبيعية أو هجمات الارهاب ونحو ذلك، وجال زايرير متمثل في 44 ولي صالح⁽³⁾، وهناك كهف آخر في غرداية، والظاهر أن التصديق ببركة تلك الأماكن هو الاعتقاد السائد في الأوساط الشعبية.

2-3 ظاهرة الشعوذة أصولها وأبعادها الثقافية:

هناك طقوس ارتبطت بالشعوذة وروّج أصحابها لمصطلح البركة، ومنها حفلات كانت تقام في قسنطينة تسمى حفلات الزار (من الزيارة؛ أي زيارة بيت الذي يريد البركة أو الشفاء)، وتقوم بها نساء تعرف بالكوديات؛ حيث تجتمع النساء في بيوتهن في يوم معلوم من الجمعة، تستدعى امرأة تريد تبركا أو شفاء نساء الكوديات إلى منزلها وتحمياً لمن مكان وتحضر لمن مختلف الأطعمة والقهوة، وبعد تناول ذلك تقوم الكودية وتضع كرسي وسط المجلس وتجلس عليه صاحبة المنزل أو من تريد الشفاء وغيره، تضع على رأسها ديكا ودجاجتين على كتفيها ذات صفات محددة وإشارات معلومة يصرف مبالغ طائلة للحصول عليها، ثم تتلو الكودية تعويذتين معروفتين وفي يدها البندير، ويرد عليها باقي النساء ويمسحن وجوهن تبركا وتيمنا، ويرددن: (داستور يا أسيادي يا أهل البيت مدد نظره يا ست. يا سيدي يا بو السعود)⁽⁴⁾، وقد تغلغت هذه الشعوذة لارتباطها بالطب التقليدي، ويمارسوا تلك الأعمال ويوهمون الناس القدرة على شفاءهم من كل ما يعانون منه ومنح البركة.

(1) علي (بن عمارة)، «قطع بدعة شنيعة بقري الزاب»، مجلة الشهاب، ع97، السنة الثانية، ماي 1927، ص: 09.

(2) كانت الزيارة في شهر أكتوبر من سنة 2012.

(3) عبدالرحمن (بوزيدة) وآخرون، المصدر السابق، ص: 59.

(4) محمد حسب الله (كيلاني)، «التقاليد المزرية أحد أمراضنا الاجتماعية»، مجلة الشهاب، ع74، السنة الثانية، ديسمبر 1926، ص: 18.

وبعض الممارسات بدت واضحة أنها سحر وشعوذة وهي محرمة في الاسلام، لكن اتجاه الثقافة الشعبية نحو تصديق تلك الأعمال والارتباط بها، ومنها ما كان يقوم به فرقة من الزنوج في قسنطينة، "لقد اعتاد الزنوج عندنا في قسنطينة أن يؤثروا على ضعفاء العقول بإقامة مراسيم واحتفالات تذكارا لما يزعمون من رغائب ملوك الجن والشياطين... وفي كل عام يشترتون عجلا سمينا فينظفونه ويكسونه أنواع الأقمشة الحريرية ثم يطوفون به في المدينة يتقدمهم المهرجان (ويتبرع الناس عليهم بالأموال) وعندما تمتلئ أوعيتهم من الأموال يقيمون حفلة عظيمة يرقصون فيها على الطبول وأدوات لهوهم ثم يذبحون ذلك العجل من غير أن يذكر اسم الله خشية أن يقهر الجن دون أن ييث في العجل خيره وبركاته، فيعطون لرئيسهم نصف العجل، أما النصف الآخر يجعلونه أجزاء يبعثون إلى كل واحد تبرع عليهم في السابق"⁽¹⁾، وما لاحظته في أعمال الشعوذة هو استلاء المشعوذين على أموال الذين يقصدونهم.

3- أثر الاستعمار في الثقافة الشعبية

3-1 مظاهر التأثير الثقافي:

حاول الاستعمار استثمار الثقافة الشعبية وتوجيهها حسب أهداف، فشجع بعضها وهدم البعض الآخر، فحارب روح الجهاد والدفاع عن الأرض والتضامن بين الأسر والعائلات في إطار النظام القبلي، وشجع الخلافات والخزفات استهداف للدين أولا، والسيطرة على عقول العامة ثانيا، ثم نشر الثقافة الغربية عبر الاحتكاك بين المستوطنين والجزائريين، فأصبحت الثقافة الشعبية مهددة من طرف "الكيان الثقافي الكولونيالي الاستعماري، الذي ظل يطارد الثقافة الشعبية مسخرا إياها تسخيرا استعماريًا، بعد أن أدرك الدور الريادي الذي تقوم به في الحفاظ على أصالة هوية الشعوب وهوية انتمائها الحضاري والتاريخي، فكان سعيه حثيثا لدراستها ومعرفة أسرارها لا لشيء إلا من أجل السيطرة عليها واستعمارها، فلقد عمل جاهدا على طمسها وتشويهها بعد أن استثمرها وأفرغها من قيمها ومن محتواها الفكري والحضاري الأصيل والعريق، وألصق بها أوصافا وأسماء سلبية: الثقافة البدائية، الثقافة المتوحشة، الثقافة التقليدية"⁽²⁾، فالكوميديا الكولونيالية⁽³⁾ كانت

(1) جريدة الفاروق، ع43، 09 يناير 1914.

(2) محمد (سعيد)، «مستقبل الثقافات الشعبية العربية»، مجلة فيلاديفيا الثقافية، ع06، جامعة فيلاديفيا، الأردن، 2010، ص: 23.

(3) منها قصص الشخصية الخيالية كافيوس، التي نشرت في الجزائر ما بين 1890-1920، وهو شخصية تعبر عن الأقدم السوداء من أب فرنسي وأم إسبانية، وهذه الشخصية تستخدم أسلوب السخرية في حديثها مع الأهالي أو "العرب" ثم أعيد نشر هذه السلسلة من القصص فترة الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين. ينظر: أبو القاسم (سعد الله)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج04، المرجع السابق، ص: 47-96.

تسخر من عادات وتقاليد الجزائريين "والواقع أنه بالنسبة للثقافة الشعبية المعبرة عن العلاقة بين الجزائري والأوروبي، فإن العربي دائما موضوع للضحك"⁽¹⁾.

ساهمت عدّة عوامل في تأثر بعض الجزائريين بالثقافة الغربية خلال الفترة الاستعمارية، ومنها الحركة الاستيطانية وتوطين الأوروبيين في الجزائر "فتح الباب أمام الاستيطان الاجنبي الذي يعنى قدوم الآلاف من الأوروبيين ليعيشوا وسط الجزائريين وعلى أرضهم المغتصبة، وكان يعنى أيضا نشر ثقافة معينة ومفروضة، ثقافة التأثير والتلقين والتقليد لأن الكثير من الجزائريين أصبحوا عمالا عند الأوروبيين بعد أن فقدوا أرضهم فكان الاحتكاك الحضاري أمرا محتوما في الملابس والأطعمة وطريقة الأداء في العمل واللغة ونمط العيش ومعرفة الآلات والأسماء"⁽²⁾، يضاف إلى ذلك تعلّم الجزائريون الدارجة الفرنسية التي سهلت التواصل مع الجنس الأوروبي "إن الانتشار التدريجي للغة الفرنسية، كلغة ثانية في مدن وقرى المستعمرات قد ذلّل بدون شك كثيرا من الصعوبات؛ كما ساعد تعاقب الأجيال ساعد على تخطي العقبات التي كانت تواجه سلفها، وهكذا تشكل رصيد من الاستيعاب الثقافي استفاد منه أطفال العائلات التي بادرت مبكرا إلى إرسال أطفالها إلى المدارس فليس ثمة علاقة بديهية بين مستوى الثروة والثقافة الفرنسية"⁽³⁾، ولهذا درجة التأثير تشمل الطبقة المتعلمة، والعائلات المشاركة في الحكم، والطبقة العاملة عند المستوطنين، لأنهم أكثر احتكاكا، وظروفهم المادية تساعدهم في تقليد الأوروبيين.

يشير العالم التونسي محمد بيرم الخامس إلى التأثير الفرنسي في عادات الجزائريين أثناء زيارته للجزائر، فيقول: "أغلب عوائد الأهالي وصفتهم في الجزائر هي مثل ما في أهالي تونس في السلام والحياء غير أن الجيل الجديد في المدن تخلّق بأخلاق مخضومة بين العادات الأصلية وبين عوائد الفرانساويين ومن المعلوم أن النفس مائلة للتشبه بالغالب غير أنّها أول ما ترى إليها الأخلاق الشريرة"⁽⁴⁾.

ويروي بيرم قصة لأطفال يشربون الخمر أمام الكبار وفي حضور أمهم دون خجل فيقول: "وقد صاحبي في البابور من الجزائر إلى عناية امرأة حاكم بلاد قلمة مصاحبة لأبنائها الصغار وهم ثلاثة دون البلوغ كانوا يتعلمون الفنون في مكتب بلاد الجزائر ولما أرست الباخرة على مرسى جيجلي صعد إليها نائب لجنة

(1) المرجع نفسه، ص: 64.

(2) أبو القاسم (سعدالله)، بحوث في التاريخ العربي الاسلامي، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 2003، ص: 518.

(3) غني (يرفيلبي)، المرجع السابق، ص: 50.

(4) محمد بيرم الخامس (التونسي)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج04، المصدر السابق، ص: 15.

تلك البواخر متفقدا وكان حضر إذ ذاك وقت الفطور فجلس مع الركاب على المائدة وكان من جملة الحاضرين الأبناء المذكورون وبعد الأكل أتى بالقهوة ومن عادات الافرنج الاتيان بقنينة فيها نوع من المشروبات الروحية المسمى بالكنيك ومعها كيسان صغار لمن يريد الشرب من ذلك مع القهوة فأخذ منه من أخذ، وامتنع من امتنع فعمد أولئك الصبية إلى المشروب وأخذ كل منهم كأسا ووضع أمامه... وبعد هنيهة أخذني نائب اللجنة إلى ناحية منفردة وقال لي هل رأيت ما وقع قلت ما هو فقال لا تستهزئ معي لو كان أولئك أبنائي لألقيتهم في البحر، فقلت لماذا وهو عندكم ليس ممنوع قال كلا فإنه وإن كان الخمر عندنا مباحا لكن إنما هو ما يؤخذ منه مع الأكل من نوع ماء العنب بمقدار لا يفعل نشوة أما هذا فإنه لا يستعمل إلا بعد الأكل... والصغار يمنعون من ذلك بمقتضى التربية الحسنة⁽¹⁾، فالضابط الفرنسي تحركت مشاعره بينما الركاب الجزائريون لم يركبوا ساكنا، مما يدل على زوال التربية الجماعية داخل المجتمع

ويعلق بيرم على هذه القصة "ولكن نحن قد خرجنا عن طورنا وفسدت أخلاقنا وأفسدنا أخلاق غيرنا فهؤلاء أبناء أحد حكام البلاد على هذا النحو فما بالك بغيرهم، وكان منشأ هذا الفساد هو أن الحرية عند الفرنسيين قد فطروا عليها بقيمتها أعني الحرية الشخصية والحرية السياسية... وكذلك الأهالي أطلقوا لهم الحرية الشخصية وحرموهم من الأخرى (أي الحرية السياسية) فانبعثت القوات كلها إلى الأولى مع ملائمة الطوائف النفسانية فأتوا على كل ما يمكنهم التوصل إليه من الفسوق وقبائح الكلام، والتزوج بين كل متراضين من غير نظر لديانة ولا صحة شرعية بل يقع حتى لبنات مسلمات الفرار من آبائهن إلى رجال من الافرنج أو غيرهم ويصاحبهم بدون زواج أو به ولا مانع عندهم"⁽²⁾، والسبب في انخيار القيم والعادات راجع إلى تفكيك القبيلة والأرض التي كانت تعبر عن التماسك والتضامن الاجتماعي.

سنأخذ أمثلة عن تأثير الجزائريين بالثقافة الغربية فيقول شارل روبر أجرون: «لقد زالت التحذيرات من البدلة الأوروبية ومن القبعة بصفة خاصة، فحيثما اتجهنا نجد المدنيين المسلمين لا يخلقون رؤوسهم ولا يحتفظون بلحاهم ولا يتخرجون من تدخين التبغ وبعضهم يتعاطى الخمر ومختلف المشروبات الكحولية القوية، وحتى الذين صاروا يأكلون في عز الصيام لم يتعرضوا للرحم ولا للمقاطعة مثلهم في ذلك مثل المتهاونين بصلاتهم أو مثل الذين نشئوا في المدارس الفرنسية فصاروا يجهلون حتى المبادئ الأولية لدينهم»⁽³⁾، ويتحدث بمودان عن

(1) المصدر نفسه، ص: 15.

(2) محمد بيرم الخامس (التونسي)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج4، المصدر السابق، ص: 15.

(3) شارل روبر (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 492-493.

تلمسان سنة 1902، فيقول أن بعض العرب تأثروا بالثقافة الفرنسية، لكن هذا التأثير كان سطحيا فقط⁽¹⁾، ولم يكن لدى بعض شيوخ الطرق الصوفية حرج في الزواج من الأوروبيات؛ ففي دراسة غوتي عن الصلحاء يتحدث عن بعضهم تزوجوا مسيحيات، فقد تزوج أحمد التجاني شيخ الطريقة التجانية فرنسية، وفي سنة 1882 طلب السي حمزة قائد أولاد سيد الشيخ التزوج من فرنسية بنت أحد رؤساء السكك الحديدية⁽²⁾، مع العلم أن لهؤلاء الشيوخ مكانة وتأثير داخل المجتمع فسيسهل على بقية المجتمع الاندماج الاجتماعي مع الأوروبيين، من جهة ومن جهة أخرى هذا الزواج يجنب الشيخ وطريقة سياسة التنكيل الفرنسية ويقربه أكثر من السلطة.

ومن مظاهر الثقافة الغربية عند الجزائريين خاصة الطبقة التي تواصلت مباشرة مع الاستعمار تتجلى في المسكن والملبس، فيقول بيرم عن ما شاهده في زيارته للجزائر: "وأما هيئة المساكن والطرقا فإن الجديد على نحو ما في فرنسا... والطرقا معتنى بتنظيفها وتنويرها على كل حال كما في فرنسا... وأما اللباس فالرسمي فرانسواي وقواد الأعراب الكبار يلبسون قفطانا طويلا مطرزا بأسلاك الفضة المذهبة"⁽³⁾، وكانت تعدد الزوجات شائع بين الجزائريين، وبعد مرور عقود من الزمن في احتلال الجزائر انتشرت ثقافة الزواج الأحادي كما يذكر تسوريكوف المختص في القانون: "لست هنا لمناقشة تعدد الزوجات، فنلاحظ هناك منحى تنازلي تحت تأثير الحضارة الغربية في الطبقات المتوسطة المتعلمة والأغنياء، لقد فهم الشباب المتعلم المسلم من خلال اتصاله بنا فوائد الزواج الأحادي"⁽⁴⁾، وكان الجزائري يميل إلى الطب الشعبي وإلى التمايم أكثر من ميله إلى التداوي عند الأطباء الأوروبيون⁽⁵⁾، ثم أصبحت هذه الثقافة تتغير خاصة لدى الطبقة المتعلمة في المدارس الفرنسية.

ومن مظاهر التأثير كذلك، ترك الحجاب لدى نساء الشرفاء، تقليد لنساء الحكام الأوروبيين خاصة في المناسبات والاحتفالات التي يحضرها الأوغوات، وقد كتب جريدة الفاروق سنة 1914 عن استفحال هذه الظاهرة "لقد تمزقت أستار العفاف لدى المسلمين إلى حد أن أصبحنا نرى أفاضل الرجال والذين ظهروا بين

(1) Le commandant de Pimodan, Oran Tlemcen sud – oranais (1899-1900), op.cit, P : 76-77.

(2) Douted Edmond, Marabouts notes sur L'islam maghrébin, op.cit, P : 86.

(3) محمد بيرم الخامس (التونسي)، صفة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج4، المصدر السابق، ص: 21.

(4) Tsourikoff Zénaïde, L'enseignement des Filles en Afrique du nord, op.cit, P : 30.

(5) Jonnart (M.C), Exposé de la situation générale de l'Algérie, op.cit, P : 380.

الناس بسمعة العقل والنباهة لا يرون الفخر كل الفخر إلا في تبرج نسائهم تبرج الجاهلية الأولى"⁽¹⁾، وهذا التبرج في نظرهم يعبر عن الانفتاح والحرية، والتقدم. ولم يكن التأثير على درجة واحدة بين الشمال والجنوب، فما تأثر من أهل الجنوب سوى الحكام الأهالي الواسطة بين السلطات الاستعمارية والجزائريين، فكتب بريم في رحلته: "أما أهالي القبائل من البادية والمتوغلين في الجنوب ودواخل القطر فالأكثر منهم على الطباع والعادات الأصيلة والقليل الذين لهم علاقة بالحكام والتداخل معهم تغيرت عاداتهم إلى نحو ما وقع في الكثير من أهل البلدان"⁽²⁾، لكن هذا التأثير لم يكن فجأة، وإنما كان عبر وسائل وآليات. فما هي وسائل التأثير الثقافي؟

3-2 وسائل التأثير الثقافي:

تعددت وسائل التأثير الثقافي، ومنها المدرسة، والصحافة وقلد الجزائريون الأوروبيين في إنشاء الجمعيات والنوادي التي كان لها تأثير وستحدث عنها في الفصل القادم؛ لكن سأركز على وسيلتين هما المسرح وهجرة بعض الجزائريين إلى فرنسا، ثم الرجوع إلى الجزائر ورواية ما شاهد من جمال الطبيعة وقمة الحضارة فيشتاق السامعون للسفر ويأخذوا نظرة أخرى عن فرنسا مختلفة عن نظرتهم للاستعمار في الجزائر، ومن يتمعن في كتابات النخب الفرنسية يفرق بين السلطة الفرنسية في فرنسا وسلطة المستوطنين في الجزائر ويغيب تدريجياً مصطلح الاستعمار والكافر الذي لا يفرق بين السلطة في فرنسا وسلطة المستوطنين في الجزائر.

*المسرح: يقول أبو القاسم سعد الله عن المسرح: "لم تعرف الجزائر تجربة المسرح قبل الاحتلال إلا ما كان من خيال الظل أو مسرح الكراكوز الشعبي، ويشاع عن الفرنسيين أن المسرح كان يسير في ركابهم حيث ساروا، وعلى كل حال فقد ظهر المسرح في المدن الجزائرية المحتلة بالتردج، وكان نشاطه مرتبط بوجوه جمهوره في البداية ثم أصبح الجزائريون يترددون عليه بعد التغلب على مشكلة اللغة والعنصرية وتغيير الذوق العام، وقد شمل المسرح المجال المدني والعسكري"⁽³⁾، ويضيف "من الممكن القول أن المسرح ومعه الغناء وفن الأوبرا ونحوها هو إنتاج أوروبي أثر إلى حد ما على الجزائريين الذين بدأوا يقلدونه ثم جاروه. وكانت مشكلة اللغة حاجزا في تقدمه بينهم أول الأمر، ثم جلوا ذلك باستعمال الدارجة لأن اللغة الفرنسية تبعد الممثلين عن الشعب، ولأن جمهور الفصحى قليل، كما أن حاجزا كان بالمرصاد وهو الذوق العام"⁽⁴⁾.

(1) جريدة الفاروق، ع 44، 16 يناير 1914.

(2) محمد بريم الخامس (التونسي)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج 04، المصدر السابق، ص: 16.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، بحوث في التاريخ العربي الاسلامي، المرجع السابق، ص: 520.

(4) المرجع نفسه، ص: 520.

أصبح المسرح له تأثير من الرواية والكتاب، وهو ما كتبه مجلة الاحياء سنة 1907: "فإن كل ما يكتب ويقرأ من الروايات الأدبية ونحوها مهما بلغ من الاتقان ما بلغ، ونال من الاستحسان ما نال، فالتمثيل العربي يفضل به مراحل قوية التأثير والانفعال، لأنه يمثل الحوادث التاريخية وغيرها تمثيلا حقيقيا مطابقا لأصلها"⁽¹⁾، وكان هدف المسرح عند الجزائريين هو نشر الثقافة الاسلامية ومحاربة الثقافة التي ينشرها المسرح الاستعماري التي استعمل السخرية من عادات الجزائريين مادة دسمة في كتابة القصص والروايات وتحسيدها على خشبة المسرح.

*الهجرة نحو فرنسا وتأثيرها الثقافي في رسم صورة فرنسا في مستعمراتها:

سمح للكثير من الجزائريين السفر نحو فرنسا خلال القرن التاسع عشر وبعده، خاصة البعثات الرسمية التي رفعت مطالب الشعب الجزائري إلى المسؤولين في باريس، ومن نتائجها تأثر العديد منهم بالتمدن الفرنسي بل المعاملة الحسنة للمسؤولين، ولهذا في رحلاتهم رسموا صورة حسنة عن فرنسا سيكون لها تأثير ثقافي لدى المهاجرين، بل ان الدكتور براهيم لونييسي ذكر في إحدى محاضراته أن الهجرة لو تمت بأعداد كبيرة نحو فرنسا بنفس العدد الأوروبيون الذين هجروا نحو الجزائر لحدث اندماج حقيقي بين فرنسا والجزائر، ونجحت السياسة الاستعمارية في ما سعت إليه⁽²⁾، فالذين هاجروا لفرنسا من الجزائريين تركوا انطبعا وصورة جيدة عن فرنسا، بل اندهشوا من الفرق الشاسع بين واقع الجزائريين والمسلمين، وبين ما عليه فرنسا والغرب من التمدن، وسنعرض بعض النماذج منها الرحلة الصيامية الذي انبهر صاحبها بالثقافة الفرنسية ويعطينا صورة عن ثقافة التشجير والنظافة والأمن فيقول: "وأما أمر أهل فرنسا في الاعتناء بالغراسة والحراثة والنظافة والتشييد في البناء وتكثير التجارة والصنائع، فهو أدل دليل على إصلاح رأيهم وامتثالهم لأمرائهم حتى اشتهر العدل في برارهم وبحارهم، وقد أخبرني بعض الأصدقاء وقال: لو اتفق لبعض النسوة السفر في البر أو في النهر راكبة أو راجلة، تقطع المسافة من شرق البلاد إلى غربها من غير معارض ولا لص وإن امتلأت حقائبها ذهبا ويقوتا، ولا يخطر ببال شخص تجريد الناس في الطريق، بل يعم الأمن والأمان والعافية والخصب جميع النواحي"⁽³⁾، ويقول عن باريس: "وفي يومنا دخلنا إلى مدينة باريس... فلما رأيتها وجدتها أحسن مما وصفوها الوصفون، ولا يمكن

(1) التمثيل العربي، جريدة الاحياء، الجزء الثالث، السنة الأولى، 07 صفر 1325هـ (1907)

(2) براهيم لونييسي، محاضرات في تاريخ السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجليلي ليايس-سيدي بلعباس، 2010-2011.

(3) سليمان (بن صيام)، الرحلة الصيامية، تح: خالد زيادة، ط01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ص: 32-

لشخص أن يستوعب جميع محاسنها ولو أقام السنين"⁽¹⁾، ولاشك أن الجزائري عندما يرى تلك المدن الفرنسية سيؤمن بما تدعيه فرنسا من سياستها التمدنية وسيتمنى تحقيق ذلك بأن يرى باريس الصغيرة أو شبيبتها في الجزائر.

ويبين أحمد ولد القاضي في رحلته الفرق بين ما كان يسمعه والعرب عن فرنسا وبين صورة فرنسا عندما رآها، وهو ما سيغير في ثقافته ونظرتة للغرب: "وقد كان العرب يظنون فرنسا عندما لخصتها عيون السوء انتقاص شأنها فلما وقفنا بها وجدناها فذا في أعين الحاسدين، وأنها أجل قدرا واعظم قوة مما كانت عليه"⁽²⁾، ويضيف متأثرا بأفكار الثورة الفرنسية، عندما شاهدها مكتوبة على جدران كل مدينة، الحرية، الأخوة، والمساواة يخطط عريض يراه الأعمش من بعيد كما قال، مما ازداد تعلقا بفرنسا "فلما استفسر ناها وتأملناها ازدادت قلوبنا تعلقا بمحبة الدولة الفرنسية لما علمناه من حريتنا نحن العرب ومساواتنا مع النجباء أولاد فرنسا، وإن كنا لا نساويهم في العلوم والخدمة"⁽³⁾، وهذا يبيّن مدى بتأثيره بالثقافة والتمدن الأوروبي، في حين أن المساواة التي تحدث عنها لم تحدث كما قال، فالتميز العنصري في التنمية والتعليم والصحة قد تحدثت عنه التقارير الفرنسية وعرائض المجتمع الجزائري في القرن التاسع عشر الميلادي.

(1) المصدر نفسه، ص: 32.

(2) Ahmed ben kadi, Impressions du voyage A Paris, Alger, 1878 , P : 07.

(3) Ibid, P : 08-09.

الفصل الرابع

النهضة الثقافية ومظاهرها

أولاً: ظروف النهضة

ثانياً: الصحافة وروادها

ثالثاً: الجمعيات والنوادي

نقصد بالنهضة الثقافية؛ تلك العملية التجديدية والاصلاحية والنقلة النوعية الثقافية من واقع ثقافي إلى واقع أحسن منه باستغلال كافة الامكانيات المتوفرة ينتج عنها تغيير في حياة الانسان الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، وقد تكون النهضة شاملة أو جزئية تشمل مجالات دون غيرها، ولاشك أن احتكاك المجتمع الجزائري خاصة المثقفين بالمنتوج الحضاري الأوروبي عن طريق الاستعمار داخليا وتأثره بحركة النهضة والاصلاحي خارجا قد أثرا في بعث بوادر النهضة بالجزائر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين كما يقول سعد الدين بن شنب: "في الربع الأخير من القرن الماضي، وهو الذي ظهرت فيه بذور النهضة الثقافية في بلادنا، ظهر في عالم الصحافة فوج آخر من الصحافيين الجزائريين، كتاب و مترجمين واستمر هذا الفوج بمتنهن الصحافة والتدريس طوال عشرات السنين"⁽¹⁾.

وفي هذا الفصل سنناقش مظاهر النهضة وسنركز بالدرجة الأولى على الصحافة ونشأتها وأعلامها ودورها في نشر الثقافة والوعي الوطني، ثم دور الجمعيات والنوادي، وسنترك مظهر آخر من مظاهر النهضة الثقافية وهو الحركة الاصلاحية إلى الفصل الخامس في دراسته ضمن التيارات الثقافية، في حين أن لكل نهضة ظروف تحيط بها تساعد على النمو والانتشار، ولهذا سنفتح هذا الفصل بالحديث عن ظروف النهضة داخليا وخارجا مركزا على أهم الأحداث.

أولا: ظروف النهضة:

1-الظروف الداخلية:

أخذت المسألة الجزائرية سياسيا اتجاه آخر بعد سنة 1880، وفي مناقشات مجلس الشيوخ الفرنسي، فتداولت زيارات اللجان على الجزائر لإيجاد حل للمسألة بما يخدم السياسة الاستعمارية، وأبرزها لجنة جول فيري التي قدمت للجزائر في ربيع سنة 1891، وبعد هذه السنة قدم إلى الجزائر حكام عامون أبرزهم جول كامبون و جونار المعروفين بسياستهما المعتدلة اتجاه الأهلي واهتمامها بالتعليم، الأمر الذي بعث الأمل في النخبة الجزائرية، ووفر لها ظروف النشاط خاصة بعد احتكاكها بالجرائد والصحف والمجلات الاستعمارية، الذي ساعدها في استحداث صحافة وطنية وجمعيات ونوادي.

1-1 الإصلاحات السياسية فترة حكم جول كامبون وشارل جونار: تعد فترة حكم جول كامبون والفترة الثانية من حكم شارل جونار الأبرز خلال فترة الدراسة 1880-1914، لما اقترحاه من اصلاحات

⁽¹⁾ سيف الإسلام (الزبير)، المرجع السابق، ص: 151.

سياسية؛ فيقول شارل روبيير أجرون عن كامبون ما يلي: "برز جول كامبون كحاكم عام للجزائر نهاية القرن التاسع عشر، كانت فترة حكمه متميزة إذ لم يستسلم لضغوطات المستوطنين ورأى أن مصلحة فرنسا الأم أهم من مصالح فئوية ضيقة؛ فكان يقول: إن للبلد الأم حقوقا لا تناقش، ولا يجوز مخالفة وجهة النظر السياسية الرسمية في سبيل خدمة المصالح الضيقة للمستوطنة التي تأسست بفضل تضحيات البلد الأم"⁽¹⁾، وهو تصريح واضح عن مستقبل السياسة التي سينتهجها، وفي خطاب آخر له ساوى بين كل الجزائريين من مسلمين ومستوطنين في الحقوق والواجبات اتجاه المتروبول "إن جميع المستوطنين والأهالي معنيون باحترام كل ما له صلة بالسيادة والإنصاف في سياسة البلد الأم، ولكن لكلتا المجموعتين من السكان الجزائريين التمثيل في المجلس الأعلى لرعاية مصالح كلا الطرفين وصون مصالح الدولة"⁽²⁾ لكن تطبيق تلك الأفكار على أرض الواقع كان صعبا بسبب المعارضة الشديدة للمستوطنين، وبضغط من صحفهم.

لقد كان نفوذ المستوطنين واضح في الجزائر من بداية الجمهورية الثالثة إلى غاية مجيء جول كامبون كوالي عام على الجزائر 1891، وهو ما يؤكد عمار بوحوش بقوله: "منذ 1870 ولغاية 1891 تخلت السلطات الفرنسية في باريس عن ممارسة نفوذها في الجزائر للمستوطنين الأوروبيين بحيث صار في إمكانهم أن يتصرفوا في هذه المستعمرة كما يشاؤون... وفي نفس الوقت عمل المستوطنون الأوروبيون على إضعاف الحاكم العام وتركيز السلطات الفعلية في رؤساء البلديات الأوروبيين الذين يخدمون أنفسهم ومصالحهم ويتجاهلون مصالح السكان المسلمين"⁽³⁾، ويعبر جول فيري عن عجز الحكام العامون وعدم امتلاك صلاحيات واسعة بقوله: "الحاكم العام ما هو إلا مفتش للاستيطان في قصر ملك كسول"⁽⁴⁾، ويؤكد على ذلك أعيان مدينة قسنطينة في عريضة قدموها للجنة البرلمانية 1891 "إن المسلمين سكان اقليم الجزائر مثلهم مثل الأغنام التي رعاها عاجزون عن القيام بها على الوجه الأكمل، وسبب ذلك أن الحكام الآن مربوطة أيديهم عن صرف الأموال في المصالح العمومية"⁽⁵⁾، ومع مجيء حون كامبون طالب بصلاحيات واسعة للتخلص من ضغوط المستوطنين وتحقيق توازن داخل المجالس النيابية بوضع ممثلين عن المسلمين الجزائريين.

(1) شارل روبيير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج01، المرجع السابق، ص: 867.

(2) المرجع نفسه، ص: 868.

(3) عمار (بوحوش)، المرجع السابق، ص: 168.

(4) المرجع نفسه، ص: 178.

(5) عمار (بن أحمد) وآخرون، جواب بعض أعيان قسنطينة عن استجواب اللجنة البرلمانية الفرنسية التي وفدت على الجزائر خلال ربيع 1891. نشرت في: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، المرجع السابق، ص: 215.

يعد جول كامبون من معارضين سياسة الإدماج للأهالي، لأنه تعدي على عادات وتقاليد المسلمون الجزائريون، وعن طريقة حكمهم قال في أول خطاب له: "من واجب فرنسا أن تضمن للأهالي نظاما إداريا غير منحاز ونظاما قضائيا صارما غير مكلف ماليا وسريع التنفيذ"، كما عزم محاربة الربا والبيع بالمزاد وتجزئة ملكيات الأهالي وفتح مجال الرعي في المناطق الغابية⁽¹⁾، ومن القرارات التي اتخذها جول كامبون إعادة العمل ببيئات تجمعت في البلديات المختلطة والبلديات الأهلية بمقتضى مرسوم 11 سبتمبر 1895، إلا أن مهام وصلاحيات أعضاء هذه الهيئة ضيقة ولم تتجاوز حقوق استغلال الغابات وتقسيم الأراضي بين العروش⁽²⁾، كما أن الأعضاء المنتخبون في هذه الهيئة أغلبهم لم يتعلموا في المدارس الفرنسية أو ينتمون إلى النخب المثقفة.

اقترح جول كامبون أن يكون هناك تمثيل للمسلمين في المجلس الأعلى للجزائر **Le conseil Supérieur de l'Algérie** الذي يعتبر الهيئة السياسية والإدارية العليا لتسيير الجزائر، ويكون عدد مقاعدهم في هذا المجلس 9 مقاعد، لكن المرسوم الذي صدر في 23 أوت 1898، اعتمد 7 مقاعد للمسلمين من أصل 55 مقعد⁽³⁾.

وصل شارل جونار إلى الجزائر كحاكم عام في أكتوبر 1900، وأول ما قام به هو "دعوة عمال العمالات إلى بعض الإصلاحات الإدارية لتعزيز صلاحياتهم وإعادة تنظيم شؤون الأهالي"⁽⁴⁾، كما أعد مشروع لتوسيع التمثيل النيابي للجزائريين المسلمين⁽⁵⁾، غير أن تجربته الإصلاحية باءت بالفشل بسبب المعارضة الشديدة من المستوطنين وعدم امتلاكه صلاحيات واسعة في تطبيق سياسته اتجاه المسلمين الجزائريين وهو ما جعله يغادر الجزائر في جوان سنة 1901.

رجع شارل جونار للجزائر في فترة حكم ثانية في ماي 1903، ولم يستقبل بحفاوة من المستوطنين مثل استقباله في فترة حكم الأولى نظرا لميولته في تحسين ظروف المسلمين الجزائريين وترقيتهم في إطار المستعمرة الفرنسية، ولهذا انتهج "سياسة تقرب من الجزائريين، تمثلت في تشجيعه للخدمات الاجتماعية وللدراسات

(1) شارل روبيير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج01، المرجع السابق، ص: 868.

(2) المرجع نفسه، ص: 897.

(3) عمار (بوحوش)، المرجع السابق، ص: 183.

(4) شارل روبيير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج02، المرجع السابق، ص: 661.

(5) Paul Bourdarie , Comment organiser l'Afrique du nord ? Articles du "Temps" et de la "Revue indigène, Bibliothèque de la Revue indigène, 1912, P : 55.

العربية بإنشائه لمدرستي الجزائر 1904، وتلمسان 1905⁽¹⁾، وجاء تعيين جونار في الوقت التي كانت تسعى فرنسا لاحتلال المغرب ومنافستها مع الدول الأوروبية، ولهذا عيّنت الحكومة الفرنسية حاكم عام معتدل من أجل كسب قلوب الجزائريين ولتجنب أي معارضة، فيقول أحمد صاري: "إن فرنسا كانت في هذه الفترة منشغلة بما كان يسمى بـ الأزمة المغربية وبما أنها كانت مصممة على احتلال هذا البلد فقد أرادت كسب الجزائريين المسلمين إلى جانبها أو على الأقل ضمان حيادهم، وذلك بعدم معارضتهم لسياستها نحو المغرب الأقصى"⁽²⁾، كما وافقت الحكومة على توسيع صلاحيات الوالي العام.

تنطلق فلسفة جونار من إيجاد سبل للتقارب بين المسلمين الجزائريين والمستوطنين، ومنح بعض الحقوق للجزائريين ليشعروا بارتياح اتجاه الإدارة الاستعمارية وتجنب أن انتفاضة قد تعرقل احتلال المغرب الأقصى، أو تفشل مشروع التجنيد الاجباري؛ فشارل جونار يؤمن "إيماناً راسخاً بأن مصير الاستيطان سيضل مذبذباً ما لم تعتمد فرنسا إلى تسطير سياسة تقارب دائم بين المستوطنين والأهالي، في حين أن قانون الأهالي المتشدد لا يتيح للمستعمرة أي ضمانات إضافية، وبالتالي فالمرجو هو توفير معاملة أكثر عدلاً وإنصافاً للجماهير المغلوبة على أمرها"⁽³⁾.

لقيت سياسة جونار ترحيب من الجزائريين، فكتب الشيخ الحفناوي وهو الذي عاصره في كتابه تعريف الخلف برجال السلف ما يلي: "ولما آلت ولاية القطر الجزائري للحازم الخطير سمو الوالي العام جونار المجتهد في جلب المهمات ودفع الملهمات ليل نهار، صوّب نظره السامي نحو مسلمي بر الجزائر بمزيد الإمعان، وأحيى لجيلهم خير ما كان لأسلافه من مدينة الإسلام، وأحسن إليه بما يناسبه من العصر الجديد لاجتماع كسوره وانتظام أموره وليمكنه الارتقاء في مدارك العمران ومدارج العران والتقدم في طريق النجاح المادي والمعنوي"⁽⁴⁾ وحسب ما نفهم من نص الحفناوي أن سياسة جونار الثقافية ارتكزت على المزج بين التراث الاسلامي والحضارة الفرنسية، فهو الذي شجّع العلماء على التحقيق وإحياء التراث من جهة، ودعا الجزائريين لإرساء أبنائهم للمدارس الفرنسية من جهة أخرى.

(1) أحمد (صاري)، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، 2004، ص: 108.

(2) المرجع نفسه، ص: 109.

(3) شارل روبيير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج01، المرجع السابق، ص: 827.

(4) محمد أبو القاسم (الحفناوي)، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص: 03-04.

ما يجب أن ننوه إليه هو أن جونار لم يكن وحيدا في دعوته لمنح حرية للأهالي ومشاركتهم ومشاورتهم فقد دعا إلى ذلك فرنسيون قبله ومنهم المؤرخ الفرنسي لوروي بوليو الذي كتب سنة 1882 عدّة مقالات عن المشكل الجزائري "وطالب فيها بلاده أن تسلك سياسة ليبرالية في الجزائر بمنح الفتيان العرب حق التمثيل النيابي في المجلس الوطني الفرنسي، كما نادى بإلغاء الاستعمار فيها وإلغاء قانون الاهالي"⁽¹⁾، أي يتم دمج المجتمع الجزائري المسلم في المجتمع الفرنسي بنفس الحقوق والواجبات.

1-2 الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية:

إن الظروف الاقتصادية للمجتمع الجزائري لم تكن بأحسن حال بعد استلاء المستوطنون على أغلب الأراضي الزراعية الخصبة⁽²⁾، وكانت الأرض هي محور اقتصاد المجتمع الجزائري المسلم، فتم استغلالها من طرف المستوطنين في الرعي والزراعة، وعندما يعجزون عن استغلالها يتم كراؤها بأسعار باهظة للجزائريين، وهكذا أصبح صاحب الأرض أجير فيها، يجد صعوبات في تسديد مبلغ الكراء ومصاريف الحرث والحصاد، وما يحتاجه من لوازم الحياة⁽³⁾، كما فرض على الجزائريين ضرائب باهظة على مختلف الحرف والأنشطة، وكان لقوانين ملكية الأراضي أراضية سلبية على أراضى العروش، فيذكر يحيى الشريف في بداية العقد الأخير من القرن التاسع عشر، أن هذه القوانين سببت في فقدان بعض الأعراس لأموالهم "ولقد شاهدنا ثلاث أعراس من أقرب جهة إلينا قد خرجت جميع أراضيهم من أيديهم، ولم يبق لبعضهم إلا أقل القليل الأوّل"⁽⁴⁾، ولهذا نلاحظ أن فئة معتبرة من الجزائريين تخلوا عن أراضيهم بسبب قانون التحديد العقاري أو قوانين أخرى، أو ارتفاع قيمة الضرائب ونقص مياه السقي.

اتجهت السياسة الفرنسية اجتماعيا إلى تفجير الشعب الجزائري وتشيتت الأعراس والقبائل عن طريق نزع الأراضي عنوان الوحدة وفرض الغرامات، وقد صرّح بذلك السيناتور غيشار إلى جول فيري 1892 "يتعيّن فرض غرامة باهظة تكفي لجعل هؤلاء الرجال الأقوياء لا يملكون شيئا، جميع العائلات الغنية التي لا

⁽¹⁾ أبو القاسم (سعدالله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج02، المرجع السابق، ص: 97.

⁽²⁾ عند بداية الحرب العالمية الأولى 1914 كان الاستيطان الفردي أكثر من مليون هكتار 1.268.932 هكتار، أي مجموع الأراضي التي اشتراها المستوطنون من الجزائريين فضلا عن الأراضي التي امتلكتها الإدارة الاستعمارية. ينظر: محفوظ (قداش) وجيلالي (صاري)، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، المرجع السابق، ص: 165.

⁽³⁾ جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، المرجع السابق، ص: 219.

⁽⁴⁾ يحيى (الشريف)، جواب للجنة البرلمانية الفرنسية 1891. نشر في: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، المرجع السابق، ص: 223.

تزال موجودة يتعين سحقتها عن طريق تطبيق المسؤولية الجماعية، إنها دوافعي، ويتعين في نهاية المطاف أن يخضعوا لنا. إنها حرب حتى الموت معهم"⁽¹⁾، ولناخذ احصائيات عن عدد الغرامات؛ فقد سجل 21.144 غرامة لسنة 1901، و23.733 لسنة 1903، و22.602 غرامة لسنة 1905، وارتفعت إلى 35.921 سنة 1907⁽²⁾، وهي أرقام تؤكد سبب ارتفاع الهجرة نحو الخارج.

تعطينا نسب هجرة الجزائريين نحو المشرق صورة عامة عن الأوضاع المزرية للجزائريين في الجزائر، وقد اعترف لوسيان في تقريره سنة 1899 أن المهاجرين فقراء "لقد لاحظنا بدون استثناء أن كل أصحاب هذه الطلبات (أي طلبات الهجرة) فقراء، لا يملكون شيئاً، ومصادر معيشتهم قليلة جداً، ويوجد من بينهم قلة قليلة تمتلك بعض الأراضي، وآخرون يزرعون أراضي يكترونها من عند غيرهم، ومنهم من يشتغل في الزراعة كخماس أو عامل بسيط مؤجر إما باليوم أو بالموسم"⁽³⁾، ولهذا ارتفعت نسبة الهجرة الجزائرية نحو المشرق خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين.

ورغم كارثية الوضع في المجتمع الجزائري وخطورته على مستقبل الاستعمار في الجزائر فإن موقف المستوطنون من أوضاع الأهالي هو بقاء الحال على حاله "يتضح لمن يطالع صحافة الجزائر ومحاضر المداولات البرلمانية قبيل حرب 1914 أن المعمرين يعارضون في كل تغيير لوضع الأهالي مهما كان ضالته، فهم يرفضون إلغاء الضرائب العربية وتوحيد النظام الجبائي، ويفرضون الإبقاء على النظام الأهلي الذي بدونه ينعلم الأمن في الجزائر، ويستنكرون تكوين المثقفين الأهليين الذين يرونهم عاجزين عن هضم الثقافة الحقبة، ويصبحون متنكرين لمراتبهم الاجتماعية ناقلين ومطالبين، ويمنعون منح المواطنة في نطاق النظام الذي تطالب به النخب"⁽⁴⁾، لكن هذه الحجج عجزت في مواجهة الواقع بظهور نخبة جزائرية مثقفة تعلمت في المدارس الفرنسية وتتنقن اللغة الفرنسية، وتحاول تغيير أوضاع المجتمع الجزائري، وسيكون لها دور في بعث بوادر النهضة الفكرية بالجزائر.

اتسم الوضع الثقافي كما عرفنا في الفصل الثاني والثالث بجهود الإدارة الفرنسية في نشر التعليم الفرنسي الجبائي بين أبناء الجزائريين، لكن تلك السياسة حملت مجموعة من التناقضات بين التشريع والتطبيق، لكن كتنقيح أولي لها فقد كان لها بعض الآثار الإيجابية على المجتمع الجزائري بتكوين نخبة منهم الطبيب، ومن

(1) محفوظ (قداش) وجيلالي (صاري)، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، المرجع السابق، ص: 187.

(2) المرجع نفسه، ص: 187.

(3) عمار (هلال)، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1917)، دار هومة، الجزائر، 2007، ص: 231.

(4) شارل أندري (جوليان)، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، تر: فريد السوداني وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص: 128-129.

يعمل في سلك القضاء للدفاع عن حقوق المسلمين، ومن يمتهن التعليم، ليعلم أبناء موطنه بديلا عن المعلم الفرنسي الذي ينشر المسيحية حسب اعتقاد المسلمون الجزائريون، وما يمكن أن نضيفه للجانب الثقافي هو احتكاك النخب الجزائرية بالنخب الفرنسية، فظهر علماء يكتبون في جريدة المبشر، والمجلة الافريقية، ويطبعون كتبهم في المطابع الفرنسية، وكان لهذه العوامل أثر في تراجع دور النخب التقليدية مع مطلع القرن العشرين، وظهور نخب جديدة من المثقفين والمترجمين والكتّاب⁽¹⁾ الذين يجعلون من الصحافة وسيلة لنشر أفكارهم. أدرك الجزائريون تأثير الصحافة الاستيطانية على السياسة الاستعمارية، وكذلك دور الصحافة في توجيه الرأي العام وتوعيه المجتمع، فقد كان للمستوطنين في الجزائر العاصمة فقط 12 صحيفة يومية وأسبوعية ومجلة شهرية⁽²⁾، ولهذا تفتن النخب المثقفة إلى دور الصحافة في صناعة الرأي العام والضغط على السياسيين في اتخاذ القرار، وكذلك في توعية المجتمع.

ويجب أن نشير أن الواقع الثقافي قد تأثر بأفكار ثقافية مشرقية بحكم الروابط التاريخية، وهو ما يؤكد جوليان في حديثه عن زيارة محمد عبده إلى العاصمة رغم أنه يقلل من قيمة هذه الزيارة فيقول: "ظلت الجزائر مدة طويلة أكثر البلدان الإسلامية إعراضا عن الأفكار الجديدة، ففي سنة 1904... وقد تحدث مفتي القاهرة أمام جمع صغير من المستمعين بمسجد متواضع من حي بلكور، ولم يخطر ببال أحد على ما يظهر أن ذلك العالم المفسر كان باعث النهضة السياسية والدينية والثقافية الإسلامية، ماعدا في قسنطينة حيث تفتحت بعد بعض الأفكار النيرة إلى تأثيرات الشرق"⁽³⁾، ويذكر لوسيان في تقريره سنة 1899، أن معظم الكتب المطبوعة التي نُجدها في الأسواق بالجزائر، مطبوعة إما في الاسكندرية أو القاهرة أو القسطنطينية، وهذه هي المراكز الثلاثة الهامة التي تزود الجزائر بالكتب والمنشورات المختلفة باللغة العربية⁽⁴⁾، ومعناه أن أفكار النهضة والاصلاح التي انتشرت في المشرق قد تسربت للجزائر عن طريق الجرائد والكتب ومختلف المطبوعات.

⁽¹⁾Philip Zessin , «Presse et journalistes indigènes en Algérie coloniale (années 1890-années 1950)», Revue Le Mouvement Social , N° 236, publiée par l'association Le Mouvement social avec la collaboration du Centre d'histoire sociale du XXe siècle de l'université Paris , 2011, P : 36.

⁽²⁾عبدالرحمن (عواطف)، الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 29.

⁽³⁾شارل أندري (جوليان)، افريقيا الشمالية تسير القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية، المرجع السابق، ص: 125.

⁽⁴⁾عمار (هلال)، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1917)، المرجع السابق، ص: 253.

ومن الظروف الداخلية التي ساعدت في بعث النهضة الثقافية في الجزائر زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر سنة 1903، وتأثيره في بعض المشايخ "والتي تمثل عاملا حاسما في انتعاش الفكر العربي الإسلامي في الجزائر وما تبعها من ظهور اتجاه إصلاحى جزائري متأثر بالزعامة الروحية للشيخ محمد عبده⁽¹⁾، وقد اعتنت بعض الصحف الجزائرية في نشر أفكاره على غرار جريدة المغرب سنة 1903، والإحياء وذو الفقار⁽²⁾، التي صورة كبيرة له في واجهة أحد أعدادها واعتبره المدير الروحي لها.

1-3 نشأة ونشاط حركة الشبان الجزائريين:

ظهرت هذه الحركة بعد تكوين نخبة في المدارس الفرنسية والتي دافعت عن مصالح المجتمع الجزائري، ويقول محفوظ قداش عن نشاطهم بداية القرن العشرين "برزت المطالب السياسية الاصلاحية عن طريق بعض المثقفين والوجهاء الذين تلقوا تكويننا في المدرسة الفرنسية، ممن ينتمون في الغالب لعائلات ميسورة أو متوسطة الحال من أصحاب المهن الحرة، الأطباء والصيدالة، والحامين"⁽³⁾، وقد تزامن ظهور هذه الحركة مع " وجود حركة الشبان التونسيين التي كانت على اتصال وثيق بقيادة النهضة الاسلامية في المشرق العربي، وبمور الوقت أخذت حركة الشبان الجزائريين شكل حركة إصلاحية تدعو إلى قيام نهضة عربية في الدول الاسلامية"⁽⁴⁾.

يبرز دور هؤلاء منذ 1892، عند مشاورتهم في المسألة الأهلية، أو مسألة وضعية المجتمع الجزائري المسلم، وطريقة انسجامه مع السلطة الاستعمارية أو طرق محاولة دمجها حسب السياسة الاستعمارية، فكان المحامي بوضرية، والترجمان بوقطوي وبن بريهمات، والدكتور مرسللي الذين حصلوا على فرصة التحدث مع جول فيري أثناء زيارته للجزائر على رأس لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي 1892⁽⁵⁾ لدراسة المسألة الأهلية، وقد احتج الشبان الجزائريون على مظالم الادارة وتحدثوا عن مشاكل المواطنة والتمثيل البرلماني للمسلمين⁽⁶⁾ وظهرت مطالبهم في شكل عرائض باللغتين العربية والفرنسية، مواضعها حول الحرمان والقوانين الاستثنائية وثقل

(1) عبد الرحمن (عواطف)، الصحافة العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص: 31.

(2) أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 02، المرجع السابق، ص: 115.

(3) محفوظ (قداش) وجيلالي (صاري)، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، المرجع السابق، ص: 21.

(4) عمار (بوحوش)، المرجع السابق، ص: 206.

(5) بدأت هذه اللجنة عملها في الجزائر من تاريخ 19 أبريل 1892 واستمر لمدة 53 يوم؛ أي إلى غاية 4 جوان 1892، قطعت خلالها مسافة 4000 كلم، وجمعت آراء والتماسات الأوروبيين والمسلمين في حوالي 102 مركزا من بينها 89 قرية من قرى الاستيطان، حاول جول فيري أن يستمع لأقوال غير أقوال السياسيين وعمد لضمان ذلك على تخطيط مسار الرحلة بنفسه للإفلات من مناوراتهم. ينظر: شارل روبر (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج 01، المرجع السابق، ص: 819.

(6) محفوظ (قداش) وجيلالي (صاري)، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، المرجع السابق، ص: 21.

الضرائب أساليب تحصيلها، كما طالب المسلمون بحق تعليم أبناءهم اللغة العربية في المدارس، وأن يكون لهم ممثلون في المجالس النيابية⁽¹⁾، وكانت تلك العرائض بداية للعمل الجماعي ونواة لتشكيل حركة الشبان الجزائريين.

لا يمكن أن نتوقف عند حركة الشبان للمطالبة بالتمثيل والعمل السياسي، فزيادة الوعي الوطني داخل المجتمع الجزائري المسلم دفعه للمطالبة بالتمثيل والنشاط السياسي، وإعطاءهم حريات للدفاع عن مصالحهم ومواجهة الحملة الاعلامية والسياسية الاستيطانية، فقد ذكر جول فيري أن لجنته استقبلت بحفاوة كبيرة من الأعيان وحركة الشبان "كما لو كانوا مبعوثين من العناية الإلهية"⁽²⁾، ولاحظ الجنرال لارشي في تقريره لسنة 1899 أن الجزائريين كانوا مستعدين بشكل واضح للنشاط السياسي "المؤامرات والاضطرابات التي جرت في الجزائر قد جعلت العرب يتشاورون فيما بينهم أكثر من أي وقت مضى للقيام بنشاط سياسي، إنهم الآن مستعدون للتأمر"⁽³⁾، ولهذا ستجد حركة الشبان دعما من المجتمع الجزائري وستجمع الآلاف التوقيعات من العديد العرائض.

ويقول عمار بوحوش عن نشاط ودور حركة الشبان في الدفاع عن حقوق المسلمين وفي الميدان الثقافي: "إن قادة حركة الشبان الجزائريين كانوا يقومون بنشاط هائل في الميدان الثقافي، وفي المدن الكبرى بالذات لأنهم كانوا يجيدون اللغة الفرنسية ويختلطون بالمفكرين الفرنسيين ويدافعون على مبادئ تتمثل في التقدم والرقي وحصول الجزائريين على حقوقهم السياسية... لكن مواقفهم السياسية ومعارضتهم العلنية للسياسة الفرنسية في الجزائر ظهرت بوضوح في عام 1908 حين أصدر مرسوم بتاريخ 17 جويلية 1908 ينص على إحصاء الشبان الجزائريين الذين بلغوا سن الثامنة عشر وذلك بقصد تجنيدهم في الجيش الفرنسي"⁽⁴⁾، وسيكون لمسألة التجنيد أثر كبير في بروز حركة الشبان وزيادة نشاطها السياسي.

إن نشاط حركة الشبان الجزائريين تزامن مع حراك شعبي ووعي وطني، فانتشرت الاضرابات والمظاهرات السياسية ورفع العلم الوطني لأول مرة سنة 1910، فيقول المؤرخ الجزائري سعدالله: "ففي سنة 1910 حمل الجزائريون أثناء إضراب العلم الوطني، لأول مرة حسب معلوماتنا، وساروا به في مظاهرة شعبية استنكروا فيها

(1) شارل روبر (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج01، المرجع السابق، ص: 816.

(2) أبو القاسم (سعدالله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج02، المرجع السابق، ص: 98.

(3) المرجع نفسه، ص: 98.

(4) عمار (بوحوش)، المرجع السابق، ص: 203.

الحكم الفرنسي، وطالبوا بالحرية، وقد نظّم الإضراب العمال الجزائريون، والأجانب في ميناء سكيكدة ثم تظاهر المشتركون، وألقوا الخطب واستنكروا الحكم الفرنسي، وأعلنوا مطالبهم⁽¹⁾.

وفي عام 1913 تمكن قادة حركة الشبان الجزائريين من التفاهم والتحالف مع شخصية جزائرية مرموقة على الساحة السياسية الفرنسية والمتمثلة في شخصية الأمير خالد الهاشمي حفيد الأمير عبد القادر الذي كان بدوره يلقي محاضرات في باريس ويطلب بإدخال إصلاحات سياسية على نظام الحكم في الجزائر وعندما تسلّم منصب مسؤول الإعلام فيها قام بدور إيجابي حيث تقرر يوم 2 أبريل 1914 من تشكيل الاتحاد الفرنسي الأهلي L'union Franco-indigène الذي كان القصد منه إقامة تعاون بين فرنسا والعرب⁽²⁾، وسيكون لهذا الاتحاد وزن على الساحة السياسية بعد الحرب العالمية الأولى بقيادة الأمير خالد الهاشمي.

2- الظروف الخارجية:

ساهم موقع الجزائر وظروفها وانتمائها الفكري والحضاري في تأثر نهضتها الفكرية ووعيها الوطني بظروف خارجية سنتوقف عند أكثرها تأثيراً ومنها فكرة ومشروع الجامعة الإسلامية، والحركة الإصلاحية بقيادة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وانتشار الصحف والجمعيات في المشرق وفرنسا وتأثيرها في المجتمع الجزائري المسلم.

1-2 الجامعة الإسلامية: كان لفكرة الجامعة الإسلامية أو مشروع الوحدة الإسلامية أثر في النخبة الجزائرية ذات التوجه الإصلاح الديني، وفي المجتمع الجزائري من خلال مطالعته لمقالات جريدة العروة الوثقى، وقد نُظر للجامعة الإسلامية على أنها الفكرة المخلصة من الاستعمار وترجع للدين هيبته وتقف في وجه التوسع الأوروبي، ويعرّف أبو القاسم سعد الله الجامعة الإسلامية على أنها "حركة تدعو إلى تضامن المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة بينهم في وجه التوسع الأوروبي، أما وسائلها فتقوم على الإصلاح الديني والاجتماعي، وذلك بتمجيد العقل والعودة إلى مذهب السلف...ومن الشائع أن هذه الحركة قد بدأت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر"⁽³⁾، فمشروع توحيد المسلمين ازدوج بين حركة الإصلاح في الدولة العثمانية لاسترجاع مجد الخلافة وبين مشروع جمال الدين الأفغاني.

⁽¹⁾ أبو القاسم (سعدالله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص: 108.

⁽²⁾ عمار (يوحوش)، المرجع السابق، ص: 206-207.

⁽³⁾ أبو القاسم (سعدالله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص: 109.

إن الاستعمار الفرنسي كان يتابع بجدية الأفكار الناشئة وتسربها، ولهذا في سنة 1881م أدرجت عبارة الجامعة الإسلامية في القاموس السياسي الفرنسي كمصطلح يشير إلى "سياسة السلطان عبد الحميد، وإلى مقاومات أو تحريشات الشعوب الإسلامية ضد أوروبا، وقد استغلت القوى السياسية الغربية هذه التسمية الغامضة إما للتحذير الرأي العام العالمي أو لتبرير الاستلاء على مزيد من المناطق الجديدة... مع بداية القرن العشرين صارت هذه التسمية تطلق على الحركة الجديدة التي تجلت في يقظة الشعب التي امتد إليها الإسلام، وقد استعملت كذريعة لإثارة المزيد من التخوفات أو لتبرير المزيد من الهجمات"⁽¹⁾، فكرة الجامعة الإسلامية ظهرت في إطار إصلاحات الدولة العثمانية من أجل توحيد المسلمين ومواجهة الحركة الاستعمارية، ثم تطوّرت هذه الفكرة على يد جمال الدين الأفغاني.

أنشأ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده جريدة العروة الوثقى في فرنسا لنشر فكرة الجامعة الإسلامية وتوحيد المسلمين، وحسب ما نشر في الجريدة فإن الوحدة الإسلامية تتمثل في توحيد سياسيا "الرقعة الجغرافية الواحدة التي تمتد من على شواطئ الأطلسي غربا إلى تخوم الصين شرقا، ومن قازان شمالا إلى سر نديب الواقعة تحت خط الاستواء جنوبا، ففي هذه الرقعة التي يسكنها شعوب مختلفة ولكن كلها تنفياً تحت ظلال الإسلام وتجمعها عقيدة واحدة"⁽²⁾، لكن اختلفا بين العالمين حول أساليب تحقيق هذا المشروع فكانت نظرة محمد عبده هو توعية المجتمع بنشر الصحف وإنشاء الجمعيات وتأسيس المدارس، بينما الأفغاني يرى أن المشروع يحتاج إلى أموال ضخمة وسلطة سياسية قوية وبالتالي مسألة الخلافة هي الأهم في تحقيق مشروع الجامعة الإسلامية.

يهمنا في هذا المقام مدى تأثير هذه الأفكار في الجزائر؟ فيرى أبو القاسم سعد الله أن الجامعة الإسلامية قدمت "للحركة الوطنية الجزائرية أشكالا مختلفة منها تصورات جديدة وأفكار حول أساليب النضال من خلال الكتب والصحافة، وثانيا شجعت الجزائريين المهجرة نح المشرق، وثالثا: التعريف بالقضية الجزائرية من خلال مهاجمتها للحكم الفرنسي وتشجيع الجزائريين على رفض التجنيس"⁽³⁾، فأسلوب محمد عبده كان الأكثر تأثيرا لإمكانية تجسيده في الواقع وإمكانيات متفاوتة.

(1) شارل روبر (أجران)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج02، المرجع السابق، ص: 497-498.

(2) جمال قنان، «نظرة حول حركة الإصلاح الإسلامي والجامعة الإسلامية في القرن التاسع عشر»، مجلة المصادر، ع11، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2005، ص: 46.

(3) أبو القاسم (سعدالله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج02، المرجع السابق، ص: 119.

غير أن مشروع الجامعة الإسلامية أو تحقيق الوحدة الإسلامية التي دعا لها جمال الدين الأفغاني باءت بالفشل وهذا باعتراف منه كتبه في رسالته لأحد أصدقائه في إيران عبّر فيه عن حسرته في فشل مختلف مشروعاته الوحدوية، " وباختفاء الشيخ جمال الدين الأفغاني فقدت الجامعة الإسلامية روحها وقلبها النابض لتحوّل إلى مجرد وعاء أجوف أفرغ من محتواه"⁽¹⁾، في المقابل كان انتشار هذه الأفكار أثر في تحريك أقدام العلماء واهتمام النخبة العربية والإسلامية بما في ذلك الجزائريين لمناقشة قضايا العالم الإسلامي والحلول المقترحة لحل مشاكله.

2-2 الجمعيات والصحف الخارجية وعلاقتها بالمجتمع الجزائري :

كانت الصحف والجرائد التي تصل إلى الجزائر أكثر تأثيراً في بعث النهضة الجزائرية خاصة بعد احتكاك الجزائريين بها وبالجمعيات الناشئة التي ساهم الجزائريين في ظهورها، فمثلاً في جوان 1907، أسس مجموعة من المثقفين المسلمين في باريس جمعية الأخوة الإسلامية، وهي جمعية تخضع لقانون 1901 يعرّف عنها مؤسسوها بأنها "جمعية تربية وتعليم إسلامية"، وقد ألزمت نفسها بهدف تقديم العون والمساعدات الخيرية، أنشأت الجمعية مكتبة تابعة لها متعددة اللغات: لغات الإسلام الأساسية العربية والتركية والفارسية، ولغات الدراسات الإسلامية، وأعلنت عن إصدار نشرة وعن نشاطاتها الأساسية، وهي تنظم حلقات تفكير ونقاش حول الإسلام، ونظمت المحاضرات بصورة منتظمة⁽²⁾، وهي المحاضرات للتعريف بالإسلام ومعالجة مشاكل المسلمين.

وإذا نظرنا اتجاه المشرق نأخذ مثال آخر؛ فقد أسس الشيخان صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي جمعية الأخوة الجزائرية - التونسية في اسطنبول سنة 1910، وكان لها فرع في دمشق ينشط بين المهاجرين الذين كان أغلبهم من الجزائر، ولها فروع أخرى في بلاد الشام والحجاز ولاسيما فرع المدينة المنورة، وأسس كذلك الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد تنظيم باسم الاتحاد المغاربي، وكان مقره في الاسكندرية، وكان يرأسه محمد شرعي باشا، وفي سنة 1913 أنشأ الشيخ المكّي بن عزوز في المدينة المنورة جمعية الشرفاء، وكانت تعمل على نشر أفكار الجامعة الإسلامية⁽³⁾، وإنشاء هذه الجمعيات من طرف الجزائريين والمغاربة بصفة

(1) جمال (قنان)، «نظرة حول حركة الإصلاح الإسلامي والجامعة الإسلامية في القرن التاسع عشر»، المرجع السابق، ص: 59.

(2) صادق (سالم)، فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية 1895-2005، ط01، تر: زهيدة درويش جبور، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2012، ص: 63.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 602-603.

عامّة لتكون قناة تواصل بين المهاجرين من جهة، ومن جهة أخرى أدركوا القيمة الثقافية والفكرية لهذه التنظيمات.

انتشرت الصحف بشكل واسع في العالم خلال القرن التاسع العاشر، فتكتب جريدة الهلال المصرية: "أما عدد الجرائد في سائر أقطار المسكونة الآن (سنة 1895) فيزيد عن سبعين ألفاً بين سياسية وأدبية وعلمية وطبية وزراعية وفي مواضيع أخرى مختلفة وفي أمريكا وحدها من هذه الجرائد نحو ثلثها أي 23 ألف جريدة"⁽¹⁾، غير أن ظهور الصحف في العالم الإسلامي تأخر؛ فأول جريدة عربية⁽²⁾ أنشأها محمد علي باشا تعرف باسم (الوقائع المصرية)، ثم تلتها بعد ذلك (حدائق الأخبار) وهي جريدة عثمانية رسمية تصدر في الديار السورية، ثم جاء بعد ذلك جريدة الرائد التونسي⁽³⁾، وفي كتابات أخرى تعتبر المبرش الجريدة الثالثة.

أخذت الجرائد تتعدد في الستينيات من القرن التاسع عشر في مدينة بيروت فأنشأت مجلة المقتطف العلمية وجريدة لسان الحال، والمصباح وغيرها، والجرائد الرسمية للولاية العثمانية كالغرات في مدينة حلب، والزوراء في بغداد، وفي الديار المصرية صدرت جريدة وادي النيل، ثم جريدة روضة الاسكندرية، والأهرام، والوطن، والكوكب المصري، وجريدة مصر في القاهرة، وكانت هذه الجرائد ذات طابع سياسي⁽⁴⁾.

جاءت بعد هذه الجريدة صحف كثيرة وأكثرها تأثيراً (العروة الوثقى) لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، التي تأسست في باريس في 13 مارس 1884، وتوقفت في 16 أكتوبر 1884، وقد أصدرت ثمانية عشر عدداً، وقد صدرت هذه الجريدة بعد الاحتلال البريطاني لمصر 1882، واحتل قبله الهند 1857 وإيران وافغانستان سنة 1868⁽⁵⁾، وقد قاد الأفغاني حملة ضدّ التوسع البريطاني في العالم الإسلامي، وبعد العروة الوثقى صدرت جريدة المنار في 22 شوال 1315هـ سنة 1898م واستمرت إلى غاية 1935⁽⁶⁾ وكانت تهدف إلى إصلاح العقيدة ومحاربة البدع والخرفات ونشر التربية والتعليم وتدعيم اللغة العربية الفصحى كما

(1) ميخائيل (سراباتا)، «أقدم جريدة»، جريدة الهلال، ع22، السنة الثالثة، 15 جويلية 1895، ص: 863.

(2) يرى أديب مروّة أن أول صحيفة عربية هي جريدة التنبيه التي أصدرها نابليون بونابرت 1800، أما الوقائع المصرية فهي ثاني الجرائد التي صدرت عام 1828. ينظر: أديب (مروّة)، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1960، ص: 142.

(3) الجرائد العربية في العالم، جريدة الهلال، ع01، السنة الأولى، مصر، 1 سبتمبر 1892، ص: 09.

(4) المصدر نفسه، ص: 10.

(5) أنور (الجندي)، تاريخ الصحافة الإسلامية، ج01، دار الأنصار، مصر، 1983، ص: 18-19.

(6) المرجع نفسه، ص: 30.

دعت المنار البلاد الاسلامية إلى الاستفادة من العلوم الحديثة لأوروبا⁽¹⁾، وكانت المنار والعروة الوثقى الأكثر تأثيراً ثقافياً في النخب المسلمة.

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار الصحف تطوّر عدد المطابع بالعالم الإسلامي؛ ففي مصر مثلاً نهاية القرن التاسع عشر يوجد بها "مطبعة الهلال 1890" التي صدرت عنها مجلة الهلال بجهود جورجى زيدان، ومطبعة المقتطف 1885 المشهورة بإصدار مجلة المقتطف ليعقوب صرف وفارس نمر، ولا يمكن أن نتجاهل بالطبع محمد رشيد رضا الذي أصدر مجلة المنار عام 1898 من مطبعة المؤيد ومطبعة المنار⁽²⁾.

والجريدة التي أظهرت كثيراً من الاهتمام بتطورات الجزائر هي جريدة (الحاضرة) التونسية التي كان يصدرها في تونس علي بوشوشة من أصول جزائرية، وكانت هذه الجريدة مهمة بالقضايا العربية والاسلامية، وقد عاشت أكثر من عشرين سنة (1888-1911)، وكانت الحاضرة تنقل عن الصحف الفرنسية حول الجزائر، ولاسيما التي تطالب بمعاملة الأهالي⁽³⁾.

وفي تقرير لوسيانى سنة 1899 يقول: "إن الصحف التركية الصادرة بالعربية: المعلومات، التي تصدر في القسطنطينية، وثمرة الفنون التي تصدر في بيروت، والسلام التي تصدر في الاسكندرية، تدخل للجزائر وتقرأ بشكل واسع، وقد تحصلت (تقدير لوسيانى) أنا شخصياً بكل سهولة على أعداد وافرة منها، ومن جهته يشير نائب عمالة الجزائر في المدية إلى أن كثير من الجزائريين يشتركون للحصول على هذه الصحائف، وأنها تصلهم باستمرار"⁽⁴⁾، وقد تابع المجتمع الجزائري تطورات الدولة العثمانية عبر هذه الجرائد، واهتموا بموضوع الهجرة إلى مناطق الدولة العثمانية.

اهتمت الصحافة المشرقية بالقضايا الجزائرية؛ ففي سنة 1908 مثلاً أحدثت جريدة اللواء ضجة عنيفة ضدّ التصريحات والقرارات الرجعية التي أصدرتها اللجان المالية في مسألة تعليم الأهالي، أثارت هذه الدعاية مخاوف الحكومة العامة، وكذا المؤتمر الكولونيالى المنعقد في سنة 1908، وبالرغم من تعزيز الرقابة في سنة 1908 وحظر توزيع صحيفة اللواء... إلى أن الصحافة المصرية لم تنقطع عن الوصول للجزائر⁽⁵⁾، كما

(1) ذكرت هذه الأهداف في مقدمة طبع مجلة المنار: مجلة المنار، المجلد الأول، ط02، دار الوفاء، مصر، (د.ت)، ص: 01-02.

(2) توشيو (كي تاكيدا)، «جهود رواد النهضة والجماع اللغوية في إحياء اللغة العربية وتحديثها في العالم العربي الحديث»، مجلة دراسات العالم الإسلامي، ج05، ع02-01، جامعة كيوتو، اليابان، فيفري 2012، ص: 34.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 606-607.

(4) عمار (هلال)، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1917)، المرجع السابق، ص: 238.

(5) شارل روبيير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج02، المرجع السابق، ص: 508.

تأثرت الصحف الجزائرية بها ونقلت عنها مقالات، فمثلا جريدة الهلال الجزائرية كانت تنشر مقتطفات من جريدة اللواء لسان الحزب الوطني المصري بقلم لطفي جمعة شبه فيه الأغنياء بخنازير البشر لتعلق بأن رأي الكاتب المصري ينطبق على أكثرية الأغنياء من المسلمين عموما والجزائريين خصوصا⁽¹⁾.

تعتبر مسألة أصل سكان شمال افريقيا من القضايا التي عالجتها الصحف المشرقية كرد على الكتابات الفرنسية التي حاولت ربط سكان شمال افريقيا بالأجناس الأوروبية، ومن الجرائد المشرقية التي عالجت هذا الموضوع في سنة 1897 جريدة البيان في عددها الثالث، فكتب فيها ما نصه: "وقد اختلف النسابون في أصل البربر فمنهم من قال إنهم من أبناء كنعان ابن حام رحلوا عن فلسطين بعد اجتياح العبرانيين لها في عهد داود عم وقال بعضهم أن النعمان بن حمير بن سبأ بعث قوما من رجاله ليعمروا المغرب منهم يمانيون ومصريون وحميريون، وأهل زناتة وصنهاجة ينتسبون إلى حمير"⁽²⁾ وبالتالي هذه الجريدة تثبت أن أصل سكان شمال افريقيا عربي وإن كان الاختلاف حول طريقة وصولهم لشمال افريقيا.

ورغم الرقابة الرسمية فإن الصحافة والكتب العربية الشرقية كانت تجد طريقها إلى الجزائر، ومن عادة هذه الصحافة أن تحمل دعاية لصالح الجامعة الإسلامية وضدّ الحضور الفرنسي، وفي أحوال كثيرة كان المهاجرون الجزائريون محررين ومساهمين في هذه الصحافة، وكان الهجوم على فرنسا في هذه الصحافة مركزا على معاملتها للإسلام والعروبة في الجزائر، كما كانت هذه الصحافة تدعو الجزائريين إلى رفض التغريب، وإلى الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية كمسلمين في وجه إمكانية التجنس⁽³⁾.

من الصحف العربية التي صدرت بفرنسا ووصلت أعدادها للجزائر جريدة المرصد التي تقول عنها جريدة الحق العنابي "وردت إلينا جريدة المرصد الغراء التي لها باريز مركزا ومحررها حضرة يوسف افندي الحاج، وقد أشرنا إليها في العدد السادس عشر وهي جريدة سياسية أدبية عمومية مدافعة عن الحقوق المصرية تصدر في كل منتصف شهر بقيمة الاشتراك عشرون فرنك، المراد من قرائنا الورود والإقبال على هات الصحيفة فإنها متضمنة جميع الحوادث ومن أراد السؤال عنها فعليه بإدارة جريدة الحق"⁽⁴⁾ وهو ما يدل على التواصل بين جريدة الحق العنابي والجرائد الخارجية.

(1) جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص: 91-92.

(2) إبراهيم (اليازجي)، «البربر»، البيان، ع03، مصر، 1 ماي 1897، ص: 112.

(3) أبو القاسم (سعدالله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج02، المرجع السابق، ص: 116.

(4) حوادث خارجية، جريدة الحق، ع18، السنة الثانية، 28 جانفي 1894.

2-3 النهضة والحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي:

يعتمد أغلب المؤرخين الحملة الفرنسية على مصر 1798م بداية للنهضة العربية خاصة مع سياسة محمد علي الذي أراد أن يستفيد بمنتجات الحضارة الغربية وتطورها الفكري "وابتداء من 1826 أخذت البعثات ترسل إلى فرنسا بانتظام، فكان أعضاؤها يقرأون الكتب الفرنسية ويشاهدون الحياة الفرنسية"⁽¹⁾، ومن الذين اشتهروا في عصر النهضة رفاة الطهطاوي رائد النهضة العربية الحديثة، حيث تزعم حركة الترجمة ونشر الثقافة والعلم وتحرير الصحف وتغذيتها بالمقالات الثقافية والعلمية، ومن تلك الجرائد صحيفة (الوقائع المصرية)، ومجلة (روضة المدارس) التي كانت تهتم بالمواضيع العلمية والأدبية والأبحاث⁽²⁾.

وفي تونس ظهر محمد بيرم الخامس، وعندما تحدثنا في الفصل الثالث عن كتاب أوضح الدلائل في إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، أن صاحبه دعا الإدارة الاستعمارية لاعتماد كتب رفاة الطهطاوي ومحمد بيرم الخامس لدعوتها الحداثية وللإستفادة من الحضارة الغربية، ومن جهة أخرى تبين لنا تسرب كتب النهضة الفكرية العربية للجزائر، وفي آخر القرن التاسع عشر ظهرت النهضة وحركة الإصلاح في تونس على يد الطاهر بن عاشور ونخبة من العلماء الذين أسسوا الجمعية الخلدونية، ولم يخرج منهج الإصلاح الطاهر بن عاشور على المنهج الإصلاحى لمحمد عبده "إن محمد عبده كان له عظيم الأثر في المنهج الإصلاحي للإصلاحيين التونسيين، وبخاصة ابن عاشور الذي تعمق فيه ذلك الأثر، وأصبح صدى للمؤسسة الإصلاحية المصرية"⁽³⁾.

وإذا كان النصف الأول للقرن التاسع عشر برز فيه علماء النهضة والحداثة فإن النصف الثاني تميز بحركة الإصلاح الديني، وإن كان بينهما اختلاف في المنهج والتصور فإن الهدف واحد وهو الخروج من حالة التخلف ومواجهة السيطرة الاستعمارية والهيمنة الغربية، وقاد حركة الإصلاح جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وقد تصاحبا في مصر لمدة ثمانية سنوات، كان الأفغاني يدعو تلاميذه على "اقتحام ميدان الكتابة وإنشاء الصحف ومعالجة قضايا الأمة والدفاع عن مصالحها"⁽⁴⁾، وبرفقته ظهر محمد عبده الذي قال عنه: "أول من نادى بالإصلاح الديني علما وعملا نداء سمعه العالم الإسلامي كله في عصرنا هذا هو الأستاذ الامام الشيخ

⁽¹⁾ ألبرت (حوراني)، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، تر: كريم عرقول، دار النهار للنشر، بيروت-لبنان، 1968، ص: 75.

⁽²⁾ سيف الإسلام (الزبير)، المرجع السابق، ص: 77.

⁽³⁾ جمال محمود أحمد (أبو حسان)، «الإمام محمد الطاهر بن عاشور سيرة ومواقف»، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، ع02، جامعة آل البيت، الأردن، 2009، ص: 60.

⁽⁴⁾ جمال (قنان)، «نظرة حول حركة الإصلاح الإسلامي والجامعة الإسلامية في القرن التاسع عشر»، المرجع السابق، ص: 28.

محمد عبده، وأول من قام بخدمته بنشرة اسلامية عالمية هو تلميذه حجة الاسلام السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار⁽¹⁾.

تابع الجزائريون هذه الأفكار والحركات؛ فيقول جمال خرشي: "كانت فئة عريضة من الجزائريين تهتم بما يحدث في تركيا من نهضة وفي مصر من حركة وطنية وقومية بالتوازن مع حركة النهضة الاسلامية بقيادة شكيب ارسلان ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني... أثرت هذه الأطروحات على بعث الوعي القومي الوطني للشعب الجزائري"⁽²⁾.

ومن العوامل الخارجية التي أثرت في النهضة الجزائرية هجرة الجزائريين نحو المشرق وتأثرهم بحركة محمد عبده "حركت أقلام النهضة الفكرية في المشرق العربي أوتار قلب الأمة العربية في الجزائر، وأثارت فكرها، فظهرت حركة هجرة واسعة النطاق، هجرة متعلمين متعطشين لها حرموا من الثقافة نحو مختلف البلاد العربية، وخاصة مصر وتونس والمغرب، وكانت نتيجة هذه الهجرة ظهور نهضة ثقافية قومية"⁽³⁾.

وإلى جانب تأثير الصحافة والجمعيات الاسلامية والعربية في النهضة الفكرية والاصلاحية بالجزائر، فقد كان لجامع الزيتونة والأزهر تأثير كذلك فالطلبة الذين سافروا للتعلم رجعوا للجرائد وساهموا في الحركة الاصلاحية، بل يجعل أحمد توفيق المدني علاقة مباشرة بين هجرة الجزائريين للتعلم في الزيتونة والأزهر وبين النهضة الفكرية في الجزائر فيقول: "عصر النهضة العربية بالجزائر نبغ فيه العدد الكبير من الأدباء والكتاب والعلماء منهم من تخرج من الكلية الزيتونية العامرة بتونس، ومنهم من تخرج من المدارس الحكومية الثلاث، ومنهم من ارتوى من مناهل المشرق كالأزهر الشريف ومساجد الحجاز والشام"⁽⁴⁾، وبالتالي فقد ساهمت عوامل خارجية عدّة في بعث النهضة الثقافية في الجزائر بداية القرن العشرين.

(1) عبد الحميد (بن باديس)، «الإصلاح أمس واليوم»، البصائر، ع10، السنة الأولى، 13 مارس 1936.

(2) جمال (خرشي)، المرجع السابق، ص: 362.

(3) الوضعية الثقافية في الجزائر، مجلة دعوة الحق، ع09، وزارة عموم الأوقاف، الرباط-المغرب الأقصى، مارس 1958، ص: 50.

(4) أحمد توفيق (المدني)، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص: 96.

ثانياً: الصحافة وروادها:

الصحافة⁽¹⁾ من صناعة الصحف، والصحف جمع صحيفة، وهي قرطاس مكتوب، والصحافيون: القوم الذين ينتسبون إليها ويشتغلون فيها، والمراد بالصحف سنة 1913 "أوراق مطبوعة تنشر الأنباء والعلوم على اختلاف مواضيعها بين الناس في أوقات معينة، فإن فيها من تواريخ الأول وأخبار الدول وفكاهات الروايات وغرائب الاكتشافات وأسعار التجارة وفنون الصناعة وضروب الانتقاد وشؤون الاقتصاد وأخلاق الغرباء وعادات البعداء ما يغني عن التوجه إلى بلادهم ومخالطة شعوبهم والوقوف على أحوالهم، ولذلك عوّل الفضلاء على إنشاء الصحف بحيث أصبح سكان أقاصي المشرق يصل إليهم خبر أقاصي المغرب أقرب حين بعد أن كانت الأنباء تتجاوز الأيام العديدة للوصول من مكان إلى مكان آخر مجاور له"⁽²⁾، وأهمية الصحافة في العصر الحديث كما تذكر جريدة الهلال "أما في التمدن الحديث فنراها عنوان الحضارة ودليل المدنية"⁽³⁾، ويضيف ابن شعبان عن الصحافة "هي أكبر عامل من عوامل النهوض وبها لا سواها فازت الأمم ونالت مناهها وأحرزت غايتها وما تصبوا إليه من سعادة وهناء بعد شقاء وعناء"⁽⁴⁾، ولم يفرق العرب في بداية نشأة الصحافة بين الصحيفة والجريدة والمجلة، وأغلبها كانت أسبوعية أو نصف شهرية أو كل شهر أو أكثر، ويرجع الاختلاف في نقص الطباعة وتكاليفها.

بدأ تاريخ الصحافة الحديثة في الجزائر مع بداية الاستعمار؛ حيث عرف الجزائريون فن الصحافة في عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر، ولم يرحب به الجزائريون في بداية الأمر لأسباب منها: أن هذه الصحف كتبت بلغة لا يفهمها إلا قلة من الجزائريين، يضاف إلى ذلك أن هذه الصحافة كانت تهتم بشؤون الغزاة من إدارة وجيش ومعمرين، كما أن الجزائريين لم يسبق لهم ومارسوا فن الصحافة⁽⁵⁾، غير أن هذه النظرة تغيرت مع مرور الزمن؛ فقد "تفطن المثقفون والمستثمرون ورجال الإصلاح ورجال السياسة ورجال الدين ورجال الزوايا

(1) أول من استعمل لفظة الصحافة بمعناها الحالي، كان الشيخ نجيب الحداد منشئ جريدة لسان العرب في الاسكندرية، وكانت الصحف في أول عهدها تسمى الوقائع كما دعاها به رفاة بك الطهطاوي، ولما أنشأ خليل الخوري حديقة الأخبار أطلق عليها لفظ جرنال رغم أن جريدته كانت أسبوعية، وقد اختلف في التسمية بين الجرائد اليومية أو الأسبوعية، وبين الجريدة والمجلة، فاختر الكونت رشيد الدحداح اللبناني صاحب جريدة بريجس باريس لفظة صحيفة، وجرى مجراه أكثر أرباب الصحف في ذلك العهد وبعده. ينظر: فليب (دي طرازي)، «الصحافة»، مجلة الزهور، ع06، مصر، 1 أكتوبر 1913، ص: 312-313.

(2) المصدر نفسه، ص: 312.

(3) الجرائد العربية في العالم، جريدة الهلال، ع01، السنة الأولى، مصر، 1 سبتمبر 1892، ص: 09.

(4) مصطفى (بن شعبان)، «الصحافة العربية ما لها وما عليها»، مجلة الشهاب، ع68، السنة الثانية، نوفمبر 1926، ص: 05.

(5) سيف الإسلام (الزبير)، رواد الصحافة الجزائرية، ط01، مطابع دار الشعب، القاهرة-مصر، 1981، ص: 09-10.

الجزائريون جميعا منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى ضرورة تسخير الإعلام لتبليغ رسالتهم خصوصا إلى المحتل الفرنسي؛ أي الشروع في المقاومة الفكرية بواسطة تلك الكتابات من جهة أخرى، ولعل الأهمية الكبيرة التي يتخذها الإعلام لباسا له تمثل في سرعة رد فعل المحتلين الفرنسيين إزاء الكتابات الصحفية الوطنية التي كانت تجهر بالرأي الذي يخالف عن رأيهم⁽¹⁾، ولهذا تاريخ الصحافة في الجزائر بالنسبة للجزائريين تنقسم إلى ثلاث مراحل هي: المرحلة الأولى من 1830 إلى 1882 تاريخ انشاء جريدة المنتخب غير الحكومية، وقد عمل الصحفيون الجزائريون كموظفون أو كتاب في الصحافة الرسمية الكولونيلية، ثم المرحلة الثانية من 1882 إلى غاية 1914، في هذه المرحلة أغلب الصحف مديرها فرنسي، والكتاب والمسكرون جزائريون، والمرحلة الثالثة ما بعد الحرب العالمية الأولى؛ حيث أخذت صحافة الجزائريين الاستقلالية في الاشراف والتسيير والتدوين، بعدما سمح القانون بذلك.

أصدرت أول جريدة في الجزائر ناطقة باسم الإدارة الاستعمارية في السنة الأولى من الاحتلال عرفت بـ (بريد الجزائر جريدة سياسية وتاريخية وعسكرية)، ظهر أول عدد منها في جويلية 1830، "وتعتبر صحيفة بريد الجزائر Estafette d'Alger أول تجربة صحيفة في شمال إفريقيا حيث عرف لأول مرة آلة الطباعة وصناعة الصحافة"⁽²⁾، والهدف من إنشائها مخاطبة الرأي العام الفرنسي والتعريف بهدف الحملة وفوائدها، والدفاع عن موقف الحكومة أمام المعارضة التي نددت بالحملة، وقد حدّد لها مكان مفترض يكون إما على ضفاف نهر الحراش أو في قصر الداوي، أو على أحد الشواطئ وعين رئيس تحريرها السيد ميرل⁽³⁾، وبعد توقفها ظهرت جريدة المرشد الجزائري في 27 يناير 1832 وهي جريدة رسمية كذلك فكانت تنشر القرارات، ثم خلفتها جريدة رسمية أخرى سنة 1834 تسمى (النشرة الرسمية لعقود الحكومة)، وكان الهدف من تأسيسها هو "ضبط الطريقة التي تنشر بها القرارات سواء من طرف الوالي العام⁽⁴⁾ أو المصالح الأخرى... وكانت

(1) عبدالمالك (مرتاض)، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 رصد لصور المقاومة في الشعر الجزائري، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2003، ص: 65.

(2) عبدالرحمن (عواطف)، الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 25.

(3) أمحمد (عميرواي)، «صحيفة ورقة خبور الجزائر مصدر نادر في سياسة فرنسا الإعلام»، مجلة المصادر، ع11، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2005، ص: 240.

(4) أطلق اسم الوالي العام في فترة الحكم المدني بداية من 1870، وقبل هذا التاريخ يسمى من يحكم الجزائر الحاكم العام. وبعض الكتاب يستعملون مصطلح الوالي العام في كل فترة.

القرارات الرسمية تنشر في هذه النشرة الرسمية باستمرار حتى عام 1858 حيث تغير اسمها إلى النشرة الرسمية للجزائر والمستعمرات⁽¹⁾، وفي الوقت نفسه أسست الإدارة الاستعمارية جريدة المبرشر 1847 باللغة العربية. وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر وهو الذي ظهرت فيه "بذور النهضة الثقافية في بلادنا ظهر في عالم الصحافة فوج من الصحفيين الجزائريين كتاب ومترجمين، واستمر هذا الفوج يمتحن الصحافة والتدريس طوال عشرات السنين، خلال سنوات الربع الأخير من القرن الماضي وأثناء مطلع هذا القرن⁽²⁾؛ أي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومن أبرز هؤلاء الكتاب: "أبو القاسم محمد الحفناوي، ومحمد بن مصطفى، ومصطفى الشرشالي، والعربي فحار، والعلامة بن الشنب⁽³⁾، وصحفيون آخرون سنكتب عنهم فيما سيأتي عن ذكر الصحف تفصيلا.

كما شهدت الجزائر منذ بدايات القرن العشرين نشاطا ثقافيا مكثفا فظهرت صحيفة "الاسلام والراشدي والمصباح وكوكب افريقيا... وصحيفة الفاروق وذو الفقار والجزائر... وغيرها من الصحف"⁽⁴⁾، ومن بين العوامل التي ساعدت على ظهور وانتشار الصحافة هو بروز نخبة مثقفة بالثقافة الأوروبية والتي تعلمت في المدارس الفرنسية، فيكتب جمال خرشي عن هذا الجيل: "مع مطلع القرن العشرين يظهر جيل جديد من الجزائريين المسلمين اتخذ شكلا جديدا في التعبير عن مطالبه وطموحاته، يمثل هذا الجيل نخبة من المثقفين المفرنسين، وهو نتاج سياسة فرنسا الاستعمارية تجاه الجزائر المستعمرة عهد الامبراطورية الثانية"⁽⁵⁾، وسيكون لها الجيل المثقف بالثقافة الفرنسية أثر في النشاط السياسي وفي نشأة الصحف ونمو الحركة الوطنية.

وما ميّز تاريخ الصحافة في الجزائر فترة 1882-1914 أن أغلب مدراءها من الأوروبيين المتعاطفين مع الجزائريين المسلمين، وبعض الصحف العربية أنشأتها الإدارة الاستعمارية لمواجهة تأثير الصحافة الأجنبية باستحداث صحف باللغة العربية على غرار النصيح (1899-1900)، والمغرب 1903⁽⁶⁾، رغم ذلك فقد قامت الصحف قبل الحرب العالمية الأولى بدور الأحزاب السياسية في نشر الأفكار داخل المجتمع المحلي

(1) عبدالرحمن (عواطف)، الصحافة العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص: 26.

(2) سيف الإسلام (الزبير)، المرجع السابق، ص: 151.

(3) المرجع نفسه، ص: 151.

(4) رابح (لونيسي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009، ص21.

(5) جمال (خرشي)، المرجع السابق، ص: 360.

(6) محفوظ (قداش) وجيلالي (صاري)، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، المرجع السابق، ص: 23.

الجزائري⁽¹⁾، غير أن الصحف واجهت صعوبات خاصة قلة المطابع الخاصة بالجزائريين والمستقلة عن الحكومة فلم يكن للمسلمين في الجزائر قبل الحرب العالمية الأولى سوى مطبعة واحدة⁽²⁾ هي مطبعة دار مراد رودسي⁽³⁾، كما أن القانون الفرنسي الخاص بحرية الصحافة⁽⁴⁾، الصادر في 29 جويلية 1881 لم يطبق على الجزائريين، وبما أن اللغة العربية لغة أجنبية كالإسبانية والانجليزية فإن الصحافة المكتوبة باللغة العربية صحافة أجنبية، ولهذا سنجد أغلب الصحف التي اهتمت بشؤون الأهالي كتبت بالفرنسية ووضع لها ملحق بالعربية حتى لا تتعرض لكيد الإدارة الاستعمارية، وفي العقد الأول من القرن العشرين صدرت جرائد باللغة العربية، ولهذا ساعتمد في دراسة موضوع الصحافة تصنيفها إلى قسمين هما: صحافة مزدوجة اللغة، وصحافة باللغة العربية.

1- الصحف المزدوجة اللغة:

سندرج ضمن الصحف المزدوجة، كل صحيفة مكتوبة باللغة الفرنسية لها ملحق باللغة العربية، أو لديها نسخة مترجمة للغة العربية تتضمن ما تتضمنه النسخة الأم باللغة الفرنسية، وقد استحدثت هذه الصحف لسببين هما: رغبة الاستعمار في نشر أفكار وإطلاع الجزائريين على مختلف القرارات الرسمية، ومن جهة أخرى مواجهة الصحف المشرقية باللغة العربية، والسبب الثاني أن الجزائريين لجأوا إلى فكرة الصحف مزدوجة اللغة حتى لا تتعرض للتوقيف، باعتبار أن اللغة العربية لغة أجنبية، وبالتالي تكون لغة الجريدة هي الفرنسية، ثم يترجم بعض نصوصها، ونرجح سبب آخر وهو رغبة المدراء الفرنسيين للجرائد المزدوجة في استقطاب قراء من الجزائريين وزيادة عدد مشتركيها من أجل زيادة الأرباح، وأول من لجأ إلى ازدواجية اللغة هي الإدارة الاستعمارية بإنشاء جريدة المباشّر.

⁽¹⁾Philip Zessin , «Presse et journalistes indigènes en Algérie coloniale (années 1890–années 1950)», Revue Le Mouvement Social , n° 236, publiée par l'association Le Mouvement social avec la collaboration du Centre d'histoire sociale du XXe siècle de l'université Paris , 2011, P : 35.

⁽²⁾ تطوّر عدد المطابع المسلمين بالجزائر بعد الحرب العالمية الأولى فأصبحت خمسة وهي: مطبعة دار مراد رودسي، ومطبعة النجاح بقسنطينة، والمطبعة العربية الحديثة، والمطبعة الإسلامية، ومطبعة البلاغ الجزائري بالعاصمة. نظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص: 373.

⁽³⁾ أحمد توفيق (المدني)، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص: 373.

⁽⁴⁾ صدر هذا القانون في عهد جول قريفي Jules Grévy رئيس الجمهورية، وجول فيري Jules Ferry رئيس مجلس الوزراء، يتكون من خمس فصول و70 مادة تنظم حركة الطبع والنشر، وحرية الصحافة. ينظر:

Loi sur la Liberté de la Presse de 29 juillet 1881, imprimeur Breveté, Paris, 1881.

1-1 صحيفة المبشر:

تعد الصحيفة العربية الثانية من حيث تاريخ التأسيس بعد صحيفة الواقع المصرية التي أسسها محمد علي⁽¹⁾، وهي صحيفة رسمية كانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية منذ سنة 1847⁽²⁾، وكانت في بداية أمرها تصدر مرتين في الشهر في ثلاث صفحات ذات حجم صغير، وتطبع بالطباعة الحجرية، وبداية من سنة 1850 صارت تطبع بالطباعة الآلية في حجم كبير، وبعدها في الصفحات أكثر، كما أصبحت أسبوعية، وكان الذين يقومون على إدارتها موظفون فرنسيون من الولاية العامة، يساعدهم بعض الجزائريين بتعريب جل موادها⁽³⁾، ويعلق عبدالرحمن عواصف على أسلوبها اللغوي بقوله: " وكانت النسخة العربية تعتبر ترجمة تقريبية ركيكة للنص الفرنسي من الصحيفة"⁽⁴⁾.

وسبب انشاء هذه الجريدة "أن الفرنسيين حين احتلوا الجزائر وجدوا أنفسهم مضطرين إلى انشاء صحافة تنطق باسمهم وتعبّر عن آرائهم، فتخدم بذلك أغراضهم الاستعمارية، ولما كانت لغة سكان الجزائر هي العربية، فإن المستعمرين اضطروا إلى إصدار بعض صحفهم باللغة العربية بالإضافة إلى الفرنسية كما هو الشأن لجريدة المبشر 1847-1927 التي كانت أول جريدة عربية صدرت عن الولاية العامة وكانت تنشر باللسانين، الأوامر الإدارية والتشريعات"⁽⁵⁾، ويضيف فليب دي طرازي عن سبب تأسيسها: "فشاء هذا الملك (أي لويس فيليب) أن تكون لأهلها صحيفة خاصة بهم ترشداهم إلى سبيل العلم والحضارة والزراعة والتجارة والصناعة اسوة بسائر الدول الاسلامية سيما السلطنة العثمانية"⁽⁶⁾، إذن سبب انشاءها هو إطلاع الجزائريين على القرارات الرسمية باللغة العربية بترجمة رسمية لتجنب أي ترجمة أخرى تسيء أو تخالف مضمون تلك القرارات.

⁽¹⁾Mirante (M), «La Presse périodique arabe», Actes du XIV^e Congés international des orientalistes Algérie 1905, Troisième Partie, éditeur Ernest Leroux, Paris, 1907, P : 198.

⁽²⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، المرجع السابق، ص: 221.

⁽³⁾ محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 49.

⁽⁴⁾ عبدالرحمن (عواصف)، الصحافة العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص: 27.

⁽⁵⁾ عبدالملك (مرتاض)، المرجع السابق، ص: 66.

⁽⁶⁾ فيليب (دي طرازي)، المصدر السابق، ص: 51.

أسند التحرير في الجريدة إلى كتاب جزائريين؛ منهم السيد أحمد البدوي⁽¹⁾ الذي اشتغل سكرتير التحرير بين 1850-1876⁽²⁾، وقد "استعمل أحمد البدوي جميع طاقاته الخلاقة ومقدرته في التحرير، الشيء الذي جعل الجريدة تتغير من حالة ركيكة منحطة إلى حالة تحسن وتقدم"⁽³⁾، وخلفه السيد علي بن عمر ثم ابن سماية ثم السيد محمد بن مصطفى بن خوجة ثم السيد شرشالي ومحمد بن أحمد حتى انتهت إلى الشيخ كحول سنة 1907⁽⁴⁾.

تناولت الجريدة مواضيع متنوعة إلى جانب القرارات والأوامر الرسمية التي أخذت الحيز الأكبر من صفحاتها، وقد تطوّرت مادتها المعرفية في عهد أحمد البدوي، ومن المواضيع التي عالجتها "طريقة تسمير الخيل ومعالجة أمراض حوافرها، وكيفية تربية الأغنام، وطريقة زرع القطن ومكافحة الجراد"، كما اعتنت بنشر الدراسات العلمية ونشر الأخبار والمقالات الاجتماعية، فمثلا نشرت مقالات متسلسلة من كتاب الجغرافية للشيخ رفاعة الطهطاوي، يضاف إلى ذلك نشر القصائد الشعرية والأغازي للتسلية⁽⁵⁾، ولم تكتف المبرش بذلك وما تنشره من مادة خبرية عن الجهات الرسمية الفرنسية وأخبار العالم الإسلامي، والمبتكرات العلمية والحضارية، بل كانت تنشر المؤلفات ذات الطابع المفيد أو تلك التي يتوافق موضوعها مع مشرب الجريدة، فبين يناير 1880 وأبريل 1881 نشرت المبرش كتاب (عجائب الأسفار ولطائف الاخبار) لأبي راس الناصري المعسكري⁽⁶⁾.

اهتمت المبرش برثاء بعض العلماء المتعاونون مع فرنسا وذكر بعض خصالهم مثل ما فعلت مع إمام المسجد الأعظم بالجزائر العاصمة علي بن الحاج موسى وكيل ضريح الولي الصالح الشيخ سيدي عبدالرحمن الثعالبي، وقد ذكرت الجريدة أن الامام ولد سنة 1828 بالجزائر العاصمة وزاول العلم بها، فظفر بحظ وافر من العلم مما أهله لتقليد مناصب بدايتها وظيفه حزّاب بجامع الجزائر الأعظم لمدة 15 سنة، ثم منصب مؤدب

(1) ولد سنة 1820 بالجزائر العاصمة التي تلقى بها تعليمه بالجامع الكبير، وتعلّم اللغة الفرنسية، التحق بمقاومة الأمير عبدالقادر، وأصبح كاتب سر له، وبعد انتهاء المقاومة واستسلامه عين مترجما ثم أسندت له سكرتيرية تحرير المبرش. ينظر: سيف الإسلام (الزبير)، المرجع السابق، ص: 53-54.

(2) المرجع نفسه، ص: 51.

(3) المرجع نفسه، ص: 58.

(4) زكرياء (مفدي)، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتحقيق: أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003، ص: 34.

(5) سيف الإسلام (الزبير)، المرجع السابق، ص: 59-60.

(6) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقاني، ج 05، المرجع السابق، ص: 229-230.

معاون بمكتب الجزائر العربي الفرنسي، ثم منصب القضاء بمحكمة تنس، ثم عضو في مجلس الفقه الاسلامي الأعلى بالجزائر لمدة ست سنوات، وفي وصف له تقول الجريدة: "كان الفقيه عالما خيرا متواضعا صاحب حياء ووقار لا يجب الظهور بعلمه"⁽¹⁾.

كما نشرت الجريدة كلمة للممثل الوالي العام عن محمد الشريف بن علي الشريف رثاء له، والذي خصصت له الجريدة صفحة خاصة في ذكره خصاله وتعاونه مع الإدارة الاستعمارية⁽²⁾، وفعلت مثل ذلك مع ولد محمد البدوي المتوفى في المشرية ورئيس أحد عروشها الذي قالت عنه الجريدة أنه شارك في ثورة بوعمامة وبعد هزيمته نفي إلى كاليديونيا الجديدة حتى شمله العفو العام في 18 أكتوبر 1887، "فرجع للجزائر وعيّن كبير مخزن المشرية وفعل مزايا جلييلة فكان مخزنها مترجما وعون استخبار حسنا"⁽³⁾، وقد نال أوسمة كثيرة لتعاونه مع الاستعمار، وكانت مهمة هذه الجريدة مبدئيا نشر القوانين والتعليمات، مثل الأمر الصادر عن وزارة الحربية في 28 أبريل 1913 ويتضمن قائمة لنيل وسام الاحترام، والميدالية العسكرية⁽⁴⁾، وهذه الأوسمة جاءت قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى والاستعداد الفرنسي.

ومن كتاب هذه الجريدة من الجزائريين سليمان بن الصيام الملياني، الذي يعتبره الزبير سيف الاسلام أول صحفي جزائري، الذي افتتح مقالاته بسلسلة حول احتفالات تنصيب الامبراطور نابليون الثالث الذي يقول عنه: "نذكر الآن ما اتصف به سيدنا المعظم ملك فرنسا المنصورة على سبيل الاختصار نقول هو سلطان كبير فزع سلطان بالعدل والشجاعة، شهير ذو قدرة جليل خطير شهرته أغنى عن الوصف، وفخره لا يحتاج إلى إيضاح أو كشف"⁽⁵⁾ وقد جمع أسلوبه في العرض بين أسلوب الرحالة القديم وأسلوب الريبورتاج المعاصر⁽⁶⁾، وإلى جانب ابن الصيام، نذكر كاتب آخر في جريدة المبشر هو محمد السعيد علي الشريف البجاوي، الذي يعد من أوائل الكتاب الجزائريين الذين كتبوا سلسلة من المالات ذات الطابع الصحفي، بلغت أكثر من سبعة عشر مقالا، والتي تمحورت معظمها حول الدعوة لنشر العلم والمعرفة والثقافة التي بها تتقدم الأمم⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ فقد عالم، جريدة المبشر، ع5538، 22 فيفري 1913.

⁽²⁾ رثاء ابن علي الشريف محمد الشريف، جريدة المبشر، ع5526، 11 جانفي 1913.

⁽³⁾ رثاء، جريدة المبشر، ع5560، 10 ماي 1913.

⁽⁴⁾ وزارة الحربية قائمة التقدم لنيل وسام الاحترام، جريدة المبشر، ع5562، 17 ماي 1913.

⁽⁵⁾ سيف الإسلام (الزبير)، المرجع السابق، ص: 22.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص: 15.

⁽⁷⁾ المرجع نفسه، ص: 33.

يعد علي بن عمر كذلك من كتاب جريدة المبشر، الذي تنوعت مقالاته بين التعرض لبعض المواضيع وترجمة نصوص إلى العربية، وكان يكتب باللغتين، فكان "يكتب في الأخبار الخارجية وفي الشؤون الاجتماعية والمحاكم، وفي الاقتصاد والتجارة، ويتعشق التاريخ فيكتب بل يترجم الكتب التاريخية الفرنسية إلى اللغة العربية"⁽¹⁾، كما ترجم أحمد بن الفكون بعض الكتب والقصص ونشرها على صفحات المبشر، فقد ترجم قصة البطلة الفرنسية جان دارك في حلقات متعددة بعنوان (التاريخ المتدارك في أخبار جان دارك)، وهي وإن كانت حقيقية واقعية فإن ترجمتها لا تخلو من التوجيه النفسي البسيكولوجي في خدمة فرنسا⁽²⁾.

ومن الذين كتبوا في المبشر كذلك مصطفى بن السادات الأستاذ ومدير مدرسة بقسنطينة، وبمحكم تكوينه العلمي والمهني فقد استغل صحيفة المبشر لتبليغ دعوته للعلم والتعلم والقراءة، فقد كتب مقالات منها: نصيحة وإرشاد لمن عطل عن مسابقة الأقلام وإهدار المدد، ومقال آخر بعنوان فكل من سار على الدرب وصل، وكذلك النصيحة الدرية في تربية الذرية⁽³⁾، وكل هذه المقالات في فضل التربية والتعليم.

يعد أبو القاسم الحفناوي من كتاب جريدة المبشر بداية من سنة 1884 وإلى غاية سنة 1927؛ أي إلى غاية إدماج الجريدة في النشرة الرسمية وصدرت مكانها الجريدة الرسمية الجزائرية، ومن مقالاته ذلك الذي صدر في عدد 8 أكتوبر 1887 علق فيه على كتاب (اللغة البربرية القديمة في القبائل الكبرى) لمؤلفه أبو القاسم بن سديرة الذي مدحه أبو القاسم الحفناوي ومدح كتابه⁽⁴⁾، ومن الصحفيين كذلك في جريدة المبشر محمد بن مصطفى بن خوجة الذي ناضل من أجل تحرير المرأة المسلمة، وقد كتب رسالة في ذلك وسماها الاكتراث في حقوق الإناث، دخل عالم الصحافة سنة 1886 وعمره 21 سنة⁽⁵⁾.

ورغم أن المبشر جريدة رسمية فقد كان لها آثار إيجابية على الجزائريين "فقد فتحت أعينهم ولاشك على جديد يقال له الصحافة، ولعلها قد أفادتهم علما بمقالاتها التعليمية التي حاول كتابها تبسيط بعض القضايا العلمية مثل الحديث عن الشمس والقمر والرياح وكيفية تربية الغنم وزرع بعض الخضروات"⁽⁶⁾، كما تعرّف الجزائريون بواسطتها على "فن تحرير الصحف باللغة العربية، بعدما عرفوه باللغة الفرنسية، ولقد كانت

(1) المرجع نفسه، ص: 89.

(2) سيف الإسلام (الزبير)، المرجع السابق، ص: 102.

(3) المرجع نفسه، ص: 130-131.

(4) سيف الإسلام (الزبير)، المرجع السابق، ص: 156-158.

(5) المرجع نفسه، ص: 173-174.

(6) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 51.

هذه البادرة التي قام بها الجنرال توماس تعتبر ثورة في هذا الفن بالنسبة للجزائر، بقطع النظر للأغراض الاستعمارية⁽¹⁾، وكانت المبشر "مدرسة صحفية لجيلين أو ثلاثة من الجزائريين، تعلموا منها فن الصحافة وجمع المادة الخبزية وتحريرها وتوجيهها وصياغتها واختيارها، كما عرفوا مراحل فن الطبع والنشر، وأنواع الترجمة، ومن جهة أخرى فإن المبشر كانت هي النافذة الوحيدة ولفترة طويلة للترجمة من الفرنسية إلى العربية⁽²⁾، ورغم تعدد مواضيعها فلم تخرج عن النطاق الرسمي، وهو ما جعلها محل انتقاد جريدة المغرب في عددها الأول.

1-2 جريدة المنتخب: تعد جريدة المنتخب⁽³⁾ "أول محاولة لبروز صحيفة عربية بالقطر الجزائري عن مصدر غير مصدر السلطات الحاكمة"⁽⁴⁾، صدرت في قسنطينة بتاريخ 28 أبريل 1882 وانتهت في عددها 40 في يوم 12 يناير 1883، رئيس تحريرها فرنسيا يدعى بيار اتيان Pierre Etienne وكانت رسالتها الظاهرة هي الدفاع عن مصالح الأهالي وخصوصا الفلاحين ولكنها كانت تدعو إلى الاندماج في البوتقة الفرنسية، كما أولت اهتماما بتدوين الفقه الاسلامي لكي يسمح بنيل الحقوق والوجبات السياسية، وجاء في عددها الأول أن العرب هم الذين أنشأوها وأنهم موالون لفرنسا ومؤمنون بعظمتها، وقالت أنهم معتدلون في آرائهم ويعتقدون في التقارب بينهم وبين الفرنسيين والتفاهم معهم⁽⁵⁾.

كانت تصدر كل أسبوع في شكل أربع صفحات باللغتين الفرنسية والعربية، فالمقالات باللغة العربية هي ترجمة ركيكة للمقالات بالفرنسية⁽⁶⁾، وذكرت الجريدة أسماء بعض المترجمين ومنهم أحمد بن لفكون، أحمد بن باديس، حسونه بن العموشي، هو بن يوسف⁽⁷⁾، ومن بين كتابها كذلك عبدالقادر المجاوي وزين العابدين بوطالب⁽⁸⁾. وهدف هذه الجريدة هو إطلاع الفرنسيين على حقيقة الأمور حول المسائل التي تناوّلها

(1) سيف الإسلام (الوزير)، المرجع السابق، ص: 11.

(2) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، المرجع السابق، ص: 228-229.

(3) هناك جريدة أخرى باسم المنتخب ظهرت سنة 1877، وهي ناطقة باللغة العربية، ولقد هاجمت أفكار عبدالقادر المجاوي التي دونت في كتابه "إرشاد المتعلمين"، كما هاجمت الثقافة العربية واللغة العربية، ودعت الجزائريين إلى الاندماج في الثقافة الفرنسية، وهي جريدة مجهولة كما عبر عنها أبو القاسم سعد الله وليس لها علاقة بجريدة المنتخب التي ظهرت سنة 1882. ينظر: أبو القاسم (سعد

الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، المرجع السابق، ص: 232.

(4) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 51.

(5) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، المرجع السابق، ص: 234.

(6) جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص: 56.

(7) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 52.

(8) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، المرجع السابق، ص: 235.

الصحافة الفرنسية الاستيطانية، كما أن الجريدة ستكون مفيدة بالنسبة للحكومة لأنها ستطلعها على الحقيقة كما هي، ومهمة الجريدة كذلك إبلاغ إحسان فرنسا للجزائريين خاصة البعيدين عن المدن والذين يجهلون ذلك الاحسان، وتقول الجريدة أن مطلب الجزائريين هو أن يساعدهم التمدن الفرنسي على "استعادة ما كانوا عليه من عزٍّ ومكانة"⁽¹⁾.

وتضيف في افتتاحية العدد الأول أن هدف الجريدة هو تغيير وتحسين أوضاع المسلمين الجزائريين "ولما كنا من أعيان المسلمين وممن يحترم ويوقر فرنسا، لا يخفانا، وإن تغيير أحوال مثل هذه لا تقع في يوم ولا في يومين، ولا نعلم منها فعل المستحيل، أحدثنا هذا الجرنال ليكون صوتا زايذا في المطابع الفرنسية وضوء هاديا للعقول الفاسدة راشدا لا تجلب الغيظ ولا لحماية صف ولا لإذابة أحد ونحن أولى به من الغير"⁽²⁾، وبرزت هذه الجريدة للوجود بعد اثني عشر سنة من الحكم المدني وسيطرة المستوطنين، وكأنها انتفاضة القلم تزامنت مع انتفاضة السلاح المتمثلة في مقاومة الشيخ بوعمامة.

وتضمن العدد الأول كذلك أخبار قصيرة في سطور عن احتلال تونس من طرف القوات الفرنسية وتحرك القوات العثمانية على الحدود الليبية التونسية، وكذلك معلومات عن الوحدات العسكرية التي بقية مرابطة في تونس بعد احتلالها، إلى جانب ذلك بعض الأخبار الاجتماعية التي تخص الأوروبيين مثل المأدبة التي أقامها لافيحري بمناسبة تعيينه كردينا، كما أوردت الجريدة خبر إعدام أحد المتمردين على السلطة الفرنسية، وقد تبرأت منه الجريدة "وإذ تورّد هذا الخبر حول اللحظات الأخيرة من حياة بوشواطة كوثيقة، فإننا نريد أن نبين للمستعمرة وفرنسا بأننا نلفظ من أحشائنا كل من لا يتمسك بالشرف الذي نعتد به ونحمله عاليا فوق رؤوسنا إن القتلة والصوص ليسوا منا"⁽³⁾، وهذا الخطاب يدل على الولاء التام للاستعمار حتى لا تتعرض للتوقيف خاصة وأن الظروف السياسية صعبة تمثلت في احتلال تونس خارجيا ومواجهة مقاومة الشيخ بوعمامة داخليا.

وقد شجعت المنتخب على استخدام سلاح الصحافة؛ حيث نشرت سنة 1883 حول ضرورة نشر الوعي السياسي بين المسلمين من أجل الدفاع عن مصالحهم عن طريق العمل السياسي وليس عن طريق

(1) جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص: 56.

(2) جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، المرجع السابق، ص: 183-184.

(3) جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص: 57.

الانتفاضات العنيفة المحكوم عليها بالفشل⁽¹⁾، وقد طالبت هذه الجريدة بمنح المسلمين الجزائريين نفس امتيازات المستوطنين⁽²⁾، وكان محرروها الفرنسيون يدعون إلى إدماج المسلمين بالفرنسيين عن طريق الانخراط في الخدمة العسكرية والدخول للمدارس الحكومية، كما كانوا يدعون الحكومة إلى المساواة بين الأهالي الجزائريين والأوروبيين في الحقوق مطالبين بحق التمثيل النيابي للمسلمين، ومنددين بسياسة الجباية المتعسفة التي تنزل بالضرائب الثقيلة على الأهالي المسمين وحدهم، منتقدين موقف المعمرين الكولون الحاقد من أهل البلاد⁽³⁾، ومن خلال أسلوب خطاب الجريدة يتبين أن موقفها ضد نفوذ المستوطنين وحقدهم للجزائريين، غير أننا نؤكد أن المستوطنين لم يكونوا في كفة واحدة ضد الجزائريين، فقد تواصلت بعض العائلات مع المسلمين في حين الأغلبية من استولوا على الأراضي وكونوا رؤوس أموال هم من كانت لديهم النظرة الاستعلائية الطبقيّة من أجل الحفاظ على مكانتهم وامتيازاتهم.

ولهذا ستوجه صحافة الكولون المدعومة من رجال المال المستوطنين حملة عنيفة ضدّ هذه الجريدة ويساعدهم في ذلك "الوالي العام تيرمان نفسه، إذ وجه رسائل إلى السلطات الإدارية في أطراف البلاد يدعوها لتجبر الأهالي حتى يسحبوا اشتراكاتهم من هذه الصحيفة، كما دعا الجزائريين الذين يقومون بترجمة مواد الجريدة إلى المثول أمام القضاء، بل إن الأذى لحق مدير الجريدة موراس Mauras نفسه"⁽⁴⁾.

وجاء تصرف الوالي العام تيرمان أمام انعدام وسائل قانونية لمنع الجريدة من الصدور، وما يدل على شدة الضغط أنه "خلال عشرة شهور من حياة الجريدة تولى إدارتها ثلاثة مديرين: الأول بول ايتيان الذي لا تتوفر المعلومات حول الظروف التي أجبرته على التخلي عنها، يليه في إدارتها السيد مورا الذي مورست عليه ضغوطات وتهديدات، ولما لم ينحن تعرض لاعتداء إجرامي حيث ضرب بعضا ملبس طرفها برصاص على رأسه، فخلفه على رأس الجريدة بول جوزيف، لتتوقف الجريدة نهائيا عند العدد الأربعين"⁽⁵⁾، وتكون التجربة الصحفية الأولى للجزائريين في صحيفة غير رسمية.

⁽¹⁾Philipp Zessin , Presse et journalistes indigènes en Algérie coloniale (années 1890-années 1950), op.cit, P : 37.

⁽²⁾La propagande du Montakheb, Courrier de Sétif, n° 512, 13 Juillet 1882.

⁽³⁾ محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 52.

⁽⁴⁾ محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 52.

⁽⁵⁾ جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص: 68.

1-3 جريدة الحق:

هناك جريدتين بنفس هذا الاسم؛ فالأولى صدرت في عنابة وبعد سنوات ظهرت جريدة الحق الوهراني، وإن كان بينهما اختلاف زمني ومكاني، الأولى في شرق البلاد والثانية في غربها، إلا أن توجههما واحد، ويمعلان الحماس نفسه للدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين، وقد تميزت جريدة الحق الوهراني برفضها للجنيد الاجباري.

أ- الحق العنابي: إن الظروف التي كان يعيشها المجتمع الجزائري نهاية القرن التاسع عشر، وعدم وجود وسيلة إعلامية تدافع عن مطالب المسلمين الجزائريين وحملة الجرائد الاستيطانية المشوهة لصورة الجزائري، مما دفع كوكبة من الشباب في مدينة عنابة لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين إلى التفكير في وسيلة تمكنهم من مواجهة هذه الحملات المسعورة ضدّ (العربي) وتبليغ مطالبه للجهات المسؤولة إلى جانب الدفاع عن كرامته وشخصيته كإنسان ينتمي إلى حضارة كانت في الماضي منارة للعلم⁽¹⁾ فأنشأوا جريدة الحق العنابي.

ظهر العدد الأول لجريدة الحق العنابي بتاريخ 10 جويلية 1893؛ أي بعد عشر سنوات من توقف جريدة المنتخب، ومؤسسوا جريدة الحق العنابي سليمان بن بنقي وعمر السمار وخلييل قايد العيون، وصدرت الحق بالفرنسية ثم مزدوجة، وكان هدفها المعلن هو الدفاع عن مصالح العرب الجزائريين ومصالح الفرنسيين الذين استجابوا للمشاعر الوطنية دون غيرهم⁽²⁾، يقول عنها محمد علي دبوز: "أول صحيفة عربية وطنية جزائرية...مخلصة حسنة، أسبوعية دامت عامت عاما وقضى عليها الاستعمار"⁽³⁾، ومن مطالبها التمثيل النيابي للمسلمين من أجل الدفاع عن حقوقهم "لكن الواجب على الدولة الفرنسية أن تراعينا بحسن الرعاية وتوفي بعهودها وتجعل لنا مسلكا للدخول في داري الندوة لضبط حقوقنا والتكلم في مصالحنا"⁽⁴⁾، وكانت ترى الجريدة أن التمثيل النيابي هو السبيل عند المسلمين للدفاع عن حقوقهم وانتقدت بشدة التمثيل التقليدي الذي يعتمد على ممثلين أميين.

تخلت الجريدة في أعدادها الأولى بشعاريين: الأول على اليمين ونصه (لله للوطن ومن أجل العدل)، وعلى اليسار (الحرية، القانون والحق، أسلحة لا تقل في يد الضعيف)، وقد عمد محرروا الجريدة إلى استخدام

(1) المرجع نفسه، ص: 69.

(2) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 243.

(3) محمد علي (دبوز)، المرجع السابق، ص: 7.

(4) الحق أحق أن يتبع، جريدة الحق، ع18، السنة الثانية، 28 جانفي 1894.

أسماء مستعارة تحمل دلالات تاريخية ترمز إلى تاريخ الجزائر الماضي مثل زيد بن ذياب، بابا عصيان، بابا عروج، وفي افتتاحية العدد الأول من الجريدة ذكر زيد بن ذياب أن الهدف من إصدار الجريدة هو الدفاع عن مصالح العرب الجزائريين وكذلك مصالح كل الفرنسيين الجديرين بهذا الاسم⁽¹⁾.

كانت الجريدة تصدر باللغة الفرنسية، وفي العدد السادس عشر الصادر في يوم الأحد 14 جانفي 1894 أضاف المشرفين على الجريدة صفحة باللغة العربية مترجمة لمواضيع المكتوبة باللغة الفرنسية، ومدير الجريدة كما هو مكتوب على الصفحة الأولى من العدد هو سليمان بنقي ومحررها عمر السمّار، وقسيمة الاشتراك فيها عن كل سنة 8 فرنكات لمن يسكن في الجزائر، و10 لمن هو موجود في فرنسا، وباقي الدوّال 12 فرنك للسنة، وشعار الجريدة فرنسية عربية سياسية أدبية في شؤون العرب الجزائرية، وكانت الجريدة تطبع بالمطبعة البونية⁽²⁾.

اتخذت الجريدة عهدا على نفسها في الالتزام بالحقيقية في ذكر الأخبار "لن نقول سوى الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة لأنها سلاح المتألمين الذي سنحمله دائما، إن مهمتنا نبيلة لأن قضيتنا مشروعة وعملنا يدعمه القانون والعدل وسوف لن نضيع الوقت في جدل عقيم، فإذا كان زملاؤنا الصحفيون الفرنسيون يهاجمونا بعنف، وهو عكس ما نتمناه، سوف نعرف كيف نرد عليهم ونحاول ردهم إلى جادة الصواب، ونأمل أن يسود الهدوء والمنطق نقاشنا وسنعمل من أجل ازدهار الجزائر ومن أجل الأخوة بين الفرنسيين والأهالي"⁽³⁾، وكان جريدة الحق العنابي أكثر جرأة في الدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين ومواجهة المتعصبين من المستوطنين.

وتقول في العدد الواحد والعشرون "وجريدتنا لا تخرج عن الشكل بل تتبع اسمها لأن اسمها يطابق مسماهها، وإن زاغت عن اسمها تستوجب التعطيل أو الإبطال، وإن إخواننا الفرنسيين لهم في ذلك تحقيق واضح لإمعان النظر فيها والتدقيق في معانيها والذين يريدون إبطال جريدتنا هم جرائد (الكشير) أي محبي اليهود حيث اكتشفنا دسائسهم السرية"⁽⁴⁾، خاصة وأنها هاجمت اليهود ودسائسهم داخل المجتمع فنجدها في العدد الثامن العشر تكتب "إن الشر يحل أينما اليهود، والضر ينزل إذا نزلوا فما دخلوا مملكة إلا واستنزفوا

⁽¹⁾ جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص: 70. وينظر كذلك:

Zeid ben Dieb, «Notre Programme», El Hack, n° 1, 30 Juillet 1893.

⁽²⁾ جريدة الحق، ع16، السنة الثانية، 14 جانفي 1894.

⁽³⁾ جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص: 71.

⁽⁴⁾ أيها الإخوان، جريدة الحق، ع21، السنة الثانية، 18 فيفري 1894.

دمائها المادية والمعنوية، ولا وجوا بلدا إلا وسلبوا أموالها، واغتالوا نساءها ورجالها"⁽¹⁾، ونظرا لجرائها فقد "تعرضت خلال الشهور القليلة المتبقية من حياتها إلى عدم الاستقرار واهتزاز في تشكيل هيئتها التحريرية ليختم بصدور قرار الوالي العام جول كامبون بمنعها من الصدور في 17 مارس 1894"⁽²⁾.

ب- الحق الوهراني: صدرت جريدة الحق الوهراني سنة 1902، ومديرها فرنسيا يدعى تايي Tapié "الذي اعتنق الإسلام وأخلص حتى قيل عنه بأنه كان متحمسا للإسلام أكثر من المسلمين أنفسهم"⁽³⁾، وهو "الذي كان قد قضى زمنا طويلا بمصر حتى أنه سمى ابنه السعدي ومن الأبحاث التي طرقتها قضية جبر الجزائريين على التحنيد بالجيش الفرنسي حيث قاومت هذه الفكرة مقاومة عنيفة، وفي حدود عام 1910 ظهر لمؤسسها أن يضيف لها ملحقا عربيا، فطلب من الشيخ عمر راسم أن يحرر ذلك الملحق ويكتبه بخط يده ليطلع على الحجر، فأجاب لرغبته فكان هذا يحرر بالجزائر ويوجه ليطلع بوهران، ومن مؤيدي هذه الجريدة وأنصارها الشيخ ابن رحال وجماعة من مسلمي ندرومة وتلمسان"⁽⁴⁾.

وطالبت جريدة الحق "منذ 1911 بحق المسلمين المشاركة في إدارة بلدهم، ودعت المسلمين لأن لا يكونوا سوى شعبا واحدا وأمة واحدة، وإلى رفض سياسة الاندماج، وبالتالي التصور الذي روّجت له جريدة الحق هو بقاء الشعب الجزائري وفيما لهويته، وأن لا يتخلى عن جزء من ماضيه أو من خصوصياته، وأن يشكل شعبا موازيا وليس مندجاً"⁽⁵⁾، وبداية من عددها الواحد والثلاثين، وفي أبريل من سنة 1912 أضافت لصفحاتها الفرنسية صفحة ثم صفحتين بالعربية⁽⁶⁾.

1-4 صحيفة الأخبار:

جريدة بعنوان عربي اللغة وفرنسي الحروف، تم إصدارها تسع سنوات بعد الغزو الفرنسي، وبالتحديد يوم 12 جويلية 1839⁽⁷⁾، واستمرت في الصدور بانتظام لمدة قرن من الزمن إلى غاية 1938، ومنذ مطلع

(1) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 54.

(2) جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص: 80.

(3) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 71.

(4) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 36.

(5) محفوظ (قداش) وجيلالي (صاري)، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، المرجع السابق، ص: 59.

(6) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 69.

(7) عبد القادر (كرليل)، «نشأة الصحافة في الجزائر»، مجلة المصادر، ع11، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2005، ص: 218.

القرن العشرين أصبحت الصحيفة تنشر مقالات عن الاسلام والصحراء، وفي عهد باروكان أنشأ فيها قسما عربيا من سنة 1903 إلى غاية 1914 وترأسه الصحفي عمر بن قدور ، وقد اتجه في إطار السياسة الفرنسية-الاسلامية التي كان يتبناها شارل جونار الحاكم العام ، ودومينيك لوسيان مدير الشؤون الأهلية⁽¹⁾، وقد عرفت هذه الفترة تسربت العديد من الصحف العثمانية والمصرية إلى الجزائر، فكان هدف جونار هو تشجيع إنشاء الصحف العربية الموالية للاستعمار لسد الفراغ ومواجهة الصحف الخارجية.

وسبب المباشر إصدار الملحق العربي للجريدة كما يرى مفدي زكرياء هو "أن أحد أصحاب هذه الجريدة وهو المسمى فكتور باروكان حدث بينه وبين شركائه خلاف إثر اندلاع ثورة يعقوب قرب مدينة مليانة وحدث ما يعرف في تاريخ المقاومة الجزائرية بمحادثة (مارغاريت)، وهذا الخلاف أفضى إلى استقالته من هيئة تحريرها، لأنه كان لا يرى رأي أصحابها في أسلوب سياسة الأهالي، فأصدر الأخبار الأسبوعية وجعل صفحاتها الثامنة بالعربية، وجلب لتحرير هذه الصفحة طالبا يسمى محمد الزرد، ومن تم تولى بعدئذ القضاء بالصحراء حيث توفي بها، وكان من محرري هذه الجريدة عمر راسم حيث حرّر بها مقالين"⁽²⁾، أما محمد ناصر فيرى أن سبب انشاءها هو محاولة مؤسسها التقرب من الأهالي "وتطبيقا لسياسة التقرب من الرأي العام الاسلامي العام في الجزائر، رأى بروكان Barucand أن يضيف لها صفحات بالحجم الصغير، أربع صفحات منها مكتوبة بالفرنسية واثنان بالعربية"⁽³⁾.

طالب مؤسس الجريدة الادارة الفرنسية "بإعطاء الحقوق للجزائريين مع المحافظة على الامتياز الفرنسي، ومن هنا نجد في الصفحات المكتوبة باللغة الفرنسية بعض الانتقاد لسياسة المعمرين الحاكمة، في حين تخلو الصفحات المكتوبة بالعربية من المقالات السياسية خلوا تاما، اللهم سوى مقالات قليلة حول السياسة العامة والاجتماع والاقتصاد يأتي على رأس تلك المقالات التي كان ينشرها في الصفحة الافتتاحية عمر بن قدور الجزائري المعروف بنزعتة الاسلامية الاصلاحية"⁽⁴⁾.

ومن المواضيع التي عاجلتها هذه الجريدة قضية هجرة الجزائريون نحو المشرق في عددها الصادر بتاريخ 1910/06/26، ويرى صاحب المقال أن السبب هو زيادة عدد الضرائب على الفلاحين الصغار والكبار

(1) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص215-216.

(2) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 37.

(3) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 61.

(4) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 61.

دون مراعاة نوعية الأرض التي يمتلكها هذا أو ذاك، أو نوعية الفلاحة التي يتعاطاها المعني بالأمر، وتشير الصحيفة بوجه خاص إلى أن كثير من المزارعين الأوروبيين قد صرحوا لها أن الضرائب المفروضة على الأهالي ثقيلة جدا، وحتى الناجحين منهم في الفلاحة لا يستطيعون دفعها بانتظام، ومن تم فهذه الضرائب تساهم بقدر كبير في إفلاسهم وفي تخريب زراعتهم"⁽¹⁾، ولم يكن هناك اسهامات كبيرة للكتاب الجزائريين في هذه الجريدة.

1-5 جريدة المغرب:

صدر العدد الأول بالجزائر العاصمة "يوم 10 أبريل 1903، ومؤسسها هو بطرس فونتانا أحدثها ليشغل بها المطبعة الحجرية التي أضافها إلى مطبعته الفرنسية... وهي اسبوعية الملحق لجريدة المبشر الرسمية لأنها تطبع على نفقة الولاية العامة ويخزرها مصطفى الرشاني الموظف في الولاية العامة، ويقول الشيخ عمر راسم في رسالته المؤرخة في 13 رجب 1382 التي بعث بها إلى المرحوم البشير الفورقي بتونس: إن سبب نشر هذه الجريدة هو أن الوالي العام جونار الذ كان أحد أعضاء الوفد الفرنسي لدى قناة السويس كان كثيرا ما يتردد على مصر ولاهتماماته بشؤون الجزائر تحدث مع الشيخ علي يوسف فيما ينشره بجريدة المؤيد من انتقادات نحو معاملة فرنسا لرعاياها الجزائريين، تلك الانتقادات الواردة عليها من بعض الجزائريين... وقال إن سبب ذلك عدم وجود جريدة بالجزائر، فاغتنم جونار تلك الفرصة معتقدا أن سبب ذلك هو عدم وجود جريدة عربية بالجزائر من شأنها أن ترضي الجزائريين فينشرون فيها ما يهمهم وبذلك يصرفون عن الاتجاه للخارج، ويستغنون عن النشر في الصحافة الشرقية"⁽²⁾، وما يدل على أن الوالي العام شارل جونار ولوسيان مدير الشؤون الأهلية وراء تأسيسها هو أن "الحكومة هي التي كانت تدفع الثمن لمطبعة فونتانا"⁽³⁾.

وعن سبب تأسيسها وأهدافها يتحدث صاحب الجريدة في عددها الأول: "وكثيرا ما رغبتنا في إحداث جريدة عربية محضة تنفرد (كلمة غير واضحة) من الأهالي كي تكون لهم واسطة في الاستطلاع على الأخبار التي تهمهم معرفتها إذ لم تكن لهم جريدة غير الصحيفة الرسمية إلى الآن وغير خاف أن مولد كل جريدة رسمية منحصرة فيما تصدره الحكومة من الأوامر المحزنية والقوانين النظامية التي لا تهم مطالعتها إلا طبقة معلومة من الأفراد الرعية وهم المستفيدون في إدارتها فلا يرجى حينئذ لغير هؤلاء إحالة نظر في تلك الجريدة لأجل الاطلاع

⁽¹⁾ عمار (هلال)، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1917)، دار هومة، الجزائر، 2007، ص: 213-214.

⁽²⁾ زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 40.

⁽³⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، المرجع السابق، ص 241.

على مقالات غير رسمية وأخبار تنشر عادة في الجرائد الوطنية العمومية ويتشوق إليها جميع الناس كنا رأينا هذا الخلل الذي ينبغي سدّه⁽¹⁾ فسبب انشاء الجريدة هو نشر الأخبار العمومية التي تهم الخاص والعام ومعالجة النقص الموجود في جريدة المبرش الجريدة الرسمية.

ويذكر لنا مفدي زكرياء ما كتبه جريدة الحاضرة التونسية عن جريدة المغرب فيقول: "تعرضت جريدة الحاضرة بتونس لذكر جريدة المغرب الجزائرية في عددها رقم 733 الصادر في 12 ماي 1903 فقالت تحت عنوان صحافة الجزائر: اتصلنا بالعدد الأول والثاني من صحيفة المغرب التي كنا أحرنا بظهورها في عالم المطبوعات بعاصمة الجزائر، وهي صحيفة سياسية أدبية علمية اقتصادية تجارية تصدر يوم الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع بمطبعة السيد فونتانا صاحب امتيازها ... وقد تصفحناها فألقيناها بهمة صحيحة العبارة طافحة بالإفادات التجارية والأخبار السياسية، فترحب بقدمها ونرجو لها الإقبال"⁽²⁾.

اهتمت الجريدة كثير بتعليم أطفال الجزائريين والدعوة له، فإلى جانب ما كتبه المجاوي نشرت الجريدة مقالا ل ابن الحفاف⁽³⁾ بعنوان (التعليم وأهالي قطر الجزائر) يقول فيه: "لا يعزب عن كل مراقب ما بلغوا إليه مسلمي قطر الجزائر من التفهقر حتى كادوا أن ينحطوا من درجة العقلاء فإنه قلّ وجود من يحسن القراءة بالعربية إلا أفراد في المدن والبادية فضلا عن الفرنسية التي هي اللغة الرسمية في فرنسا ومستعمراتها... كيف أهملنا أنفسنا حتى حلّ بنا هذا الانحطاط وتركنا ما هو واجب على كل انسان فعله وهو التعلّم"⁽⁴⁾، وقد تنوعت مواضيع هذه الجريدة فشملت السياسة والاقتصاد والأدب والتجارة، وجاء العدد الأول منها تغطية لزيارة رئيس فرنسا للجزائر سنة 1903، بداية من التحضيرات قبل قدومه وتزيين مدينة الجزائر⁽⁵⁾، وقد اهتمت جريدة المغرب بالجانب الديني والاجتماعي بغية التأثير في المسلمين الجزائريين، وهذه النزعة عرف بها الكتاب الجزائريون والاصلاحيون مثل عبدالحليم بن سماية، والسعيد بن أحمد بن زكري ومحمد بن أبي شنب ومحمد بن مصطفى بن خوجة⁽⁶⁾.

(1) بيبترس (فونطانا)، «لقرائنا الكرام» جريدة المغرب، ع01، السنة الأولى، 10 أبريل 1903.

(2) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 40.

(3) هو الشيخ علي ابن الحفاف مفتي المالكية بالجزائر العاصمة، وهو من تلامذة العلامة التونسي الشيخ ابراهيم الرياحي، ونظرا لظروف الجزائر عزم على الرحيل إلا أن شيخه نصحه بالبقاء في الجزائر. ينظر: أحمد توفيق (المدني)، المصدر السابق، ص: 95.

(4) علي (ابن الحفاف)، «التعليم وأهالي قطر الجزائر»، جريدة المغرب، ع11، السنة الأولى، 17 صفر 1321هـ.

(5) زيارة حضرة رئيس الجمهورية، جريدة المغرب، ع01، السنة الأولى، 10 أبريل 1903.

(6) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 59.

ومن كتابها الشيخ عبدالقادر الجاوي الذي كتب مقال عن العلم قال فيه: "وهيئات هيئات أن يستقيم حال المسلمين إلا بالرجوع للتربية وتعلم العلم اليقيني على قانون الشرع المتكفل بتزجيح الأعمال وشراب العقول حب المنافسة إلى الفضيلة التي هي العدل في سائر أعمال الانسان... إن الدواء الناجع العلاج النافع في إحياء النفوس الخاملة وتحريك الدماء الجامدة هو التربية والتعليم على أصول الفضيلة والانتعاش ببيان الشريعة فبذلك يحي من اندثر من عالم العلم أما أولياء الأمور فلا يلومون حيث أسست المدارس والمكاتب لسائر العلوم الوقتية النافعة وإعطاء التامة في التعليم فالقصور من آباء الأبناء والطلبة فنسأل الله أن يلهمهم عافية صلاحهم بمنه وكرمه أمين"⁽¹⁾.

وعندما زار الشيخ محمد عبده الجزائر علق عليها قائلاً: وهي على قبح ورقها، وسوء طبعها نافعة للجزائريين المحرومين من الصحف الوطنية العربية التي تعرفهم أحوال العالم، وشؤون الاجتماع فنتمنى لها دوام القصد والرواج في تلك البلاد"⁽²⁾، وبما أن الإدارة الاستعمارية هي اليد الخفية للجريدة فكان يمكن أن تستمر أكثر خاصة مع زيادة الإقبال عليها بسبب الأخبار التي تنشرها والمواضيع الثقافية التي تعالجها، غير أنها توقفت فجأة "وتحتجب عند العدد 32 المؤرخ في 28 جويلية 1903 دون أن تقدم لقراءها أي سبب لذلك، بل اكتفت بإبلاغهم بأنها عازمة على تبليغ كل منهم اشتراكه على التمام"⁽³⁾، لكن من خلال موضوعات التي أغلبها تدعو إلى العلم والتعلم فيمكن أن نرحح أن المعارضين لسياسة تعليم الأهالي كانوا وراء الضغط على مديرها لتوقيفها.

1-6 جريدة المصباح:

جريدة مزدوجة اللغة كانت تصدر كل أسبوع من يوم الجمعة، تعالج سياسة وأدبية وفلاحية"⁽⁴⁾، تأسست في سنة 1903 بوهران من طرف معلم تلمساني اسمه العربي فخار، وبمساعدة أخيه بن علي فخار، "كانت هذه الأسبوعية الناشئة تروم أن تكون حلقة وصل بين الفرنسيين والعرب، من أجل فرنسا ولها، وكان هدفها الأساسي هو العمل على إيقاظ الأهالي الجزائريين من خمولهم، وفتح أعينهم المغمضة"⁽⁵⁾، قالت عنها

(1) عبدالقادر (الجاوي)، «العلم»، جريدة المغرب، ع12، السنة الأولى، 19 ماي 1903.

(2) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 60.

(3) جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص: 84.

(4) جريدة المصباح، ع12، السنة الأولى، 28 أكتوبر 1903.

(5) شارل رويير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج02، المرجع السابق، ص: 711-712.

جريدة التافنة الناطقة باللغة الفرنسية أمّا "أول جريدة فرنسية عربية"⁽¹⁾، وفي الحقيقة أن هناك جرائد سبقتها منها جريدة الحق العنابي.

اهتمت هذه الجريدة بالزيارة الرسمية للمسؤولين الفرنسيين إلى الجزائر ومنها تغطية زيارة وزير العلوم إلى الجزائر يوم 13 أكتوبر 1903، وافتتاح المدرسة الثعالبية بالجزائر الذي تم الاحتفال في 18 أكتوبر من نفس السنة، وقد امتدح صاحب المقال الوزير ودور فرنسا في مجال التعليم فيقول: "إذ لا يخفى على أحد أن أهالي الجزائرية قد استولى عليهم الجهل مدّة عديدة في دولة الترك حتى كاد منذ انقطاعها لا يبقى للعلم أثر في هذه البلاد وعليه فمن سعادة الجزائرية اتيان الفرنسيين إليها فإنهم أحدثوا بها مكاتب يتعلم فيها الصبيان المسلمون"⁽²⁾.

ومن المواضيع التي تناولتها هذه الجريدة تأثير الكحول على الدماغ وعلى الكبد وأضرارهما⁽³⁾، وكان هدفها معالجة بعض الآفات الاجتماعية، واهتمت المصباح كذلك "بقضايا الأهالي الجزائريين، مطالبة بحقوقهم، ولكن بأسلوب فيه قليل من التملق، والضعف والتردد، أما لغتها العربية فكانت مزرية حقاً، هزيلة الأفكار لا تحتوي إلا على مقالات جملها في المواضيع الدينية والاجتماعية لبعض الكتاب الشباب الجزائري"⁽⁴⁾، وقد يرجع ضعف لغتها إلى محاولة التقرب للغة التعامل الاجتماعي حتى يتسنى للجميع مطالعتها، فلغة الصحافة تختلف عن لغة التأليف، فأسلوب الخطاب الصحفي يتطور لغوياً حسب تطوّر لغة الخطاب داخل المجتمع، لأن مطالعة الجرائد متاحة للجميع.

نشرت الجريدة أخباراً عن الحرب الروسية اليابانية والمغرب الأقصى، والتي تعد من أكثر الجرائد اهتماماً بقضاياها، فخصص أربع أعماس صفحة في أحد أعدادها⁽⁵⁾، يضاف إلى ذلك نشر أخبار داخلية ومنها ضحايا واد عين الصفراء المفاجئ في أكتوبر 1903 بعنوان (طوفان في عين الصفراء) وقد بيّن صاحب المقال الاستجابة السريعة للوالي العام للتكفل بالمتضررين "ولما بلغ هذا الخبر إلى السيد الوالي العام أرسل حينئذ

⁽¹⁾ Dans la Presse, La Tafna, n° 2079, 08 Juin 1904. وينظر كذلك:

Nouveau confrère, La Républicain, n° 155, 12 Juin 1904.

⁽²⁾ سفر السيد شومي وزير العلوم إلى الجزائر، جريدة المصباح، ع12، السنة الأولى، 28 أكتوبر 1903.

⁽³⁾ العقول في مصار الكحول، جريدة المصباح، ع16، السنة الأولى، نوفمبر 1903.

⁽⁴⁾ محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 62.

⁽⁵⁾ عاجلت الجريدة القضية المغربية في عنوانين هما: أولهما أخبار المغرب الأقصى والثاني المسألة المغربية. ينظر: جريدة المصباح، ع31، 28 جانفي 1905.

كتاب يعظّم به أجر من هلك له قريب وصحبة جوابه أرسل خمسة عشر مئة فرنك، ومن غد ذلك اليوم أرسل عدد دراهم مثل الأول ليعان به من تألم، وأعلم السيد الوالي العام الجنرال ليوتاي أنه عزم على السفر إلى ناحية البلاد الحادثة فيها هذه الواقعة لينظر بنفسه ما وقع ليتخذ فيما يجب استعماله هناك"⁽¹⁾، وقد زار الوالي العام منطقة عين الصفراء وعان الأضرار بنفسه، وخصص مبلغ خمسة آلاف فرنك وتقول الجريدة عن استجابة السكان "ففرح به (بزيارة الوالي العام) مثل سفره الأول جميع سكان الوطن وأظهروا له طوعهم ومحبتهم للدولة الفرنسية"⁽²⁾.

ويقول شارل أندري جوليان عن هذه الجريدة أنها "تعكس طموحات الشباب الجزائري التلمساني الذي كان قليل الاهتمام بالقضايا السياسية، وكان بصفة خاصة مغرما بمسألة اليقظة الفكرية العربية، كانت مشاعر الصحيفة صريحة عندما يقتضي الأمر التنويه بالشبيبة العربية المحددة أو المثقفين العرب المحدثين، وكانت تقر بعرفان الجميل للمعلمين والأساتذة الفرنسيين قائلة: فرنسا هي محررتنا، فلتعش فرنسا، كان هؤلاء الشبان الجزائريون يعتقدون أن حل القضية الأهلية يقتضي تكوين نخبة من العرب تستطيع وحدها إقناع الجماهير الجاهلة بفضائل الحضارة"⁽³⁾، وكان هدف جريدة المصباح دمج المجتمع الجزائري في الحضارة الفرنسية "إذا أراد المسلمون بلوغ ذلك المرام فلا مناص من دراسة العلوم العصرية واستيعاب الفكر الفرنسي، كما ينبغي على فرنسا أن تضاعف عدد المدارس، ... وتولي اعتبارا أكبر لآراء العرب المتفتحين والليبراليين كما يجب عليها إشراك المسلمين في عملها الدؤوب"⁽⁴⁾.

ولم تستمر المصباح في الصدور طويلا، ولم تجد من الرواج ولا من المشتركين الذين لم يتجاوزوا 1700 مشتركا ما يشجعها على المضي في طريقها، فتوقفت عن الظهور في 10 فيفري 1905⁽⁵⁾.

7-1 جريدة الهلال:

جريدة مزدوجة اللغة ظهرت في شهر أكتوبر من سنة 1906، وكان صدورها ثلاث مرات في كل شهر، أما شعارها فكان كما يلي: صحيفة مطالب الأهالي الشرعية، وكان أغلب المحررين باللغة الفرنسية فيها معروفين بنزعتهم المعتدلة ومواقفهم مع القضايا الأهلية، ويمتدحون نهضة المسلمين الجزائريين بمساعدة فرنسا

(1) طوفان في صحراء وهران، جريدة المصباح، ع13، السنة الأولى، 04 نوفمبر 1903.

(2) ألم عين الصفراء، جريدة المصباح، ع18، السنة الأولى، 28 نوفمبر 1903.

(3) شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج02، المرجع السابق، ص: 712.

(4) المرجع نفسه، ص: 712.

(5) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 63.

ولصالحها، وينددون بالفساد الإداري مطالبين بالمساواة في الحقوق والواجبات بين الفرنسيين والجزائريين⁽¹⁾، ويجرّز الصفحة العربية منها السيد محمد بريز و عمر بن قدور الجزائري يفضحون أساليب المعمرين الاستعمارية، ويردون على الجرائد الاستعمارية المعادية لاتجاه هذه الجريدة⁽²⁾.

أصدرت جريدة الهلال اثني عشر (12) عدد خصصتها للتنديد بالتجاوزات الادارية وكانت مقالاتها "دون المستوى ماعدا القليل منها التي تمحوت حول المبادئ التالية: سوف تكوّن اليقظة الاسلامية من أجل فرنسا ومعها وبها، غير أن تلك المبادئ المعلنة لم تكن تنعكس على محتويات الصحيفة بل كانت تدعو لصالح سياسة الاندماج وإلغاء المحاكم الاستثنائية وترقية الأهالي بصورة تدريجية لكي ينالوا حق الانتخاب"⁽³⁾، ففي افتتاحية العدد الأوّل من الجريدة التي جاءت في شكل التماس موجه للوالي العام ذكر أن من بين أهدافها هي أن تكون أداة وصل بين الجزائريين ومن يحكمهم، وقبل ذلك أشار إلى القلق والخوف انتاب موظفي الإدارة بسبب تعسفهم وممارستهم الضارة بالحق والعدل، عند سماعهم بقرب صدور الجريدة فلو أن سيرتهم كانت مستقيمة لما انتابهم هذا القلق وهذا الاضطراب"⁽⁴⁾.

ومن كتابها محمد بريز الذي كتب في العدد الأوّل مقال عن اللغة العربية بعنوان (طلوع الهلال)، وفي العدد الثالث مقال بعنوان (لا يجوع الذئب ولا تبكي الراعي)، وقد تأسف فيه على وضع المسلمين الجزائريين فيقول: "إخواني يصيح بكم القوم على قتل البعوض ولا من يزرهم على قتل النفوس بغير حق، هؤلاء يبحون أرواحكم ويستحلون أجسامكم وأنتم لا تشعرون"⁽⁵⁾، وفي العدد الثاني عشر ذكر مدير الجريدة أنها ستوقف بسبب اهتماماته الأدبية وظروفه الصحية، وقد تكون عوامل أخرى أجبرته على التوقف منها العامل المادي بقلة المشتركين أو ضغوطات الادارة الاستعمارية والمستوطنين، أو انشغاله بمنصب مدير فرع فرنسي لشركة تأمينات أمريكية⁽⁶⁾، ومهما يكن السبب فالجريدة توقفت عند العدد الثاني عشر في مارس 1907⁽⁷⁾.

(1) المرجع نفسه، ص: 63.

(2) المرجع نفسه، ص: 63.

(3) شارل روبير (أجران)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج 02، المرجع السابق، ص: 712-713.

(4) جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص: 87.

(5) المرجع نفسه، ص: 89.

(6) المرجع نفسه، ص: 92.

(7) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 63.

8-1 جريدة الإسلام:

ظهرت هذه الجريدة الأسبوعية بعنابة في أكتوبر 1909⁽¹⁾ ثم تحولت للعاصمة في جانفي 1912، شعرها كما هو موجود في الصفحة الأولى من كل عدد جريدة أسبوعية ديمقراطية للمسلمين الجزائريين تصدر في الجزائر كل أحد، مديرتها صادق دندن ومبلغ الاشتراك 8 فرنك داخل الجزائر، و10 فرنك في فرنسا، و12 فرنك في بقية الدول⁽²⁾، وكان أول أمرها محررة باللغة الفرنسية كلها، ولكن "إجابة لمرغوب الجمهور الأعظم من المواطنين الجزائريين الذين لا يحسنون اللسان الفرنسي تحمل دندن التكاليف المادية الصعبة لإصدار نسخة أخرى باللغة العربية وذلك بداية من 26 جويلية 1912، غير أنها كانت نسخة معربة عن النسخة الأصل الصادرة بالفرنسية حرفا بحرف، وكان الذي يقوم بتعريبها هو عزالدين القلال التونسي الأصل"⁽³⁾، وقد ظهرت الجريدة مع قانون التجنيد الإجباري الذي حرّك الجزائريين بين مؤيد ومعارض له.

وكانت لغة الجريدة فيها تشديد وحملات ضد الإدارة الاستعمارية "ويحتج بلهجة صادقة ضد السياسة العنصرية التي كانت تسلكها فرنسا في الجزائر قصد بث العداوة والبغضاء بين الطوائف الإسلامية المتآخية في البلاد"⁽⁴⁾، وأهداف جريدة الإسلام فهي "الدفاع والمطالبة بحقوق المسلمين الجزائريين، وإطلاعهم على ما تنشره الصحافة الفرنسية مما يتعلق بقضاياهم السياسية والاقتصادية بصفة خاصة إنارة لأذهانهم"⁽⁵⁾.

نُحِت هذه الصحيفة في "جلب اهتمام الشبان الجزائريين وكانت هذه الصحيفة متفتحة على الصحافة الباريسية وتعامل مع كثير من الفرنسيين فكانت بدون منازع أحسن صحيفة أسبوعية من حيث التحرير ومن حيث التمثيل وصفها نائب عامل عمالة وهران بأنها صحيفة الطبقة المتطورة"⁽⁶⁾، وهذا التصريح يبين لنا أن الجريدة كانت في علاقة جيدة مع الإدارة الاستعمارية، وهو عكس ما يراه مفدي زكرياء، الذي يرى أن الحكومة لجأت إلى مصادرتها بسبب نزاهتها ونزعتها القومية فيقول: "فقد صادرتها الحكومة بعد سنة من صدورها كشأها مع سائر الصحف النزيهة ذات النزعة القومية الصادقة"⁽⁷⁾.

(1) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 55.

(2) L'Islam, N° 100 , Quatrième Année , 07 Janvier 1912.

(3) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 72.

(4) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 55.

(5) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 72.

(6) شارل روبيير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج02، المرجع السابق، ص: 713.

(7) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 55.

1-9 جريدة المسلم:

صدرت هذه الجريدة يوم 14 أكتوبر سنة 1909، ولم تعمّر طويلاً بحيث كانت الإدارة تضايقها إلى أن اختنقت أنفاسها بعد سبعة أشهر من صدورها⁽¹⁾، ولم يكن لها أثر ذو بال⁽²⁾، قالت عنها جريدة كوكب أفريقيا في أحد أعدادها "تصفحنا العدد الأول من هذه الجريدة -أي جريدة المسلم- فوجدناه ملتزماً في برنامجه بالذب عن المصالح الوطنية، والدفاع عن حماها، ورأينا في فرنسويته أخباراً جديدة عن أمور هامة وليس فيه من العربية شيء غير برنامج الجريدة وبعده مسألة هلال رمضان فقط"⁽³⁾.

2- الصحف باللغة العربية

سنعتمد في ترتيب هذه الجرائد بالمنهجية نفسها التي اعتمدنا عليها في ترتيب الجرائد المزدوجة اللغة، وهي ترتيبها حسب تاريخ ظهورها.

2-1 جريدة النصيح:

صدرت بعاصمة الجزائر في حدود سنة 1899 أصدرها مستعرب فرنسي من أصل يهودي اسمه (ادوار غزان)، كان هذا الرجل من موظفي الولايات العامة وأحيل على المعاش، وهو إلى جانب ذلك يشتغل بالتأليف، ومن مؤلفاته قاموس فرنسي عربي صغير باللغة الدارجة، كانت هذه الجريدة صغيرة الحجم كبيرة الحروف تحتوي على أخبار ملفقة ودعاية مزيفة على بعض الحوادث المحلية والتعليق عليها بما فيه خدمة للاستعمار الفرنسي وتضليل للقراء المسلمين وتطبع في مطبعة صغيرة يملكها مؤسس الجريدة⁽⁴⁾.

جاءت تحمل هذا الشعار (احترام الدينين، احترام الجنسين)، وتعريفها: ورقة خبرية، تجارية فلاحية أدبية علمية صدرها مرة في الجمعة⁽⁵⁾، ثم تحولت لتصدر كل يوم الخميس في أعلى الصفحة الأولى هلال منعرج مكتوب في وسطه اسم الجريدة تعلقو نجمة داود، وفي داخل الهلال كتب على الجهة اليمنى كلمة احترام الدين وعلى جهة اليسرى اتحاد الجنسين، لغتها دارجة سوقية⁽⁶⁾، ولم يقع عليها أي إقبال حتى "كادت تكون

(1) المصدر نفسه، ص: 55.

(2) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 69.

(3) المرجع نفسه، ص: 69.

(4) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 35.

(5) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 55.

(6) جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص: 81.

من النكرات التي لا يشعر القارئ بوجودها ... وتعطلت هذه الجريدة قبل الحرب العالمية الأولى⁽¹⁾، وتقول الجريدة في افتتاحية العدد الأول أن هدفها هو "تقف إن شاء الله على حقوق المسلمين بإعانة حكام الدولة الفرنسية لأن هؤلاء حريصون على مصالح المسلمين ولا يريدون لهم سوى الخير"⁽²⁾، أما هدفها الحقيقي هو تجاري يتمثل في جلب المستهلك الجزائري إلى المحلات الأوروبية واليهودية في مقدمتها، كما تشير إلى ذلك الاعلانات الاشهارية المنشورة فيها⁽³⁾.

توقفت هذه الجريدة بوفاة مديرها وكان العدد الأخير منها 13 ديسمبر 1900؛ حيث صدر منها حوالي اثنين وستون عددا⁽⁴⁾ فقط، ثم أعادت الولاية العامة بعثها من جديد بعد الحرب تحت إدارة الشيخ "صالح" ومن من محرريها في هذا العهد مفتي الجزائر المشهور الشيخ أبو يعلى الزواوي بعد رجوعه من الشام⁽⁵⁾، ويوجد أعداد جريدة النصيح الثانية في المكتبة الوطنية الجزائرية، تحصلت على أعداد منها لكنني لم أجد فيها إشارة لجريدة النصيح الأولى.

2-2 جريدة النصيحة:

لم نعثر على هذه الجريدة، ولم نجد معلومات عنها ولهذا نقل ما ذكره توفيق المدني عنها أنها أول جريدة عربية بالجزائر ظهرت سنة 1904 وكان مصدرها فرنسي هو السيد قوسلان، ولم تلبث تلك الصحيفة أن اختفت⁽⁶⁾، وتبقى الأسئلة مطروحة عن المواضيع التي عالجتها؟ وكُنّاها، وكم عدد صدر منها وما هو سبب توقفها.

2-3 جريدة الإحياء:

صدرت هذه الجريدة في 14 فيفري 1907، وكانت جريدة اسلامية أدبية إخبارية⁽⁷⁾ "تعد أول صحيفة فصيحة عربية صدرت في الجزائر في تاريخ إنشاء الصحافة العربية بها إلى ذلك العهد"⁽⁸⁾، ومؤسسها

(1) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 36.

(2) جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص: 81.

(3) المرجع نفسه، ص: 81.

(4) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 58.

(5) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 36.

(6) أحمد توفيق (المدني)، المصدر السابق، ص: 318.

(7) خالدة (سعيد)، «الصحافة النسائية العربية»، مجلة العربي، ع35، الكويت، 01 أكتوبر 1961، ص: 115.

(8) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 41.

فتاة فرنسية جوان ديريو J. Desrayaux⁽¹⁾، كان والدها أستاذا بالمدرسة الفرنسية الثانوية بالبليدة فهو "رجل منصف نزيه، تعلمت ابنته التي سمت نفسها فيما بعد (جمانة رياض) اللغة العربية كتابيا ونطقا، حتى أصبحت مشغوفة بها إلى حد بعيد، وساعدها على تجويد هذه المحلة بعض تلاميذ المدرسة، ولم تصدر منها إلا بعض الأعداد، لأن مؤسسة الجريدة ماتت قبل أن تبلغ العشرين ربيعا من عمرها"⁽²⁾.

وتعرّف جريدة الإحياء كما جاء في عددها الثالث: "وهي جريدة علمية تهاديبية اخبارية منيت بها الجزائر بعد أن كانت النفوس ترهق باليأس والقنوط لولا أن قيّض الله نخبة من أبنائها قاموا بتحريرها تحت حجاب الخفاء ولما سرحنا جواد الفكر في رياضها ألفيناها مشحونة بالفوائد مجلاة بالفوائد تنطلق دروسها بآيات البلاغة وتفصح سطورها بمعجزات الصياغة، خدمة للآداب وتوسيع دائرة المعارف، تصدر مرتين في الشهر بثمان زهيد للسنة لكي يقبل عليها أهل الفضل ونصراء العلوم"⁽³⁾، وقد تعددت مواضيعها فمثلا في العدد السادس موضوع اللغة العربية، وتاريخ الاسلام، وليلة الثاني عشر المباركة من شهر ربيع الأول مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموضوع عن صدى العالم الاسلامي يعالج أوضاع المسلمين في منطقة من مناطق العالم وكانت تنشر في كل عدد لغز وأحكام⁽⁴⁾، وتبنت جريدة الاحياء رفض الاندماج بين الجزائريين والفرنسيين ودعت إلى تعليم العرب الجزائريين عن طريق استلهم حضارتهم الخاصة وتعليم لغتهم، كما دعت إلى ضرورة إصلاح مناهج التعليم التي أصبحت غير نافعة في نظرها، وإحياء معنويات الجزائريين وأخلاقهم بمساعدة الدين الاسلامي، وذلك بالرجوع إلى أصول الدين وصفائه الأول⁽⁵⁾.

ومن أكثر القضايا التي دافعت عنها جريدة الأحياء هي اللغة العربية "ومجلتنا الفريدة التي يجب على كل أديب أن يضع حجرا في أساس مشروعها لكونها قائمة على الجد في إحياء ما ينفع الأمة، يتمكن لنا تحقيق معرفة لغة أسلافنا وآدابها وتاريخها فترتقي بها إلى ثروة المجد والكمال، والتمدن الانساني الذي امتازت به

(1) عرفت كذلك باسم "جمانة رياض"، وهو اسم اقتبسته من المشرق العربي الذي سافرت إليه مع والديها -أستاذ في ثانوية الجزائر-، وقد حصلت على دبلوم الدراسات العربية من مدرسة الآداب العليا، كما كلفها الحاكم العام جونار بمهمة دراسة أوضاع مدارس البنات في كل من تونس ومصر سنة 1906. ينظر: أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص238.

(2) زكرياء (مغدي)، المصدر السابق، ص: 41.

(3) مجلتنا، جريدة الإحياء، ع03، السنة الأولى، صفر 1325هـ.

(4) جريدة الإحياء، ع06، السنة الأولى، 15 ربيع الأول 1325هـ.

(5) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 239.

الرجال على الرجال"⁽¹⁾، كما دعت المجلة المسلمين للحفاظ على تعاليم دينهم الاسلامي خاصة فيما يتعلق باللباس فكتب في العدد السابع ما يدل على ذلك: "أيها المسلمون حافظوا على عوائدكم المحمدية، وشعائركم الدينية لباسا ومعاشا وديانة، ولا تتبعوا الأوروبيين إلا فيما هو موافق لدينكم وصالح لأحوالكم الوقتية لعلكم تفلحون"⁽²⁾.

نجد في العدد الثالث مواضيع حول التمثيل العربي (المسرح)، والتعريف بالجريدة، وصدى العالم الاسلامي وكان موضوعه حول مسلمي الصين، أما عن فضل التمثيل كما جاء في الجريدة: "فإن كل ما يكتب ويقرأ من الروايات الأدبية ونحوها مهما بلغ من الاتقان ما بلغ ونال من الاستحسان ما نال، فالتمثيل العربي بفضلته بمراحل قوية التأثير والانفعال، لأنه يمثل الحوادث التاريخية وغيرها تمثيلا حقيقيا مطابقا لأصلها"⁽³⁾، ولم تلبث هذه الجريدة أن توقفت وسبب توقفها كما يذكر محمد ناصر هو "عدم استطاعتها في أن تجمع من الاشتراكات ما يساعدها على المضي في أداء رسالتها فهي لم تجمع سوى 200 مشتركا"⁽⁴⁾، فالأزمة المالية كانت السبب وراء تراجع جريدة الإحياء، وعند وفاة مؤسسة الجريدة عجلت بتوقفها.

2-4 كوكب افريقيا:

أنشأ الشيخ محمود كحول⁽⁵⁾ جريدة كوكب افريقيا بمدينة الجزائر العاصمة يوم 17 ماي 1907، وهي جريدة شبه حكومية، طبعت بمطبعة بطرس فونتانا الحجرية التي تطبع المبشر والمغرب وسائر المطبوعات الحكومية"⁽⁶⁾، وبالتالي فهذه الجريدة "تحت إشراف غير مباشر للولاية العامة بالجزائر... واستمرت إلى غاية 1914"⁽⁷⁾، ويؤكد جمال قنان أن هذه الجريدة ظهرت وفقا للسياسة الاستعمارية، فوزارة الخارجية في باريس طلبت من الولاية العامة بالجزائر انشاء جريدة باللغة العربية ليتم توزيعها في الأقطار الاسلامية لخدمة سمعة فرنسا في هذه الأقطار⁽⁸⁾، وهي أول جريدة يصدرها عربي باللغة العربية دون ترجمة في الجزائر، "وعلى إثره أخذ

(1) التمثيل العربي، جريدة الإحياء، ع03، السنة الأولى، صفر 1325هـ (1907).

(2) جريدة الإحياء، ع07، السنة الأولى، 01 ربيع الثاني 1325هـ.

(3) التمثيل العربي، جريدة الإحياء، ج03، السنة الأولى، صفر 1325هـ.

(4) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 64.

(5) محمد علي (دبوز)، المرجع السابق، ص: 7.

(6) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 37.

(7) عبدالمالك (مرتاض)، المرجع السابق، ص: 71.

(8) جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص: 86.

الجزائريون العرب يصدرن الصحف العربية ولكن بنسبة ضئيلة جدا إذا قيست ببقية الأقطار العربية في ذلك العهد⁽¹⁾، وكان هدف كوكب إفريقيا هو "النضال في سبيل الحضارة والانسانية لتحقيق التقارب بين العرقين ولدمج مصالحيهما المشتركة"⁽²⁾.

أرسل مدير جريدة كوكب إفريقيا أعداد إلى جريدة التونسية، فقالت عنها في عددها 101 بتاريخ 06 جوان 1907: "ظهرت في العاصمة الجزائرية جريدة أسبوعية باسم كوكب إفريقيا يجرها نابغ أديب، وهو الفاضل اللوذعي السيد محمود كحول، وقد وصلنا منها العدد الثاني والثالث فوجدناها، والحق يقال طافحة بالإفادات المهمة من سياسية وعلمية وصحية وتجارية وزراعية، تشهد لحررها البارح بطول البال، وسعة الاطلاع، فترحب بها ونتمنى لها الرواج والانتشار"⁽³⁾.

كانت جريدة كوكب إفريقيا متنوعة في مواضيعها ومجددة في طريقة عرضها وإخراجها وهو ما "أكسبها بعض الرواج والإقبال من طرف القراء ولاسيما عند الخاصة المتعلمة، ولكنها كانت بعيدة كل البعد عن الروح الوطنية، كما يقرر ذلك عمر بن قدور: أما كوكب إفريقيا لم تكن إلا جريدة شبيهة بالرسمية عارية من كل صبغة وطنية"⁽⁴⁾، ومن الأخبار التي كانت تنشرها ما يتعلق بالمسألة الشرقية وأخبار الدولة العثمانية؛ ففي عدد ديسمبر 1911، ورد موضوع ضمن فصل أخبار المشرق بعنوان تركيا حوادث ألبانيا، وقالت فيه أن مسألة ثورة الألبان دخلت مرحلة الهدنة بسبب الاتفاق الذي حدث بين تركيا والجبل الأسود، وما يلاحظ أن الجريدة تستخدم اسم تركيا بدل اسم الدولة العثمانية الذي يعبر رمز الخلافة الاسلامية، كما نشرت أخبار داخلية عن المدارس الاسلامية⁽⁵⁾ في نفس العدد.

وتخصص الصفحة الأولى من الجريدة للأخبار السياسية العالمية، فمثلا في عدد 10 أكتوبر 1909 خصصت الصفحة الأولى لأحداث سياسية عالمية نذكر منها أخبار المتروبول تحت قسم فرنسا ومن تلك الأخبار احتفال رئيس الجمهورية ووزرائه بذكرى الشجعان المتطوعين الذين سمحوا بأنفسهم في سبيل الوطن والشرف، ثم الحديث عن العلاقة بين فرنسا والانجليز في إطار زيارة ملك الانجليز لفرنسا، يضاف لذلك التوسع

(1) أديب (مروة)، المرجع السابق، ص: 223.

(2) شارل روبر (أجران)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج 02، المرجع السابق، ص: 713.

(3) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 38.

(4) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 67.

(5) جريدة كوكب إفريقيا، عدد 09 ديسمبر 1911.

الفرنسي في الكونغو وفي الهند الصينية، والعلاقة بين فرنسا وتركيا، وبين فرنسا وألمانيا وكذلك مع إيطاليا، وما يتعلق بالمسألة الشرقية والتدخل الروسي⁽¹⁾، وهي أخبار تبين لنا مدى تتبع الجريدة للسياسة الخارجية الفرنسية. ومما تتميز به الجريدة هو اعتنائها "بتنقلات الولاة الفرنسيين وتنشر أخبارهم باهتمام حريص وتقضي السياسة الاستعمارية والدعاية لها حتى في المستعمرات البعيدة، وتركيز الأضواء على العلاقات السياسية بين فرنسا وتركيا لكسب قلوب المسلمين الجزائريين، وإلى جانب هذا الاتجاه السياسي الفاضح، كانت تعني أيضا بنشر المقالات الاجتماعية والدينية والتربوية والشعر لبعض الأدباء الجزائريين لاسيما الموظفين الرسميين منهم"⁽²⁾، وفي عدد جوان 1911 نشرت أخبار عن زيارة الوالي إلى قسنطينة والأصنام (الشلف)، وقالت يحتمل أن الوالي العام سيسافر إلى فرنسا في جوان 1911 لمناقشة المسألة الجزائرية وما يتعلق بالأهالي⁽³⁾، كما تنشر الجريدة أخبار عن التطورات السياسية والعسكرية لاحتلال المغرب ففي عدد ماي خصصت أربع أعمدة من أصل خمسة في الصفحة لنشر أخبار احتلال بعض المناطق المغربية من طرف الاحتلال الإسباني وموقف الحكومة الفرنسية من تلك الأحداث صفحة كاملة⁽⁴⁾، وكانت الأخبار التي تنشرها عن المغرب ما يتوافق مع السياسة الاستعمارية.

كما ناقشت الجريدة في صفحاتها بعض القضايا الثقافية ومنها الفرق بين الصوفية والمتصوفة التي كتبه الشيخ عبدالحليم بن سماية وقال فيه: "أن ملخص القصد من التصوّف التخلّق بالأخلاق والتحقيق بما حتى تكون حبالا للنفس لا مجرد حكاية باللسان ولذلك سمي بعلم الحقيقة، فالحقيقة عين الشريعة، والشريعة منها الحقيقة، والعمل هو الحرث"⁽⁵⁾، كما تعرضت الجريدة لموضوع الفلك بعنوان علم الفلك عندنا الآن، وي طرح صاحب المقال قضية جوهرية تتعلق بتفسير الناس للظواهر الطبيعية بسبب جهلهم بعلم الفلك فيقول: "... كيف لا ونحن إلى الآن نسمعهم إذا سمعوا الرعد يتساءلون عن مدلوله، ويبحثون في الرعديات وهي أوراق متنقلة لا ندري من أين جاءتهم، وإلى الآن إذا رأوا خسوفا أو كسوفا عمّروا السطوح وملؤوا الفضاء" ويرى صاحب المقال أن الحل تنوير الناس بالعلم كما يقول: "والحاصل أن الناس يحتاجون إلى تنقية عقلية وتسوية

(1) أخبار سياسية، جريدة كوكب إفريقيا، عدد 10 أكتوبر 1909.

(2) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 65.

(3) جريدة كوكب إفريقيا، عدد جوان 1911.

(4) جريدة كوكب إفريقيا، عدد 26 ماي 1911.

(5) عبدالحليم (بن سماية)، «الفرق بين الصوفية والمتصوفة»، جريدة كوكب إفريقيا، عدد 17 مارس 1911.

علمية تفتح بعدها أبصارهم، فينظرون عيونهم بعيونهم، وينسلخون منها باختيارهم"⁽¹⁾، وتعد جريدة كوكب افريقيا من أكثر الجرائد تنظيما وانتظاما في الصدور، وقد توقفت سنة 1914.

2-5 جريدة الجزائر:

ظهرت في الجزائر العاصمة، "أصدرها الكاتب الكبير والفنان عمر راسم سنة 1908، ولم تعمر كثيرا"⁽²⁾، كتبت مقالاتها اللغة العربية، كانت تشبه المجلة، لأنها لم تكن تصدر إلا مرة واحدة في الشهر، وهدفها الإعلامي هو توعية الجزائريين وتعليمهم و تثقيفهم"⁽³⁾، صدر العدد الأول عنها يوم 27 أكتوبر 1908، ولم يصدر منها إلا عددان فقط لصعوبات الطبع، "وقد صادفت هذه المجلة إقبالا عظيما لأنها كانت تعالج مواضيع حيّة كالاحتجاج ضدّ التجنيد الاجباري وفداحة الضرائب، وكان مفتي الجزائر آنذاك الشيخ محمد السعيد بن زكري، قد طلب من صاحبها أن يجر منشورا كرسالة يمضيها بخط يده تنشر في المدائن للدعاية لها وترغيب الأمة في قراءتها، وقد صادرتها الحكومة الفرنسية بعد شهر من ولادتها لصدق وإقبال الشعب على اقتنائها"⁽⁴⁾.

توقفت هذه الجريدة عن الإصدار لانعدام المطابع العربية المستقلة، أو الضعف التمويل المادي لها فوقعت في عجز، أو لقيت مواجهة من طرف الادارة الاستعمارية نظرا للنزعة الوطنية لمؤسسها عمر راسم ولأهداف المجلة كما جاء في العدد الأول "إذ كان من أهداف المجلة كما جاء في العدد الأول توعية الشعب الجزائري وتثقيفه واطلاعه على أسرار السياسة الداخلية والخارجية"⁽⁵⁾، ولهذا لم تتزوج عامها الأول حتى توقفت عن الإصدار.

2-6 جريدة ذو الفقار:

صدرت هذه الجريدة في أكتوبر 1913، اشترك في إنشائها السيد أبو منصور الصنهاجي وعمر راسم، والأول هو صاحب امتيازها، أما الثاني فكان محررها ويكتبها ويصوّرها بيده، وهي جريدة انتقادية كانت تحمل الحملات الشعواء على الصهيونية والخونة المنافقين، ولم يصدر من هذه الجريدة غير أربعة أعداد، وتوقفت من الصدور لأن الادارة الاستعمارية هددت صاحبها وأزادت أن تفرض عليه ما لا يوافق عليه وذلك إثر

(1) علم الفلك عندنا الآن، جريدة كوكب افريقيا، عدد 10 جانفي 1908.

(2) أحمد توفيق (المدني)، المصدر السابق، ص: 319.

(3) عبدالمالك (مرتاض)، المرجع السابق، ص: 71-72.

(4) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 54-55.

(5) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 69.

ظهور بوادر الحرب العالمية الأولى⁽¹⁾، وسميت بـ ذو الفقار تيمنا بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ورثه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت مدونة ومكتوبة باليد من مؤلف واحد ابن المنصور الصنهاجي⁽²⁾، يقول عنها محمد ناصر: "هي الجريدة الجزائرية العربية السبّاقة إلى الاهتمام بالإخراج بما كانت تنشره من رسوم يدوية على صفحاتها الأولى، ترمز بها إلى أهدافها الإصلاحية وهي من رسم صاحب الجريدة نفسه فقد كان يجمع إلى براعته في الرسم إبداعا في الخط العربي والفرنسي أيضا"⁽³⁾، فكانت الصفحة الأولى مخصصة فقط لرسم صورة معبرة عن فكرة معينة من الأهداف التي تسعى لجريدة لتحقيقها.

كتب في واجهة العدد الأول من الجريدة "ذو الفقار بعثت لأقتل النفاق والحسد والكبر والشرك من قلوبهم، وألق فيهم الصدق والنجاح والتواضع والإيمان الخالص وحب الخير لبعضهم والتعاون والاتحاد"⁽⁴⁾ وأعلى هذه العبارة رسم رجل بيده سيف ذو الفقار يتفحصه، وتقول في نفس العدد معبرة عن توجهاتها وأهدافها "ذو الفقار جريدة عبدوية (نسبة لمحمد عبده) إصلاحية وأنها لا تخرج عن الطريقة التي خطها لها رجال الإصلاح المخلصين، ومن ما اتخذته مبدأ لها بعدها عن السياسة لأنها مهما دخلت في شيء إلا أفسدته، ولا تحظر على بال أننا من أعداء الحكومة وخصومها، كلا إننا من أنصارها في الإصلاح ومعاون رجالها الذين نعلم أنهم يحبون الخير للمسلمين وقد أظهروا ذلك في غير ما مرة وترشد إخواننا بأن لا يهتموا بأقويل ضعفاء العقول الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا بطيشهم وبمروقهم من الدين واعتراضهم عن نصائحه ألا إنهم هم المفسدون، ولكن لا يشعرون"⁽⁵⁾، وقد جعلت الجريدة محمد عبده مديرها الديني التي نشرت له صورة وأسفلها مقولة له هي: "إني أريد أن أنفض بالإسلام بمنابعه للمسلمين ذلك الجهد القديم والسلطان الواسع"⁽⁶⁾ "ويبدو أن هذه الجريدة كانت ذات اتجاه إصلاحية، ديني اجتماعي وطني جميعا"⁽⁷⁾، وهذه الجريدة دليل على مدى تأثير زيادة محمد عبده للجزائر.

(1) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 57.

(2) علي (مرّاد)، المرجع السابق، ص: 39.

(3) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 79.

(4) جريدة ذو الفقار، ع01، السنة الأولى، 05 أكتوبر 1913.

(5) مقاصد الجريدة، جريدة ذو الفقار، ع01، السنة الأولى، 05 أكتوبر 1913.

(6) جريدة ذو الفقار، ع03، السنة الأولى، 28 جوان 1914.

(7) عبدالمالك (مرّاض)، المرجع السابق، ص: 75.

وسبب انشائها كما جاء في صفحات عددها الأول هو احياء علوم الدين ومحاربة أعدائه وتقصد بذلك اليهود لأنه لا يوجد اشارة للاستعمار أو المسيحيين، ومن سبب تأسيس الجريدة كذلك محاربة الفساد والمفسدين فتقول: "لما سمعنا الاسلام يئن من طعنات أعدائه والوطن ينادي بالويل والحسرة على أبنائه أنشأنا هذه الجريدة لمحاربة أعداد الدين وكشف أسرار المنافقين وإظهار مكائد اليهود والمشركين للناس أجمعين وانتقاد أعمال المفسدين ومراقبتهم في جميع حركاتهم وسكناتهم"⁽¹⁾، ويضيف "ذو الفقار أسس لنصرة السنة المحمدية ومقاومة البدع الشيطانية التي أوقعت المسلمين والمسلمات في المهالك، ذو الفقار يبارز الأغنياء المقصرين الذين يريدون أن يجعلوا مخلوقات الله ونظامات الكون آلات يستجلبون بها منافع لهم، ذو الفقار يأمر وينهي ومنذر ومحذر فمن تاب ورجع عن غبه وعمل صالحا فله الجزاء والشكر ومن لم يجتنب الفحشاء والمنكر والعمل بهما فلنديقنه مرورة الحياة ولنجزينه أسوأ الذي عمل ولناتينه بجنود من الحقائق لا قبل له بها، ولنخرجنه من دائرة الإنسانية والاسلامية"⁽²⁾.

وأهم القضايا التي عالجتها الجريدة جاء موجز لها في العدد الأول وأهمها الدعوة لإصلاح العقيدة وتوضيح مكائد اليهود، وشروط الدعوة ودور القلم في ذلك، والتكفل باليتامى والمساكين⁽³⁾، كما تعتبر الجريدة الأخلاق الحميدة إحدى دعائم النهضة والرقى لدى كل الأمم "كيف يكون المسلم مسلما خلا أهله من المحسنين"⁽⁴⁾، كما اهتمت الجريدة بأحوال العالم الإسلامي وخصصت لهذا الموضوع ركنا ثابتا تحت عنوان يريد الاسلام متتبعه ما يجري فيه من أحداث ومباركة لكل مبادرة تتخذ على طريق الإصلاح والنهوض"⁽⁵⁾، كما هاجمت جريدة ذو الفقار الأغنياء الاحتكاريين، وعلى "أنانيهم وانتفاعيهم على حساب شعبهم وتدعو في سبيل القضاء على هذه الروح المتخاذلة إلى اشتراكية إسلامية مقارنة بينها وبين الاشتراكية العلمية"⁽⁶⁾، وبالتالي فأغلب مواضيع الجريدة دينية اجتماعية، ولم تتعرض للسياسة كما صرحت بذلك.

وما تميزت به هذه الجريدة هي الرسومات الهادفة التي كانت تنشرها على صفحاتها الأولى الموافقة لحكمة مرفقة بها، فمثلا في العدد الثالث هناك صورة لرجل يحمل مشعل ويجلس أمامه أسد خاضع له يقابله

(1) مقاصد الجريدة، جريدة ذو الفقار، ع01، السنة الأولى، 05 أكتوبر 1913.

(2) المصدر نفسه.

(3) مقاصد الجريدة، جريدة ذو الفقار، ع01، السنة الأولى، 05 أكتوبر 1913.

(4) جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص : 98.

(5) المرجع نفسه، ص : 101.

(6) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 77.

انسان خائف في صورة الباطل، وأسفل الصورة مكتوبة "من اعتمد على الحق أطاعته الأسود . وقل جاء الحق وزهق الباطل"⁽¹⁾، وقد تبّعت هذه الجريدة إلى الخطر الصهيوني، ومن المقالات التي نشرها العدد الثالث بعنوان المسألة الصهيونية ذكر فيه صاحب المقال: "من عجائب العبر في تفاوت هم البشر تصدي جمعية من يهود أوروبا لتكوين دولة جديدة في البلاد المقدسة من مملكة العثمانيين من مهاجرة فقراء اليهود الموزعين في جميع أطراف الأرض بمساعدة هذه الجمعية ... فسمو همة جمعية أسسها رجل من اليهود إلى تكوين دولة من المهاجرين الفقراء في بلاد تنازع فيها أقوى الأمم والدول"⁽²⁾، وقد نبهت إلى خطر اليهود من قبل جريدة الحق العنابي.

ومن المواضيع التي تناولتها الجريدة ضرورة التعاون بين الجزائريين ومساعدة الأغنياء للفقراء لأن الوضع الاستعماري أوجد شريحة واسعة من الفقراء "ولكننا نجد الأغنياء في الأمم عموماً وفي أمتنا خصوصاً يحصيهم الحد وتخصرهم أصابع اليد ونجد الفقراء هم السواد الأعظم والجسم الغفير، وما ذلك إلا لعدم مواساة الأغنياء وعدم التفاتهم إلى سواهم"⁽³⁾، وقد دعت الجريدة الأغنياء إلى دعم المشاريع الإصلاحية مالياً.

كانت ذو الفقار تصدر في شكل مجلة مصورة وكانت تطبع طبعا حجرياً، حيث أصدرت أربعة أعداد فقط لأنه كان "من المستحيل التمكين لعمر راسم في بث أفكاره الوطنية والإصلاحية وخصوصاً كان يعادي اليهود الذين دبوا له دسياسة انتهت بتوقيف الجريدة والزج به في السجن"⁽⁴⁾، وقد كان لهذه الجريدة قراء؛ ففي سنة 1914 كانت الأمة الجزائرية برمتها تقرأ 8000 عدد من الفاروق وذو الفقار في الشهر، بمعدل ألف نسخة من كل جريدة أسبوعياً⁽⁵⁾، ومن خلال طبيعة مواضيعها فإن هذه الجريدة تندرج ضمن "الخط الإصلاحية لمحمد عبده، وتشدد بقوة في مناهضتها للمرابطة، ومعارضتها لفرنسة الشبيبة الإسلامية، إن موقفها المعارض للمرابطة سمة من سمات المذهب السلفي الإصلاحية ويعكس في الوقت ذاته ذهنية الأوساط الجزائرية المثقفة في بداية القرن العشرين"⁽⁶⁾، وتؤكد من جهة أخرى تأثر الواقع الثقافي بالتيارات الثقافية الخارجية.

(1) جريدة ذو الفقار، ع03، السنة الأولى، 28 جوان 1914

(2) المسألة الصهيونية، جريدة ذو الفقار، ع04، 28 جوان 1914.

(3) التعاون التعاون، جريدة ذو الفقار، ع02، السنة الأولى، 26 أكتوبر 1913.

(4) عبدالمالك (مرتاض)، المرجع السابق، ص: 75.

(5) أحمد توفيق (المدني)، المصدر السابق، ص: 372.

(6) علي (مراد)، المرجع السابق، ص: 39.

اختفت ذو الفقار دون أن يحقق ما كانت تهدف إليه من المقاصد التي حددتها لنفسها ولكنها نجحت على الأقل في تلمس بعض من أهدافها "بروج عالية، وقناعة راسخة حتى أنه لم يلمس المعونة المالية والتي هو في أمس الحاجة لها... لقد أجبرته ظروفه المادية وعوائق أخرى إلى الاحتجاب لمدة ثمانية أشهر بعد صدور عددان فقط ليعود للظهور مرة أخرى عند منتصف شهر جوان 1914 وليختفي نهائياً"⁽¹⁾، ولم تكد الحرب الكبرى تعلن أهوالها حتى ألقى القبض على الأستاذ عمر راسم بتهمة التفاهم مع العدو، فحوكم عسكرياً وحكم عليه بالأشغال الشاقة ثم صدر عليه العفو إثر الحرب⁽²⁾، لكن الجريدة لم تصدر بعد الحرب العالمية الأولى.

2-7 الفاروق:

صدر العدد الأول من هذه الجريدة بالجزائر العاصمة يوم 28 فيفري 1913، "وهي جريدة عصبامية علمية إخبارية اجتماعية أدبية مصوّرة تصدر كل يوم جمعة، اشترك في انشائها السيدان أبو حفص عمر بن قدور وعمر راسم، فالأول كان يحرّر قسم الأخبار منها والثاني كان يحرّر افتتاحيتها بدون إمضاء وهو الذي اختار لها هذا الاسم؛ حيث أن السيد عمر بن قدور كان يشتغل مصنفًا بمطبعة (كريزاشو) الإيطالية، رغب من زميله مر راسم أن ينشئ جريدة بمساعدته فأجاب لذلك، إلا أن المعاشرة لم تطل بين الزميلين فانسحب عمر راسم تاركًا زميله عمر بن قدور وحده على رأس الجريدة إلى أن اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى، ففر إلى مدينة الأغواط بجنوب الجزائر ومكث هناك مدّة الحرب، حيث استأنف نشاطه الصحفي وأصدر الفاروق من جديد في شكل مجلة، وكانت الجريدة والمجلة تطبعان بالمطبعة الإيطالية المذكورة وهي مطبعة حجرية"⁽³⁾.

في افتتاحية العدد 09 51 مارس 1914 كتب أن الفاروق أول صحيفة إسلامية تظهر في العاصمة الجزائرية، مبدؤها الإصلاح الديني والاجتماعي، وفي نفس العدد يعلن الناشر بأنه عازم على محاربة البدع والآفات"⁽⁴⁾، ويقول عمر بن قدور مؤسسها ومديرها أنه اختار لها اسم الفاروق لتكون "بمشرها الاعتدالي فارقة بين الحق والباطل، وأمرة بالمعروف ناهية عن المنكر"⁽⁵⁾، وكان متأثرًا بمجلة المنار، فأسس الفاروق لمحاربة

(1) جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص: 102.

(2) أحمد توفيق (المدني)، المصدر السابق، ص: 369.

(3) زكرياء (مفدي)، المصدر السابق، ص: 58.

(4) علي (مزاد)، المرجع السابق، ص: 40.

(5) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 74.

الخرفات والبدع في الدين⁽¹⁾، ومن أهم مشاريعها مشروع التعارف الاسلامي، فقد دعت إلى تكوين جمعية بهذا الاسم بالمغرب العربي كنواة لتعارف أكبر يضم كل البلاد الاسلامية ووضعت لذلك برنامجا وتخطيطا⁽²⁾.
التفت حول مشروع الجريدة كتاب من الجزائر وتونس، وقد فتحت صفحاتها للكتاب الشباب، فقد كتب فيها أحمد توفيق المدني وعمره خمسة عشر سنة فيقول: "وكانت طيبة الله ذكرها هي أول عهدي بالصحافة، إذ كتبت بها أول مقال بجياي سنة 1914، وكنت يومئذ في الخامسة عشر من عمري، تحت عنوان: القرآن الشريف وكيف يجب أن نتعلمه"⁽³⁾، وكان هدف الفاروق الدفاع عن الاسلام ووحدة المجتمع الاسلامي بالجزائر و" إلى وقاية إيمانه من القوى الرجعية التي كانت تهدده وتشل حركته، كان هدفها محاربة الاستحداثات المذمومة من بدع"⁽⁴⁾، وقد سارت في نفس اتجاه جريدة ذو الفقار لتأثرها بالمنهج السلفي والحركة الإصلاحية لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

شعار هذه الجريدة (جريدة اسلامية علمية اجتماعية أدبية)، وكانت مواضيع هذه الجريدة حول الإصلاح، وركزوا على دعوة المفكرين والعلماء إلى إحياء النفوس فيكتب عمر بن قدور: "يا معشر المفكرين المتنورين والعلماء العاملين... موتوا تخاذلا أو دعوا التخاذل يموت"⁽⁵⁾، كما نشرت جريدة الفاروق مقال عن سيرة عمر بن الخطاب⁽⁶⁾، وأخبار اخرى تحت عنوان حوادث داخلية وحوادث خارجية، وكانت تقوم بعملية اشهارية لبعض الجرائد الخارجية مثل جريدة البيان المصرية التي تقول عنها: "مجلة شهرية تبحث في الأدب والتاريخ والفلسفة والأخلاق والتربية والاجتماع ونوايغ العالم والنقد والروايات والصحة وتدير المنزل...وكيلها بالقطر التونسي والجزائر وطرابلس الغرب والمغرب الأقصى محمد المقدم⁽⁷⁾، وما يثير الانتباه هو اختفاء كلمة سياسية من مفاتيح موضوعاتها التي ستتناولها، خاصة وان عمر بن قدور عند بداية ظهور اسمه على أعمدة صحيفة الهلال، كان يشير لموضوع الوطنية بأسلوب حماسي يقارب الأسلوب الذي يستخدمه محمد علي

(1) عبدالمالك (مرتاض)، المرجع السابق، ص: 77.

(2) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 74.

(3) أحمد توفيق (المدني)، المصدر السابق، ص: 369.

(4) محفوظ (قداش) وجيلالي (صاري)، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، المرجع السابق، ص: 283.

(5) عمر (بن قدور) الجزائري، «دان النهوض ولم يدن»، جريدة الفاروق، ع(19)، السنة الأولى، 06 جويلية 1913.

(6) رفيق (بك)، «عمر بن الخطاب»، جريدة الفاروق، ع(19)، السنة الأولى، 6 جويلية 1913.

(7) البيان، جريدة الفاروق، ع43، السنة الأولى، 9 يناير 1914.

بريزن⁽¹⁾، لكنه تجتّب المواضيع السياسية حتى لا تتعرض للتوقيف، وعندما تجرأ على ذلك أوقفت الإدارة الاستعمارية الجريدة.

بعد أن صدر منها حوالي خمسة وتسعين عددا، وبعد فترة دامت عامين إلا شهرا منعتها السلطات الحاكمة عن الصدور إثر مقال كتبه عمر بن قدير ينتصر فيه للعثمانيين ضدّ الحلفاء، وقد حدّره الاستعمار من نشره فأبى أن يكون قلمه أجير السلطات الاستعمارية، فكان جزءا هذه الجرأة السجن المضيق بالعاصمة ثم النفي إلى الأغواط مدّة خمس سنوات⁽²⁾، ومن أسباب توقيفها ظروف الحرب العالمية الأولى.

2-8 التقويم الجزائري:

وهو عبارة عن مجلة سنوية أنشأها الشيخ محمود كحول مدير تحرير جريدة كوكب افريقيا سنة 1911، والمستعرب بودي لوي ناظر مصفي الحروف العربية بمطبعة فونتانا الأخوين في الجزائر، والتي كان يطبع فيها التقويم، ويبيع بفرنكين⁽³⁾، وحسب الشكل فيقسم التقويم إلى أقسام بداية بالدباجة، وبعدها القسم الفلكي، ثم القسم الفلاحي، وبعده القسم الأدبي، ليليه القسم الطبي، وأخيرا، وعند مطالعتنا له لمسنا في الجدية ومشروع لترقية المجتمع وثقافته بما يساعده في مواجهة مشاكل الحياة، كما أنه أسلوب جديد في التأليف يستفيد منه العام والخاص، وما يدل على ذلك نسبة الإقبال عليه، ونؤكد رأينا بما كتبه جريدة كوكب افريقيا أن نسخ التقويم نفذت ومن أراد نسخة يرسل المطبعة مباشرة "طبع هذا التقويم الذي أصبح لا يحتاج للشرح أو البيان وتفرعت نسخة على أطراف القطر الجزائري ولم يبق بإدارته إلا القليل منها فعلى من يريد اقتنائه وتحصيله قبل فواته فليبادر بمخاطبة الإدارة حسب عنوانها اسفله"⁽⁴⁾ وكان ثمنه وقتئذ فرنكان وخمسة وعشرون سنتيما.

تضمن التقويم الجزائري لسنة 1912 (السنة الثانية) الحوادث الفلكية والحسابات السنوية والفصول الأدبية والفلاحية والطبية وتراجم الأعلام وتربية الخيل⁽⁵⁾، وكتب في جريدة كوكب افريقيا مضمون التقويم لسنة 1912 ما يلي: "أما موضوعاته فالقسم الفلكي وفيه حساب الشهور وسير الكواكب وأوقات الشروق

(1) جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، المرجع السابق، ص: 93.

(2) محمد (ناصر)، المرجع السابق، ص: 75.

(3) هذه المعلومات حسب ما هو مدوّن على واجهة التقويم لسنة 1913.

(4) التقويم الجزائري، جريدة كوكب افريقيا، عدد 17 مارس 1911.

(5) التقويم الجزائري لسنة 1912، جريدة المبشر، ع 5526، 11 جانفي 1913.

والغروب وبيان درج البلدان والفرق بين الساعة المعتادة وساعة الزوال حسب شهور السنة وكلام طويل على زراعة الحبوب والزيتون وادخاره والدخان وإتقانه ومنظومة الشيخ الفريقي في الصيد الطيور وما يؤكل من الصيد وما لا (يؤكل) ويتبع ذلك صور بعض مشاهير القطر وتراجمهم والكلام على زكاة الفطر ومناسك الحج والأضحية ونبذة في الحمامات المعدنية ونبذة في جغرافية الجزائر الادارية... وختتم بحوادث السنة الماضية⁽¹⁾.

استطعنا أن نحصل على نسخة من التقويم لسنة 1913 من المكتبة الوطنية، وقد تضمن عدّة أقسام، بداية من دباجة تضمنت مقدمة وجدول لشهر محرم فيها الأيام بالتقويم الهجري وما يقابله بالمسيحي، ثم تاريخ المواسم كعاشوراء وما يقابلها بالمسيحي، وبعد ذلك القسم الفلكي وفيه تنبؤات لما يحدث في كل شهر من شهور السنة بناء على معطيات فلكية، وفي القسم الفلاحي الحديث عن ما تحتاج له الفلاحة، وفائدة في تزييب الأجاس الدمشقي، وطريقة ادخار العنب، وفي القسم الأدبي الحديث عن واقع وتاريخ مدينة بونة (عنابة)، وموقعها الجغرافي، وكذلك نشر لأجزاء من كتاب الدرة المصونة في ذكر علماء وصلحاء بونة، ونشر التقويم الجزائري في القسم الطبي وصايا الصحة العشر كما عدّدها محرري التقويم، ونذكرها باختصار: الهواء النقي، وممارسة الرياضة، عدم الافراط في الطعام والإكثار من الفواكه، والمحافظة على النظافة ولو كان بالماء البارد، والوسطية في اللباس، وأن يكون المنزل معرض لأشعة الشمس، والعمل المعتدل، والنوم المبكر وعدم السهر، والوصية العاشرة خدمة الانسان لأهله فإنه تجلب له السعادة والصحة والعافية، وفي قسم التراجم تم التعريف ببعض الوجهاء العلماء وأعمالهم مثل الشيخ محمد الشريف ابن علي الشريف، والشيخ المولود ابن الموهوب مفتي المالكية في قسنطينة، والشيخ عبدالقادر الجاوي⁽²⁾.

وفي ختام هذه الدراسة عن الصحف وتطور الصحافة بين سنة 1880 وسنة 1914 نستنتج أن معظم الصحف أنشأها وترأسها فرنسيون، فهل كان الجزائريون عاجزين على تأسيس الصحف؟ يجيب سعد الله بقوله: "أن الجزائريين كانوا غير قادرين على إنشاء الجرائد عندئذ من الناحية المادية، كما أنهم لم يكونوا متعودين على فنيات الصحافة، اللهم إلا إذا كان العدد القليل الذي تعامل مع جريدة المبشر والذي كان معظمه قد تولى وظائف رسمية أخرى، مثل أبي القاسم الحفناوي، ومحمد بن مصطفى خوجة، كما أن إنشاء صحيفة كان يتطلب الدخول في عالم المعاملات مع الإدارة ومع الصحف الأخرى والحسابات والمراسلات ومعرفة القوانين الجارية، وهذا ما لم يكن متيسرا عندئذ للجزائريين... ولذلك يمكن القول إن الجزائريين لم يكونوا

⁽¹⁾ التقويم الجزائري، جريدة كوكب افريقيا، عدد 17 مارس 1911.

⁽²⁾ التقويم الجزائري، السنة الثالثة، 1913.

غافلين عن أهمية الصحافة، ولكن كانوا عاجزين عن إنشائها"⁽¹⁾، كما أن نقص المطابع لعب دورا حاسما في قلة صحف الجزائريين المسلمين.

وما يلاحظ عن حياة هذه الجرائد أنها لم يكتب لها أن تعمر طويلا، حيث عانت طوال الفترة الممتدة من 1893 إلى 1907 صعوبات جمة وفرضت عليها كل أنواع الرقابة والضغوطات، بسبب النهج المعادي الذي اتخذته إزاء الاستعمار وذلك بإبراز الأحوال المزرية للمسلمين"⁽²⁾، ويقول أديب مروة عن بداية الصحافة في الجزائر: "وبالإجمال كانت نشأة الصحافة العربية في الجزائر ضعيفة جدا نظرا لطغيان الاستعمار الفرنسي وعدم تشجيعه اصدار الصحف بالعربية ما لم تكن مؤيدة لسياسته وعاملة على خدمة مصالحه الخاصة"⁽³⁾.

عرفت الصحافة المسلمة التي ظهرت في بداية القرن العشرين بدايات صعبة وكانت دوما تصطدم مع الإدارة، وقد بدأت هذه الأخيرة في نهاية القرن التاسع عشر الحد -وحتى المنع- من توزيع الجرائد الأجنبية الصادرة باللغة العربية، ثم ألغيت جرائد كانت تعيق عملها، وأنشأت أخرى خاضعة لمراقبتها، وأصبحت الرقابة ابتداء من 1903 أكثر وضوحا"⁽⁴⁾، ورغم تلك الصعوبات فقد ساهمت الصحافة الإسلامية، "رغم أنها كانت محتشمة وذات سحب محدود جدا في نشر المصطلحات والمفاهيم الأساسية للحركة ومكافحة البدع واخلال الأخلاق أمام الرأي العام الإسلامي"⁽⁵⁾.

إن تاريخ الصحافة الوطنية في فترة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هو بحق "تاريخ ملحمة من أجل حرية التعبير وقول كلمة الحق مهما كانت التضحيات، وقد لعبت دورا مشرفا في النضال الوطني في هذه الفترة"⁽⁶⁾، وقد تحدى مؤسسو تلك الصحف صعوبات عامة منها معارضة صحافة الكولون وموقف الإدارة الاستعمارية التي عملت "كل ما في وسعها على منع الصحافة والدوريات التي تشكك في الأمن العام وتنتقد الوضع الاستعماري، ومن جهة أخرى تشدد الرقابة على توزيع المجلات الأجنبية"⁽⁷⁾.

(1) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 242.

(2) عبدالقادر (كرليل)، المرجع السابق، ص: 225.

(3) أديب مروة، المرجع السابق، ص: 224.

(4) محفوظ (قداش)، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج01 (1919-1939)، تر: أحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص: 39.

(5) علي (مّزاد)، المرجع السابق، ص: 40.

(6) جمال (قنان)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص: 194.

(7) جمال (خرشي)، المرجع السابق، ص363.

ثالثا: الجمعيات والنوادي:

الجمعيات والنوادي ظاهرة اجتماعية تدل على النضج والاستجابة لمتطلبات الحياة المدنية الحديثة⁽¹⁾، وهي وليدة مطلع القرن العشرين، تزامنت مع ظهور حركة الشبان الجزائريين، فعلى غرار الجمعيات الثقافية والعلمية التونسية كالحلدونية 1896 والصادقية 1905⁽²⁾، ظهر في الجزائر عدّة جمعيات منها الراشدية والصادقية والتوفيقية⁽³⁾، ونوادي منها نادي صالح باي بقسنطينة والتقدم والصدقية بعنابة وغيرها من النوادي التي كانت تلقى فيها المحاضرات بالعتين العربية والفرنسية⁽⁴⁾، وعندما ترعرعت جريدة الحق الوهراني "أسس الشبان الجزائريون المنتمون لها "جمعية المدرسين الأهالي لعمالة وهران" في مايو 1912، عرفت باسم (جمعية الصداقة) وكان على رأسها معبد بن عودة⁽⁵⁾، وكان هدف هذه الجمعيات والنوادي تثقيف الجزائريين.

تأسست الجمعيات الثقافية في الجزائر بناء على قانون الجمعيات الصادر في 01 جويلية 1901، والتي نصت المادة الثالثة عشر منه أن الجمعيات الدينية يتم إنشاؤها بترخيص من مجلس الوزراء، ويتم حلها بترخيص منه، ونصت المادة الرابعة عشر على أن لا يتأسس الجمعية شخص ينتمي إلى جماعة دينية محضرة⁽⁶⁾، ورغم ذلك فقد منح هذا القانون بعض الحريات في تأسيس الجمعيات مقارنة بالقوانين التي سبقته مثل قانون 28 جويلية 1848، وقانون 14 مارس 1872، وقانون 30 جوان 1881، لأن قانون 1901 سمح بتطبيقه في الجزائر وباقي المستعمرات، كما سمح بنشاط الجمعيات الأجنبية التي يديرها مواطنون لا يملكون الجنسية الفرنسية بما في ذلك الجزائريين.

سمح هذا القانون بإنشاء الجمعيات الدينية الاسلامية المستقلة عن الإدارة الاستعمارية، لأن جمعيات المساجد قبل ذلك كانت تحت الاشراف المباشر للإدارة الاستعمارية وأعضاؤها جزائريون ينتخبون، يقول عنها

(1) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 313.

(2) أحمد (صاري)، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص: 108.

(3) René Gallissot, «les Algériens musulmans et la France (1871-1919) de Charles-Robert Ageron», La Pensée Revue du Rationalisme Moderne, No 153, octobre 1970, Paris, P : 120.

(4) رايح (لونييسي)، المرجع السابق، ص: 21.

(5) إبراهيم (مهديد)، «الصراع حول الهوية والانتماء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية: جريدة الحق الوهراني نموذجا 1911-1912»، مجلة عصور، ع6-7، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران-الجزائر، جوان وديسمبر 2005، ص09.

(6) Loi sur les Associations 1^{er} Juillet 1901, éditeur Victor Lecoffre, Paris, 1909 , P : 04.

أحمد توفيق المدني: "وأغلب الجمعيات الدينية في القطر لا تستحق اسم الجمعيات إلا مع التسامح الكبير فهي في الحقيقة هيئات تابعة للإدارة لا تعمل إلا باسمها ولا تتكلم إلا برضاها ولا تسعى إلا بإشارتها"⁽¹⁾، وبما أن الإدارة الاستعمارية كانت تتحكم في المساجد فكانت تمارس نفوذها على جمعيات المساجد، في ترك حرية الانتخاب لكنها تنتقي المترشحين بطريقة محكمة.

بدأ النشاط الثقافي للجمعيات والنوادي "بمبادرات فرنسية من فرنسيين متعاطفين مع القضايا الجزائرية أو بدفع من الإدارة الأهلية التي جاء شار جونار بالخصوص، وسانده في ذلك دومنيك لوسيان، ذلك أن معظم الجمعيات والنوادي التي ظهرت لأول مرة خلال العشرية الأولى"⁽²⁾ من القرن العشرين.

يرجع تاريخ بداية ظهور الجمعيات في الجزائر إلى نهاية القرن التاسع عشر، وذلك بتأسيس أول جمعية تعاونية 1897 في مدينة الجزائر، تحت رئاسة السيد علي الشريف إلا أن هذه الأخيرة لم تقم بدورها كما يجب، وذلك لعدم مبالاة مجلسها الإداري وبقية أعضائها الأمر الذي أدى إلى حلها سنة 1908"⁽³⁾، ثم تأسست جمعيات ونوادي أخرى في شتى الحواضر الجزائرية الرئيسية نذكر منها: ودادية العلوم العصرية في خنشلة، ونادي الشبان الجزائريين في تلمسان، وجمعية الإخوة في معسكر، والتوفيقية في الجزائر، والمجتمع الإسلامي القسنطيني، والهلل والصادقية، ونادي التقدم في عنابة، وكان لمعظمهم فروع في بعض المراكز الصغرى أو في القرى مثل نادي الاتحاد، والتقدم الصهاريجي في جامع الصهاريج"⁽⁴⁾.

إن هذه الجمعيات والنوادي كان لها دور كبير خلال فترة ما قبل الحرب (1900-1914) فقد ساهمت مساهمة فعالة في يقظة الجزائر ذلك أن زعمائها ركزوا على التعليم والتقدم والتحرر فقد حاولوا أن يطوروا المجتمع الجزائري وأن يجعلوا منه مجتمعا حديثا ومتنورا بدل مجتمع قديم وتقليدي، كما أن الأفكار الأوروبية قد ساهمت من خلال هذه النوادي في النهضة الجزائرية"⁽⁵⁾، وسنركز في هذه الدراسة على جمعيتين هما الجمعية الراشدية والجمعية التوفيقية لما لهما من أثر في الحياة القافية في الجزائر قبل الحرب العالمية الأولى.

1-الجمعية الرشيدية: تأسست الجمعية الرشيدية في الجزائر سنة 1902"وكانت في البداية عبارة عن جمعية صداقة بين التلاميذ القدامى خرجي المدارس الفرنسية الأهلية وكانت في نفس الوقت تقوم بدور التعاضدية

(1) أحمد توفيق (المدني)، المصدر السابق، ص: 374.

(2) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 313.

(3) أحمد (صاري)، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص: 109.

(4) شارل روبيير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج02، المرجع السابق، ص: 710.

(5) أحمد (صاري)، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص: 114.

لتقديم المساعدات للمنخرطين فيها ولكن دورها الأساسي هو تشجيع تعليم الأهالي⁽¹⁾، وكانت تتلقى المساعدات من طرف البلديات والحكومة العامة للقيام بمشاريعها الخيرية⁽²⁾، خاصة في الجانب التعليمي. ترأس الجمعية الراشيدية السيد سروي Saitouy مدير مدرسة أهلية بنفس بالجزائر العاصمة، وبما أن هذه الجمعية كانت تضم قداماء تلامذة المدارس فإن أهدافها كانت مركزة على اهتمامات هذه الفئة، "مع إعطاء هذه الأهداف صبغة سياسية بمحاولة تعريف هؤلاء على الثقافة الفرنسية للتمكن من إدماجهم في الوسط الفرنسي، ذلك أن البند الثالث من أهدافها ينص على ضرورة تنظيم دروس ومحاضرات لتمكين التلاميذ من معرفة اللغة الفرنسية ومن تقديس الأفكار الفرنسية، وهذا لا يعني أن هذه الجمعية كانت منغلقة على اللغة العربية، فقد كانت الدروس والمحاضرات تعطى بها اللغتين"⁽³⁾، ويقول صاحب التقييم الجزائري عن هذه الجمعية في تعريفها وأهدافها: "جمعية وطنية مؤلفة من قداماء تلاميذ المكاتب العربية الفرنسية في الجزائر بقصد نشر العلوم، وبثها في عقول الأفراد وتحبيب مناهلها للنفوس حتى يقبلوا على مواردها"⁽⁴⁾، ومن أهدافها كذلك "مساعدة المتخرجين السابقين من المدارس المختلطة الفرنسية- الأهلية ولتأسيس دروس للبالغين وتأسيس مكاتب"⁽⁵⁾، كما كانت تهدف إلى محاربة الآفات الاجتماعية.

تضمنت لائحة الجمعية كيفية الانخراط بمبلغ يسر لا يتجاوز في السنة 6 فرنكات لكل عضو وينقسم أعضاؤها إلى عاملين وتشريف وتساعدوا الولاية العامة وبلدية الجزائر بمبلغ له بال كل سنة وتصرف من مداخيلها ما يقتضي كل سنة من كسوة أولاد الفقراء المثابرين على التعليم ومساعدتهم، وتسعى بعد خروجهم من المكاتب في استخدامهم وإيجاد طريقة لمعاشهم ويوجد الآن بخزينتها مبالغ وافرة رغما ما تبدله من المصروف في سبيل مساعدة التلاميذ وتقييم كل عام حفلة عمومية يحضرها من يشخص الحكومة وإدارة العلوم ودواوين الولاية وتجري فيها تشخيصات وألعاب رياضية⁽⁶⁾.

كانت الجمعية الراشيدية متفتحة على روح العصر ويظهر ذلك من خلال مواضيع المحاضرات التي كانت تلقى بها، فإذا أخذنا كنموذج سلسلة المحاضرات الشهرية التي أقيمت خلال سنة 1908 تبين لنا مدى

(1) شارل رويبر (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 709.

(2) أحمد (صاري)، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص: 115.

(3) المرجع نفسه، ص: 109.

(4) محمود (كحول) وبودي (لوي)، التقييم الجزائري لسنة 1913، مطبعة فونطانا، الجزائر، 1913، ص: 184.

(5) محفوظ (قداش) وجيلالي (صاري)، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، المرجع السابق، ص: 22.

(6) محمود (كحول) وبودي (لوي)، المصدر السابق، ص: 184.

تنوع هذه المحاضرات أدب، قانون، سياسة، علوم... ومدى حضنها على التعلّم والتفتّح على اللغات والعلوم، وعلى التعريف ببعض الفنون والأنظمة السياسية والقانونية، كما شارك في إلقاء هذه المحاضرات أشهر مثقفي النخبة آنذاك كابن سماية وابن التوهامي والمجاوي⁽¹⁾، ونذكر نماذج عن بعض المحاضرات وصاحبها ولغة الإلقاء⁽²⁾:

عنوان المحاضرة	المحاضر	اللغة
حسن التعليم وفوائده	إبراهيم فاتح	العربية
السل الرئوي	بلقاسم بن التوهامي	الفرنسية
آلات الحرب الحديثة وقوة فرنسا العسكرية	الضابط لوجلاي	الفرنسية
الأدب العربي	عبدالحليم بن سماية	العربية
النظام الشرعي في الجزائر	القاضي عبدالرزاق الأشرف	العربية
الإسلام يسمح بدراسة اللغات والعلوم	الشيخ محمد سعيد بن زكري	العربية
حضارة العرب قبل الإسلام وبعده	الشيخ عبدالقادر المجاوي	العربية
الفن العربي	شارل دي جلان	الفرنسية
النظام السياسي الفرنسي	الحامي بن الحاج	العربية
اختصاصات النور وتطبيقها	المعلم عمر قندوز	العربية

للجمعية مجلس مختار يتجدد البعض من أعضائه كل سنة بالانتخاب حسب بنود لائحتها ويتألف منه مكتب يدير شؤون الجمعية مدّة العام، ثم تعقد جمعيتها العمومية أول كل حول فتتدبر في إيراداتها ومصارفها وتحدد انتخاب القسم من الأعضاء الذين استوفوا مدتهم⁽³⁾، هذا بعد تأسيسها للمرة الثانية أما جهازها التنظيمي في تأسيسها الأوّل فكان يتكوّن من "مجلس إدارة ورئيس ينتخبون لمدة ثلاث سنوات في كل عهدة ثلاثية جديدة للمجلس وكانت تعرض قائمة الأعضاء المعينين للتكفل بالشؤون الإسلامية لموافقة الإدارة والمرشحين لتقاضي التعويضات المترتبة عن تأدية الوظيفة⁽⁴⁾، ونتيجة لتنظيمها المحكم ونشاط المشرفين عليها

(1) أحمد (صاري)، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص: 109-110.

(2) المرجع نفسه، ص: 110.

(3) محمود (كحول) وبودي (لوي)، المصدر السابق، ص: 184.

(4) شارل روبيير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 475-476.

فقد "سارت هذه الجمعية في سنواتها الأخيرة أشواطاً واسعة وانخرط فيها الجم الغفير من عليه القوم فأصبحت في أدوار الترقى من حول إلى حول بعزائم مكتبها ومساعي مجلسها وأثناء السنة الدراسية تجعل في كل شهر مسامرة علمية يقوم به أحد المشاهير من أساتذة الكليات والممتازين في فن من الفنون فتحصل منها فائدة عامة وكفاها فخراً ماهي عليه من الثقة"⁽¹⁾، هذه شهادة من يعاصر نشاطها ويشهد بذلك على عزيمة أعضائها.

أصدرت الجمعية الراشدية نشرة داخلية تحمل اسم الجمعية، في سنة 1910، ومما جاء في عددها الأول: "ما هو هدفنا؟ إننا نريد لشعبنا المسلم الفقير والمغلوب على أمره أن ينال قسط من النعم المادية التي تخفف عنه بعض معاناته وتحرره من الهموم لينفتح عقله منذ الصغر فينشط بجممة"⁽²⁾، وقد ساهمت هذه النشرة في التعريف بالجمعية ونجاحها، ومما ساعد على نجاحها كذلك انشائها لفروع جديدة في مناطق خارج الجزائر العاصمة؛ حيث يقول أحمد صاري "فقد أوحى لهيئتها الإدارية سنة 1909 فكرة توسيع نشاط الجمعية وذلك بتأسيس فروع لها، وفعلاً فإلى غاية سنة 1910 قامت بتأسيس عدّة فروع"⁽³⁾.

ولم يقتصر نشاط الجمعية على مدينة الجزائر؛ "لقد نجحت -أي الجمعية الرشيدية- في الانتشار خارج الجزائر العاصمة بمبادرة بعض مدرّاء المدارس الفرنسية؛ ففي سنة 1908 توسع نشاطها حيث وزعت مساعدات عينة لفائدة 8مدارس كما نظمت دروساً للكبار وزودت المكتبات بالمؤلفات، بالإضافة إلى المحاضرات باللغة العربية"⁽⁴⁾، ونستقرئ من خلال ما وجدناه من معلومات عن الجمعية أن نشاطها تركّز على الجانب التعليمي والدعاية للتعلّم في المدارس الفرنسية.

2-الجمعية التوفيقية: تأسست سنة ⁽⁵⁾1908 وترأسها الدكتور ابن التوهامي⁽⁶⁾، وأعيد تنظيمها في 19 جانفي 1912⁽⁷⁾، يقول عنها محمود كحول: "هي جمعية خيرية ودية تهذيبية أدبية علمية تألفت منذ سنوات،

(1) محمود (كحول) وبودي (لوي)، المصدر السابق، ص: 185.

(2) شارل روبري (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص711.

(3) أحمد (صاري)، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص: 110-111.

(4) شارل روبري (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص710.

(5) Heller Maximilienne, «Au fil des jours Histoire d'islam revue et simplifiée», Revue Annales Africaines, N° 46, 14 Novembre 1913.

(6) أحمد (صاري)، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص: 113.

(7) A La Toufikya, L' Islam , N° 104 , Quatrième Année, 04 Février 1912.

وكانت ضئيلة حتى تولى قيادتها الدكتور ابن التوهامي ونخبة من الشبيبة المتنورة وأخذوا بيدها في مدارج الترقى والتقدم ففازت في أول أدوارها رغما حداثة عهدها ورتبت لها لائحة اشتملت على بنود في برنامجها ومسلكها الذي يدعو إلى تهذيب الأخلاق ونشر العلوم وشحذ الأذهان وإصلاح الحالة الاجتماعية وبث روح العلوم في نفوس الناشئة بالوسائل التي تفضيها أحوال العصر⁽¹⁾.

جاء في النظام التأسيسي لإعادة تنظيم الجمعية التوفيقية، وتأسيسها للمرة الثانية "المادة الأولى: بمبادرة من الشبان المسلمين الجزائريين، تم تأسيس جمعية أدبية وعلمية، المادة الثانية: ترمي الجمعية إلى جمع كلمة الأهالي الراغبين في التعلم، وتنمية المفاهيم العلمية والاجتماعية لديهم. وتقوم بدعم وإعانة كل جمعية تنشدها الغاية نفسها، كما يمكنها أن تساعد الشباب الراغب في مواصلة تحصيله العلمي، المادة 17: يحظر صراحة على أعضاء الجمعية إثارة أي حديث سياسي في اجتماعاتها العامة أو الخاصة"⁽²⁾

يدير شؤون الجمعية التوفيقية مجلس يتركب من 16 عضواً تنتخبهم الجمعية العمومية في النصف الأخير من جانفي كل عام، وفي نفس الاجتماع تعرض عليها حالة الجمعية وسيرها إيرادات ومصروفاتها ثم ينتخب منهم رئيس وخليفة وكاتب عام ومساعد له وخزناجي ونائبه وأمين مكتبه وأربعة أعضاء وإذا توفى عضو أو أكثر أو استقال تدعى الجمعية العمومية للاجتماع في ظرف شهر لانتخاب الخليف⁽³⁾.

وعند تأسيس الجمعية للمرة الثانية، كان يتكون مكتبها من رئيس الجمعية الطيب بن التوهامي، نائب الرئيس صوالح (استاذ في الثانوي)، نائب رئيس ثان، برانكي (معلم) الأمين العام حسان خوجة (مترجم بالدومين العام)، نائب الأمين العام شريط حابي (طالب)، أمين الخزانة حاج حمّو (طالب)، مسؤول الأرشيف والوثائق، بالول (طالب)، المراقبون: آيت قاسي (طالب)، قاضي عمر (طالب)، تامزالي عبد النور (طالب)، تامزالي صالح (طالب)⁽⁴⁾، ويتألف أعضاؤها من ثلاث طبقات؛ طبقة العاملين وعليهم 6 فرنكات في السنة على الأقل، وطبقة التشريف وأعضاؤها يدفعون 5 فرنكات سنويا والطبقة الخيرية وعلى أعضائها ان يتبرعوا بمبلغ 50 فرنكا سنويا على الأقل.

⁽¹⁾ محمود (كحول) وبودي (لوي)، المصدر السابق، ص: 185.

⁽²⁾ نورالدين (ثنيو)، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط01، الدوحة-قطر، 2015، ص: 95.

⁽³⁾ محمود (كحول) وبودي (لوي)، المصدر السابق، ص: 185-186.

⁽⁴⁾ نورالدين (ثنيو)، المرجع السابق، ص: 95.

اعتمدت الجمعية في إرادتها مبالغ اشتراك الأعضاء "ومداخيل الأفراس التي تقوم بها الجمعية ومصاريفها في شراء الكتب للمطالعة والمجلات والجرائد النافعة ولوازم إدارتها ولا يبقى تحت يد أمين ماليتها أكثر من 50 فرنك وباقي أموالها تودع في بنك يختاره مجلسها، ولا يسوغ للجمعية البحث في المسائل السياسية أو الدينية سواء في الاجتماعات العامة أو الخاصة، ولا تنعقد جمعيتها العامة إلا مرة في السنة وتدعى للاجتماع قبل يومه بعشرة أيام على الأقل ولا يتغير شيء من لائحتها إلا إذا وافق عليه الثلثان من أعضائها ويسوغ انعقادها فوق العادة إذا طلب الربع من أعضائها على الأقل بكتابة للرئيس وإذا انحلت الجمعية فأموالها الباقية تصرف في المشروعات الخيرية⁽¹⁾.

وفي الكلمة الافتتاحية لإعادة تنظيم الجمعية التوفيقية، استهل ابن التوهامي بقوله: "إن النخبة المسلمة الجديدة التي نشأت بفضل التعليم الفرنسي، قد فكرت في واجب عظيم يجب أن تضطلع به، إن هذا الشباب الذي توافد من مختلف الجزائر وتونس من أجل إتمام تعليمه قد تساءل لكي ينظر ما إذا كان يرضيه وضعنا الحالي؛ غرباء في الوطن؟ ألا يمكن أن نعمل على نشر المفاهيم والأفكار الأدبية والعلمية التي تلقيناها على أساتذتنا الفرنسيين والعرب والبربر، إن هذا الشباب المتحفّز ليتعلم ويعلم سوف يتوزع على جميع ربوع الوطن ويواصل دوره الذي تعلمه، وسوف تكون هذه النخبة المسلمة قدوة في الإخلاص لسائر المسلمين لينشلوهم من الجهل والتخلف"⁽²⁾، وبناء على قانونها الأساسي فإن هدفها كان جمع أولئك الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم وتطوير الأفكار العلمية والاجتماعية⁽³⁾، فنشر العلم بين الجزائريين هو هدف الأساسي للجمعية.

سطرت الجمعية برنامج من أجل تحقيق هذا الهدف هو: "يوم الأربعاء من الساعة الخامسة ونصف مذكرات في اللغة العربية الفصحى ويقوم بها السيد بركي، وفي يوم الجمعة من الساعة الرابعة مساءً دروس في الحساب والجبر ويقوم بها السيد بهلول وفي نفس اليوم من الساعة الخامسة ونصف إلى السادسة ونصف دروس إعدادية في اللغة العربية يقوم بها السيد حاج علي محمود، وفي السبت يلقي أحد أعضائها مسامرة في فن من

⁽¹⁾ محمود (كحول) وبودي (لوي)، المصدر السابق، ص: 186.

⁽²⁾ نورالدين (ثنيو)، المرجع السابق، ص: 95-96.

⁽³⁾ أبو القاسم (سعدالله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص: 137.

الفنون، وفي كل أربعاء والسبت دروس في فن المبارزة بالألسنة (المناظرات) والسيوف⁽¹⁾، ونذكر أمثلة عن المحاضرات التي كانت تقدمها الجمعية التوفيقية لسنة 1911⁽²⁾:

عنوان المحاضرة	صاحب المحاضرة
فوائد التعارف	بيلي
القانون الاسلامي العام	بيلي
الحضارة العربية	قاسمي
ملامح العالم الانساني المعاصر	صوالح
الأدب المعادي للإسلام	برانتكي
عقوبة الموت	آيت قاسي
نابليون في مصر	معاشو

وما ننوه له في الأخير أن الجمعية الراشدية والجمعية التوفيقية "تنتميان إلى السلطة الحاكمة وتعملان بوحى منها، ولعلّ السلطة رأت مقدار تعلق الجزائريين بميراثهم، ومقدار الشعور الذي بدأ يخامرهم والهمسات التي راحت ترتفع في كل مكان منتقدة ومستنكرة، لعلها حين رأت ذلك أوعزت إلى من دعا وعمل على تكوين هاتين الجمعيتين اللتين تعملان لخير الجزائر في الظاهر على الأقل"⁽³⁾، ورغم ذلك فلا يمكن نقل من دورهما فالجمعية التوفيقية حسب وصف أحد الباحثين "من أهم الجمعيات التي اضطلعت بمهمة توعية الأهالي والتعريف بالمسألة الجزائرية؛ فقد كانت تمثل مؤسسة من أجل امتلاك الوعي بقيمة المدينة الحديثة ومؤسسات ومرافق الدولة"⁽⁴⁾، كما يبين مدى رغبة حركة الشبان الجزائريين في تحسين ظروف الجزائريين، والاعتناء بالشباب في تكوينه وتثقيفه.

3- الجمعية الخيرية الاسلامية:

تأسست هذه الجمعية سنة 1910 بقسنطينة، وهي جمعية خيرية تهتم بتداوي المرضى من الأهالي، ولهذا قليلة المصادر التي كتبت عن هذه الجمعية، وقد قرأنا الرحلة الجزائرية فوجدنا فيها معلومات مهمة عن

(1) محمود (كحول) وبودي (لوي)، المصدر السابق، ص: 186.

(2) أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج02، المرجع السابق، ص: 138.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط05، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007 ص: 118.

(4) نورالدين (ثنيو)، المرجع السابق، ص: 95.

هذه الجمعية، فيذكر صاحب الرحلة أنه زار قسنطينة ورئيس الجمعية الخيرية في مقره؛ فيقول: "ثم زرنا في 23 سبتمبر (1922) صحبة السيد مامي اسماعيل بن عبدة إدارة الجمعية الخيرية الاسلامية، فألقيناها على أحكم نظام، وحصل لنا سرور كبير من زيارتها، وهي في غاية الاتساع والتنظيم، ووصفها باختصار أنه عندما يدخلها الزائر يجد مكتبا فسيحا مزدانا بالأشجار، ودائرة جدرانها محاطة وموشاة بالأزهار"⁽¹⁾.

ويضيف المهيري واصفا ما تحتويه هذه الجمعية من تجهيزات وقاعات: "ويوجد في ذلك المكان قاعة فسيحة (صال) للعيادة الطبية حيث إن الجمعية تداوي على نفقتها، وتختن اليتامى مجاناً، وبداخل هذه القاعة قاعة أخرى لإجراء العمليات وبها غالب الآلات الطبية التي اقتنتها الجمعية، وقد تبرع حكيمان فرنسيان أحدهما اختصاصي لمرض العيون والآخر في الجراحات ببعض سوائع يومية لمعالجة المرضى الوافدين على الجمعية الخيرية مجاناً... ثم توجد بالمكان قاعة أخرى لمجلس الإدارة وبها كراسي؛ كل كرسي مكتوب عليه اسم صاحبه ورتبته في المجلس... ثم انتقلنا إلى قاعة أخرى مخصصة لمعالجة أمراض العيون، ثم صعدنا إلى علو فوقها فوجدنا به أبناء الفقراء واليتامى الذين ختنوا حديثاً على نفقة الجمعية"⁽²⁾.

لكن صاحب الرحلة تأسف لعدم وجود قاعة للتعليم "ولكن مع الأسف أنا لم نجد بالجمعية محلا لمعالجة المرض الأكبر الخطير مرض الجهل الفتاك أي مدرسة علمية لبث نور العلم والمعارف، وكما أنها تعالج أجساد المصابين بالأمراض الحسية يجب أن تعالج أرواح المصابين بأدواء الجهل المعدي"⁽³⁾، واقترح الشيخ أحمد حسين المهيري، أن يكون الجزء العلوي مخصص لمدرسة تعليمية "وبما أننا تحققنا أن العلو الذي بالجمعية يكون في الغالب شاغرا، فلا بأس يجعله مدرسة علمية عربية فرنسية، لتكون الجمعية قائمة بوظيفتها أتم قيام، ويحصل لأعضائها مزيداً من الاعتبار والسمعة الحسنة لدى العموم، وتخلد لهم في بطون التواريخ ذكراً جميلاً"⁽⁴⁾، لأن التعليم وإخراج المجتمع الجزائري من الجهل القضية المحورية للعلماء ورجال الإصلاح خاصة مع التأثير بحركة النهضة العربية والاسلامية.

كان للجمعيات دور اجتماعي إلى جانب الدور الثقافي؛ فقد كانت "كلها مؤسسات للتضامن والصدقة وكانت تنظم محاضرات للتحميس بمضار الخمر والقمار ولحاربة الخرفات والتعصب، وذهبت بعض

(1) أحمد حسين (المهيري)، الرحلة الجزائرية، منشورة ضمن مجموع: خمس رحلات إلى الجزائر 1904-1932، ط01، تقدم: محمد صالح الجابري، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت-لبنان، 2004، ص: 55.

(2) أحمد حسين (المهيري)، المصدر السابق، ص: 55.

(3) المصدر نفسه، ص: 55.

(4) المصدر نفسه، ص: 55.

الجمعيات في منطقة القبائل إلى حد المطالبة من أعضائها أن يتعهدوا بعدم تزويج أبناءهم قبل سن 15 والتخلي عن تعدد الزوجات، وعدم الاعتراض على طلب الزوجة طلاقها التي تحلى عنها زوجها"⁽¹⁾، ولأن تجربة الجمعيات الثقافية في الجزائر كان جديد على الجزائريين فلقد لقيت هذه الجمعيات صعوبات كبيرة، خصوصا ما يتعلق بالجانب المادي، غير أنها كانت تجربة سيستفيد منها الجزائريون ويؤسسون جمعيات أكثر فاعلية بعد الحرب العالمية الأولى، وأشهرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

4-نادي صالح باي: في سنة 1907 تم إنشاء نادي صالح باي في قسنطينة وكان عبارة عن مجمع للدراسات الأدبية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية، وعلى الرغم من أن رئاسة المجمع كانت بيد موظف فرنسي إلا أن أعوانه المسلمون كانوا عناصر نشيطة وخاصة منهم الأستاذ والمفتي المالكي ابن موهوب ومعه اثنان من الأعيان هما مصطفى باش ترزي ومحمد بن باديس⁽²⁾، ومن أعضائه المؤسسين كذلك الدكتور مورسلي وابن لعبيد، وعيسى بن الحاج الصديق، وله فروع في عين مليلة، عين عبيد، واد الزناتي، قالمة وسوق هراس⁽³⁾، بلغ عدد أعضائه في سنة 1910، 700 عضو من بينهم 500 يتابعون دروسا تحت على طلب العلم واعتناق الأفكار التقدمية والتأمل في أسباب الانحطاط والسبل المؤدية للصحة⁽⁴⁾، والنهضة الثقافية، وكانت نشاطات هذا النادي المتنوعة موجهة لتحسين روادها بحاسن الاسلام واللغة العربية⁽⁵⁾، كما يهدف إلى مواصلة تعليم المسلمين وإحياء الفنون والصناعات الأهلية وتعميم التعاون والتضامن⁽⁶⁾.

ومن أهداف النادي كذلك "تنظيم دروس في التعليم العام والمهني، وعقد محاضرات علمية وأدبية وخلق جمعيات خيرية والدعوة للعمل والأخوة والتعاون، ولكن أهداف النادي لم تكن لتتناقض مع مبادئ الإسلام، بل كانت لإزالة البغض ومعالجة الأمراض الأخلاقية، ومحاربة الأنانية والظلم، ومساعدة الجزائريين على إظهار مواهبهم الأدبية"⁽⁷⁾، خاصة وأنه فتح المجال للجميع لحضور نشاطاته أو المشاركة فيها، ويهدف نادي

⁽¹⁾ شارل روبيير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 711.

⁽²⁾ شارل روبيير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 710.

⁽³⁾ Le cercle Salah-Bay, Revue du Monde musulman, volume 07, Janvier- Février 1909, Publiée par la mission scientifique du Maroc, Paris, P : 125.

⁽⁴⁾ شارل روبيير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 710.

⁽⁵⁾ علي مزاد، المرجع السابق، ص: 378.

⁽⁶⁾ شارل روبيير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 710.

⁽⁷⁾ أبو القاسم (سعدالله)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج02، المرجع السابق، ص: 139.

صالح باي إلى التقريب بين العصر الأوروبي والمسلم في الجزائر كما يقول ابن حبيلس: "أما فيما يخص جمعية الصالح باي فهي عاكفة - كما يعرف القريب والبعيد - على التقريب بين العنصرين اللذين أصبحا - بمشيئة العلي القدير - يسكنان هذه البقعة من الأرض، وربما يكفي الجاحدين حجة على نبل المهمة أن السيد حاكم مدينة قسنطينة قد ترأس الجمعية شرفياً"⁽¹⁾.

ومن أشهر الأساتذة التي ألقوا محاضرات وخطب بنادي صالح باي الشيخ المولود بن الموهوب، وسنعرض أمثلة منها، وفي مقدمتها الخطبة التي ألقاها بمناسبة افتتاح مدرسة النادي بعنوان (الأهالي والحضارة) والتي يقول فيها: "إن تدشين هذه المدرسة الجليلية يمثل بالنسبة لكل واحد منا حدثاً من أهم ما يكون والنتائج المرجوة من تجمعات كهذه لا تخفى على أحد، إننا إخوة والانسانية تأمرنا بالتعاون ويجعل الصالح العام فوق كل اهتماماتنا"⁽²⁾، وقد كان مكان المدرسة مأوى للمفسدين داخل المجتمع، فحوّل إلى مكان للعلم وهو ما سيكون له أثر إيجابي على المجتمع وفي تكوين الأجيال: "وبالنسبة للمدرسة التي نحن فيها، كلكم تعلمون ماضيها المخزي فقد كانت مأوى كل الحشائشية وكل السكارى في المدينة وكانت مصدر لصنوف من التشويه والجهل والتعصب والغيلان والأشباح، كانت مدرسة للجهل أساتذتها ضعاف العقول، وها هو المكان على ما ترونه اليوم عليه يحيلنا بما يشيعه من علم على بيت فكتور هيقو: كل طفل نعلمه رجل نكسبه، أو مقوله فولتير تلك: إن أغلى هبة نقدمها للإنسان هي العلم"⁽³⁾.

ويقول ابن الموهوب مادحا مؤسس نادي الصالح باي، ودور النادي ثقافيا واجتماعيا: "أما أنت سيدي أريب، يا المؤسس الفعلي للجمعية الأهلية، فأنا عاجز عن تعداد مزاياك الكثيرة، وأمانتك في العمل، ونزاهة إدارتك وحزمك وكلها صفات جرّتنا جراً صوب احترامك وحبك، لقد فتحت جمعية صالح باي مرحلة جديدة من الرخاء والسعادة، وكانت درسا واضحا لتذكير المسلمين بواقعهم وبالحقائق المحيطة بهم، ودواء فعال لبعض الأمراض الأخلاقية التي كانت ولا زالت ولو جزئياً تنجر جسد الجزائر"⁽⁴⁾.

ويرجع ابن الموهوب سبب تخلف الجزائريون إلى الجهل بالدين ومقاصده وعدم التفتح على الحضارات الأخرى: "لقد هجرنا العلوم والفنون والتزمنا بالعزلة، إننا لا نبذل جهداً لتأسي بالأمم المجاورة في تقدمها، إن

(1) شريف (بن حبيلس)، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبدالله حمادي وآخرون، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2012، ص: 122.

(2) شريف (بن حبيلس)، المصدر السابق، ص: 179.

(3) المصدر نفسه، ص: 182.

(4) المصدر نفسه، ص: 206-207.

ديننا يمنعنا سابقا من قيادة العالم والمؤسف أننا نرى والأمم الأخرى تنتج ما يحثنا ديننا عليه، والأدهى والأمر أننا صرنا نكفر نتائج تلك الحضارة، لذلك تصيينا صواعق سوء أفكارنا وأعمالنا"⁽¹⁾.

وللشيخ مولود بن الموهوب محاضرة أخرى في نادي صالح باي بعنوان (حضارة الوفاق) يقول فيها عن التوافق بين المسلمين والفرنسيين: "إن اجتماعا كهذا هو من الأهمية كل منا إنه ليدل على أن مجتمع الأهالي قد ولج مرحلة جديدة من الوفاق والسلام، إنه مؤشر على خطوة كبيرة على درب التقدم، ودليل قاطع على أن مجهودات الحكومة الحكيمة المتنورة لم تكن هباء"⁽²⁾، ورغم جهود ابن الموهوب ومن معه في تفعيل النادي إلا أنه عجز عن الاستمرارية، مما جعل أبو القاسم سعد الله يحكم عليه بالتخلف عن قافلة النهضة "غير أن هذا النادي لم يكن يجاري النهضة الجديدة فتخلف عن القافلة الشعبية"⁽³⁾، رغم شهرته ونشاطه فقد ظهرت نوادي أخرى تزامنت معه تاريخيا، لكن نشاطها يكاد يكون معدوما.

فقد شهدت مدينة وهران ميلاد "النادي الوهراني" المسلم عام 1911 من طرف اللجنة المشرفة على صدور جريدة "الحق الوهراني" وهو النادي الذي كانت تتردد عليه وتجتمع فيه نخبة القطاع الوهراني كإبراهيم بن رحال الندرومي الممثل النيابي والمفكر الجزائري وغيره. كما عرفت هذه المدينة مع مطلع القرن العشرين بداية النضال⁽⁴⁾، وفي تلمسان تأسس نادي الشبيبة الجزائرية سنة 1905⁽⁵⁾، وكان نشاطه قبل الحرب العالمية الأولى ضعيف مقارنة بما سيعرفه بعد الحرب.

(1) المصدر نفسه، ص: 189.

(2) المصدر نفسه، ص: 192.

(3) أبو القاسم (سعدالله)، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص: 116.

(4) إبراهيم (مهديد)، المرجع السابق، ص: 09.

(5) عبدالرحمن (بن بوزيان)، دار الحديث ودورها في الحركة الإصلاحية بتلمسان 1937-1956، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2012-2013، ص: 76.

الفصل الخامس

حركة التأليف والتيارات الفكرية عند

الجزائريين 1880-1914

أولاً: حركة التأليف

ثانياً: المكتبات وخزائن المخطوطات

ثالثاً: التيارات الفكرية

أولا حركة التأليف:

يعكس التأليف صورة الواقع الثقافي لأي أمة من الأمم، كما يؤثر فيه ظروفها المادية والاجتماعية والسياسية، وتحت غطاء هذا العنوان سنعالج ونرصد حركة التأليف عند الجزائريين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، في فترة تاريخية خضع الشعب الجزائري لاستعمار استولى على أرضه وماله، ونهب خزائن المخطوطات وتحولها لمكتبات الفرنسيين العامة والخاصة، وحوصر هذا الشعب حصارا ثقافيا فلم يعد للعلماء الحرية في التنقل بين أقطار المغرب الاسلامي وبين الجزائر والمشرق، ففرضت الرقابة على العلماء القادمين إلى الجزائر، وسمح لعلماء الداخل بالهجرة للخارج خاصة لمن لم يرضخ للسياسة الاستعمارية. في هذه الظروف كيف يمكن أن نتصور حركة التأليف في الجزائر؟ وما هي مميزاتا وخصائصها؟ سنجيب على السؤالين من خلال التعرض لحركة التأليف في العلوم النقلية، وكذلك في العلوم العقلية، وخصصت للكتب التعليمية والتحقيق عناوين منفردة لخصوصيتهما في هذه المرحلة من الدراسة.

1- حركة التأليف في العلوم النقلية:

تشمل العلوم النقلية العلوم الدينية والأدبية؛ حيث تميز التأليف في العلوم الدينية عهد الاستعمار بالتراجع، خاصة في التفسير والحديث؛ فإن كان التفسير الشفوي متوفرا وقراءة البخاري كان ضمن البرنامج في المساجد العتيقة بقسنطينة والجزائر وتلمسان، فإن التأليف كان قليلا، "فإلى غاية عهد محمد بن يوسف اطفيش (الثمانينيات من القرن التاسع عشر) كان التفسير مقصورا على الدروس المسجدية أو في الزوايا أو في الخطب الجمعية أو الأعياد؛ فالعالم كان يختار آية من القرآن الكريم، عادة مما تسمح به الإدارة الاستعمارية، ويناسب موضوع الدرس أو الخطبة ثم يأخذ في معانيها وبيانها حسب طاقته اللغوية والثقافية"⁽¹⁾، ولم يكن التفسير شفويا مرتب حسب آيات وأجزاء الكتاب إلى غاية ختم القرآن الكريم، فكتب التراجم ذكرت أن بعض العلماء اشتهروا بالتفسير وحسب اطلعنا لم نجد إلى غاية 1880 عالم ختم تفسير القرآن في مسجد معين. اشتهر العديد من العلماء بالتفسير الشفوي، منهم "حميدة العمالي مفتي المالكية بالعاصمة خلال الستينيات، وعبدالقادر المجاوي، وحمدان الونسي، ومحمد الصالح بن مهنا، وعبدالحليم بن سماية وشعيب الجليلي ومحمد بن عبدالرحمن الديسي، بالإضافة إلى بعض شيوخ العلم والتصوّف الأحرار أمثال بلقاسم الهاملي وبلقاسم البوجليلي، ومصطفى بن عزوز البرجي"⁽²⁾، غير أن التأليف كان قليلا.

⁽¹⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 07، المرجع السابق، ص: 09.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص: 09

ربما يكون الشيخ محمد بن يوسف اطفيش وحيد زمانه بين علماء وطنه من أكمل تفسير القرآن شفويا وكتابة، وقد طبعه بعنوان (التيسير في التفسير) سنة 1325، وكان منهجه في هذا الكتاب يذكر الآية والآيتين أو أكثر ثم "يستهل عمله بشرح موجز يكون عادة معبّرا عن المعنى الراجح للآية عنده، ثم يربط تلك الآية بما سبقته من الآيات لكي يحقق الوحدة الموضوعية بين الآيات، وبين السور إذا كانت هناك صلة بينها، وينتقل بعد ذلك إلى بيان الوجوه الإعرابية للآية"⁽¹⁾، ولمحمد بن يوسف اطفيش مؤلفان آخران في التفسير هما: داعي الأمل ليوم العمل، طبع في أربعة أجزاء، وهو من سورة الرحمن إلى سورة الناس، والثاني هيمان (الزاد ليوم المعاد) مطبوع في سنة 1888، وفي أربعة عشر جزءا وشمل تفسير القرآن كله، وقد ظل تفسير الشيخ اطفيش وحيدا إلى غاية ظهور عبد الحميد بن باديس وتفسيره للقرآن الكريم⁽²⁾.

برز في علم القراءات بلقاسم البوجليلي وكتابه التبصرة في القراءات العشرة، قسمه إلى "مقدمة وتضم خمس فوائد، منها اسناد قراءته وتواريخ وفاة بعض شيوخه، وفضائل القراءان الكريم، وتسمية الرواة وترتيب القراء، ثم شمل الكتاب أنواع القراءات وسرد الآيات والسور"⁽³⁾، ومن علماء القراءات كذلك علي بن عبدالرحمن بن الحفاف مفتي المالكية، وتأليفه بعنوان (منة المتعال في تكميل الاستدلال) في القراءات السبع، ألفه في آخر عمره، كما نظم الشيخ اطفيش منظومة في القراءات والتجويد، ولأحمد بن عبدالله القماري (ت. 1891) رسالة في القراءات سماها (الاجابة بحسم خلاف أساؤوا السؤى في الكتابة)⁽⁴⁾، وأكثر المؤسسات التعليمية اهتماما بالقراءات زاوية سيدي الليلي بزواوي.

ومن الكتب التي ألفت في التوحيد "النفحات الربانية على العقيدة المدنية لمؤلفه إبراهيم بن محمد ساسي بن محمد بن عامر السوفي الوادي (ت. 1934)، وقد تم طبع الكتاب في تونس سنة 1326هـ⁽⁵⁾، وألف الطاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري (ت. 1920م) الجوهرة الوسطى من الجواهر الكلامية طبع في سنة 1313هـ، وألف عبدالقادر المجاوي: اللمع في إنكار البدع، وتحفة الأختيار في الجبر

⁽¹⁾ يحيى (بوتردين)، «الشيخ اطفيش القطب مفسرا»، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع14، المركز الجامعي غرداية-الجزائر، 2011، ص: 213.

⁽²⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج07، المرجع السابق، ص: 15-19.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص: 35.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص: 37-39.

⁽⁵⁾ بشير ضيف بن أبي بكر (الجزائري)، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ط02، دار ثالة، الجزائر، 2007، ص:

والاختيار⁽¹⁾، ومن كتب التوحيد في عقيدة المذهب الإباضي: سرد الحجة في عقائد الإباضية، وألف القاسم بن محمد بن علي الخيزاني الجزائري (ت 1890) العقيدة القاسمية، وشرحها، ولمحمد بن عبدالرحمن الديسي السلامي عدّة مؤلفات في التوحيد منها: الموجز العقيد في شرح درة عقد الجيد، درة عقد الجيد، شرح المنظومة البابلية، شرح منظومة شعيب التلمساني، والعقيدة الفريدة⁽²⁾.

ورغم أن علم الحديث كان الأشهر في تدريس العلوم، بقراءة صحيح البخاري ومسلم وتفسيرهما؛ خاصة صحيح البخاري الذي يفسّر في الكثير من الزوايا الأيام الاثني عشر قبل ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم، لكن القليل من هذه التفاسير من تدوّن في كتب وتطبع، ومن الكتب في علم الحديث (وفاء الضمانة في أداء الأمانة) لمحمد بن يوسف اطفيش وقد طبع في جزئين، ولأطفيش مؤلفات أخرى في الحديث منها: جامع الشمل، وترتيب الترتيب⁽³⁾، ولكلاهما في جزء واحد ولم يتفرعا إلى أجزاء.

ولم تكن مؤلفات الجزائريين في الفقه كثيرة كثيرة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين "وربما يرجع ذلك إلى عدم حرية الفقهاء في تناول الموضوعات الفقهية حسب الشريعة الإسلامية؛ فقد كانت بعض أبواب الفقه محرمة في التدريس والخطب والفتوى، ذلك أن الإدارة كانت تحشى أن يستعملها العلماء في دفع الناس إلى المعارضة والثورة أو التعصب"⁽⁴⁾ مثل منع تدريس باب الجهاد في مختصر خليل.

استحدثت قضايا فقهية عدّة بعد دخول الاستعمار، منها: هل أصبحت الجزائر دار كفر يجب الخروج منها لبلاد الاسلام؟ أم يجب البقاء والمقاومة؟ وقد تجلت هذه القضية في الهجرة الجزائرية نحو الخارج بين التأييد والمعارضة، وكذلك مسألة الجهاد ضدّ الاستعمار أو عدمه؟ وهل يمكن للمسلمين أن يحكمهم حاكم غير مسلم؟ وقضية الحج في عهد جول كامبون نهاية القرن التاسع عشر بحجة الأمراض. وفي الحقيقة هذه القضايا الفقهية وموقف علماء الجزائر منها تحتاج إلى دراسة منفردة، ومن الكتب الفقهية نوازل الزجلاني لمحمد بن الفقيه بن محمد بن أحمد الزجلاني التواتي-نسبة إلى منطقة توات، وموضوع هذه النوازل حول الفقارة وتوزيع المياه والسقي والحرث ومسائل الميراث⁽⁵⁾.

(1) بشير ضيف بن أبي بكر (الجزائري)، المرجع السابق، ص: 10-12.

(2) المرجع نفسه، ص: 14-16.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 07، المرجع السابق، ص: 44.

(4) المرجع نفسه، ص: 76.

(5) المرجع نفسه، ص: 79.

ألف محمد بن مصطفى خوجة رسالة في معنى الدين والفقهاء، وللشيخ أبي يعلى الزواوي كتاب في الفقه بعنوان (ذبايح أهل الكتاب)، ونال ابن علي فخار شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والاقتصادية بجامعة ليون سنة 1908، وكان موضوعها حول الربا في الشريعة الإسلامية وعواقبه العملية، وقد تأثر بفتاوى الشيخ محمد عبده من خلال قراءة جريدة المنار، وقضية الربا كانت ضمن القضايا العصرية رغم أن القرآن فصل في المسألة، وقد تم تحليلها بطرق مختلفة، مما جعل عبدالحليم بن سماية يؤلف (اهتزاز الأطوار والرؤى من مسألة تحليل الربا)، كما ألف القاضي شعيب الجليلي رسالة حول الحج سنة 1883 بطلب من الوكيل الفرنسي العام وسماها (قرير المقام وتيسير المرام، إلى حفظ حال الحجاج من سفرة وأيتام)، ومن كتب الفقه كذلك (شرح كتاب النيل) للقطب اطفيش، وهو كتاب في الفقه الإباضي⁽¹⁾، وكانت كتب الفقه تحت مجهر الإدارة الاستعمارية لمنع من تعارضها وتدعيم من تساندها.

ننتقل للحديث عن حركة التأليف في العلوم والفنون الأدبية، وفي مقدمتها اللغة العربية وفروعها التي أصابها نكست الاستعمار، والدليل على ذلك ندرة التأليف فيها، وقلة التأليف راجع إلى ضعف مستوى التعليم وانقطاع تياره في الكثير من المناطق، وأصبح منحصرًا في بعض زوايا التعليم مثل "زاوية ابن أبي داود وزاوية طولقة، وزاوية الهامل، وكان شيوخ هذه المؤسسات يستعملون النصوص والشروح القديمة، وقلما يخرجون عنها إلى غيرها، وهي لا تكاد تخرج عن شرح قطر الندى، وشرح ابن عقيل على الألفية، وكذلك شرح الأجرومية للشريف ابن يعلى"⁽²⁾، وممن ألفوا في النحو: الشيخ محمد بن يوسف أطفيش صاحب أرجوزة نظم بها كتاب المغني لابن هشام في 500 بيت، ولأبي حامد المشرفي تقايد على شرح المكودي على الألفية، ومن مؤلفات أبو القاسم البوجلبي في النحو (النور السراجي في إعراب مقدمة الصنهاجي)، وكذلك شرح شواهد السيد الشريف ابن يعلى على ابن آجروم انتهى منه سنة 1300هـ، ولإبراهيم بن محمد الساسي العوامر نظم على الأجرومية، انتهى من نظمها 1322هـ⁽³⁾، ويجب أن نشير أن الفرنسيين ألفوا كتب في اللغة العربية وترجموها للغة الفرنسية لكي تتوافق مع منهاج التدريس باللغة الفرنسية.

(1) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 07، المرجع السابق، ص: 79-86.

(2) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 08، المرجع السابق، ص: 42.

(3) المرجع نفسه، ص: 44-45.

انتش الشعر مقارنة بباقي فنون الأدب الأخرى في مختلف أغراضه، ومن شعراء هذه الفترة أحمد كاتب ابن الغزالي⁽¹⁾، الذي خمّس قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي التي ألقاها في حفل نقابة الصحف العربية، وقد أشاد بالصحف ودورها في النهضة حتى جعل الصحف آية زمانه كما قال في تخميسه للبيت الأول، وله قصيدة أخرى بعنوان (نحن والغرب)، وبيّن فيها أن الغرب ساد العالم بالعلم والاختراع، وآفة المسلمين انتشار الجهل: الجهل بأمور دينهم أولاً، وثانياً الجهل بعلوم الحياة وما يتعلق بها، وقصيدة أخرى بعنوان (القنفذ والناس) وهي تصوير مجازي عن واقع الجزائريين وانعزالهم عن العالم الخارجي⁽²⁾.

ومن شعراء الجزائر كذلك في مرحلة (1880-1914)؛ الشيخ عاشور الخنقي، صاحب ديوان منار الأشراف، الذي يعتبر أول ديوان في الجزائر إذا اعتبرنا أن ديوان الأمير عبدالقادر طبع في المشرق، كتبه في فترة التسعينيات وطبع سنة 1914، ولمحمد بن عبدالرحمن الديسي ديوان غير مطبوع، ولقد وجد الشعراء في الصحافة متنفساً لنشر قصائدهم بداية من صحيفة المنتخب، وبعد ذلك المغرب وكوكب إفريقيا، والفاروق⁽³⁾ وغيرها من الصحف العربية أو مزدوجة اللغة.

ألف الشيخ محمد بن أبي شنب تأليفاً في الشعر؛ وسماه تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب، وهو تأليف في العروض وطريقة كتابة القصائد الشعرية؛ فاستفتح بن أبي شنب كتابه بمقدمة وبعدها في تعريف ومدلول العروض والشعر والقصيدة وفي تركيب البيت، ثم جدول التفاعيل إلى أن كتب عن البحور وعددها ستة عشر بحراً بداية من الطويل وانتهاء بالمتدارك، وبعد ذلك تحدث عن القافية؛ حدودها وأنواعها وعيوبها، ولم يستثن من كتابه البحور المهملة، وختم كتابه بشرح فنون الشعر⁽⁴⁾، ونظراً لأهمية الكتاب فقد طبع عدّة مرات، وقد اعتمدنا على الطبعة الثالثة في سنة 1954.

(1) أحمد كاتب ابن الغزالي المنسوب إلى قبيلة بني كبلوت بنواحي قلعة وسوق أهراس، ولد في شهر ماي 1873 بعرض الحاناشة كما جاء في التعريف بنفسه في الرسالة التي أرسلها لمحمد الهادي السنوسي صاحب كتاب الجزائر في العصر المعاصر، تعلم أحمد كاتب على يد أبيه البار كما يقول في التفسير والحديث والتاريخ الإسلامي، مستقلاً في آرائه حراً في فكره، دخل المدرسة الفرنسية لكنه اعتزلها بسبب المرض، ومن أعماله: نشر العديد من المقالات في جريدة كوكب إفريقيا، وكان الهدف منها إحياء اللغة العربية كما يؤكد على ذلك بنفسه تشجيع الناشئة على إتقان اللغة العربية نثراً ونظماً. ينظر: محمد الهادي (الزاهري)، شعراء الجزائر في العصر المعاصر، ط01، المطبعة التونسية، تونس، 1926، ص: 160-161.

(2) المصدر نفسه، ص: 162-169.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج08، المرجع السابق، ص: 195.

(4) محمد (بن أبي شنب)، تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب، ط03، مكتبة أمريكا والشرق، 1954.

تعددت أغراض الشعر عند الجزائريين حسب الواقع؛ فمنها القصائد الثقافية التي تحث على التعليم، والاجتماعية لمحاربة الآفات الاجتماعية، والثناء في وصف حال الجزائر، وحتى القصائد السياسية بعضها تشيد بفرنسا وحكامها، مثل قصيدة القاضي شعيب التلمساني التي أرسلها لمؤتمر المستشرقين الرابع عشر⁽¹⁾ المنعقد بالجزائر تحت إشراف الوالي العام شارل جونار، وهذه القصيدة تشيد بالعلم و جونار وعلماء المسلمين في الغابرين⁽²⁾، ومطلعها:

العلم قد سطعت له أنوار
وتألأت بمساميه أعمارها
وتأنقت ربوعه وتناسقت
وقد مدح جونار فقال فيه:

بمدينة الجزائر المعطار
وبرا لصبح نهاره إسفار
جموعه وتدققت أنهار
جزائر وسما لها المقدار
ذاك السّميدع والفتى العمار
أهل الشورى من حزبه الأحرار
جونار ذاك الشهم من به ارتقت
ذاك المرفع في المحافل قدره
ذاك الذي يرى الكمال فيما يرى

والقصيدة تحتوى على تسعة وثلاثون بيتا أغلبها في مدح جونار وفضله في نشر العلوم، وما بقي من القصيدة إشادة بالعلم، والترحيب بالعلماء المشاركين في المؤتمر الذين استجابوا لدعوة جونار والتشييد بأعمال المستشرقين، ولم نجد في القصيدة إشارة لعلماء المسلمين أو الإشادة بهم كما ذكر أبو القاسم سعد الله⁽³⁾.

اهتم المستشرقون بتاريخ شمال إفريقيا والجزائر منذ دخول الاستعمار، في المقابل كان التأليف عند الجزائريين في علم التاريخ يقتصر على الأنساب والتراجم، وناذرا ما نجد كتب شاذة عن ذلك التيار، وتأخرت الكتابة باللغة العربية عن التاريخ الوطني إلى غاية تألّيفي عبدالرحمن الجيلالي ومبارك الميلي، ومن الكتب المؤلفة في الفترة

⁽¹⁾ انعقد هذا المؤتمر بالجزائر سنة 1905، في فترة حكم شارل جونار الذي شجع الدراسات الاستشراقية، وقد حضر المؤتمر نخبة من المستشرقين أمثال: ألفريد بل (A) Bel و جولي (A) Joly، ومن حضره من الجزائريين محمد بن أبي شنب، سيدي شعيب بن علي القاضي، وقد طبعت أعمال هذا الملتقى سنة 1908 في ثلاث أجزاء. ينظر:

Actes du XIV^e congrès international des orientalistes Alger 1905, Ernest Leroux, Paris, 1908.

⁽²⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج08، المرجع السابق، ص: 245.

⁽³⁾ Si chaïb ben Ali, «Poème en L' honneur du XIV^e congrès des orientalistes», actes du XIV^e congrès international des orientalistes Alger 1905, Troisième Partie, Ernest Leroux, Paris, 1908, P : 592-593.

المدروسة : التاريخ المتدارك في أخبار جان دارك، وضعه أحمد بن الفكون، وقد نشره فصولا في جريدة المبرشر الرسمية ثم طبعه في كتاب، ونشر إسماعيل حامد كتاب حول موريتانيا السنغالية، وقد أجازته ونوهت به حكومة فرنسا في إفريقيا الغربية، ويتناول الكتاب أحداث القرن 16 و 17 الميلاديين⁽¹⁾، بدأه بالحديث عن تاريخ وجغرافية المنطقة، والدولة والمجتمع، كما ترجم نص للشيخ محمد بن الشيخ أحمد السليماني، ومعلومات عن الشيخ نصر الدين الديماني، والزوايا، وكتاب الأنساب⁽²⁾، طبع الكتاب سنة 1911 في ثلاثمئة وثمان وتسعون صفحة.

يعد إسماعيل حامد أحد الجزائريين المختصين في تاريخ افريقي ومن لهم أبحاث حول تاريخ افريقيا الشمالية، فقد نشر سنة 1906، كتاب عن المسلمين الفرنسيين بشمال افريقيا بدأه بالحديث عن ماضي شمال افريقيا بالحديث عن تاريخ البربر والعرب، والحضارة الاسلامية العربية وصولا إلى واقع المسلمين مع مطلع القرن العشرين، وقد تحدث إسماعيل حامد في هذا الكتاب عن مواضيع مهمة منها المجتمع المسلم والاحتلال الفرنسي، الأوروبيين والأهالي، حركة الأهالي أو حركة الشبان الجزائريين، وقد طبع الكتاب في ثلاثمئة وخمسة وأربعون⁽³⁾.

ومن الكتب التي ألفت في التاريخ (تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدالقادر وأخبار الجزائر) لمحمد باشا بن الأمير عبدالقادر، وهو الابن الأكبر للأمير، انتهى من تأليفه سنة 1307هـ/1890م، الذي أهداه إلى السلطان عبدالحميد الثاني⁽⁴⁾، وألف أبو القاسم الحفناوي تأليفا في التراجم بعنوان (تعريف الخلف برجال السلف) ونشر الجزء الأول منه سنة 1906، ومن خلال عنوانه يتبين أن مؤلفه أراد أن يحيي سيرة وآثار علماء الجزائر، وقسم الكتاب إلى قسمين " أولهما في تراجم العلماء المكتوبة أسماؤهم في المدرسة الثعلبية وثانيهما في تراجم غيرهم من علماء البر الجزائري وما يليه من الأقطار كالسودان ونحوه"⁽⁵⁾، ورغم أن الحفناوي كتب هذا

(1) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج07، المرجع السابق، ص: 316.

(2) Ismaël hamet, chroniques de la Mauritanie sénégalaise Nacer Eddine, Ernest Leroux, Paris, 1911.

(3) Ismaël hamet, Les musulmans français du nord de l'Afrique, Librairie Armand Colin, Paris, 1906.

(4) فارس (كعوان)، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830-1962 مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري-قسنطينة، الجزائر، ص: 41، ص: 95.

(5) محمد أبو القاسم (الحفناوي)، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيب فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906، ص: 08.

الكتاب على عجل لكنه يعد مرجعا مهما للباحثين فما طالعت مذكرة أو بحث عن تاريخ الجزائر وعلمائها إلا ورجع إلى كتاب تعريف الخلف برجال السلف.

هناك مؤلفات في علم الأنساب ومنها: مؤلف محمد الصديق بن العيساوي الذي يزال مخطوطا، وعنوانه (عقد اللؤلؤ المرصع بتاج العروس في ذكر عمود أنساب الشرفاء الكرام آل عمروس)، والذي انتهى منه سنة 1314هـ / 1896م⁽¹⁾، كما ألف محمد بن الحاج محمد بن أبي القاسم كتاب عن أحد شيوخ الزاوية القاسمية وسماه (الزهر الباسم في ترجمة سيدي محمد بن أبي القاسم)، الذي طبع في تونس سنة 1310هـ / 1892م⁽²⁾، وهناك مؤلف آخر يتحدث عن سيرة عبدالرحمن الأخضرى العلامة الجزائري الموسوعي، ألفه أحد أحفاده وهو أحمد بن داود الأخضرى وعنوان كتابه (العقد الجوهري في التعريف بسيدي عبدالرحمن الأخضرى)⁽³⁾، الذي انتهى من تأليفه سنة 1322هـ / 1904م، وقد تعرض صاحب المخطوط إلى مولد ونشأة الأخضرى وأسرته التي قال عنها أن تتوارث العلم أب عن جد، ثم تكلم عن سفره لقسنطينة وتونس لطلب العلم، ورجوعه بعد ذلك لممارسة مهنة التعليم وإكمال مهنة التأليف التي بدأها قبل سفره، ثم تكلم عن سيرة تلاميذ الأخضرى⁽⁴⁾، كما ألف الجزائريون في السيرة، ومنها كتاب الشيخ اطفيش (كتاب الغسول من أسماء الرسول)، وكان الانتهاء منه كما يقول في آخر الكتاب: "وكان تمامه ضحوة يوم الأربعاء الخامس عشر من ذي الحجة عام 1319هـ ألف وثلاثمائة وتسعة عشر من هجرة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ فارس (كعوان)، المرجع السابق، ص: 41.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص: 97.

⁽³⁾ بحثت عنه في العديد من خزائن المخطوطات، ووجدت الدكتور عمار طالبي والباحث فوزي المصمودي قد أشار أن المخطوط موجود في خزانة الشيخ عبدالمجيد حبة بالمغير ولاية الوادي، وعندما سافرت إلى الخزانة أكرموني بضيافتهم لكنني لم أتمكن من الاطلاع على المخطوط ولم أتأكد من وجوده، لأن المشرف على الخزانة (سنة 2013) أجابني لا يسمح له التصرف في المخطوطات النادرة، وإنما هي تحت سلطة ابن الشيخ الذي يعمل في وزارة الخارجية الجزائرية، ولهذا اعتمدت على النسخة التي أخرجها الدكتور عمار طالبي ونشرها في مجلة العلوم الإسلامية في عددها الثاني.

⁽⁴⁾ عمار (طالبي)، «عبدالرحمن الأخضرى حياته وأعماله»، مجلة العلوم الإسلامية، ع02، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، ماي 1987.

⁽⁵⁾ محمد بن يوسف (اطفيش)، كتاب الغسول في أسماء الرسول، طبعة حجرية، طبع ونشر: داود بن براهيم بن داود بن عبدالعزيز الميزابي، 1319هـ، ص: 201.

وما يميّز هذه المرحلة من التأليف هو احتكاك الجزائريين بمجلات الاستعمار الفرنسي ونشر دراساتهم بها؛ خاصة في المجلة الافريقية؛ فقد وصلت دراسات ابن شنب وحده عشرون بحثا منها بحث في عشرين صفحة عن رحلة الشيخ محمد بن المسايب للحج، والتي دونها في شكل قصيدة، انطلقت رحلته من تلمسان مروراً بعدة مدن ذكرها منها تليلات، مستغانم، واد الفضة، مليانة، المتيجة، البليدة، وصولاً للجزائر العاصمة، وبعد ذلك السير نحو قسنطينة، ومنها نحو الكاف التونسية، فالعاصمة التونسية، إلى طرابلس الليبية، ثم الدخول إلى مصر عن طريق الحسنيين، وهذه القصيدة تصوّر لنا طريق الحج الذي يسلكه سكان الغرب الجزائري⁽¹⁾، ونشر دراسة أخرى حول طريقة تربية وتعليم الأطفال⁽²⁾، وقد اعتنى ابن شنب بالحياة العلمية والفكرية في العالم الاسلامي ولهذا نشر بعض الأعمال الفكرية لسنتي 1904-1905، ومنها تفسير القرآن الكريم جزء عمّ للشيخ محمد عبده⁽³⁾، وفي سنة 1897 كتب أبو شنب عن تعاليم الاسلام الذي يبحث على ضرورة تعليم الأطفال وهذا المقال لم يتجاوز صفتين، ومضمونه هو دعوة الجزائريين لتعليم أطفالهم لأن القرآن يدعو لذلك⁽⁴⁾، كما نشر ابن شنب في المجلة الافريقية أبحاث في التراث الشعبي ومنها مقال بعنوان أصل كلمة الشاشية⁽⁵⁾، وهناك مقالات أخرى لمحمد بن أبي شنب في المجلة الافريقية بعد سنة 1914.

ساهمت الطباعة بدور فعال في الحياة الثقافية بالجزائر، خاصة إذا تعلق الأمر بالكتب النادرة والنفيسة، وقد حصلنا على فهرس لمطبوعات المطبعة الثعالبية التي تأسست سنة 1895م، ولاشك أن هذه المطبوعات كانت الأكثر تداولاً بين العلماء وبين طلبة العلم؛ ففي علم التفسير وعلوم القرآن نشرت المطبعة: تفسير الإمام فخر الدين الرازي، وتفسير الجلالين وبه أسباب النزول، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، وتفسير

⁽¹⁾Ben cheneb (M), «Itinéraire de Tlemcen A la mekke par ben messaïb», Revue Africaine, Volume 44, Alger, 1900 , P : 261-282.

⁽²⁾Ben cheneb (M), «Lettre sur L'éducation des enfants par Abou hamed El-R'azzaly», Revue Africaine, Volume 45, Alger, 1901 , P : 101-110.

⁽³⁾Ben cheneb (M), «revue des ouvrages arabes édités ou publiés par les musulmans en 1322et 1323 l'hégire (1904-1905)», Revue Africaine, Volume 45, Alger, 1901 , P : 261-296.

⁽⁴⁾Ben cheneb (M), «notions de pédagogie musulmane résumé d'éducation et d'instruction enfantine», Revue Africaine, Volume 41, Alger, 1897 , P267-268.

⁽⁵⁾Ben cheneb (M), «origine du mot chachiyya», Revue Africaine, Volume 51, Alger, 1907 , P : 55-56.

الإمام الطبري، وتفسير سورة العصر للشيخ محمد عبده، وشرح ابن عبدالحق على مقدمة شيخ الإسلام على البسملة والحمدلة، ومؤلف الطنطاوي حول القراءة والعلوم العصرية⁽¹⁾، ومن خلال منشورات المطبعة لم يكن لها توجه فكري واضح فهي تنشر لعبدالرحمن الثعالبي في التصوّف، ولمحمد عبده صاحب التيار السلفي، ولطنطاوي صاحب النزعة الحداثية.

2- حركة التأليف في العلوم العقلية: يندرج ضمن العلوم العقلية المنطق والفلسفة أو كما كانت تعرف بعلم الكلام، والطب والعلوم التجريبية والرياضيات، وقد أطلق المسلمون مصطلح العلوم العقلية لأنها تعتمد على العقل أكثر من النقل في مقابل العلوم العقلية التي تعتمد على النقل من مصادر التشريع الاسلامي أو مصادر غيرها، وسنبداً بالحديث عن الطب.

كان المجتمع الجزائري في القرن التاسع عشر يميل إلى الطب الشعبي، وهو ما انعكس على طبيعة التأليف في الطب، فكانت أغلب المؤلفات المستحدثة والمنسوخة والمطبوعة حول طريقة التداوي بالأعشاب وكذلك الطب النبوي، بينما تحفظوا من الطب الحديث الذي جاء به الفرنسيون، وكان على الفئة المثقفة والمتعلمة في المدارس الفرنسية أن تقنع الجزائريين بفوائد الطب الحديث، فقدم محمد بلعربي⁽²⁾ أطروحته حول الطب العربي في الجزائر 1884، تعرض فيها إلى الطب العربي في الجزائر، وتاريخ الطب العربي، ثم الطب العربي الراهن (أي المعاصر لزمن المؤلف) وقسم هذا الفصل إلى أربعة فروع وهي: علم الأمراض، الجراحة، النظافة، المواد الطبية، وبعد ذلك تكلم عن الطب الشرعي، وأسئلة حول مختلف فروع العلوم الطبية، والآلات العربية للثقب في الجمجمة⁽³⁾.

ومن الذين ألفوا في الطب العربي بن عبدالقادر بن علي أبو حامد المشرفي العسكري (ت. 1895)، وعنوان مؤلفه أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، وألف محمد بن أحمد بن الشريف الجزائري: المن والسلوى في

⁽¹⁾قدور بن مراد (التركي)، قائمة كتب المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1926، ص 07-08.

⁽²⁾ولد بشرشال سنة 1850، من أسرة أندلسية الأصل، أدخله ولده هو وإخوته للمدرسة الفرنسية نظراً لاقتناعه بأهمية التعليم الفرنسي، ثم واصل تعليمه في الجزائر العاصمة مرحلة المتوسط والثانوي والتعليم العالي ليخرج من كلية الطب بالعاصمة، ثم التحق بجامعة السوربون، وبقي بها إلى أن حصل على الدكتوراه في الطب سنة 1884، وكان له أصدقاء في فرنسا منهم الشاعر فيكتور هيغو، مارس مهنة الطب في الجزائر وفي سنة 1880 أصبح نائب في مجلس بلدية الجزائر. ينظر: أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 07، المرجع السابق، ص: 267-269.

⁽³⁾Mohamed ben Larbey, La médecine arabe en Algérie, Thèse pour le doctorat en médecine, faculté de médecine de Paris, Paris, 1884.

حديث العدوى، وللدكتور محمد بن العربي تألفين هما: الأمراض المنتشرة في البحر الأبيض المتوسط، والثاني الطب العربي بعمالة الجزائر، وهناك تأليفان في الطب لمحمد بن مصطفى بن محمد بن باكير بن خوجة الأول بعنوان السمط الدرّي في مسائل تتعلق بالجدري، والثاني تنوير الأذهان في الحث على التحريز وحفظ الأبدان، ولمحمد بن يوسف بن عيسى صالح أطفيش (ت. 1914) تحفة المحب في عمل الطب⁽¹⁾.

كتب أبو بكر عبدالسلام بن شعيب سنة 1907، دراسة عن (المرايطين المتداوين) في غرب الجزائر سيما تلمسان وضواحيها، وقد بيّن أن كل ولي عند العامة قادر على علاج مرض أو أكثر؛ وأكد الكاتب أن المسلمين في وقته كانوا يفضلون الذهاب للمرايطين بدل الأطباء الفرنسيين⁽²⁾، ونشر محمد بن مصطفى كتابا سنة 1896 عن الطب والحجر الصحي⁽³⁾ (الكرنينة Quarantaine) وعلاقة ذلك بالشرعية الاسلامية، واستدل بآيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية وأقوال الفقهاء ليؤكد أن حجز مرضى في مكان محدد لفترة زمنية معينة مباح شرعا، ويساعد على الحد من انتشار الأوبئة⁽⁴⁾.

ترجم أبو القاسم الحفناوي سنة 1908 كتاب الدكتور دركل في تدبير الصحة وسماه (الخبر المنتشر في حفظ صحة البشر، وألف كتاب بعنوان القول الصحيح في منافع التلقيح، وهو كتاب يؤكد على ضرورة التلقيح من الأمراض المعدية، وكتب أخو الحفناوي المكي بن الشيخ الديسي مؤلفا عن أهمية السفر على الصحة وسماه (تدبير صحة الأبدان في السفر وزيارة البلدان)، ونشرت هذا الكتاب الادارة الاستعمارية سنة 1913، ومضمون هذا الكتاب هو "مجموعة من المعارف في الصحة والفلك والطب والمستحدثات التقنية ومضار بعض المأكولات والممارسات"⁽⁵⁾، وقد تأثر الجزائريون بالطب الحديث في تأليفهم رغم أن العامة كانت مقتنعة بالطب الشعبي.

ساهم محمد مكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز الحسيني المالكي (ت. 1915) بعدة مؤلفات في علم الفلك ومنها: الهلال في بيان حركة الاقبال، التقرير المهذب، الذخيرة المكية في الخزانة المدنية، النظم الجغرافية التي لا تتحول بمغالبة الدول، تعديل الحركة في عمران المملكة، الجوهر المرتب في العمل بالمرّبع المجيب،

(1) الشيخ بشير ضيف بن أبي بكر (الجزائري)، المرجع السابق، ص: 458-459.

(2) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 07، المرجع السابق، ص: 250.

(3) هو مكان يحجز فيه أشخاص أو حيوانات مرضى، حتى لا تنتقل العدوى، ومن أجل محاصرة المرض.

(4) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 07، المرجع السابق، ص: 256.

(5) المرجع نفسه، ص: 257.

وللشيخ اطفيش كتابان في علم الفلك وهي: مسلك الفلك، أرجوزة الشهرور على مر الدهور⁽¹⁾، ومن المؤلفات في علم الفلك كذلك (الجوهر المرتب في الربع المجيب) لمؤلفه المكّي بن عزوز، وتأليف آخر لعبدالقادر المجاوي، بعنوان الفريدة السنوية في الأعمال الجيبية" الذي طبع سنة 1904م على نفقة الإدارة الفرنسية، وكان الكتاب موجهاً إلى التلاميذ بتغطية من الحكومة لأن المدارس الرسمية الثلاث كانت تدرس هذا العلم⁽²⁾.

ألف محمد الطيب اليعلاوي نظم في الفلك، وقد عاش الناظم إلى حوالي 1296هـ، واخترع سليم الجزائري آلة فلكية سماها آلة بركار، وهي آلة تحمل في الجيب وكان يرسم بها الخطوط المتوازية والمستقيمة والدوائر، كما وضع الشيخ الصالح السمعوني شرحاً على رسالة في علم الميقات⁽³⁾، إلا أن علم الفلك عند الجزائريين كان تقليدياً. وللظاهر بن صالح السمعوني الجزائري تأليف في علم الحساب سمّاه مدخل الطلاب إلى علم الحساب⁽⁴⁾، ويوجد مؤلفات أخرى في علم الحساب منها تحفة السرور في أعمال الصحيح مع الكسور لمؤلفه محمد بن الموهوب بن مالك الزواوي، وقد انتهى من تأليفه في 17 أكتوبر 1886، وألف إدريس بن محفوظ الدلسي (تنوير الألباب في علم الحساب)⁽⁵⁾، ولإبراهيم بن محمد الساسي العوامر السوفي كتاب (المسائل العامرية على مختصر الرحبية)، وكانت الرحبية أحد المتون الأساسية في المعاهد الإسلامية وتختص بعلم الفرائض أو قسمة التركات، وقد شرحها إبراهيم السوفي وانتهى من هذا العمل سنة 1323هـ⁽⁶⁾.

اهتم الجزائريون بعلم الاقتصاد خاصة بعد دخول الفرنسيين للجزائر وتخرج نخبة من الجزائرية من المدارس الفرنسية، وأصبحت الدراسات الاقتصادية مهمة، فألف حسن بن بريهمات الجزائري (ت. 1881) المرصاد في علم الاقتصاد، وألف عبدالقادر المجاوي الاقتصاد السياسي، ولمحمد السعيد أبو يعلى الزواوي كتاب في الاقتصاد بعنوان الغني والفقير، كما خصص محمد كحول قسم من التقويم الجزائري للحديث عن الاقتصاد⁽⁷⁾، كما نشرت مقالات عن الاقتصاد في جريدتي ذو الفقار والفاروق.

(1) الشيخ بشير ضيف بن أبي بكر (الجزائري)، المرجع السابق، ص: 464.

(2) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 07، المرجع السابق، ص: 279.

(3) المرجع نفسه، ص: 282.

(4) الشيخ بشير ضيف بن أبي بكر (الجزائري)، المرجع السابق، ص: 468.

(5) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 07، المرجع السابق، ص: 284-285.

(6) المرجع نفسه، ص: 289.

(7) الشيخ بشير ضيف بن أبي بكر (الجزائري)، المرجع السابق، ص: 475-476.

3- الكتب التعليمية والتربوية: الكتب التعليمية لا تخرج عن علم أو فن من الفنون التي ذكرناها؛ ولكن

أفردناها بعنوان، لأننا لاحظنا أن منهج تأليفها في هذه المرحلة (1880-1914) كان متميّزا عن المراحل التي سبقتها خاصة قبل سنة 1830، وما ميّز هذه المرحلة أن منهج التأليف كان بسيطا بمعلومات حسب المرحلة التعليمية الموجه لها، كما يوجد ازدواجية في الكتابة بين الفرنسية والعربية في مؤلف واحد مثل ما فعل بلقاسم بن سديرة في مؤلفه (كتاب الطالب المبتدئ في تخريج الخط العربي) الذي طبع بمطبعة السيد جردان بالجزائر سنة 1893، وقد نشر في هذا الكتاب وثائق ومراسلات مهمة كل رسالة كتبت بخط معين، وقد تجاوزت المتتين رسالة تتعلق بالقضايا الاجتماعية شكاوى الأهالي إلى السلطة الاستعمارية أو مراسلات بينه وبين بعض أصدقائه، ورسائل لمدراء مؤسسات تعليمية موضوعها حول إقناء الكتب، وكذلك الرسائل التي كانت تصل للحاكم العام، ومنها رسالة دوار بني محمود يطلبون عزل رئيسهم سي عبدالله لأنه انتهازي يأكل أموال الناس وينشر بينهم الفتن، ويشرب الخمر ويهاجم البيوت، وهناك مساوئ كثيرة ذكرها عنه في رسالتهم⁽¹⁾، وما استنتجته بعد مطالعتي لهذا الكتاب هو تدريب طالب العلم على قراءة أنواع الخطوط، ومعرفة كتابة الرسائل الرسمية والخاصة، كما أن هذه الوثائق مهمة للمؤرخ في الدراسات الاجتماعية والثقافية.

ومن المؤلفات الموجهة للتعليم كتاب (إرشاد المتعلمين) لعبدالقادر المجاوي، وهو كتاب موجه للمتعلمين شمل علوم مختلفة وسبب تأليفه كما يقول: "فلما رأيت بعض الطلبة اللاتنين بي لهم ميل إلى تعلم بعض العلوم الشرعية والأدبية أردت أن أجمع لهم رسالة في مبادئ بعض العلوم الشريفة وسميتها إرشاد المتعلمين"⁽²⁾، وموضوعات الكتاب اللغة العربية والدين والصحة والتسيير الاجتماعي والاقتصادي، ويقول في افتتاحية كتابه أنه فضّله حسب تلك العلوم فيقول: "أما المقدمة: ففي فضل العلم والتعلم وما يجب على كل شخص أن يتعلمه، وأما الفصول؛ فالأول في علوم اللسان، والثاني في علوم الأديان، والثالث في علوم الأبدان، والرابع في المعاش، وأما الخاتمة فتحتوي على آداب وأمثال وحكم وبعض فصول وأبيات مما تمس الحاجة إليه"⁽³⁾.

⁽¹⁾Belkassem ben sedira, Manuel épistolaire de langue arabe A L'usage des lycées et collèges et écoles normales de L'Algérie, Adolphe Jourdan, Alger, P : 268-269.

⁽²⁾عبدالقادر (المجاوي)، إرشاد المتعلمين، ط01، تح: عادل بن الحاج همال الجزائري، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، 2008، ص: 29.

⁽³⁾المصدر نفسه، ص: 29.

ألف محمد بن أبي شنب في علم التربية وطريقة تربية الأطفال، وسمّاه (مبادئ التربية عند المسلمين) وانتهى من تأليفه في 15 سبتمبر 1896، ولعلّ تعليم الطفل هو الأساس في مشروع التربية، ولهذا بدأ ابن شنب كتابه بالدعوة للعلم، وأنه لا يتعارض مع الاسلام، بل الاسلام يجعل التعلّم فريضة فيقول: "إن الإسلام ليس عدو للتعليم، بل بالعكس فهو يوجب على الانسان أن يتعلّم، ولكن هذا التعليم له غاية واحدة وهي معرفة الدين والعلوم التطبيقية"⁽¹⁾، وافتتح كتابه بموضوع طريقة تأديب الصبيان وتعليمهم، ويقول في مضمونه: "أما رياضة الصبيان وتأديبهم فهو من الأمور المطلوبة شرعا"⁽²⁾ ويستدل بالآية الكريمة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)⁽³⁾، فتربية الأبناء تربية صالحة وفق الشريعة الاسلامية.

وألف عمر بن حسن بن بريهمات كتاب في القانون الفرنسي ومقارنته بالشريعة الاسلامية، وسمّاه (النهج السوي في الفقه الفرنسي)، تم طبعه سنة 1908 بمطبعة بيبير فونتانا الشرقية بالجزائر، وقد طرحت اشكالية لعقود من الزمن حول موضوع الجنسية والأحوال الشخصية، لأن الحصول على الجنسية الفرنسية معناه الخضوع للقوانين الفرنسية وفي بعض نصوصها تتعارض مع أحكام الشريعة الاسلامية، وهو ما جعل المتجنسين في حيرة من أمرهم، ووضع العلماء والفقهاء في موقع حرج لا يخالف أحكام الشريعة ومن جهة أخرى يرضي الاستعمار، ولهذا جاء ابن بريهمات بكتابه الفقه السوي، ليقول أن أحكام الشريعة توافق الفطرة، والقوانين الطبيعية (المدنية) مبنية على الفطرة، وبالتالي فلا تعارض بين أحكام الشريعة الاسلامية وبين القوانين الطبيعية المدنية، وما لمستته من هذا الكتاب محاولة مؤلفه البرهنة على سلامة القانون الفرنسي من منظور الشريعة الاسلامية ولا حرج في الرجوع إليه والأخذ في الأحكام بقوانينه، بل هذه الخطوة سيستحسنها الفرنسيون كما يقول في خاتمة كتابه: "والحاصل أن فقه المنهج السوي يستعين به المكلفون بالنظر في القضايا النازلة بين الوطنيين على فصلها حتى إذا تعقب الفرنسي أحكامهم فيها وجدها أحكاما مؤسدة من حيث مصلحة الزوجين أو العائلة على قواعد متينة لا تصادم شرعا ولا تعاند قوانينهم فيسلمها تسليما كلياً ويراها من أحسن ما يذهب إليه المتمذهبون ويعوّل عليه الشرعيون والمشرعون"⁽⁴⁾.

(1) محمد (بن أبي شنب)، مبادئ التربية عند المسلمين، تح: عادل بن الحاج همال الجزائري، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، 2008، ص: 109.

(2) المصدر نفسه، ص: 111.

(3) سورة التحريم، الآية 06.

(4) عمر بن حسن (بن بريهمات)، النهج السوي في الفقه الفرنسي، مطبعة بيبير فونتانا، الجزائر، 1908، ص: 39.

استهل ابن بريهمات كتابه بمقدمة تحدث فيها عن الأصل الفطري في وضع القوانين الطبيعية (العرفية والمدنية)، ثم أن جميع الأمم استندت إلى التشريعات السماوية في تكملة ما وضعت من قوانين عرفية "وغالب الأمم الأروبية يأخذون من كتابهم أحكاما ولم يكتفوا به وعمدوا إلى إنشاء قوانين شرعية يستمدونها من القوانين الطبيعية لكنها قابلة للتبديل والتغيير بحس الأزمان والأماكن، وبقوا على ذلك إلى أن انسلخ الشرع من الدين لأن الدين، لأن الدين لا يقبل التغيير فصارت تلك القوانين تنزل على سكان كل إقليم واحد بدون ضغط ديني ولو اختلفوا في الاعتقاد فلهذا نجد بفرنسا مع اختلاف سكانها في الاعتقاد قوانين تعم جميع سكانها"⁽¹⁾، وبالتالي فالقانون الفرنسي من وجهة نظر ابن بريهمات شامل يشمل حتى المسلمين في الجزائر وعقيدتهم ويمكن التوفيق بينهما لتوحيد الأحكام في قضايا الأسرة التي لم يفصل فيها الشرع.

وقسم المؤلف كتابه إلى فصول؛ بدأها بفصل تقسيم القوانين، والتي تنقسم إلى فرعين: قوانين طبيعية التي تشمل كل البشر مبنية على الفطرة، وقوانين تحقيقية تختلف باختلاف الأمم، والتي تنقسم إلى ثلاثة؛ قوانين مدنية توضح العلاقة بين الأفراد، وقوانين نظامية لتضبط العلاقة بين الأفراد والدولة والعلاقة بين مؤسسات الدولة، وأخيرا قوانين نظمات خارجية، وهي التي تضبط العلاقات الخارجية للدول، وفي الصل الثاني كتب نبذة تاريخية عن نشأة القانون وأصوله، وضبط مفهوم الانسان من الناحية القانونية باعتباره كائن حي عاقل له حقوق وعليه واجبات، ويستثنى من ذلك العبيد، ويضيف المؤلف أنه لم يعد هناك عبيد في فرنسا بل أن "الرقيق إذا استنشق هواء فرنسا صار حرا"⁽²⁾، ولا نعلم إذا كان المؤلف غفل عن قانون الأهالي التي لا يوجد فرق بينه وبين القانون الذي يفرضه الأسياد على العبيد، وإن لم يكن هناك عبد بالمفهوم القديم فقد جاء الاستعمار بمفهوم أكثر تطورا وهو الاستعباد الجماعي، ونلوم ابن بريهمات في دراسته القانونية الذي مدح فيها القانون الفرنسي وبرهن بكل النصوص على مشروعيته، ولم ينكر على فرنسا قانون الأهالي؛ الحمل الثقيل الذي أجبر آلاف الجزائريين لمغادرة أرض طالما اشتاقوا إليها.

جاء موضوع الفصل الثالث من الكتاب حول الجنسية ويقول فيها أنها واجبة على كل انسان ويحق له الخروج من جنسية والدخول في جنسية أخرى "وهي واجبة طبعا لكل انسان كما له أن يخرج من جنسية إلى الدخول في أخرى بحسب ما يليق به من جلب المنافع ودفع المضار إلى غير ذلك" ويضيف أن القانون الفرنسي يمنح الجنسية لسكان الأراضي التي تصبح ضمن الممتلكات الفرنسية "فبمجرد الانضمام ينسل سكان

(1) المصدر نفسه، ص: 07.

(2) عمر بن حسن (بن بريهمات)، النهج السوي في الفقه الفرنسي، المصدر السابق، ص: 11.

تلك القطعة من الجنسية التي كانوا عليها إلى الجنسية الفرنسية"⁽¹⁾، ومعناه أن الجزائريين هم مسلمون فرنسيون يمكن له أخذ الجنسية، ثم فصل آخر في العائلة ثم القرابة، وبعد ذلك فصل الميراث والنكاح وأركانها وفيما ينشأ عنه من حقوق وواجبات والأولاد، وأخيرا فصل الطلاق وخاتمة.

ومن خلال ما قرأت لابن بريهمات في هذا الكتاب فقد بدا متأثر بحالة الأسرة الأوروبية مقارنة بواقع الأسر المسلمة، فيقول: "ففائدة هذا الكتاب هي أن يقابل الطالب بين الحياة المنزلية عندنا وعند الأوروبيين فيستدل بالمقابلة على راحتهم واقتصادهم وحسن تدبير منزلهم وعلى تعبنا وتفريطنا أو إفراطنا وسوء تدبير منزلنا فيأخذ من الجانبين بالأنسب لنفسه وأم أولاده في الحال والاستقبال (المستقبل)"⁽²⁾، ويجب ان نعترف أن ابن بريهمات لم يكن قلم طبع في يد الاستعمار وإنما حاول التأقلم مع الواقع والاستفادة من منه إيجابيا، فهو عالم وفقه، له نبرة إصلاحية؛ يدع مجتمعه للتخلي على الأعراف السلبية في المعاملات وتسير شؤون الأسرة والاستنباط من القانون الفرنسي وموافقته بنصوص الشريعة الاسلامية من أجل ترقية الأسرة والمجتمع.

يوجد مؤلف آخر لعمر بن حسن بن بريهمات في القانون باللغة الفرنسية، بعنوان (كتيب في القانون العرفي والتربية المدنية)، يتكون من خمسين صفحة موجه لطلبة التعليم، طبع في المطبعة الشرقية ببيير فونتانا سنة 1908، بدأه بالحديث عن القانون الفرنسي بديهة من التنظيم السياسي في فرنسا، ثم تعرض لمصطلح الجمهورية ووضع القوانين، ثم الحديث عن السلطة التنفيذية، والتنظيم الإداري بداية من المقاطعات ثم المناطق الادارية، وأخير البلديات، وخصص الجزء الثاني من الكتاب لمحاضرات في القانون الفرنسي موجهة للسنة الثانية من التعليم الثانوي، وشملت القانون الخاص، القانون العمومي، القانون الدولي، ومصادر القانون، الجنسية، ثم الأشخاص والدولة المدنية، وأخيرا محاضرة حول الأسرة والقرابة⁽³⁾، وحاول أن يقارب في هذه الدراسة بين القانون الفرنسي والفقهاء الاسلامي.

وقد أُلّف عدد معتبر من الكتب لتعليم اللغة العربية ذات أهداف تعليمية منها: طريقة عملية لتعليم اللغة العربية الفصحى من تأليف محمد صوالح، وأُلّف علاوة بن يحيى مجموع في العربية الدارجة طبعه سنة 1890 بمستغانم في 119 صفحة، وكتاب دروس في العربية الدارجة المراكشية والجزائرية لصاحبه الدكتور علي

(1) المصدر نفسه، ص: 14.

(2) المصدر نفسه، ص: 40.

(3) Omar ben brihmat, Manuel de droit usuel et d'instruction civique, Imprimerie orientale pierre Fontana, Alger, 1908, P : 03-48.

فخار، الذي يعد أول جزائري حصل على الدكتوراه في الشريعة الاسلامية من الجامعة الفرنسية، يتكون كتابه من 439 صفحة طبعه سنة 1913⁽¹⁾.

وفي الوقت الذي ألف فيه علماء جزائريون كتب لتدعيم المناهج التعليمية في المدارس العربية، كان بعض الفرنسيين يترجمون كتب من اللغة الفرنسية إلى العربية ووضعتها في المنهاج التعليمي لأبناء الجزائريين، مثلما فعل أستاذ اللغة العربية بالجزائر العاصمة Tibal، وترجم قصة من الفرنسية إلى اللغة العربية الدارحة، وهذه القصة مأخوذة من حكايات بيرو نسبة إلى مؤلفها شارل بيرو⁽²⁾، وعنوان القصة (صبية على رأسها شبه شاشية حمرا)، وبطلتها فتاة حسناء وقعت في فخ ذئب فأكلها، والمقصود بالذئب كلام الناس، ويقول كاتب هذه القصة أن الهدف منها هو عدم الامتثال لكلام الناس الأشرار⁽³⁾، بينما الهدف الحقيقي للمترجم هو استقطاب أبناء الجزائريين نحو الأدب الفرنسي ورواده خاصة صاحب الفن الجديد (القصص الخرافية) شارل فيرو، وطبعت سنة 1880، في أربعة وعشرون صفحة بالتفصيل مزدوج اللغة، وفي آخر الكتاب ترجمة القصة إلى اللغة العربية الدارحة في صفحتين.

4-الدراسات المعجمية: فرض الاختلاف اللغوية بين الاستعمار الفرنسي والشعب الجزائري تنشيط حركة الترجمة وتأليف القواميس للتعليم اللغة العربية للفرنسيين والفرنسية للجزائريين، وأغلب هذه القواميس كانت الدارحة هي اللغة المعتمدة في الكتابة العربية، ومن بين الجزائريين الأوائل في وضع القواميس الطاهر بن نيقاد، صاحب كتاب المحادثات الفرنسية العربية، والذي استفتحه بحوار بين معلم فرنسي وتلاميذ من الأهالي، وبعده الجمل الأكثر تداولاً، ثم الجمل المستعملة في المعاملات العامة، وحوار داخل المحكمة في الدفاع عن تهمته ومواضيع أخرى تهم الخاص والعام، وطريقة الكتابة كل صفحة يوجد فيها الكتابة باللغة العربية على اليمين وعلى اليسار الكتابة باللغة الفرنسية يفصل بينهما خط⁽⁴⁾.

(1) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج08، المرجع السابق، ص: 49-50.

(2) كاتب وشاعر فرنسي ولد في باريس 1628 من عائلة برجوازية، كان أبوه محامياً، وأخوه الأكبر مارس المحاماة كذلك، ودرس شارل فيرو في كلية الحقوق إلا أنه لم يمارس المحاماة، بل اختار الشعر وكتابة القصص الخيالية، توفي 1703. حول التعريف بشارل فيرو ينظر:

Charles Perrault, les contes de Perrault, illustrés par : Robida (A), Paris, 1941, P : 01.

(3) Charles Perrault, le petit chaperon rouge , traduit en arabe par : Tibal (M), Alger, 1880, P : 01-24.

(4) Tahar ben neggad , Dialogues français- arabes avec le mot A mot et la Figuration en Caractères Français, Constantine, 1863.

وفي سنة 1903 ألف إلياس ثابت الترجمان بالمحكمة الابتدائية بوهران قاموس فرنسي عربي، ونشرته مطبعة جوردان، ويقول في بدايته: "قاموس الألفاظ الاصطلاحية الملحقة بالرسوم العدلية ألفه باللغتين العربية والفرنسية عبد ربّه إلياس ثابت الترجمان الشرعي كان لدى المحكمة الابتدائية بوهران الرئيس إدارة العمل المتقاعد الآن حامل الصنف الأوّل من وسام العلوم الفرنسية"، والكتاب مكتوب بخط اليد لم يراعي فيه مؤلفه التبويب أو التصنيف أو حتى وضع العنوانين أو الترتيب في الكتابة وكأن الكتاب ورقة محاولة طبعت، وأغلب العبارات والجمل ما يدور من قضايا ومسائل داخل المحكمة⁽¹⁾.

ومن بين الدراسات المعجمية القاموس الذي ألفه بلقاسم بن سديرة وسماه الحوارات الفرنسية العربية؛ انتهى من تأليفه في 15 ديسمبر 1891، وطبع في مطبعة جوردان 1905، بدأ بن سديرة بتعليم الحروف العربية للفرنسيين فقد رسم جدول يكتب الحرف العربي منفردا في خانة وثلاث خانات أخرى لكيفية كتابته بدابة الكلمة وفي وسطها وفي آخرها، وفي الخانة الأخيرة يكتب الحرف بحروف فرنسية وينطق عربيا مثل (Ba، Alif...)، وما استحدثه ابن سديرة وليس موجود في اللغة الفرنسية طريقة كتابة حرف الخاء (Kha)⁽²⁾، وهذا القاموس من حيث طبيعة تأليفه ومنهجه فهو موجه للفرنسيين لتعلم اللغة العربية لتساعدهم في التواصل مع الجزائريين، فبدأ بالحروف ثم الكلمات الأكثر استعمالا في الدارجة الجزائرية وما يقابلها بالفرنسية و ختم كتابه بحوار مطوّل بالفرنسية والدارجة الجزائرية داخل المنزل وفي مكان العمل، وعند الطبيب، وفي الإدارة والمحكمة، والخروج للبستان، وفي الأسواق⁽³⁾ وفي كل نواحي الحياة.

ألف أحمد بن بريهمات قاموس مع لويس رين عنوانه (اللسان يكمل الإنسان) وقد صدر سنة 1882 في 143 صفحة لكل لغة، وهو موجه لتعليم الجزائريين اللغة الفرنسية⁽⁴⁾، كما ألف هلو Hélot قاموس مزدوج باللغتين العربية والفرنسية كتب في الصفحة الثانية بعد واجهة الكتاب عبارة باللغة العربية (كتيب اللغتين العربية والفرنساوية للعساكر والمسافرين في بلاد المغرب)، يتكون من خمسمئة وأربعة وثلاثون

⁽¹⁾ Tabet élie, Dictionnaire français- arabes des termes juridiques, Adolphe Jourdan, Alger, 1903.

⁽²⁾ Bel kassem ben sedira, Dialogues Français- Arabes, Adolphe Jourdan, Alger, 1905, P : 10.

⁽³⁾ مجموع عدد صفحات الكتاب 370 صفحة منها 292 صفحة للحوار.

⁽⁴⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج08، المرجع السابق، ص: 49.

صفحة⁽¹⁾، هذه بعض أعمال الجزائريين في الدراسة المعجمية، وإن كانت أعمال الفرنسيين في هذا المجال غزيرة نظرا لحاجتهم في التعرف على ثقافة الشرق بصفة عامة وثقافة الجزائريين ومنطقة شمال إفريقيا بصفة خاصة.

5- حركة إحياء التراث: يعد محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب "رائدا من رواد نشر التراث العربي بالجزائر، وقد ساهم بقسط كبير في نشر كثير من المخطوطات العربية التي تزخر بها خزائن الكتب بالجزائر، ومن أبرزها كتاب البستان لابن مريم سنة 1908م، ورحلة الحسين الورثيلاي سنة 1908، وعنوان الدراية للغبريني سنة 1910، وتدميث التذكير في التأنيث والتذكير، وهي منظومة لبرهان الدين الجعبري سنة 1911م، وطبقات علماء إفريقية لأبي العرب سنة 1915"⁽²⁾، وتعتبر في مجملها من المصادر الرئيسية في دراسة تاريخ المغرب الاسلامي وبخاصة في جانبه الحضاري؛ إذ أن أغلبها يتناول بالدراسة الحركة العلمية التي شهدتها بلاد المغرب ومن خلال ذلك ندرك الدور الكبير الذي قام به ابن أبي شنب إذ وقر للباحثين جملة من المصادر الضرورية لإنجاز بحوثهم ودراساتهم⁽³⁾، ومن الكتب التي حققها ابن أبي شنب؛ كتاب الجمل للزجاجي وقد اعتنى بشرحه وتوضيحه حتى يكون مقصد لطلبة العلم، وهو الهدف الذي يسعى إليه ابن شنب من خلال تأليفه كما يقول في آخر مقدمة التحقيق: "ونرجو من الله تعالى أن يكون هذا الكتاب جامعا في هذا الباب، مغنيا الطلاب على التطلاب كافيا في جميع الشواهد العربية، وافية لما يحتاج إليه من الكتب الأدبية"⁽⁴⁾.

حقق محمد بن مصطفى خوجة تفسير الثعالبي المعروف بـ(الجوهر الحسان)، كما أشرف عبدالرزاق الأشرف على طبع (كشف الرموز في بيان الأعشاب) لابن حمدوش، وتعاون نورالدين عبدالقادر مع المستشرق جاهيير على نشر (روضة السلوان) في الصيد، كما أن نورالدين أشرف بنفسه على تحقيق ونشر عملين على الأقل؛ الأول هو غزوات عروج وخير الدين، والثاني هو تاريخ حاضرة قسنطينة لأحمد بن المبارك⁽⁵⁾، وإلى غاية 1914 يعتبر ابن أبي شنب هو الأكثر تحقيقا للتراث الجزائري بين الجزائريين.

⁽¹⁾Hélot Léon, Dictionnaire de poche Français – arabe et arabe –Français à l’usage des militaires des voyageurs et des négociants en Afrique, Alger.

⁽²⁾ عبدالقادر (بويابة)، «إسهامات محمد بن أبي شنب في تحقيق التراث التاريخي العربي»، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع06، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة معسكر، الجزائر، ديسمبر 2011، ص: 283.

⁽³⁾ عبدالقادر (بويابة)، المرجع السابق، ص: 283.

⁽⁴⁾ عبدالرحمن أبو القاسم بن اسحاق (الزجاجي)، الجمل، شرح وتحقيق: محمد بن أبي شنب، مطبعة كربونل، الجزائر، 1926، ص: 16.

⁽⁵⁾ أبو القاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج08، المرجع السابق، ص: 168.

ثانيا-المكتبات وخزائن المخطوطات:

جمع علماء الجزائر الكتب واهتموا بإنشاء المكتبات منذ القديم، وخاصة بعد دخول الاسلام إلى منطقة شمال افريقيا، وحتى الأمراء ساهموا في بناء المكتبات وقصة ابن عبدالرحمن بن رستم معروفة عندما اشترى من المشرق كتباً مقدار حمل أربعين بعيراً، وعند مطالعتها كان يجهل منها مسألتين فقط، وحولت هذه الكتب مع غيرها إلى رفوف المكتبة ليطالعهها العلماء وطلبة العلم، ومع مرور الزمن اجتهد كل عالم في تكوين مكتبة يرافقه في ذلك نساخ أو نساخون، ولهذا تكوّنت خزائن المخطوطات في كل ناحية من نواحي الجزائر، وعندما حل الاستعمار الفرنسي اندهش المستشرقون المرافقون له من المنتوج الفكري كمّاً، فاستولوا على أغلبه ودمّر بعضه الحروب، وجزء منه فرّ به العلماء إلى خارج الجزائر، والتمين منه هرب إلى مكتبات أوروبا، وإذا كانت المكتبات مظهر من مظاهر الثقافة، فإنها في المرحلة الاستعمارية وجه من أوجه الصراع الثقافي والفكري بين الاستعمار والشعب الجزائري، ولهذا سعالج هذا الموضوع من زاويتين هما: سعي الاستعمار لإنشاء المكتبات وتوجيهها فكرياً حسب السياسة الاستعمارية، ومن جهة أخرى دراسة ما بقي من خزائن المخطوطات بعد خمسين سنة من الاحتلال، وإن كانت أغلبها تقع في منطقة الجنوب لعدّة اعتبارات تاريخية.

1- المكتبات:

يبدو لنا أن إنشاء المكتبات هو تحصيل حاصل بعد انشاء المدارس والثانويات والمعاهد، لكنها الأهم في توجيه الفكر الاستعماري، ومحور السياسة الثقافية، وما يدل على ذلك أن مسألة المكتبة وتطويرها حسب الأهداف الاستعمارية نوقشت في أغلب اجتماعات المجلس الأعلى للحكومة العامة بالجزائر، ومن جهة أخرى أن قرار فتح مكتبة عمومية كان مبكراً في وقت يخوض فيه الاستعمار حروب مع الأمير عبدالقادر في الغرب الجزائري، ومع أحمد باي في الشرق الجزائري، ومعنى ذلك أن الكتاب والتعليم رافق السيف والبنادق في المهمة الاستعمارية، وستعرض لموضوع المكتبات بالحديث عن المكتبة الوطنية ثم المكتبة الجامعية، وأخيراً ما بقي المكتبات البلديات والعسكرية.

1-1 المكتبة العمومية:

أسس الفرنسيون نواة المكتبة العمومية في الجزائر سنة 1835 وينسبون الفضل إلى المارشال كلوزيل في عهده الثانية وإلى كاتبه الخاص بير بروجر⁽¹⁾، كان الهدف من تأسيسي هذه المكتبة هو "استقبال الوثائق

⁽¹⁾ محافظ المكتبة منذ إنشائها إلى غاية وفاته سنة 1869، وعن واقع المكتبة وتطورها في عهده ينظر: أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 340-347.

والمخطوطات والكتب المطبوعة عن تاريخ الجزائر وتاريخ العلوم ومساعدة السكان على التعلّم والتثقيف⁽¹⁾، ولهذا سعى المشرفون عليها بجلد عدد أكبر من المخطوطات وجمعها من الزوايا والمكتبات الخاصة عند الجزائريين فقد كان عدد المخطوطات بما سنة 1845 يقدر بـ سبعمئة مخطوط حسب أحد التقارير الفرنسية، معظمها في علوم الدين والفقه، في مقدمتها مختصر سيدي خليل وشروحات وحواشي كثيرة لهذا المختصر، بينما الكتب التاريخية والعلمية والأدبية نادرة، وما هو موجود يذكر التقرير أنه له أهمية كبرى مثل تاريخ الطبري، وتاريخ الدولة العباسية، وكتاب الأغاني⁽²⁾، وكانت المكتبة تابعة لوزارة التعليم العمومي أو المعارف إلى سنة 1898، وفي هذا التاريخ أصبحت ميزانية المكتبة تابعة لميزانية الجزائر بعد أن حصل فرنسيو الجزائر على ما يعرف بالاستقلال المالي⁽³⁾.

ضمت سنة 1893 حوالي ثلاثين ألف كتاب تعالج مواضيع مختلفة، وقد احتوت المكتبة ألفي مخطوط قام بفهرستها أيدمون فانيان في خمسة عشر وحدة، منها القرآن الكريم والحديث والفقه (396 عنواناً)، والباقي موزع على الفلسفة والسياسة والأمثال والحساب والهندسة والفلك والعلوم والجغرافية والتاريخ والطب والشعر والنثر المسجوع والقصص وغيرها⁽⁴⁾، ويصف محمد الخضر بن الحسين المكتبة سنة 1903 بقوله: "وزرنا المكتبة العمومية فرأينا فيها عدّة من الكتب الغربية مثل "القبس على موطأ مالك بن أنس" وترتيب المسالك على موطأ مالك، وقد هجت أسفا على أبي لم أتمكن من زيارتها إلا في آخر يوم من إقامتنا، حتى أنّي لم أستوف مطالعة أتمودج الكتب بتمامه"⁽⁵⁾، لكن زيارة محمد الخضر بن الحسين المستعجلة لا تعطينا صورة شاملة عن المكتبة، وإن كان تأسفه يدل على أهمية المكتبة الوطنية.

⁽¹⁾دليلة (جاري)، الإنتاج الفكري المغاربي العربي بالمكتبة الوطنية الجزائرية دراسة تحليلية للرصيد بالمقر القديم للمكتبة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم المكتبات والتوثيق، قسم علم المكتبات والتوثيق، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص: 38.

⁽²⁾Le baron de Slane (M), Rapport Adressé A M. La ministre de L'instruction Publique ; suivi catalogue des Manuscrits arabes les Plus importants de la bibliothèque d' Alger et de la bibliothèque de cid-hammouda A Constantine , Algérie, 1845, P : 01-02.

⁽³⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 348.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص348.

⁽⁵⁾ محمد الخضر (بن الحسين)، المصدر السابق، ص44.

يعطينا شارل جونار الحاكم العام في الجزائر صورة عن المكتبة في تقريره السنوي عن الوضعية العامة للجزائر لسنتي 1904-1905، فيذكر أن في سنة 1904 تم إضافة 480 مجلد للمكتبة، ويزورها يوما من 40 إلى 50 شخص، والترخيص لـ 152 شخص باستعارة كتب لمتابعة دراستهم في المنزل، وخصص 4100 فرنك المبلغ الاجمالي للمكتبة منها 3345 لاقتناء الكتب⁽¹⁾، كما كانت تتلقى المكتبة الهدايا، فيذكر غبريال ايسكير محافظ المكتبة⁽²⁾، إن 786 مجلدا ومخطوطا دخلت المكتبة بين أكتوبر 1910 ويوليو 1911، بعضها بطريق الشراء وبعضها بطريق الهدية من الحكومة العامة ومن الوزارات المعنية⁽³⁾.

ورغم ذلك فأبو القاسم سعد الله يرى أن المكتبة الوطنية لم تنم وتتطور كثيرا "فبين 1894 و 1912 فالإحصاء الذي قدم في التاريخ الأخير يذكر زيادة ألفي كتاب فقط على الإحصاء الأخير وهو ثلاثون ألفا منها خمسة آلاف خاصة بالمغرب العربي، و 289 فقط من المطبوعات العربية، أما المخطوطات العربية والفارسية والتركية بقيت بنفس العدد أي حوالي 2075 مجلدا"⁽⁴⁾، وقد يكون السبب في ذلك اهتمام الفرنسيين أكثر بالمكتبة الجامعية على حساب المكتبة الوطنية.

عمل المستشرقون والجزائريون عبر قرن من الزمن على إنجاز عدد من القوائم والفهارس للمخطوطات التي دخلت المكتبة لتسهيل مهمة الباحثين، وكانت حصيلة تلك الجهود مجموعة من الأعمال العلمية، وأهم فهرسة أنجز لمخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية فهرس فانيان الذي أنجزه سنة 1893⁽⁵⁾، ونشره ضمن فهرست مخطوطات المكتبة الفرنسية في الجزء الثامن عشر، ويقول في مقدمته أن الحكومة الفرنسية في السنوات الأولى من الاحتلال لم تبدل أي جهد في إنقاذ المخطوطات من الدمار، واعتبر احتلال قسنطينة غنيمة

⁽¹⁾ Jonnart (M.C), situation générale de l'Algérie, op.cit, P : 26

⁽²⁾ تولى إدارة المكتبة الوطنية منذ تأسيسها إلى غاية 1962 خمس مدراء وهم: أدريان بير بروجير Adrien Berbrugger (1869-1935)، أوسكار مكارتي oscar mac carty (1869-1890)، إميل موبا Emile maupas (1890-1916)، غبريال إيسكير Gabriel esquer (1916-1948)، جرمان لوبيل Germaine Lebel (1948-1962).
ينظر: دليلة جاري، المرجع السابق، ص: 37-38.

⁽³⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، المرجع السابق، ص 349.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص: 349.

⁽⁵⁾ عبدالكريم (عوفي)، «التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم»، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع 20-21، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي-الامارات العربية المتحدة، 1998، ص: 108.

للفرنسيين للاستلاء على مخطوطاتها، خاصة وأنها كانت من أكثر المراكز ثقافة وعلمًا، وقد رجع في فهرسته إلى فهرست السيد سلان⁽¹⁾.

وخصص للمكتبة الوطنية غلاف مالي بالاشتراك مع متحف الآثار الجزائرية في اجتماع المجلس الأعلى للحكومة العامة سنة 1912، والمقدر بـ 27.775 فرنك⁽²⁾، بينما سنة 1914، كان حجم الدعم المالي للمكتبة الوطنية يقدر بـ 7.200 فرنك لشراء الكتب، وهو مبلغ ضئيل مما جعل محرر اجتماع مجلس يعلق عليه بقوله في تقريره: "لا يبدو مقبولاً أن بلد مثل الجزائر تنفق المال القليل على مكتبة وطنية"⁽³⁾، وقد تطورت المكتبة بعد 1914 من البناية والمنتوج الفكري وعدد القراء⁽⁴⁾، كما وضع مشروع لبناء مقر جديد لها.

1-2 المكتبة الجامعية:

يرجع انشاء المكتبة الجامعية إلى تأسيس المدارس العليا، والتي تحولت إلى كليات فيما بعد⁽⁵⁾، وتأسست المكتبة الجامعية بموجب قرار 20 ديسمبر 1879 المتعلق بالتعليم العالي في الجزائر⁽⁶⁾، وكانت تقع حسب تقرير يرجع إلى منتصف الثمانينيات من القرن التاسع عشر في شارع هنري مارتن في المنزل رقم عشرون في الطابق الأول وهي تتألف من عشرة غرف؛ منها غرفتين للقراء العامة يسمح لهم الدخول بإذن من عميد أكاديمية الجزائر، وما بقي منها مخصص للمطالعة للمعلمين والطلاب المسجلين بانتظام في المدارس

⁽¹⁾Fagnan (E), catalogue général manuscrits des bibliothèques publiques de France, Tome XVIII (département Alger), Librairie Plon, Paris, 1893, P : 01-02.

⁽²⁾Gouvernement général de l'Algérie, conseil supérieur de gouvernement, séance du 29 juin 1911, Alger, 1911, P : 295.

⁽³⁾Georges benoit, Rapport général conseil supérieur de L'Algérie session ordinaire de 1914, Alger, 1914, P : 61.

⁽⁴⁾يذكر أحد الباحثين الجزائريين أن المكتبة احتوت سنة 1962: 500.000 مجلد؛ منها 3500 من المخطوطات العربية والفارسية، و27.000 الكتب والدوريات باللغة العربية، وعدد القراء المسجلين كان في يوم 30 جوان 1959 يقدر بـ 5903 في حين أن قاعات المطالعة بها 312 مقعد فقط. ينظر:

Elhadi Mohammed didi, les bibliothèques Algériennes passe présent et perspectives contribution à l'histoire culturelle de l'Algérie, Note de synthèse pour le diplôme supérieur de bibliothèque, école nationale supérieur des bibliothèques, Lyon-France, 1975-1976, P : 05.

⁽⁵⁾ حول موضوع المدارس العليا والمعاهد ينظر الفصل الثاني

⁽⁶⁾ Elhadi Mohammed didi, les bibliothèques Algériennes passe présent et perspectives, op.cit, P : 06.

العليا بالجزائر، فقد خصص أربع أقسام لاستقبال طلبة المدارس العليا حسب التخصصات الأربعة: القانون، الطب والصيدلة، العلوم الطبيعية، العلوم الانسانية، وأبواب المكتبة مفتوحة كل أيام السنة ما عدا يوم الأحد وأيام الأعياد: صباحا من الساعة التاسعة إلى الحادي عشر، وبعد الظهر من الثانية زوالا إلى الخامسة، وفي المساء من الساعة الثامنة إلى العاشرة ليلا⁽¹⁾.

بلغ عدد القراء من خارج الجامعة (سنة 1886) والذين يسمح لهم باستعارة الكتب 13، وفي احصائيات أخرى 24 قارئ من خارج الجامعة⁽²⁾، ومعدل قرائها في اليوم الواحد 19، فمثلا في الفترة ما بين 15 أكتوبر 1884 و 25 جويلية 1885 وصل عدد القراء إلى 2621 قارئ، في الاعارة الداخلية 6848 مجلد، وفي الإعارة الخارجية 4849 مجلد⁽³⁾، ووصل عدد القراء خلال العام الدراسي 1890-1891 إلى 6250 منهم 175 طالب و55 أستاذ التعليم العالي في المدارس العليا، وبلغ عدد المجالات المقروءة 14.347 مجلد⁽⁴⁾، هذا التطور يدل على مدى تطور المكتبة الجامعية واستقطابها لعدد من القراء.

تولى إدارة مكتبة الجامعة مدراء فرنسيون "أولهم بيرسون الذي لم يبق فيها أكثر من عام، ولكن المدير الذي طال عهده هو لويس باولي Paoli (1884-1925)"⁽⁵⁾. ونظامها الداخلي لسنة 1892، يسمح الدخول للمكتبة فقط لتلاميذ التعليم الثانوي والتعليم العام، ويقدم طلبة التعليم العالي بطاقة التسجيل في المكتبة شخصا، وما دون أولئك لا يسمح لهم بالدخول إلا بترخيص صادر عن مدير المكتبة، ويسمح فقط الإعارة الخارجية لمعلمي المدارس، والطلبة المسجلين بانتظام، والأساتذة المحاضرون في المدارس العليا وفي ثانوية الجزائر، ويمكن الاعارة الخارجية من يملك تصريح من مدير المكتبة⁽⁶⁾.

⁽¹⁾Gouvernement général de l'Algérie, conseil supérieur de gouvernement, séance du 16 Novembre 1885, Alger, 1885, P : 137.

⁽²⁾ Louis Tirman, Exposé de la situation générale de l'Algérie année 1886, Alger, 1886, P : 79.

⁽³⁾Gouvernement général de l'Algérie, conseil supérieur de gouvernement, séance du 16 Novembre 1885, Alger, 1885, P : 138.

⁽⁴⁾Gouvernement général de l'Algérie, conseil supérieur de gouvernement, séance de janvier-février 1892, Alger, 1892, P : 530.

⁽⁵⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 351.

⁽⁶⁾Gouvernement général de l'Algérie, conseil supérieur de gouvernement, séance de janvier-février 1892, Alger, 1892, P : 527-528.

وقد تطوّرت المكتبة فقد ضمت رفوفها سنة 1885 رسائل الدكتوراه في الطب للجامعات الفرنسية التالية: جامعة باريس منذ 1803 إلى غاية 1870، وجامعة مونبلييه من 1859 إلى 1884، ونانسي من 1873 إلى 1884، وجامعة ليل من 1877 إلى 1884، وجامعة بوردو من 1882 إلى 1884، كما يوجد للمكتبة الجامعية رسائل في القانون لجامعة باريس من سنة 1876 إلى غاية 1885، ورسائل الآداب والعلوم منذ 1882⁽¹⁾.

وفي تقرير يرجع لسنة 1886 يذكر صاحبه أنه بغض النظر عن عدد الأطروحات بالمكتبة الجامعية والمقدرة بـ 21.336، فإنها تحتوي على 14.008 مجلد موزع كالتالي: الأعمال الكاملة (6.143 مجلد)، الأعمال النادرة والتي تم نشرها 412 مجلد، الجرائد والمجلات 438 بمجموع 7.453 مجلد⁽²⁾. منذ 1 أبريل 1885 إلى 1 سبتمبر 1886 أضيف للمكتبة 1040 مجلد، ورغم ذلك يرى صاحب التقرير أن هناك نقص فادح في كمية الكتب ونوعيتها والحل يكمن في وضع قانون يفرض على كل من نشر كتاب أو مجلة أو جريدة أن يضع نسخة في مكتبة الجامعة⁽³⁾.

ضمت المكتبة سنة 1888 أربعين ألف مجلد، منها 17.900 كتاب عادي ومجلة، 22.410 من الأطروحات الجامعية والكتب الأكاديمية⁽⁴⁾، وفي سنة 1897 أضيف للمكتبة 1.500 مجلد، و5.538 أطروحة تم إهداؤها للمكتبة من طرف 38 جامعة أجنبية، وبالتالي العدد الاجمالي لما هو موجود في المكتبة: 32.614 مجلد، و 58.456 أطروحة⁽⁵⁾، وكانت المكتبة الجامعية سنة 1905 تحتوي على 48.720 مجلدا⁽⁶⁾، و105.639 أطروحة وكتابات أكاديمية جمعت من 38 جامعة أجنبية⁽¹⁾، ووصل العدد الاجمالي

⁽¹⁾Gouvernement général de l'Algérie, conseil supérieur de gouvernement, séance du 16 Novembre 1885, Alger, 1885, P : 138.

⁽²⁾ Louis Tirman, Exposé de la situation générale de l'Algérie année 1886 , op. cit, P : 79.

⁽³⁾ Ibid, P : 80.

⁽⁴⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص:351.

⁽⁵⁾Jeanmaire (C), «situation de l'enseignement en Algérie pendant l'année scolaire 1896-1897», conseil supérieur de gouvernement (Alger) , session de mars 1898, Alger, 1898 , P : 05.

⁽⁶⁾ وصل عدد مجلداتها سنة 1962 إلى 600.000 مجلد، ومنح كتب في شكل الاعارة الخارجية لـ 15000 مواطن سنة 1961، ووصل عدد قرائها إلى 75.000 رغم أن الجامعة بها سوى 500 طالب وطالبة. ينظر:

للمكتبة 154.359 مجلدا، وعدد القراء 8.431 سنة 1904، وارتفع العدد إلى 11.564 سنة 1905⁽²⁾، وفي الفترة بين 1909-1910 ارتفع عدد مجلدات المكتبة إلى 179.680 كتاب؛ منها 54.877 كتاب عادي ومجلة، و124.803 من الأطروحات والبحوث الأكاديمية⁽³⁾. وقد كان للمكتبة ميزانيتها الخاصة سواء في قانون إنشاء المدارس العليا سنة 1879، أو قانون إنشاء الكليات سنة 1909، ففي اجتماع المجلس الأعلى بتاريخ 25 ماي 1905، لتوزيع الميزانية خصص للمكتبة غلاف مالي مقداره 27.975 فرنك⁽⁴⁾.

1-3 المكتبات العسكرية والبلدية والمدرسية:

كانت السياسة الفرنسية تقتضي توسيع دائرة المكتبات بعد انشاء المكتبة الوطنية؛ وذلك باستحداث 377 مكتبة صغيرة، ومكتبات خاصة بالمخطوطات في المدن الكبيرة: الجزائر، وهران، قسنطينة، سطيف، وفي آخر العهد الفرنسي أضيفت مكتبة عنابة، وقد ضمت هذه المكتبات الخمس ما يقارب 150.000 مجلد، وإلى جانب تلك المكتبات وضع 35 مركز للقراء في المدارس والكليات منها مكتبتين متنقلتين⁽⁵⁾، كما وضع مكتبة مدرسية للمدن الكبرى والتي تنتشر فيها المدارس الفرنسية بكثرة.

كما أنشأ الفرنسيون في كل مكتب عربي مكتبة تضم كتب عن تاريخ الجزائر وطرق معرفة اللغة العربية وبعض المعاجم الفرنسية -العربية، وغيرها، مما يهم الضباط الفرنسيون معرفته، وكذلك الجنود داخل معسكراتهم، كما يجدون في الدراسة الراحة النفسية، ولاسيما في المناطق النائية، والهدف من إنشاء هذه المكتبات هو الابقاء على التأثير الفرنسي في الجيش⁽⁶⁾، وقد كان لوزارة الحرب الفرنسية مشروع فتح مكتبة عسكرية على مستوى كل موقع، كل مكتبة تحتوي على أربعمئة كتاب في العلوم والآداب والفنون الجميلة،

=Elhadi Mohammed didi, les bibliothèques Algériennes passe présent et perspectives , op.cit, P : 07.

⁽¹⁾ Jonnart (M.C), situation générale de l'Algérie, op.cit, P : 340.

⁽²⁾ Ibid, P : 341.

⁽³⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 352.

⁽⁴⁾ Gouvernement général de l'Algérie, conseil supérieur de Gouvernement session ordinaire de 1905, Séance du 25 mai 1905, Alger, P : 317.

⁽⁵⁾ Elhadi Mohammed didi, les bibliothèques Algériennes passe présent et perspectives , op.cit, P : 06.

⁽⁶⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 354.

ومن النوع الذي تلذ مطالعته⁽¹⁾، وقد كان لهذه المكتبات دور في الدراسات التاريخية والاجتماعية لبعض الضباط، وبدورهم ساهموا في إثراء تلك المكاتب بما تحصلوا عليه من مخطوطات بعد احتكاكهم بالجزائريين وإقامة علاقة مع بعض الأعيان، ومن بين أولئك الضباط لوسيانى ورين وكوبولاني، وكلهم قدّموا دراسات على الاسلام والمسلمين بشمال إفريقيا، وفي دراسة التصوّف والطرق الصوفية.

ومن المكتبات المدرسية؛ المكتبة التعليمية بتلمسان والتي كان مقرها في مدرسة البنات بشارع دي فاس de Fez، وقد حصلت على فهرس محتوياتها وقانونها الداخلي والذي ينص على أن تكون الاستعارة كل يوم أربعاء من الساعة 16:45 إلى الساعة 17:45، ويلحق للعضو استعارة أربعة كتب في وقت واحد، ومدة الاستعارة للروايات والأعمال الأدبية خمسة عشر يوما، ولا يجوز للأعضاء وضع كتبهم الخاصة بهم على رفوف المكتبة، يقدم القارئ طلب استعارة كتب تتضمن قائمة لسبعة أو عشرة تمنح له منها أربعة بعد دراسة الطلب من طرف لجنة مختصة بينما الكتب التي بها نسخة واحدة فقط لا يجوز استعارتها خارجيا وإنما القراءة داخل المكتبة فقط، ومن تأخر في إرجاع الكتب تفرض عليه غرامة 1 فرنك عن كل يوم، وتجرد المكتبة كل عام من طرف لجنة مختصة ومخصصة لهذا الغرض من الجهاز الإداري⁽²⁾.

تم انشاء المكتبات البلدية في العهد الفرنسي، بداية بالبلديات الكبرى مثل: قسنطينة والجزائر العاصمة، ووهران وتلمسان وعنابة ومستغانم، وكان للبلدية ميزانية خاصة لاقتناء الكتب؛ فقد بلغ عدد الكتب سنة 1912 في مكتبة وهران 4100 مجلد و 12 مجلة، وتمتلك مكتبة بلدية قسنطينة 18435 مجلد و 19 مجلة، أما بلدية الجزائر فتمتلك 17000 مجلد و 32 مجلة، واحتوت مكتبة بلدية عنابة على 14000 مجلد و 6 مجلات، أما مكتبة بلدية تلمسان فكانت تضم في طياتها 2700 مجلد، وقد كان لهذه المكتبات أوقات عمل منتظم، وفقا لنظام إعارة داخلية وخارجية⁽³⁾.

دعمت الادارة الاستعمارية المدارس العربية-الفرنسية بالمكتبات؛ فالمدارس الشرعية الثلاثة كانت تحتوي على مكتبات للأساتذة والطلبة، فهناك المكتبة الثعالبية في العاصمة، والكتانية في قسنطينة، ومدرسة تلمسان الذي وضع لها المستشرق أوغست كور فهرسا لمخطوطاتها من 110 مخطوطا، وقد كان مفتشو

(1) شارل أندري (جوليان)، المرجع السابق، ص: 521.

(2) Bibliothèque Pédagogique de la circonscription de Tlemcen, catalogue, Algérie, 1902, P : 05.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، المرجع السابق، ص: 355-356.

التعليم يلحون على ضرورة وجود مكتبة في كل المؤسسات التعليمية؛ ففي سنة 1905 لاحظ ألفريد بل - أثناء تفتيشه مدرسة ندرومة- أن المدينة ينقصها مكتبة تلحق بالجامع لاسيما مع وجود من يرغب في المطالعة في ذلك الوقت⁽¹⁾.

وفي آخر الحديث عن المكاتب، نلاحظ أن السياسة الاستعمارية اتجهت نحو توسيع دائرة المكتبات، ونشر عدد أكبر من الكتب الفرنسية للتأثير ثقافيا ولغويا، بينما المصادر العربية من مخطوطات النادرة منها هربت للمكتبات الفرنسية والأوروبية، ولم تبقى في المكتبات التي أنشأها الفرنسيون في الجزائر حتى يستفيد منها الجزائريون، كما أن مكتبة جامعة الجزائر هي التي عرفت تطوّر أكثر من المكتبات الأخرى بسبب اتفاقياتها مع جامعات فرنسية وعالمية، وكانت متنفس للجزائريين للاطلاع على المنتج الفكري الأوروبي خاصة في الطب.

2- خزائن المخطوطات:

واجهتني صعوبة في الكتابة عن خزائن المخطوطات في الجزائر خلال الفترة (1880-1914)، لقلة المصادر فيها، وما هو موجود غير مضبوط من الناحية التاريخية؛ فهي لا تعطينا احصائيات عن ما تحتويه المكتبات بدقة، كما أن الدراسات الفرنسية التي تعرضت لكثير من المواضيع الثقافية اهتمت بالمخطوط أكثر من اهتمامها بمكان المخطوط، لأن الخزائن التي استولوا عليها حوّلت محتوياتها للمكتبات الفرنسية وأصبحت تلك الخزائن لا يوجد لها أثر ولا يذكر عنها خبر، ومن جهة ثانية ليس هناك ضبط تاريخي دقيق في الروايات الشفوية فمثلا نجد معلومات عن خزائن مخطوطات يقال أنها تمتد لقرنين أو ثلاث كانت تملك الآلاف من المخطوطات، مع عدم وجود فهرس أو كتاب يبين محتويات المكتبة، كما لا يوجد مصادر تتحدث خصيصا عن تاريخ خزائن المخطوطات، وما كتب كان بعد الاستقلال، وأغلبها تتحدث عن معلومات عن واقع خزائن المخطوطات في العقود الأخيرة، وإشارات غير دقيقة عن تاريخها، وإن كنا على يقين بأن المكتبات وخزائن المخطوطات لعبت دورا كبيرا في الثقافة والفكر. وهو ما جعل محمد بن أبي شنب تأخذ الحمية في تحقيق التراث، ومثله من العلماء الذين ساهموا في طبع عدد معتبر من المخطوطات، وللأسباب التي ذكرت سيكون الحديث عن خزائن المخطوطات مختصرا، ومقتصرا على ما نرجحها أن تكون موجودة في فترة الدراسة.

2-1 خزائن المخطوطات بزوايا العلم: أنشأت خزائن المخطوطات في زوايا العلم من تلك الكتب التي سلمت من نهب وعبث الاستعمار ومنها؛ "مكتبة زاوية ابن أبي داود بأقربو التي تعددت حجراتها ومن الحجرة

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص: 357-359.

الأزهريّة التي كانت تضم خمس خزائن كبيرة من المخطوطات المتنوعة من تأليف وشرح وتقييد ورسائل وقصائد شعرية...، لكن هذه الزاوية لقيت تحريبا أثناء الثورة الجزائرية⁽¹⁾.

ومن بين خزائن المخطوطات التي تمتلكها الزوايا؛ مكتبة الشيخ المولود بوزيد التابعة لزاوية مولى القرقور في ولاية باتنة، والتي تأسست خلال العهد العثماني واستمرت خلال الاحتلال الفرنسي، وكانت في علاقة علمية متينة مع زاوية علي بن عمر في طولقة، وزاوية الشيخ الحسين بميلة، وقد سلم جزء من مخطوطاتها من نهب الاستعمار، ولم يتوفر لنا احصائيات عنها بداية القرن العشرين لكن بعد استقلال الجزائر يذكر أحد الباحثين أن بالمكتبة ستا وستين مخطوطا في علوم التربية والتصوّف والتفسير والتوحيد والحديث والفلك والفقه وأصوله واللغة نسخ أغلبها بالخط الجزائري والمغربي والأندلسي، وبأقلام جزائرية وكثير منها من نسخ شيوخ الزاوية وتلامذتهم، بعضها مبتورة الأوّل والآخر بسبب الظروف الطبيعية⁽²⁾.

وهناك مكتبة الزاوية العثمانية بطولقة لمؤسسها علي بن عمر المعروف بحبه للعلم وجمع الكتب؛ حيث اشترى مكتبة الشيخ الفكون القسنطيني، وقد توارث ذلك أحفاده الذين جعلوا زاويته مقصدا للعلم والزهد والتصوّف، ومخطوطات زاوية طولقة متنوعة تشمل التصوّف والتوحيد والتفسير والعلوم الدينية عموما، والأدب والتراجم والتاريخ المحلي وغيره⁽³⁾، وفيها مخطوطات بالفارسية والتركية، وقد حرص شيوخها الحفاظ عليها وتمكين الباحثين والدارسين من الوقوف عليها⁽⁴⁾.

يوجد ببوسعادة ولاية المسيلة المكتبة القاسمية بزاوية الهامل، وبها مجموعة من المخطوطات تقدر بألف مجلد، نشرت فهرسة لاثنين وخمسين عنوانا منها بعناية المستشرق رينيه باصيه عام 1897⁽⁵⁾، الذي لم يطلع عليها وإنما راسله شيخ الزاوية فقط، وكانت المكتبة تضم "مجموعة من الوثائق والمراسلات العائلية والسياسية والعلمية، ومجموعة من التحف أيضا كالسيوف والرقاعات وأشجار النسب"⁽⁶⁾، واليوم تعتبر من أشهر مكتبات الزوايا في الشرق الجزائري.

⁽¹⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 361-364.

⁽²⁾ عبدالكريم (عوي)، «فهرس مخطوطات زاوية أحمد بوزيد مولى القرقور بسريانة ولاية باتنة الجزائر»، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع27-28، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي- الامارات العربية المتحدة، 2000، ص: 68-69.

⁽³⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص367-368.

⁽⁴⁾ عبدالكريم (عوي)، «التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم»، المرجع السابق، ص: 115.

⁽⁵⁾ منير القاسمي (الحسيني)، زاوية الهامل التاريخ المصوّر، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2007، ص:

⁽⁶⁾ أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 370.

ومن بين خزائن المخطوطات كذلك؛ خزنة آل سحنون التابعة لزاويتهم⁽¹⁾ التي تتفرع إلى أصل في أربعاء بني راثن، وفرع في تاغراست في بني وغيليس، والتي يبلغ عدد مؤلفاتها 110 تأليفاً، والمخطوطات بلغت 87 مخطوطاً، فالجموع حوالي 197، ومعظم هذه المؤلفات في الفقه والتصوّف والتوحيد، وضمنها أيضاً كتب الأدب والفلك والتاريخ واللغة والنحو؛ ومنها شرح ابن هدية المسمى العلق النفيس، على قصيدة ورسالة ابن خميس، وكذلك كتاب معالم الاستبصار في الفلك من تأليف ابن علي الشريف⁽¹⁾.

يوجد في ميلة زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة، وتعد هذه الزاوية من "كبريات الزوايا التي حافظت على الثقافة الوطنية من خلال ما تزخر به من آثار فكرية لعلماء يمثلون حقبا تاريخية مختلفة، ومن جهات متعددة في العالم العربي والعالم الاسلامي" ووصل عدد مخطوطات الزاوية ستة آلاف مخطوطة لكن معظمها ضاع بسبب الاستعمار⁽²⁾، ويقول عنها أبو القاسم سعد الله: "وكانت تضم مخطوطات هامة ومطبوعات، وفيها الكتب ذات المنفعة العامة والمدرسية التي تعتبر مراجع للطلبة والمدرسين لتحضير دروسهم، وفيها المخطوطات الثمينة التي لا يطلع عليها إلا النوادر أو شيخ الزاوية وكبار الزوار"⁽³⁾.

تعد مكتبة زاوية سيدي الشيخ من بين خزائن المخطوطات التي كانت موجودة في الغرب الجزائري، وقد أشارت لها كتابات فرنسية، منها كتابة الضابط ف. فليب عن رحلة الحاج البشير فيقول فيها أن الخليفة حمزة أحد أعيان أولاد سيدي الشيخ قد أمره أن يرافق قافلة من الابل إلى توات، وفيها حمولة ثلاثة جمال من الكتب، وإلى جانب هذه المكتبة؛ مكتبة زاوية القنادسة، والتي يفهم من بعض شيوخها أنها كانت تحتوي على عدد كبير من المخطوطات بلغت حوالي مخطوط ضاع أغلبها خلال الثورة التحريرية⁽⁴⁾، وفي منطقة توات لكل زاوية مكتبة خاصة بشيخ الزاوية، لا يسمح للجميع بمطالعتها، لأن المنهج الذي كان معتمدا الالتزام بكتاب أو كتابين في كل علم، وما هو منتشرة خزائن المخطوطات الخاصة والتي تملكها عائلات، أغلبها أسر علمية توارثت العلم أب عن جد.

2-2 خزائن المخطوطات الخاصة: كانت خزائن المخطوطات الخاصة تتوارث بين أفراد الأسر العلمية، وقد تراجع عددها فترة الاحتلال الفرنسي مقارنة بالمرحلة التي سبقتها لعدة أسباب منها؛ الأضرار التي لحقتها من

(1) المرجع نفسه، ص: 365.

(2) عبدالكريم (عوي)، «التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم»، المرجع السابق، ص: 116.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 366.

(4) المرجع نفسه، ص: 370.

أيدي الاستعمار وهجرة ملاكها إلى خارج الجزائر، كما تم بيع أغلبها عن طريق المزاد العلني، كما أن البعض ممن كانوا أبناء العائلات العلمية الكبيرة في المدن قد انقطعوا تماما عن تراث أجدادهم، فمثلا البعض من عائلة الفكون أو عائلة ابن الموهوب و عائلة بوطالب لا يعرفون العربية ولا يرتبطون بتراث أجدادهم بعدما تعلموا في المدارس الفرنسية وتفرنسوا، ومن جهة أخرى أن "العائلات الدينية" تحولت إلى عائلات حاكمة، وبذلك فقدت في أغلب الأحيان صلتها بالمكتبات والعلم واللغة العربية⁽¹⁾.

يوجد في منطقة القبائل، مكتبة الشيخ الموهوب، والتي تأسست في حدود 1852 بقرية ثالة وزارار بمنطقة أيث ورثيلان، و كانت المكتبة -قبل احتراقها من طرف الاستعمار الفرنسي 1957- تحتوي على 1000 مخطوط⁽²⁾، ومن المكتبات الخاصة في منطقة بني مزاب؛ مكتبة الشيخ اطفيش في بني يزقن؛ وقد قدم يوسف شاخ⁽³⁾ دراسة حولها نشرها في المجلة الافريقية⁽⁴⁾، وإذا كنا نكتب عن نشأت مكتبة الشيخ اطفيش ففي نفس الوقت نكتب عن مكتبات خاصة زالت وأشهرها مكتبة عائلة الفكون بقسنطينة التي كتب عنها المستشرق فانيان كلمة مؤثرة سنة 1892 عن ضياع ما تبقى من مكتبة شيخ الاسلام الفكون: "إن أحد الدائنين قد باع المكتبة منذ أسابيع وهي في أسوأ الأحوال، ودون أن يعلن حتى عن بيعها في المزاد ليقع التنافس بين المشتريين، وإنما باعها ذلك الدائن بطريقة وزن الورق القديم... وهكذا فإن كيسا مليئا بالكتب الثمينة قد بيع بثلاثين فرنكا، وأما الباقي فقد بيع لأول قادم"⁽⁵⁾، وقد قدر البارون دي سلان عدد المخطوطات بها ب ألفين عندما زارها سنة 1886 و 1889⁽⁶⁾.

ومن المكتبات الموجودة في غرداية كذلك، "خزانة الشيخ داود بن يوسف بن باحمد بن أيوب (ق12هـ) بالعطف، وخزانة الشيخ بلحاج بن كاسي (ت 1243هـ) بالقرارة، وخزانة الشيخ محمد بن عيسى

(1) المرجع نفسه، ص: 375.

(2) جمال الدين (مشهد)، فهرس المخطوطات الاسلامية بمكتبة الشيخ الموهوب أو لحبيب الخاصة، منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، لندن، 2004، ص: 11.

(3) جوزيف شاخ 1902-1969 باحث ألماني في الدراسات العربية والإسلامية له مؤلفات عدة أبرزها "أصول الفقه الحمدي" الذي يتناول فيه نشوء الحديث والسنة، أثار شاخ حفيظة العلماء المسلمين لأنه يشكك في صحة الأحاديث النبوية ويرى أنها وضعت أو "لقت" خلال الفترة المعتمدة بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث هجري.

(4) Joseph Schacht , «Bibliothèques et manuscrits abadites» , Revue Africaine , n° 100, année 1956, P : 375-398.

(5) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، ص: 383.

(6) المرجع نفسه، ص: 383.

أزار (ق13هـ) ببني يزقن، وخزانة الشيخ بابه بن يونس (ت1280هـ) بغرداية⁽¹⁾، وهناك مكتبات أخرى ساهمت في الحياة الثقافية والفكرية في غرداية منها: خزانة دار التلاميذ وخزانة الشيخ عمي سعيد (ت927هـ)، خزانة الشيخ أبي بكر بن يوسف الغرداوي (ت: بعد 1206هـ)، وخزانة الشيخ الحاج عمر بن الصالح القاضي (ت: 1200هـ)⁽²⁾.

تعتبر خزانة الزاوية العثمانية في طولقة من أشهر الخزائن المشهورة في منطقة الزاب ولاية بسكرة حالياً؛ حيث تعد أغنى الخزائن، ويوجد بها مخطوطات بالفارسية والتركية، وإلى جانبها يوجد خزانة محمد زقادبا بأولاد جلال، وخزانة الزاوية المختارية بنفس المنطقة، وخزانة سيدي مبارك بخنقة سيدي ناجي وإن كانت اليوم انطفأت شمعتها، وخزانة زاوية سيدي خالد، ومن خزائن المخطوطات في وادي سوف: خزانة زاوية سيدي سلام، وفي ولاية تيندوف خزانة زاوية محمد المختار بن تفع بن الأعمش الجكاني، والتي بها 500 مخطوطة وأقدم واحدة يعود نسخها لسنة 704هـ، وفي منطقة بشار أقدم الخزائن بما للمخطوطات هي خزانة الزاوية القندوسية بالقنادسة⁽³⁾، وكذلك مكتبة شيوخ زاوية كرزاز.

تعد خزائن المخطوطات في منطقة توات الأكثر حضا في النجاح من نهب الاستعمار مقارنة لخزائن المخطوطات في الشمال، كما أن الحركة الثقافية والفكرية التي عرفتها المنطقة دعمت رفوف المكتبات بعدد كبير من المخطوطات، وسنعدد بعض الخزائن في منطقة توات أدرار حالياً ومنها:

-خزانة سيدي أحمد العالم (ت 1924م) قاضي القضاة بأولف، والذي كتب عدد معتبرا من المخطوطات بخط يده، منها الفهرست الذي كتبه في 5 من ذي القعدة 1318 (1901)، ويقول عنها عبدالكريم العوفي "كان لهذه الخزانة دور رائد في الحركة الثقافية وتنشيط التعليم على يد الشيخ وتلاميذه في المنطقة وما جاورها"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ يحيى بن بهون (حاج احمد)، «المكتبات وخزانات المخطوط ببلدة تحنينت بوادي مزاب»، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع02، مج07، جامعة غرداية، 2014، ص: 27.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص: 28.

⁽³⁾ شوقي (برازكة)، «التراث المخطوط بالصحراء الكبرى حفظ ومراكزه وإتاحته للباحثين»، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، جامعة غرداية، الجزائر، 2011، ص: 58-59.

⁽⁴⁾ عبدالكريم العوفي، «مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري - إقليم توات نموذجاً»، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع34، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي-الامارات العربية المتحدة، 2001، ص: 117.

-خزان عائلة عقباوي بزاوية بونعامة: أسسها العلامة محمد بن عبدالرحمن الملقب بأبي نعامة المولود سنة 1060هـ، تحتفظ الخزانة بما يزيد عن 200 مخطوطة في علوم الشرع واللغة وعلوم أخرى من بين المخطوطات التي تحتويها: كتاب في الجغرافيا، وديوان أبو الطيب المتنبي، تسهيل المنافع في الطب والحكمة، ألفية السيوطي وكافية ابن مالك، إعراب القرآن معه شرح ورقة الحرمين لعبدالرحمن بن عومر التنيلاي⁽¹⁾.

-خزانة الشيخ محمد بن مالك بساهل القديم: أسس الخزانة محمد بن مالك في 701هـ/ 1301م، وقد عمل الشيخ على جمع المخطوطات ونسخها ومن مؤلفاته المخطوطة شروح على مختصر خليل، والقاموس المحيط والتبصرة الفرحونية وابن سلمون، والخزانة تحتفظ بما يزيد عن مائتين وعشرين مخطوطة اتلف البعض منها في فيضان عرفته المنطقة 1960، ومن بين المخطوطات الموجودة بهذه المكتبة نسيم الرياض وشرح الشفاء للقاضي عياض، فقه الأعيان مع نوازل الألباس في طرد الوسواس الخناس للشيخ المختار الكبير الكنتي، ومخطوط منح الوهاب في رد الفكر للصواب لمحمد ابن عبدالكريم المغيلي، وتحريم الكلام في حكم الالتزام لأبي عبدالله محمد بن الشيخ الإمام أبي عبدالله الخطاب المغرب، ومخطوط في الحلال والحرام⁽²⁾.

-خزانة أبا عبدالله بأدرار: أسسها سيدي محمد الملقب بالحسن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن الوليد بن منصور بن بلقاسم بن عبدالكريم التنيلاي المولود في 1865، تضم الخزانة العديد من الكتب الجزائرية وفي مختلف الموضوعات والتخصصات؛ فأشهر العناوين الفقهية غنية المرید لشرح مسائل بن الوليد لصاحب الخزانة، وفي التصوف كرامات الأولياء لمحمد بن الوليد، وفي التاريخ تاريخ علماء توات لابن وليدالحاج وليد، وفي القضاء الغنية البلبالية للحاج محمد عبدالرحمن البلبالي، ونوازل الجنتوري والزجلوي والتنيلاي، وقد انفردت هذه الخزانة بأنسب قصور بلدية تيمي قديما وأرشيف عرش تيمي الذي يضم سجلات الولادة والوفيات منذ سنة 952هـ⁽³⁾.

وتوجد حاليا بولاية أدرار ما يزيد عن خمسين خزانة (مكتبة) مخطوطات يرجع تأسيسها إلى القرن السادس والسابع عشر الميلاديين، ولحسن حظها لم تتعرض للنهب الاستعماري بالقدر الذي تعرضت له خزائن المخطوطات في مناطق الشمال، بينما تعرضت لخطر الفيضانات التي شهدتها المنطقة في الستينيات

⁽¹⁾المرجع نفسه، ص: 121.

⁽²⁾عبدالكريم (العوفي)، «مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري - إقليم توات نموذجاً»، المرجع السابق، ص: 122-123.

⁽³⁾ادريس (بن حويبا) وسعاد (شابي)، «المخطوطات الجزائرية بخزانة أبي عبدالله أدرار»، مجلة رفوف، ع02، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب افريقيا- جامعة أدرار، الجزائر، ديسمبر 2013، ص: 364.

والسبعينيات من القرن العشرين، والجدول التالي لبعض خزائن المخطوطات في منطقة توات مع ذكر تاريخ تأسيسها والعائلة المشرفة عليها:

اسم الخزانة	مكان التواجد	اسم البلدية	اسم المؤسس	تاريخ التأسيس	اسم المشرف الحالي
خزانة عقباوي	قصر الزاوية	بلدية أقبلي	سيدي بوعمامة	652هـ	عائلة عقباوي
خزانة الشيخ محمد بن مالك	قصر ساهل القديم	بلدية أقبلي	محمد بن مالك	ق. 8 هـ	ابن مالك عبدالكريم
خزانة المطارفة	قصر المطارفة	بلدية المطارفة	الحاج محمد بن أحمد الراشدي	ق. 9هـ / 15م	عائلة بن عبد الكبير
خزانة سيدي الحاج	قصر زاوية سيدي الحاج	بلدية تيميمون	سيدي الحاج بلقاسم	ق. 10هـ / 16م	أحفاد الشيخ سيدي الحاج
خزانة الشيخ المغيلي	قصر زاوية الشيخ	بلدية زاوية كنته	الشيخ المغيلي	ق. 10هـ / 16م	أحفاد الشيخ المغيلي
خزانة تيلكوزة	قصر تيلكوزة	بلدية تينركوك	سيدي الحاج أبو أحمد	ق. 10هـ / 16م	بولغيتي باحمود
خزانة زاوية الدباغ	قصر زاوية الدباغ	بلدية تينركوك	سيدي محمد الدباغ	ق. 10هـ / 16م	الدباغ أحمد بن محمد
خزانة سيدي عومر	قصر زاوية سيدي عومر	بلدية أوقروت	الشيخ سيدي عومر بن أحمد	ق. 11هـ / 17م	الحاج أقرابو

وهناك خزائن أخرى البعض منها مجهول تاريخ تأسيسها⁽¹⁾، ونلاحظ على الزوايا التي ذكرناها أن تاريخ تأسيسها تقديري فقط، وليس تاريخ مضبوط، وأغلبها في القرن السادس عشر الميلادي، هذا القرن الذي عرفت فيه منطقة توات نهضة ثقافية اسس لها الشيخ عبدالكريم المغيلي في القرن الخامس عشر، وسبب تأسيس عدد أكبر من خزائن المخطوطات في هذا القرن، قد يرجع إلى هجرة العلماء إلى منطقة توات بسبب الحروب مع الاسبان وعدم توفر الأمن في المناطق الشمالية واضطهاد العلماء المعارضين للدولة العلوية بالمغرب، وهذا الترجيح يبقى محل بحث حسب توفر الوثائق التي تؤكد أو تؤكد تفسيراً آخر.

(1) أحمد (جعفري)، «خزائن المخطوطات بأقاليم توات الواقع والآفاق»، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع64، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي-الامارات العربية المتحدة، 2009، ص: 122-123.

ثالثا: التيارات الفكرية.

نقسم المثقفين المسلمين الجزائريين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى ثلاث تيارات فكرية حسب موقفهم من الثقافة الاستعمارية وتصوّراتهم للواقع والحلول المقترحة، ولهذا ظهر التيار المحافظ التقليدي وهو الأكثر تأثيرا في الأوساط الشعبية، وهو استمرار للواقع الثقافي ومعارضة كل تيار أجنبي يحاول أن يغيّر من ثقافة المجتمع الجزائري، ويقابله تيار اندماجي حاول أن يتقمص ثقافة أجنبية فرنسية لكي يصبح مواطن فرنسي له نفس الحقوق وعليه نفس الواجبات، بل كان متأثر حتى بالثقافة الغربية وحاول أن يغيّر الثقافة الشعبية على مستويات منها الأسرة واللباس وحتى أسماء الأشخاص والأماكن، وهناك تيار ثالث إصلاحي ظهر على انقاض تدني الواقع الثقافي وأراد أن يصلح واقع المسلمين دون التخلي على أحوالهم الشخصية أو تكون هناك عقدة في الأخذ من الحضارة الغربية ما يفيد الاسلام والمسلمين، وقد تدعم هذا التيار بالأفكار الإصلاحية القادمة من المشرق، وسندرس كل تيار مع ذكر أعلامه وأفكاره.

1- التيار المحافظ التقليدي: التيار المحافظ التقليدي هو الرفض لأي تغيير ثقافي يمكن أن يمس بالثقافة السائدة، وقد بدى واضحا في معارضة الثقافة الاستعمارية بداية الاحتلال، وفي معارضة الأفكار القادمة من المشرق مطلع القرن العشرين، وقد وصفهم ابن حبيلس بأصحاب "العمائم القديمة"⁽¹⁾، وعن موقف هذا التيار من التعليم يذكر جوليان: "كان الأعيان والمتمسكون بالتقاليد يتوجسون خيفة من هذا التعليم (أي التعليم الفرنسي) الذي أقصى تعليم القرآن من مناهجه تماما وترك حيّزا ضيقا أو يكاد لتعليم اللغة العربية"⁽²⁾، فيقول أحد الأعيان وهو الطاهر بن الحاج علي: "اتركونا نتمتع بسلطة رب العائلة وبصفاء سرائرنا، لا تجعلوا قلوبنا وعقيدتنا متخنة بالجراح"، ويقول بن سليمان بن قاسم بن سعيد: "ما أن يتعلم الأطفال بضع كلمات بالفرنسية حتى يثوروا على أهاليهم رافضين القيام بأعمال الحصاد، ثم يغادرون إلى المدن لتعاطي القمار والشراب"⁽³⁾، وهو ما يعني أن التلميذ سيتخلى عن القيم والمبادئ التي تربى عليها ضمن الثقافة الاجتماعية.

يظهر الاختلاف بين التيار المحافظ التقليدي والتيار الإصلاحية في المسائل الفقهية وحتى المرجعية التاريخية في العقيدة، فالمعلوم أن المغرب الاسلامي يدين للعقيدة الأشعرية وأشهر مؤلف فيها أم البراهين

⁽¹⁾ شريف (بن حبيلس)، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبدالله حمادي وآخرون، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2012، ص: 139.

⁽²⁾ شارل روبيير (أجرون)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 953.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص: 954.

للسنوسي، في حين التيار الاصلاحى ينتقد العقيدة الأشعرية في مسألة التأويل، كما أن التيار الاصلاحى السلفى يؤكد على أن لا مذهبية في الاسلام، ونؤكد هذا القول برأى محمد عبده في المحاضرة التي ألقاها بالجزائر سنة 1903، وذكر أن المسلم يمكن له أن يرجع إلى كل المذاهب في فتاواه الفقهية⁽¹⁾، في حين أن الفكرة المنتشرة عند التيار المحافظ من تداول على أكثر من مذهب، فالهوى والنفس هما مذهباه، فينتقل بين المذاهب ويأخذ الفتوى التي تلائمها، وقد لقيت أفكار محمد عبده معارضة من طرف التيار المحافظ التقليدي، وممن عارضه "الشيخ عليش الفقيه المشهور الذي كان من ألد خصوم عبده"⁽²⁾، وقد الصراع علانية بعد الحرب العالمية الأولى بين جمعية العلماء المسلمين والطريقة العلوية.

ومقامنا هذا لا يسمح لنا بالتفصيل في الاختلافات العقائدية والمذهبية، ولكن يجب أن نؤكد على حقيقة أن غالبية علماء وأئمة الجزائر كانوا ضمن التيار المحافظ التقليدي الذين تحفظوا من التعليم الفرنسى ورفضوا التيار الاصلاحى، ولم يرحبوا بزيارة محمد عبده إلى الجزائر، لأن قبول الإصلاح السلفى معناه التخلي عن الطريقة الصوفية ومراجعة العقيدة الأشعرية وعدم التعصب للمذهب الملكى كل هذا مع وجود موروث تاريخى ثقافى، وهو ما جعل الصدام بينهما أمرا محتوما تأجل إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، لأن ابن مهنا والمجاوي وابن سماية كانوا أكثر ذكاء في التأقلم بين مكتسبات الماضى والأفكار الإصلاحية المعاصرة، لكن هذا لم يمنع ابن مهنا من الثورة ضدّ بعض الأفكار ومنها قضية الأشراف العصاة الذين يشربون الخمر ويرتكبون المعاصى، فقال ابن مهنا لا يعتبر بهم في حين رد عليه عاشور الخنقى بمؤلفات يؤكد أن الأشراف العصاة مغفور لهم وعندهم الأفضلية عن باقي الناس، وهو ما جعل هذه القضية لها أبعاد فقهية واجتماعية؛ فهي قضية فقهية تعالج حكم العاصى، وقضية اجتماعية لأنها تمس بالنظام الاجتماعى السائد، وتدخلت الادارة الاستعمارية لصالح ابن مهنا، لأنها تراعى مصلحتها؛ فالفرنسيون يرون "أن سبب التعصب في الجزائر والثورات ضدهم هم الأشراف المزيفون"⁽³⁾، وقد سالت هذه القضية الكثير من الخبر وألفت فيها الكتب رغم أنها لا تستحق كل ذلك الاهتمام مقارنة مصيرية أكثر أهمية، كالتعليم، ومواجهة ظاهرة الجهل التي سادت المجتمع.

(1) المهدي (البوعبدلى)، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلى؛ قسم التراجم، ط01، جمع: عبدالرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص: 376.

(2) المرجع نفسه، ص: 378.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافى، ج07، المرجع السابق، ص: 331.

وفي الوقت الذي ألف فيها شيوخ وعلماء حول الطريقة وواجب المرید اتجاه الشيخ، نجد التيار الاصلاحى السلفى يقف ضدّ هذه الأفكار ويراه بدعة في الدين يجب مواجهتها ومحاربتها، ولعل لهجة جريدتي الفاروق وذو الفقار خير دليل على ذلك؛ فكتبت جريدة ذو الفقار، "ذوالفقار أسس لنصرة السنة المحمدية ومقاومة البدع الشيطانية التي أوقعت المسلمين والمسلمات في المهالك"⁽¹⁾، وقد صرحت هذه الجريدة أنها تتبنى أفكار محمد عبده أو كما كتب في صفحاتها أنها جريدة عبدوية اتخذته الرئيس الديني لها.

2- التيار الإصلاحي:

ولد الفكر الاصلاحى في ظروف قاسية مرت بها الجزائر؛ فتم عزلها ثقافيا عن باقي بلدان العالم الاسلامى وتم تشديد الرقابة على العلماء القادمين للجزائر في حين سمح بالهجرة للعلماء نحو الخارج وهو ما ساهم في تدني الواقع الثقافى، وعدم ادراك المسلمين لما يدور حولهم في العالم الاسلامى، ولهذا فالإصلاح كان ضروريا في تلك المرحلة التاريخية مثلما يؤكد ذلك علي مراد: "كان الاسلام في الجزائر بحاجة إلى دفع تاريخي للانتقال من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين للخروج من سبات السديمي والتكليف مع العالم الجديد عن طريق الاهتمام بالنشط، فقد كان المسلمون الجزائريون يفتقرون إلى معلومات دقيقة عن مسيرة الاسلام عبر العالم"⁽²⁾، ويضيف الصادق سلام: "مع نهاية القرن التاسع عشر، انتشرت في بلاد المغرب فكرة الإصلاح التي دافع عنها بعض المفكرين الدينيين الذين لم يكونوا بالضرورة متأثرين بالتيارات المشرقية في الجزائر، شعر مفكرون ملتزمون بالحاجة إلى تجديد الدين والمجتمع، وذلك باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أشهرهم كان مصلحان من قسنطينة هما صالح بن مهنا وعبدالقادر الجاهلي"⁽³⁾، وبالتالي فالإصلاح الثقافى بدأ داخلها قبل أن يتبلور ويتأثير خارجي.

بدا التأثير الخارجى واضحا في الجزائر من خلال كتاباتهم؛ ففي سنة 1901 "نشر أحد أساتذة مسجد الجزائر يدعى كمال محمد بن مصطفى بن الخوجة كتبيا باللغة العربية في موضوع المقاومة الاسلامية متأثرا إلى حد بعيد بأفكار مفتي مصر... كما أثنى على فكر الشيخ محمد عبده وكان يسميه (شيخنا المبرز عالم علماء الكون)، واقتفى أثره في امتداح سماحة الاسلام (لا إكراه في الدين) وتأويل فكرة الاجتهاد... كما

(1) مقاصد الجريدة، ذو الفقار، ع01، السنة الأولى، 05 أكتوبر 1913.

(2) علي (مراد)، المرجع السابق، ص: 37.

(3) صادق (سلام)، فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية 1895-2005، تر: زهيدة درويش جبور، ط01، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات، 2012، ص: 99.

دعا إلى المساواة بين الجنسين"⁽¹⁾، أما ابن الموهوب فقد كتب قصيدة "تشمل على حوالي 100 بيت نشرها في صحيفة كوكب افريقيا يهزأ فيها بظلامية الفكر المتعصب وتسببت في إثارة فضيحة صغيرة"⁽²⁾، كما روى عبدالقادر المجاوي قصة لمرأة أصيبت بالجنون "فأخذت تتخبط للتخلص منه بذبح حمل واحتساء دم الذبيحة"⁽³⁾، بسبب الجهل بالدين.

كان الأكثر تأثيراً في الفكر الاصلاحى بداية القرن العشرين محمد عبده عند زيارته للجزائر 1903، والذي رسم معالم الطريق للتيار الاصلاحى، وكان له تأثير خاصة في المدن العريقة الجزائر، قسنطينة وتلمسان، ورغم قلة أنصار هذا التيار "لكن كان لهم تأثير فكري واجتماعي كاف جعلهم يستميلون الناس وانضمامهم للنزعة الجديدة"⁽⁴⁾، ونستخلص مما كتبه عبدالحليم بن سماية في رسالته لصديقه أحد العلماء بمدينة وهران، وقد تعرض لدراسة هذه الوثيقة المهدي بوعبدلي، وتمثل المنهجية الاصلاحية التي رسمها محمد عبده في زيارته للجزائر بالابتعاد عن الخلاف بين المذاهب فيقول ابن سماية عنه: "ولقد شاهدت منه فعلاً، كما سمعت منه قولاً، أن يفر من الاختلاف فراره من الأسد، ومن عجيب أمره أنه من خالفه في مجلسه إلا وتمكن من إلقاء القبض عليه بجند من جنود الحق حتى يوقفه إلى جانبه"⁽⁵⁾.

ويضيف ابن سماية متحدثاً بلسان محمد عبده: "وبالجمل فوالذي يتخلص من أحوال هذا الرجل أنه لا يرضى لهذه الأمة من علم اللسان إلا أفصحه، ومن علم العقائد إلا أوثقه، وأصدقه، ومن علم الفقه إلا أوقفه وأجمعه وأبعده من الخلاف، ويبين لهم أنه يمكنهم الاجتماع وإن تعددت المذاهب، فإن دين الله واحد يرجع إلى شريعة واحدة، ويمكن لكل إنسان أن يعمل بجميع المذاهب، وبالتقليد وبالتلفيق، وذلك أولى من التنافر والتفريق"⁽⁶⁾، فالسان الفصيح هو دعوة لإحياء اللغة العربية الفصحى، ثم تخليص المسلمين من الشوائب التي تعلقت بالعقيدة، ثم تحنيط المسلمين الاختلاف بين المذاهب الفقهية في المسائل الفرعية، وأن المذاهب هو اجتهاد للعلماء ويمكن للمسلم أن يقتدي بأي اجتهاد دون تعصب.

(1) شارل رويير (أجرون)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 509.

(2) شارل رويير (أجرون)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 513.

(3) المرجع نفسه، ص514.

(4) علي (مراد)، المرجع السابق، ص: 37.

(5) المهدي (بوعبدلي)، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي؛ قسم التراجم، المرجع السابق، ص: 375.

(6) المرجع نفسه، ص: 375-376.

في سنة 1904، نشر محمد السعيد الزواوي بن زكري كتاب (أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل) هذا الكتاب "ينم عن ذهنية جديدة لدى المثقفين الجزائريين بداية القرن، والكلمة المفتاح هي الإصلاح... إن الإصلاحين السلفيين يدعون إلى ضرورة إشاعة روح جديدة في المؤسسات المرابطية القديمة التي كانت تبدو ممارستها الدينية وتعاليمها وطبائعها غير مناسبة للتصوّر الطاهر للمذهب الاسلامي، ولا مع متطلبات الفترة المعاصرة، وهكذا بدا كتيب الشيخ محمد السعيد الزواوي وكأنه يعكس بواسطة ميزة العنوان وحده إحدى أفكار الحركة الإصلاحية السنوية الأساس للسلفية ضرورة إصلاح النظام المرابطي"⁽¹⁾، وتطوير مؤسساته.

انتقد التيار الاصلاحى التعليم التقليدي الذي تقدمه الزوايا؛ فمثلا يذكر الزواوي أن في زوايا الزواوة "عشرات بل مئات من قراء القرآن ولهم نفقة جارية من مؤسسي الزوايا ... ولكن للجهل ولسوء الإدارة لم تحصل الأمة على نتيجة مطلوبة إذ لم يتخرج لنا من تلك الزوايا في هذا العهد الأخير واحد في المئة (100/1) بل وفي الألف إذا سألناه عن القرآن ما هو؟ وما المراد بحفظه؟ وما الحكم في حفظه؟ وإلى متى يتمادى في حفظه؟..."⁽²⁾، وكان الزواوي من أكثر علماء الإصلاح في عصره إلى جانب ابن زكري دعوة إلى إعادة هيكلة الزوايا وتطوير مناهجها التعليمية.

ساهم التيار الاصلاحى في توعية الشعب الجزائري، خاصة حول ضرورة التعليم، ويعطينا محمد علي دبوز صورة عن موقف الجزائريين من التعليم قبل وبعد الحركة الاصلاحية فيقول: "وكان الفقراء يقيمون المآتم في أول السنة الدراسية إذا هاجم الشرطة على ديارهم فجروا أبناءهم إلى المدارس الفرنسية، ولما وقعت النهضة رأى العلماء المصلحون أن التعليم الفرنسي مفيد إذا ربي الأبناء تربية دينية صحيحة، وعرفوا العربية وأخذوا حظهم من العلوم الدينية التي تحصن عقولهم فلا يزيغون، فدعوا إلى التعليم الفرنسي على هذه الشريطة، فاستجاب كثير من الآباء، فحصنوا أبناءهم بالتربية الدينية ثم أدخلوهم الكتاب فحفظوا ما يجب من القرآن، وعرفوا ما يلزم من الدين... ثم أدخلوهم المدارس الفرنسية ثم دخلوا الجامعة فكانوا فحولاً في العلم والعمل"⁽³⁾. ومن القضايا التي ركز عليها علماء التيار الاصلاحى؛ قضية المرأة وما يتعلق بها من تربية وتعليم، وعملها خارج البيت والحجاب، ويرى أبو يعلى الزواوي أن الحجاب نوعين هما: الحجاب المادي والحجاب

(1) علي (مراد)، المرجع السابق، ص: 38.

(2) أبو يعلى (الزواوي)، تاريخ الزواوة، المصدر السابق، ص: 136-137.

(3) محمد علي (دبوز)، نفضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المرجع السابق، ص: 5-6.

المعنوي والذي يتمثل في حسن التربية والتعليم فيقول: "وأن تحسن التربية والتعليم ببيان الفضيلة والرذيلة ونحو ذلك من الأخلاق الحسنة والعقائد الصحيحة"⁽¹⁾، أما فيما يتعلق بالحضارة الغربية، وكيف يمكن الاستفادة منها، يرى محمد بن رحال أن المسلمون يمكن أن يفتحوها على الحضارة الأوروبية، وهو الذي "جمع بين الثقافتين واللغتين"⁽²⁾، فالأخذ من الثقافة الغربية ما يساعد على تجاوز مشاكل الحياة وتيسيرها دون التحلي عن الشريعة الإسلامية.

وإن كانت نظرية التيار التقليدي بقاء الحال على ما هو عليه بما في ذلك المجال الطبي والتداوي بالطرق التقليدية، فإن الاتجاه الاصلاحى قد دعا إلى ضرورة تعلم الطب الحديث والاستفادة منه؛ وقد بدأت هذه الدعوة مع "كتيب المجاوي الذي ظهر سنة 1877، ومحاولات أخرى على يد ابن مهنا وابن الموهوب ومحمد بن مصطفى، ومنذ 1884 تخرج محمد بن العربي والطيب مرسلي"⁽³⁾، ولكن الاختلاف الحقيقي للتيار الاصلاحى سيظهر حول مسألة الطريقة ونسبتها للصوفية، ويعد أبو بكر عبدالسلام بن شعيب أحد رجال التيار الاصلاحى الذي ندد بالطريقة وبالخرافات التي انتشرت في المجتمع الجزائري؛ حيث يعتبرها "ديانة فظة ابتكرها بعض الأندال لغرض واحد هو ابتزاز المال من الأتباع الجدد؛ وكان يؤسف لوجود عدد كبير من المسلمين الجزائريين الذين عميت أبصارهم فصدّقوا تلك الترهات وآمنوا بها"⁽⁴⁾، لكن مشكلة التعميم في الحكم على الطرق الصوفية وقع فيها ابن شعيب، ولا نشك في قصده مما آل إليه المجتمع الجزائري بسبب بعض المنتسبين أو الجاهلين لأن حتى بعض رجال الاصلاح كانوا ينتمون لطريقة معينة.

يعد الشيخ صالح بن مهنا من علماء الاصلاح الذين كان لهم انتماء لطريقة معينة، فكان هو ضمن مريدي الطريقة الحنصلية في قسنطينة غير أنه تنكر للعديد من البدع وهو ما جعله محل انتقاد لدى بعض العلماء، ومنهم العالم المغربي المهدي الوزاني الذي سافر لقسنطينة وألف تأليفه الشهير الذي سماه: (السيف المسلول باليد اليمنى لقطع رأس ابن مهنا)، والذي قال فيه: "ولما وصلت لقسنطينة اجتمع بي جماعة من علمائها وفضلائها، ووجوه كثيرة من أهلها وأعيانها، وأخبروني أن عندهم رجلا من أهلها يقال له ابن مهنا،

(1) أبو يعلى (الزواوي)، تاريخ الزواوة، المصدر السابق، ص: 128.

(2) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، المرجع السابق، ص223.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج07، المرجع السابق، ص: 252.

(4) شارل رويير (أجرون)، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 510-511.

كان يتعلم العلم بمصر أزيد من عشرة أعوام، ولما رجع لبلده قسنطينة رجع بزّي الفقر زاعما أنه من أهل التصوّف، وينكر أمور ضرورية⁽¹⁾.

سبب الخلاف بينما أن ابن مهنا في تحقيقه لرحلة الورتيلاني ذكر أن الشريف العاصي لا يعتبر به، وهي مسألة حساسة قد تمس بالنظام الاجتماعي والثقافة الشعبية، وهو ما جعله عرضة لانتقادات علماء من الجزائر أمثال الشيخ عاشور الخنقي الذي ألف كتاب اسماءه (كتاب منار الإشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف) طبع في الجزائر 1332هـ/1914م⁽²⁾، ومن خلال عنوانه يتضح أنه رد على المسألة التي أثارها صالح ابن مهنا.

برز علماء التيار الاصلاحى مع بداية القرن العشرين، ومنهم عبدالقادر المجاوي، واسمه الكامل: عبدالقادر ابن عبدالله بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالرحمن بن عسى بن داود بن أبي حناش بن خليش بن علي بن عبد الجليل الحسيني، ولد في تلمسان 1848م، وبها قرأ القرآن وتمم قراءته بطنجة حيث تقلد والده خطة القضاء، وانتقل إلى تطوان فتعاطى هناك مبادئ العلوم على يد العالم الشيخ المفضل أفلال العلمي وعلى الشيخ أحمد النجار وعلى يد الشيخ الطيب اليعقوبي ومنها انتقل إلى فاس فدخل جامع القرويين فقرأ على الشيخ ملاي العلوي قاضي فاس والفقير الشيخ محمد قنون محشي الرهوني والشيخ الحاج محمد بن سودة خطيب جامع الأندلس⁽³⁾ وغيرهم من العلماء.

تعلم علوم النحو والتصريف والفقهاء وأصوله والفرائض والحديث الشريف واصطلاحه والمنطق وعلوم البلاغة الثلاثة والتصوف والوضع وغيرها، وبعدها عاد للوطن وحلّ بمدينة قسنطينة 1869، فاشتغل بتدريس العلوم، وفي سنة 1873 عينته الحكومة مدرسا في جامع سيدي الكتاني، وفي 1877 ولي التدريس في مدرسة قسنطينة الشرعية، وفي سنة 1898 ولي التدريس في مدرسة الجزائر العليا، وفي 1908 ولي الإمامة والخطابة بجامع سيدي رمضان. من مؤلفاته: إرشاد المتعلمين، نصيحة المريدين، الدرر النحوية، نزهة الطرف في المعاني والصرف، شرح الجمل النحوية، شرح منظومة ابن غازي في التوقيات، شرح شواهد بن هشام، الاقتصاد السياسي، الفريدة السنوية، القواعد الكلامية، رسالة في مسائل الكسب والاختيار⁽⁴⁾، وله شرح على المنظومة

(1) المهدي (البوعبدلي)، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي؛ قسم التراجم، المرجع السابق، ص: 12.

(2) المهدي (البوعبدلي)، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي؛ قسم التراجم، المرجع السابق، ص: 15.

(3) محمود (كحول) وبودي (لوي)، المصدر السابق، ص 106.

(4) المصدر نفسه، ص 106.

الشبراوية، وسماه الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية، ولديه تأليف في الصرف المسمى بـ نزهة الطرف فيما يتعلق بمعاني الصرف⁽¹⁾.

بعد الشيخ عبدالقادر المجاوي من العلماء المستنيرين الذين لهم دور في تفتيق الأذهان ومن الدعاة الذين نادوا في وقت مبكر إلى نبد الركود وإلى اليقظة والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة⁽²⁾، وكانت القضية المحورية عند عبد القادر المجاوي هو نشر التعليم بين المسلمين من أجل تنويرهم، وسعة اطلاعه جعل منه عالم موسوعي فهو يقدم الحلول في مجالات متعددة ومنها التأليف حول الاقتصاد السياسي.

كانت أفكار القدرية منتشرة بين عامة الناس، ولم يفرقوا بين القضاء والقدر الذي هو أحد أركان الإيمان وبين أن يستسلم المرء للواقع ويتكاسل في أداء واجباته بحجة القدر؛ بل وصلت القناعة أن الاستعمار قدر ولا يجب محارته، وهذا تفسير خاطئ لمقاصد الشريعة، وقد جاء الشيخ عبدالقادر المجاوي لمحاربة هذه الأفكار من باب الدعوة للعمل والنشاط؛ فألف كتاب (تحفة الأخيار فيما يتعلق بالكسب والاختيار)، وقد استعرض في الفصل الأول منه أقوال أهل الجبر، ثم في الفصل الثاني أقوال أهل القدر، وفي الفصل الثالث ذكر أن الحق ما هو عليه أهل السنة فيقول: "ذهب أهل السنة إلى العدل حيث أعرضوا عن الإفراط والتفريط فجعلوا بين المذهبين مذهبا ثالثا"⁽³⁾؛ وقد استدلل برأي الأشعري والماتريدي في هذه المسألة التي دَوّن فيها كتب في صراع بين القدرية والجبرية وموقف علماء السنة منهما، وما نستفيد من تأليف المجاوي هو دعوة أبناء جنسه للتخلي عن القدرية، والعمل من أجل تحسين ظروف الحياة الاجتماعية والثقافية.

عاش الشيخ محمد بن السعيد بن زكري في نفس الفترة التاريخية مع الشيخ عبدالقادر المجاوي وكانت له نزعة اصلاحية وإن لم تكن بنفس حجم وتأثير نزعة المجاوي؛ ولد ابن زكري سنة 1850م، بدأ قراءة القرآن في زاوية "ابن زكريا"، ثم انتقل إلى زاوية سيدي عبدالرحمن اليلولي فأتم حفظ القرآن برواياته على يد العالم محمد الصديق مفتي مدينة تيزي وزو، ثم قصد الشيخ محمد أبي القاسم البجليلي في عرش بني عباس فحصل لديه علم النحو وعلم المعقول، ثم ارتحل إلى قسنطينة حيث أخذ علم الكلام عن الشيخ سيدي عبدالله، ثم بعد ذلك انتصب للتدريس في الفقه والنحو والكلام في زاوية سيدي عمرو بن الحاج، وتخرج على يده مجموعة من

(1) عبدالقادر (المجاوي)، الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية، المطبعة الشرقية لبيير فونتانا، الجزائر، 1907.

(2) عبدالمجيد (بن عدّة)، «دعوة عبدالقادر المجاوي إلى تحضة أصيلة وعصرية»، الملتقى الوطني حول الشيخ عبدالقادر المجاوي، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، أيام 27 و28، 2011، ص: 39.

(3) عبدالقادر (المجاوي)، تحفة الأخيار فيما يتعلق بالكسب والاختيار، مطبعة فونتانا الشرقية، الجزائر، 1905، ص: 08.

الطلبة أصبحوا علماء أمثال ابن ناصر محمد بن علي مفتي دلس، وفي سنة 1893 دخل إلى الجزائر، وبدأ التدريس في زاوية سيدي محمد الشريف، وبعد سنتين عينته السلطات الاستعمارية مدرسا في الجامع الأعظم، ثم خطيبا بجامع سيدي رمضان، وتقلد وظيفة التدريس بمدرسة الجزائر العليا، وفي سنة 1907 عينه الوالي العام كمفتي المالكية مع إبقاء منصب مدرس في المدرسة الثعالبية، وتوفي في 7 أبريل 1914 قال عنه عمر بن قدور الجزائري يوم وفاته: "رحم الله ابن زكري لقد ذهب في سبيله وترك الجزائر مفتقرة إلى رجل مثله، ينفعها بعلمه ويصلحها بعمله"⁽¹⁾، وفي زمانه ظهر عالم مصلح آخر وهو أبو يعلى الزواوي.

ينتمي أبو يعلى الزواوي إلى قرية ثفريث ناث الحاج من دائرة أزفون من ولاية تيزي وزو حاليا، ولد سنة 1866، واسمه الحقيقي شيخ سعيد، وتوفي 1952⁽²⁾؛ من علماء الجزائر الذي انتشرت كتاباته في مختلف الصحف، وانتقد علماء أمثال جلال الدين السيوطي، ولأن الزواوي خالف نمط التقليد وسعى إلى الإصلاح والتجديد فقد لقي معارضة ونقدا من خصومه فقد ذكر في مجلة الشهاب ما نصه: "انكر المنكرون على أبي يعلى إطلاق العنان لقلمه حتى في نقد الأقدمين وتنكرت له قلوبهم، ومنهم من نظر إليه وإلى كتاباته شزرا وسموه في ذلك (ككل من انتقد كلام المتقدمين) آكلا للحومهم ونابشا لقبورهم، وما كانوا في ذلك من المحقين ولا من المحققين"⁽³⁾.

وفي نفس السنة التي ولد فيها أبو يعلى الزواوي 1866، ولد عالم آخر هو الشيخ ابن الموهوب، واسمه الكامل: محمد المولود بن محمد السعيد بن الشيخ المدني بن العربي ابن المسعود بن عبد الوهاب سليل أبي عبد الله البركة سيدي الموهوب، ولد سنة 1866 بقسنطينة، كان أبوه قاضيا بوادي العثمانية الذي مات وهو ابن سبع سنوات، حفظ القرآن ومقدمة ابن آجروم بمسقط رأسه، بعد انتقال إلى حلقات الشيخ عبد الله بالجامع الأعظم، وبعد موته انتقل إلى دروس الشيخ عبدالقادر الجاوي في التوحيد والفقہ والنحو والتفسير والحديث

⁽¹⁾ عمر بن قدور (الجزائري)، «إلى الروح المقدسة روح أستاذنا وإمامنا فقيده العلم والاسلام روح مفيد الجزائر ومنير ظلمات جهلنا روح فضيلة مفتي الاسلام وقدوة الأعلام المرحوم الشيخ ابن زكري محمد السعيد بن أحمد»، جريدة الفاروق، ع57، 20 أبريل 1914.

⁽²⁾ محمد أرزقي (فرد)، «التعليم الفرنسي ببلاد الزواوة خلال فترة الاحتلال»، الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، عناية-الجزائر، يومي 14-15 جوان 2009، ص: 114.

⁽³⁾ الطيب (العقي)، «أبو يعلى الزواوي وخصومه الكبار... أكرموه وراقبوا الله في الشيخ»، مجلة الشهاب، ع95، السنة الثانية، ماي 1927، ص: 02.

ومصطلحه والمنطق والعروض ولازمه مدة 12 سنة⁽¹⁾، وقد تأثر ابن الموهوب بشيخه عبدالقادر المجاوي كثيرا، وساعده على تفوقه موهبته وقدراته العلمية.

في سنة 1895، عين أستاذ للغة والعلوم العربية بمدرسة سيدي الكتاني، وفي 22 جوان 1908 سمي مفتي للمالكية مع بقاءه بمنصب التدريس، وكان يقوم بمسامرات بناي الصالح باي الذي ساهم في تأسيسه، ونشر مقالات في العديد من الجرائد منها الديبش القسنطينية وكوكب افريقيا⁽²⁾، وله دروس في الجامع الكبير يرشدهم لإحياء السنة وقتل البدعة وغالب دروسه لا تخلو على الأقل من حضور 200 نفس (شخص)، وقد تزيد عن 500⁽³⁾.

من علماء الإصلاح كذلك: عبدالحليم بن سماية؛ لقد كانت لديه رغبة في التواصل مع مختلف الأجناس والتعرف على مختلف الثقافات؛ فقد كان مزدوج اللغة يضاف إلى ذلك "تعلم العبرية على يد مواطنين من الديانة اليهودية كما فعل محمد بن شنب زميله في الثعالبية"⁽⁴⁾، ومؤلفاته تصب في خانة الإصلاح، فقد ألف فلسفة الاسلام وهو بحث قدمه في مؤتمر المستشرقين بالجزائر 1905، كما نشر مقالات في الإصلاح الاجتماعي والثقافي بمجلات عربية منها كوكب افريقيا⁽⁵⁾.

ومن مواقفه أنه كان مناهض للاندماج، وعارض كل قانون يبيح أو يدعو للتخلي عن الأحوال الشخصية، أو نفى ثابت من ثوابت الدين الاسلامي "بقي عبدالحמיד بن سماية غير قابل لأية محاولة تمس بالشخصية العربية الاسلامية للجزائر مازالت تحت الهيمنة الاستعمارية، أظهر ذلك في مناسبات عديدة"⁽⁶⁾، كما عارض التجنيد الاجباري وصرح قائلا: "إن الحرية والحقوق السياسية المهداة للمسلمين صارت ضربة قاضية لرابطتهم الروحية الراهنة حيث المستفيدين سيصبحون مندمجين في الشعب الفرنسي"⁽⁷⁾، وكتب في مجلة

(1) محمود (كحول) وبودي (لوي)، المصدر السابق، ص: 175-176.

(2) محمود (كحول) وبودي (لوي)، المصدر السابق، ص: 176.

(3) المصدر نفسه، ص: 176.

(4) جيلالي (صاري)، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850-1950)، تر: عمر المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار، الجزائر، 2008، ص: 51.

(5) المرجع نفسه، ص: 60.

(6) المرجع نفسه، ص: 63.

(7) المرجع نفسه، ص: 63.

الشهاب عن عبدالحليم بن سماية: "عالم عامل غيور على دينه ووطنه، مخلص لهما قضى حياته مدرسا بالمدرسة الثعالبية فبث روح طيبة فيمن اتصلوا به من تلامذتها معظما محترما عند زملائه فيها وعند رؤسائها"⁽¹⁾.

جاء بعد المجاوي وابن الموهوب وابن سماية علماء إصلاح آخرون منهم: عمر بن قدور المولود بالعاصمة حوالي 1886، تردد على المدرسة القرآنية (الكتاب) مثل معظم أبناء الجزائر منذ سن الخامسة أو السادسة، ثم دخل بعد ذلك إلى المدرسة الفرنسية، وعندما وصل سن العشرين أصبح كاتب صحفي في جرائد محلية وعربية؛ فقد كتب جريدة اللواء المصرية، وجريدة "الحاضرة" التونسية، وجريدة "الحضارة" العثمانية التي كانت تصدر في اسطنبول، «وكان بن قدور مؤمنا بالجامعة الاسلامية والروح الوطنية»، وقد وقف إلى جانب زعماء تونس عندما اضطهدوا من طرف الاستعمار الفرنسي سنة 1908، و ضد احتلال ليبيا 1911، والمغرب الأقصى 1912، والاطاحة بالسلطان العثماني عبدالحميد الثاني، ونظرا للهجمة الاستعمارية على العالم الاسلامي فقد رأى عمر بن قدور الحل في الوحدة الاسلامية لأنها طريق الخلاص والقوة، وكذلك دعا إلى النهوض والإصلاح، أما الوسائل إلى ذلك فهي التعارف والتعاون وإنشاء الجمعيات⁽²⁾، وقد عدّ علال الفاسي عمر بن قدور من "المصلحين السلفين في الجزائر"⁽³⁾.

ويقول عنه أبو القاسم سعدالله: "يكفي عمر بن قدور أنه عرف بالقضية الجزائرية في الصحافة العربية والاسلامية، وأنه وقف ضد الاضطهاد الاستعماري أثناء فورانه، وكتب عن قضايا المغرب العربي والعالم الاسلامي برؤية نهضة شاملة، ودعا إلى الوحدة الاسلامية، والفكرة القومية، والتضامن الوطني في وقت مبكر كان جيله ما يزال جاهلا بها أو داعيا إلى الاندماج مع المحتل"⁽⁴⁾، و وافقه في اتجاهه عمر راسم الذي اتخذ هو كذلك منبر الصحافة للإصلاح.

ولد عمر راسم بالعاصمة سنة 1883 أو 1884، وهو أصيل بجاية، ومنذ وقت مبكر أدخله والده الكتاب فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنوات، وتقلد منصب "حزاب" وهو ابن اثني عشر سنة في جامع سفير، وقد درس النحو على يد الشيخ محمد بن مصطفى خوجة، كما دخل المدرسة الشرعية الفرنسية، ونظرا لاهتمامه بالحياة السياسية والثقافية هو الذي دفعه إلى أن يجرب الصحافة لأنها وسيلة لنشر الأفكار وتعليم

(1) عبدالحليم بن سماية، مجلة الشهاب، المجلد التاسع، الجزء الثاني، المطبعة الجزائرية الاسلامية، قسنطينة-الجزائر، فيفري 1933، ص125.

(2) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج05، المرجع السابق، صص276-279.

(3) المرجع نفسه، ص280.

(4) المرجع نفسه، ص282.

الشعب؛ حيث بدأ الكتابة في الجرائد التونسية مثل "التقدم" و "مرشد الأمة" و "المرشد"، وقد هاجم من خلال مقالاته مساوئ الحضارة الغربية، وانتقد الفئة المندمجة الذين اتبعوا سياسة الفرنسيين المتغلبين على الوطن، وقد انشأ عمر راسم جريدة "الجزائر" لنشر أفكاره الإصلاحية، وكان شعار هذه الجريدة: جريدة علمية أدبية وتربوية⁽¹⁾، كما أسس جريدة ذو الفقار⁽²⁾، معروفة بتأييدها المطلق لأفكار محمد عبده.

في نهاية القرن التاسع عشر ظهر صوت ابن رحال الذي تعدد جوانب حياته فهو رجل علم ودين، وهو قائد ونائب مالي (برلماني)، وهو مؤلف وباحث وأديب، ثم إنه رجل مدافع عن العربية والاسلام، وهو الذي أسس زاوية، وفي ظروف القمع للمجتمع الجزائري فقد جرد ابن رحال قلمه للدفاع عن حقوق الجزائريين في التعليم باللغة العربية، وفي التمثيل البرلماني، والمحافظة على تطبيق الشريعة الاسلامية، ودافع عن الاسلام وقدرته على التطور في مؤتمر المستشرقين سنة 1897، ونشر مقال سنة 1901 بالفرنسية عن مستقبل الاسلام، كما عارض التجنيد الاجباري سنة 1912 وتوجه إلى فرنسا للمطالبة بإلغائه⁽³⁾

وإلى جانب هؤلاء العلماء، ظهر علماء مصلحون آخرون؛ حيث يذكر محمد علي دبور عن منطقة ميزاب ما يلي: "ومن علماء ميزاب البارزين في العقد الأول والثاني من القرن العشرين، الشيخ الحاج إبراهيم الإبريكي والشيخ الحاج عمر بن يحيى، والشيخ الحاج بكير العنق، والشيخ الحاج عمر بن حمو بكلي، والشيخ الحاج بابكر بن الحاج مسعود، والشيخ الحاج الناصر كروش، والشيخ صالح بن عمر الأعلى، والشيخ يحيى بن صالح المليكي، والشيخ الحاج صالح بن أحمد النوري"⁽⁴⁾.

3- التيار الاندماجي:

ظهر هذا التيار في فترة تاريخية خيم الجهل على المسلمين الجزائريين بسبب السياسة الاستعمارية؛ إذ "لا نعد منذ 1877 إلى سنة 1911 إلا 450 مثقفا من أصل خمسة ملايين أهليا وهو العدد الصغير الذي يضم المتعلمين المسلمين أيضا؛ أي أنه يضم أناسا وعيهم لا يتجاوز وعي أحد المستمعين"⁽⁵⁾، والنخبة التي تعلمت في المدارس الفرنسية وتخرجت من المعاهد والجامعات في فرنسا، سترجع للجزائر للدفاع عن حقوق المجتمع المسلم الجزائري والمطالبة بإدماجه في المجتمع الفرنسي ومنح الجنسية الفرنسية له، وأطلق عليهم الشريف

(1) المرجع نفسه، ص: 282-285.

(2) حول الجريدة ينظر الفصل الرابع

(3) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، المرجع السابق، ص: 223-225.

(4) محمد علي (دبور)، نخبة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المرجع السابق، ص: 6.

(5) شريف (بن حبيلس)، المصدر السابق، ص: 53.

بن حيبلس مصطلح النخبة وخصهم بذلك: "إنهم ذلك الشباب الناشئ في الجامعات الفرنسية والذين استطاعوا -بفضل عملهم- أن يرتفعوا فوق العامة، ويتموقعوا في الجزائر الحاملين للحضارة عن جدارة، وهو نيشان لا تستطيع منحه لكل أهل الجزائر"⁽¹⁾.

نقسم التيار الاندماجي إلى اتجاهين: أحدهما يطالب بدمج الثقافة الاسلامية بالثقافة الغربية، وتيار آخر يطالب بدمج الجزائريين في الثقافة الغربية، ومن أعلام التيار الأول محمد بن رحال الذي اتبع منهج جديد يتمثل في: "الوفاء للعقيدة والثقافة الاسلامية وتبني العلوم والتقنيات العصرية للغرب"⁽²⁾، وفي وصف هذه النخبة يقول الشريف بن حيبلس نقلا عن رئيس التحرير لجريدة لايباش القسنطينية: "ولكونهم مغرورين بعض الشيء بسبب شعورهم بامتيازاتهم على إخوتهم، فقد صارت عقول هؤلاء الشباب أرضية خصبة لنمو أصناف من الأعلام المجنونة"⁽³⁾.

يلتقي التيار الاندماجي مع التيار الاصلاحى في نقد الطرق الصوفية والتيار التقليدي خاصة شيوخ الزوايا وما ييثون من عقائد و "أوهام" بين الموردين وعامة الشعب وحملوا الادارة الفرنسية ذلك: "غير أن بعض الحضرة المتعلمين ... قد شرعوا في حملات التنديد بالانحراف الذي شهدته الزوايا وكانوا يحملون مصالحي الادارة كامل المسؤولية بخصوص التجاوزات التي كانت تقتربها"⁽⁴⁾، في حين أن الاندماجين وأغلبهم ضمن حركة الشبان كانوا يحملون بلعب "دور ما في شؤون البلاد ارتكازا، قناعتهم بأنهم بلغوا أعلى درجات الحضارة ولما يملأ نفوسهم من الطموح، أثرت فيهم حركة الشبان التركية والنجاح الذي كلل أعمال جمعية الاتحاد والنمو وجعلهم كل ذلك يرون آفاقا بعيدة"⁽⁵⁾.

إن تغيير الواقع الثقافي للجزائريين وترقيته يبدأ من إصلاحات سياسية تسمح للأهالي تمثيل أنفسهم تمثيل فعلي في المجالس النيابية وفي توزيع الميزانية خاصة ما يتعلق بالتعليم وإنشاء المدارس الأهلية، وإذا رجعنا إلى مطالب هذا التيار سنة 1912 مقابل الخدمة العسكرية فهي تتمثل في:

- رفع عدد المندوبين من الأهالي في المجالس الجزائرية إلى خمس أعضائها.
- توسيع الهيئة الانتخابية لضمان فعالية وجدية الاقتراع.

(1) المصدر نفسه، ص: 139.

(2) محفوظ (قداش)، جزائر الجزائريين، المرجع السابق، ص: 237.

(3) شريف (بن حيبلس)، المصدر السابق، ص: 140.

(4) شارل روبيير (أجرور)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 488.

(5) شريف (بن حيبلس)، المصدر السابق، ص: 141.

-منح حق المشاركة في انتخاب شيوخ البلدية ونوابهم لأعضاء المجالس البلدية من الأهالي.
-يعطى الحق لكل من أدى الخدمة العسكرية سواء عن طريق الاستدعاء أو عن طريق التطوع، في الحصول على المواطنة الفرنسية بمجرد تقديم طلبا عادي وبدون الخضوع للإجراءات المعمول بها⁽¹⁾.

إن البند الأخير من المطالب يدل على رغبة التيار الاندماجي في تسهيل عملية تجنيس الجزائريين، رغم أن قرار التجنيس بالتخلي عن الأحوال الشخصية قرار صعب، كما يرى الشريف بن حبيلس: "إن التجنيس الذي أقدمت عليه كل هذه النخبة عمل شجاع لأنه يواجه إشكالية دينية، هؤلاء يجعل الشأن الديني مسألة فردية وما يواجهونه مما نحن بصدده يثبط المتجنسين كثيرا بعد أن تثبطكم صنوف من العوائق على رأسها عائلاتهم التي تتنكر لهم"⁽²⁾، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشريف ابن حبيلس عن مدرس قبائلي تجنيس بالجنسية الفرنسية وتزوج بفرنسية فيقول ذلك المدرس: "لم أجرؤ على العودة إلى بلدي لم يرحبوا بي أبدا فقد مات أبي دون العفو عني"⁽³⁾، ومن جهة أخرى قرار التجنيس قد فصل هذه النخبة عن أغلبية المجتمع الجزائري، وبقيت تناضل على ثلاث جبهات؛ جبهة مع الإدارة الاستعمارية وأخرى ضدّ المستوطنين والثالثة في إقناع المجتمع الجزائري المسلم.

دعا التيار الاندماجي إلى المساواة بين الجزائريين والأوروبيين في الجزائر، وقد تجلّى في رفضهم للمحنة المقابلة للخدمة العسكرية، لأنها تجعل الجزائريين أجناب مرتزقة وليس مواطنين فرنسيين، كما طالبوا بالمساواة في مدة الخدمة العسكرية بين الجزائريين والفرنسيين، ومن أهم المطالب في هذا السياق التي جاءت بها عريضة 1912: -تخفيض مدة الخدمة العسكرية إلى سنتين أسوة بالفرنسيين الآخرين.

-الدعوة إلى التجنيد في 21 سنة بدل 18 سنة؛ فالجنود المدعوون للخدمة في هذا السن الأخيرة لم يكتمل نموهم الجسمي بعد.

-إلغاء المنحة المقدمة مقابل التجنيد؛ لأن العائلات ستكون سعيدة برؤية أبنائها يعملون في صفوف الجيش الفرنسي بدون مقابل مادي⁽⁴⁾.

(1) جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، المرجع السابق، ص: 283-284.

(2) شريف (بن حبيلس)، المصدر السابق، ص: 145.

(3) المصدر نفسه، ص: 146.

(4) جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، المرجع السابق، ص: 280-281.

يرى الشريف بن حبيلس أن التجنس لا يعارض تشريعات الدين الاسلامي؛ فهو يدعو الجزائريين إلى حمل الجنسية الفرنسية، ذات الصبغة المدنية بينما المسألة الدينية هي مسألة فردية، وقد حذر من العلماء الذين أفتوا بجرمة التجنس؛ فيقول: "ستجدون بلا عسر مفتين يقرون بأن التجنس خروج عن الدين، رغم أن هذا خطأ مستعدون للبرهنة عليه ذات يوم، ونحن تلامذة أحد أفضل المفتين على الإطلاق بل إننا نقر بأن هذا الأمر لو كان صحيحاً منذ مائة عام فإنه ليس صحيحاً اليوم (1913)"⁽¹⁾، ومن خلال اجتهاده نلاحظ رغبته في تكييف الدين حسب الواقع.

ومن أنصار التيار الاندماجي؛ باتجاهيه التجنس دون التخلي عن الأحوال الشخصية، والاندماج بغض النظر عن المسألة الدينية، نذكر: عائلة بوضرية وفي المرحلة المدروسة (1880-1914) اشتهر عمر وأحمد بوضرية الحفيد؛ فالأول ندّد باستخدام الادارة للحانب الديني في بسط سيطرتها، والذي يرى أن التمسك بالتعاليم الدينية سبب التخلف، وبالتالي فمن "الضروري أن يتحرر الأهالي من النفوذ الديني الذي يعترض سبيل تطورهم"⁽²⁾، أما الثاني فألقى محاضرة في 12 مارس 1904، قال فيها أن الشريعة الاسلامية ما هي إلا أسطورة لا يفهمها المسلمون وهم لا يطبقون تعاليم القرآن، وهو رد على من كان يقول إن قوانين الاندماج ستمس المشاعر الدينية للمسلمين⁽³⁾.

يعد فاتح بن براهيم من التيار الاندماجي؛ ولد سنة 1850 في تقصرين التي تبعد بعشرة كيلومترات عن مدينة الجزائر القديمة، درس بالكتاب ثم بالمدرسة الابتدائية العمومية، وكان ضمن المتفوقين في مرحلة الثانوي، وأول حائز على جائزة دار المعلمين ببوزريعة⁽⁴⁾، وقد عاصره الدكتور الطيب مرسلي؛ طبيب جزائري من وهران تخرج من مدرسة الطب، كان أبوه ضابطاً في فرسان الصبايحية في الجيش الفرنسي، انتقل الطيب مرسلي للعمل في قسنطينة وشارك الأعيان في مختلف عرائضهم، ومنها عريضة سنة 1891 المقدمة للجنة حول فيري، تزوج من فرنسية، وحصل على الجنسية الفرنسية، ألف كتاب سماه المسألة الأهلية طرح فيه ما يهم الجزائريين عندئذ من تمثيل برلماني وحقوق وضرائب وقوانين استثنائية، وحسب اسماعيل حامد فكان الدكتور مرسلي يعيش عيشة فرنسية، وفي سنة 1907، ألقى كلمة في حفل توزيع الجوائز في مدرسة جول فيري الأهلية

(1) الشريف (بن حبيلس)، المصدر السابق، ص: 145.

(2) شارل روبري (أجرن)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص719.

(3) أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، المرجع السابق، ص: 229.

(4) جيلالي (صاري)، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850-1950)، المرجع السابق، ص: 143.

بقسنطينة، وألح فيها على مبدأ الاندماج، وخاطب التلاميذ أن يكونوا أحسن من آبائهم في وضع اليد في اليد مع الفرنسيين والسير قدما إلى مستقبل واحد⁽¹⁾.

ومن بين أنصار التيار الاندماجي الشيخ بوزار محمد بن محمد؛ الذي ولد في مليانة 1878، حصل على إجازة في التعليم المدرسي الكبرى وكلية الآداب الجزائرية، وإجازة في اللغة الفرنسية من الطبقة الأولى، ولي في سنة 1903 كاتباً ومترجماً في البلديات المختلطة، وفي 1904 عدلاً في المحاكم الشرعية، وفي 1905 عين بإدارة تحرير جريدة المبعث الرسمية، وفي 1910 عين قاضياً، حاز على وسام في المعارف العمومية، ووسام الأنوار من درجة شوفالي⁽²⁾ الذي كان يمنح فقط لمن أظهرت مهاراتهم العلمية.

من بين أعلام التيار الاندماجي اسماعيل حامد؛ المولود سنة 1857، والذي ساهم في حركة التأليف عند الجزائريين باللغة الفرنسية وقد ذكرنا بعض مؤلفاته ضمن حركة التأليف بداية هذا الفصل، ومن بين كتبه (مسلمو شمال إفريقيا) سنة 1906، والذي "أيّد فيه تيار الاستغراب والتفرنس وشايع في السياسة الفرنسية الجديدة التي تبناها جول كامبون وشارل جونار، وقام بمهمات للسلطات الفرنسية في المغرب الأقصى وإفريقية"⁽³⁾، ونلخص قضايا التيار الاندماجي في تلقين التعليم الفرنسي للجزائريين، تمهيداً لدمجهم وتجنيسهم وكذلك المساواة بينهم وبين الفرنسيين.

4- قضايا ثقافية:

أردت أن أنهي موضوع التيارات الفكرية، بالحديث عن بعض القضايا الفكرية التي أثّرت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (1880-1914) ومنها؛ قضية اللغة العربية الفصحى التي أصبحت أجنبية قانونياً، ومجهولة بين الجزائريين مما جعلت جريدة الاحياء تكتب عن واقعها سنة 1907: "ذهبت الأعوام ومرت السنون وإخواننا أهالي الجزائر في (كلمة غير مقروءة) وتفريط من حفظ لغتهم العربية التي أصبحت في تناقص وتقهقر حتى يكاد العارفون بها والمكاتبون يعدون على الأصابع في هاته المملكة الواسعة الأطراف التي أهلها كانوا ولم يزالوا على شيء من الذكاء"⁽⁴⁾، ورغم أن مديرة الجريدة فرنسية إلا أنها اسلمت وكانت من أكثر المدافعين عن الاسلام واللغة العربية للارتباط الوثيق بينهما.

(1) أبو القاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، المرجع السابق، ص: 231-232.

(2) محمود (كحول) وبودي (لوي)، المصدر السابق، ص: 170-171.

(3) أبو القاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، المرجع السابق، ص: 233.

(4) اللغة العربية، جريدة الاحياء، الجزء السادس، السنة الأولى، 10 ربيع الأول 1325هـ (1907).

نظرا للتراجع المخيف لمكانة اللغة العربية الفصحى؛ فكانت أغلب العرائض تتضمن ضرورة إعطاء مكانة مهمة للغة العربية في المناهج التعليمية؛ فقد دعا آيت سالم إلى تنظيم تعليم اللغة العربية في مدارس تعليم البنات، وإعطاء مكانة للغة العربية في امتحان البكالوريا تلبية لمرسوم 5 ماي 1904 لأنها دراسة اللغة العربية تقدم خدمة للاستعمار، ومع ذلك يقول آيت سالم "أنه لم يتم أي شيء في هذا الاتجاه خاصة في مدرسة ثانوية البنات في الجزائر العاصمة"⁽¹⁾، ويضيف "إن وفود القبائل تعرب عن أملها في أن اللغة العربية تدرس في المدارس الثانوية في نفس ظروف اللغة الإنجليزية والألمانية من حيث البرامج والحجم الساعي، وتكون موضوعات اللغة العربية في شهادة البكالوريا تتوافق مع الدروس التي يتلقاها المترشحون"⁽²⁾.

كانت النخبة الجزائرية المثقفة مقتنعة بضرورة ازدواجية اللغة، للاستفادة من العلوم الحديثة ومن الموروث التاريخي، ومن أجل سهولة التعامل مع الإدارة الاستعمارية والشعب الجزائري؛ فيقول مولود بن الصديق الحافظي: "يجب أن نتعلم اللغة الفرنسية والعلوم المدرسية، ويجب أن نتعلم بجنب ذلك لغتنا العربية الفصيحة لنحافظ على تعاليمنا الدينية ومزاياها التاريخية وآدابنا القومية حتى نأمن من الانسلاخ من جنسيتنا وشعارنا العربي، أود أن يكون تعليمنا للغة الأجنبية كتعليم أبناء أوروبا اللغات الشرقية فهي تتعلمها لتستفيد منها، وليس لتعجز لغتها ولا لتحتقر بني جنسها"⁽³⁾، ويضيف في مقال آخر: "نحن الجزائريين معتبرون جزءا من فرنسا فضروري لنا -حيويا- أن نعلم اللغة الفرنسية، وقبيل بنا أن نجعل لغة كل نعتبر جزءا منه"⁽⁴⁾.

تعد قضية التعليم هي نقطة الالتقاء بين التيارات الثلاثة الاصلاحيون والاندماجيون وحتى بعض المحافظين التقليديين الذين أرسلوا أبناءهم للمدرسة لتعلم الطب والقانون خاصة، وهناك نصوص كثيرة منها ما قاله ابن حبليلس أحد التيار الاندماجي، الذي يرى أساس الانسام بين العنصرين المسلم والأوروبي هو التعليم فيقول: "من أجل التقرب بين الناس ولم شملهم والتوحيد بين تطلعاتهم وترقية معاملاتهم كان لابد من غزو

⁽¹⁾Gouvernement Général de l'Algérie , Délégations Financières Section Kabyle 1^{re} séance 15 mai 1911, Alger, 1911 , P : 20.

⁽²⁾Gouvernement Général de l'Algérie , Délégations Financières Section Kabyle 13^e séance 08 juin 1911, Alger, 1911 , P : 64.

⁽³⁾المولود بن الصديق الحافظي (الأزهري)، «صوت العلم يناديكم فهل من مجيب؟»، مجلة الشهاب، ع43، السنة الثانية، أوت 1926، ص: 07.

⁽⁴⁾المولود بن الصديق الحافظي (الأزهري)، «تعليم اللغتين ضروري لنا»، مجلة الشهاب، ع47، السنة الثانية، ص02.

العقول غزوا أخلاقيا معنويا⁽¹⁾، لكن طريقة ومنهج التعليم تختلف من تيار لآخر حسب تصوراته وأهدافه، والمرجعيات التاريخية في التكوين الثقافي والفكري.

يري أحمد بن بريهمات ضرورة إجبارية التعليم للذكور والاناث على حد سواء من المسلمين، وقد أيد تأييد مطلق ما جاء في مرسوم 1883 فيقول: «إن مرسوم 13 فبراير لا يمس مطلقا بعقائدنا الدينية فهو من جلائل الأعمال - بالنسبة لمستقبلنا - الذي تكرمت به فرنسا علينا، فليرسل إخواني المؤمنين أبناءنا إلى المدرسة، أطفالا وبناتا ولنبعد عنا نصائح أولئك المنافقين باسم الدين الذين يتخذون من جهلنا سلاحا يستغلونه لفائدتهم الشخصية»⁽²⁾ وهو يشير بذلك إلى النخب التقليدية التي رفضت إجبارية التعليم.

وقد كتبت جريدة المغرب عن حالة العلم في الجزائر 1903 بعنوان "التعليم وأهالي قطر الجزائر: لا يعزب عن كل مراقب ما بلغوا إليه مسلمي قطر الجزائر من التفهقر حتى كادوا ان ينحطوا إلى درجة (كلمة غير واضحة) فإنه قل وجود من يحسن القراءة بالعربية إلا أفراد في المدن والبادية فضلا عن اللغة الفرنسية التي هي اللغة الرسمية في فرنسا ومستعمراتها"⁽³⁾، ويصف السعيد بن عمر ما وصل إليه الشعب الجزائري فيقول: "إني لأعجب من هذا الشعب الذي يقدر بأربعة ملايين لا يتفرع منه خمسة أفراد في الألف يقال عنهم أنهم متعلمون"⁽⁴⁾، وبالتالي كانت قضية التعليم هي المحورية في نضال كل التيارات الفكرية.

ويقول محمود ابن الشيخ علي الجزائري عن سبب تأليف نصيحة عمومية لأهل الحضر والبادية: "وكان الباعث لي على هذا القصد، وهم الكثير من الناس أن العلم مخصوص بعم الديانة فقط، بل العلم في اللغة هو إدراك الشيء على ما هو به، وهو مرادف للمعرفة في حق البشر، والمعرفة صادقة على الكتابة والقراءة وحفظ اللغات والفلاحة والصناعة والحرف والتجارة وغيرها، فيرجع كل ذلك إلى إدراك الشيء على ما هو عليه، وهو العلم على الإطلاق"⁽⁵⁾، فهو يعارض الأفكار التي تدعو إلى عدم التعلم في المدارس الفرنسية العلوم الحديثة

(1) شريف (بن حبيلس)، المصدر السابق، ص: 45.

(2) أحمد (بن بريهمات)، مرسوم 13 فبراير 1883 والأهالي المسلمين. ينظر: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، المرجع السابق، ص: 192.

(3) علي (ابن الحفاف)، «التعليم وأهالي قطر الجزائر»، جريدة المغرب، السنة الأولى، ع12، 19 ماي 1903.

(4) سعيد بن عمر (التاديرتي)، «الشرعية»، جريدة الفاروق، ع43، 09 يناير 1914.

(5) محمود بن الشيخ علي (الجزائري)، نصيحة عمومية لأهل الحضر والبادية، تحقيق: عادل بن الحاج همال الجزائري، ط01، دار ابن حزم، الجزائر، 2008، ص: 87-88.

والتي تعتبرها علوم الدنيا ف مقابل هناك علوم الآخرة محمود ابن الشيخ هذا التفكير وأكد على أن العلم مطلق وليس مقيّد.

ويرى أحمد بن القاضي أن التعليم يساعد في الاندماج بين الجزائريين والفرنسيين، ويعطى مقارنة تاريخية، فيذكر بداية الاحتلال كان هناك حروب مع الطرفين، وقد رفض الجزائريون التعليم وفضلوا رمي أنفسهم في البحر بدل أن يبدلوا دين أولادهم في المدارس الفرنسية، لكن بعد تراجع بعضهم وتعلّم أطفالهم وشغلوا المناصب أصبح هناك انسجام، بل يتوقع أن يحدث اندماج وتعايش بين الجنسين وهذا بفضل المدرسة الفرنسية، فيقول: "والآن لما أقبل وقت أكتسب فيه أبنائهم المناصب الشرعية والمخزنية كل منهم على قدر تحصيله للعلوم وتنوير عقله حمدوا الله وأثنوا عليه خيرا في نصيحتنا لهم (أي ضرورة تعليم أبنائهم) وشكروا الدولة شكرا مؤبدا، فعما قريب يأتي زما يمتزج فيه العرب مع الفرنسيين ويصيرون كذات واحدة يعيشون مع بعض أكثر مما هم عليه الآن عيشة مرضية"⁽¹⁾، وإلى جانب ما ذكرت يعد عبدالقادر الجاوي من أكثر علماء الإصلاح دعوة للعلم والتعلّم وهو الذي سخّر حياته لتنوير إخوانه من الجزائريين.

تعتبر مسألة الولاء الثقافي والفكري، هي نقطة النهاية لأهداف مختلف التيارات والمجموعات الدينية في الجزائر، ونقصد بالولاء رغبة كل تيار أو مجموعة دينية وسياسية أن يمثل الشعب الجزائري لأفكارها، فالاستعمار يريد مفرنسا بفكر استعماري استعبادي (قابلية الاستعباد)، والحركات التبشيرية تمنى أن ترجع شمال افريقيا كما كانت أيام روما، والطرق الصوفية تبحث في استمرار هيمنتها الفكرية، بينما الحركات الإصلاحية تبحث عن إعادة صياغة جديدة للفكر الإسلامي الشعبي في الجزائر، بينما الحداثيون يطلبون من الشعب الجزائري الأخذ بمظاهر الحداث والتخلص من قيود الثقافة الشعبية.

إن الاستعمار أدرك ضرورة الولاء الثقافي والفكري له من أجل استمراره في الجزائر، ويتطلب ذلك تحرير العقول الجزائرية من الخضوع للمرابطين وشيوخ الطرق الصوفية، أي محاولة القضاء على التعصب والثورات التي يقودها زعماء الدين والذين يشرفون على طريقة من الطرق الصوفية؛ فبلاد القبائل التي كانت مركز المدرسة الفرنسية كان سكانها يخضعون للمرابطين كما يقول ابن زكري: "إن القبائل وإن كثرت أفرادهم، واختلفت عوائدهم، وتباينت في الأغراض مشاربهم، قد اجمعوا من حيث العقائد والدين واتفقوا بالطبع على الخضوع والانقياد للمرابطين عموما ولأهل الزوايا والمقدمين من مشايخ الطريقة خصوصا، وعلى تعظيم معابدهم

⁽¹⁾ Ahmed ben kadi, Impressions du voyage A Paris, op.cit, P : 11.

والحرص على عمارتها وهي الزوايا المذكورة لأنها قبلتهم التي لن يتحولوا عنها ويرجعون دائما في مهمات أمورهم إليها⁽¹⁾، فهدف الادارة الفرنسية تخلص المجتمع من الولاء للطرقية وتأهيله لأن يكون ولائه لفرنسا. ويصف ابن زكري حالة خضوع المجتمع الجزائري للمرابطين فيقول: "...حتى أصبح الناس أرقاء لحرية المتصوفين المنتسبين إلى الله، وهم جهلاء ومنقادين لكل مدع يدعي ولو بهتانا عظيما"⁽²⁾، ولهذا جاء التيار الاصلاحى لتصحيح الكثير من المعتقدات وتخليص الدين الاسلامي من الشوائب الزائدة، وقد استخدم هذا التيار مختلف الوسائل للتأثير خاصة الصحافة وإنشاء المدارس الخاصة، بينما التيار الحدائى الاندماجي فحاول أن يؤثر على الجزائريين بالاحتكام إلى العقل في تحكيم العادات المنشرة والثقافة الشعبية، واجتهد هذا التيار في أن يكون ولاء الشعب للحضارة الغربية ويساير روح العصر والتخلّص من المعتقدات الخرافية، وقد أثر نشاط التيارات الثلاثة في وجود أزمة هوية وتيارات فكرية متناقضة داخل مجتمع واحد، امتدت آثارها السلبية لعقود من الزمن.

(1) محمد السعيد بن أحمد (ابن زكري) الزواوي، المصدر السابق، ص: 11.

(2) المصدر نفسه، ص: 11.

الخلاصة

توصلنا في ختام هذه الدراسة حول الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر (1880-1914) إلى عدّة

نتائج منها:

1- أثر الاحتلال الفرنسي للجزائر على الواقع الثقافي؛ إذ نعتبر هذا الاستعمار هو صدام بين ثقافتين مختلفتين، وهو ما جعل الاستعمار يتخذ موقف سلبي من المؤسسات الدينية والمنشآت الثقافية الإسلامية، خاصة مع استمرار المقاومات الشعبية، فتم هدم أغلب المساجد في المناطق التي تم احتلالها وتحويل بعضها إلى كنائس أو مؤسسات فرنسية عسكرية أو مستشفيات، والأرقام التي تداولتها الدراسات فيما بعد تدل على مدى هجمية الاستعمار في التعامل مع المؤسسات الدينية الإسلامية، فبعدما كان كل حي في مدينة الجزائر يوجد فيه مسجد أو جامع أو مصلي قبل الاحتلال، أصبح بعده عدد المساجد يعدون على أصابع اليد الواحدة، كما تم نهب وتدمير مراكز المخطوطات.

2- إن النزعة الاقتصادية للاستعمار ذهب ضحيتها الأوقاف وممتلكات الزوايا شريان حياتها، مما أدى إلى انخفاض نسبتها، خاصة التي ثبت مشاركتها في حروب ضدّ فرنسا، في المقابل لم يسعى الاستعمار لبناء مؤسسات تعليمية رغم ادعائه أن رسالته في شمال إفريقيا رسالة حضارة، والذي يجب أن تأكده أن تركيبة الحملة الفرنسية لم تكن لتدل على رسالة حضارة فأغلبها وقعت تحت تأثير الدعاية بالحصول على ممتلكات وثروة بعد الاحتلال، ولهذا فأغلب القادمين لم يكونوا من الطبقة المثقفة وإنما من مستويات ثقافية متدنية، بينما الفئة القليلة من المثقفين التي رافقت الحملة كان مهمم الوحيد الحصول على قدر ممكن من المخطوطات، وتقديم خدمات ثقافية للاستعمار، ولهذا لم نلاحظ تأثير ثقافي للاستعمار في العقد الأول من الاحتلال.

3- فتح الاستعمار باب المدارس الأولى للموظفين والمتعاونين مع الاستعمار وأبناء الأوروبيين، إلى غاية نهاية الأربعينيات من القرن التاسع عشر حيث أكدت التقارير على ضرورة فتح مدارس لتعليم الأهالي، وقد نادى بذلك توكفيل الذي يرى أن الاستعمار أطفأ كل الأنوار (تهديم المدارس القرآنية)، ولم يسع لبناء مدارس التعليم الفرنسي، ومع بداية عهد الجمهورية الثانية فتحت المجال للسياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر، والتي اتصفت بتعدد التجارب إلى غاية 1880، وكان التعليم الابتدائي الموجه للأهالي يتم في المدارس العربية الفرنسية، وبعد ذلك الالتحاق بمرحلة الثانوي، ومن أراد مواصلة الدراسة يوجه لإحدى الجامعات في فرنسا، وقد قبل بالتعليم الفرنسي من الجزائريين الموظفون والمتعاونون مع الإدارة الاستعمارية، وبعض الجزائريين دخل للمدارس الشرعية لشغل منصب من المناصب الدينية في القضاء أو وظائف المسجد.

4- تعتبر بداية الثمانينيات الانطلاقة الحقيقية للسياسة التعليم في الجزائر، خاصة مع ظهور مشروع تطوير التعليم العالي بتأسيس المدارس العليا، وكانت أول خطوة في هذه الدراسة صدور قانون اجبارية التعليم سنة 1883، والذي يلزم الجزائريين بتسجيل أبنائهم في المدارس الفرنسية، وقد رافق هذا المرسوم التوجّه العلماني للمدرسة من أجل استدراج الجزائريين، والتأكيد لهم أن مهمة المدرسة ليس التبشير والخروج من الاسلام وإنما مهمتها نشر التعليم، وقد تزامن مع هذه الأحداث تخرج الدفعات الأولى من الطلبة الجزائريين من الجامعة الفرنسية ودعوة الجزائريين للتعلّم والقبول بالمدارس الفرنسية، وبروز تيار الاصلاح ودعوته للتعليم ونشره بين الجزائريين، وقد ساعدت هذه العوامل على ارتفاع نسب التعليم إلى غاية بداية الحرب العالمية الأولى، ويوجد ثلاث أنواع من المؤسسات التعليمية حسب مراحل التعليم وأهدافه: مدارس التعليم الابتدائي، مدارس التعليم الثانوي، المدارس الشرعية الثلاث التي يتخرج منها موظفو السلك القضائي والديني الاسلامي.

5- إن الأهداف المرحلية في السياسة التعليمية التي وضعتها الادارة الاستعمارية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هي: توسيع دائرة التعليم الحرفي حتى يستفيد المستوطنون من كفاءات جزائرية، وبالتالي تحويل التعليم إلى تعليم مهني، ومن جهة أخرى السعي نحو الفرنسية الكلية للمدارس العربية الفرنسية، فكل المواد تدرس باللغة الفرنسية حتى اللغة العربية ولهذا سخرت الادارة الاستعمارية أقلام لتأليف كتب بالفرنسية عن اللغة العربية من أجل توحيد التدريس باللغة الفرنسية، وأخيرا تكوين نخبة من الجزائريين تلعب دور الوساطة ومنافسة للنخب التقليدية.

6- ليس هناك طرح جدّي في فكرة تنوير الجزائريين ونشر الحضارة الغربية عن طريق التعليم؛ فقد استعملت مسألة تعليم الجزائريين كورقة سياسية في الانتخابات الفرنسية، فعلى أرض الواقع لم يكن هناك تشجيع فعلي للأهالي؛ فإذا افترضنا أن السلطة الاستعمارية كانت لها رغبة في تعليم أبناء الجزائريين لأنجرت عدد معتبر من المدارس وتحسين ظروف المدرسين، في حين أن الواقع عكس ذلك، فمن يطالع نشرة جمعية أعضاء التعليم يكتشف ما كان يعانيه المعلمون، ومن جهة أخرى حولت بعض المنازل والمؤسسات القديمة إلى مدارس التعليم الابتدائية مما جعل مدير الدراسات جانمير يطلق عليها مصطلح الأكواخ.

7- حاول الساسة الفرنسيون بتطوير التعليم العالي في الجزائر فجاء قانون انشاء المدارس العليا والمعاهد، وقد تحولت إلى كليات بعد تأسيس جامعة الجزائر سنة 1909، وهي: كلية الطب والصيدلة، كلية الآداب، كلية العلوم الطبيعية، كلية الحقوق، وكان لتأسيس هذه الجامعة دور في رفع التعليم بالجزائر.

8- هناك أسباب عديدة وراء رفض الجزائريين للتعليم الفرنسي منها خوفهم من التخلي عن الأحوال الشخصية والتجنس والخروج من الدين الاسلامي واعتناق المسيحية، ويجب التأكيد في هذا المقام على سببين رئيسين هما: كان لجوء الجزائريين للتعليم من أجل الوظيفة وضمان مستقبل للأطفال، لأن السنوات التي ترتفع فيها نسبة البطالة تنخفض فيها نسبة عدد التلاميذ، ومن جهة أخرى فإن أغلب الجزائريين كانوا عاجزين عن تدريس أبنائهم بسبب الظروف المادية والاجتماعية، ولهذا نجد نسبة التلاميذ في السنة الأولى مرتفعة وتنخفض كلما تقدمنا في السنوات بشكل غير طبيعي، فبعض الجزائريين عندما يبلغ ابنه اثني عشر سنة أو أكثر يفصله من الدراسة لمساعدته في العمل وتغطية تكاليف الأسرة، وقد طالبت بعض التقارير -نشرتها نشرة جمعية أعضاء التعليم الأهلي في الجزائر- بأن تكون العطلة المدرسية في فصل الحصاد لتجنب غياب التلاميذ.

9- كانت المؤسسات التعليمية الاسلامية في مرحلة (1880-1914) تعاني بعدما فقدت مواردها المالية من الأوقاف، بل فرضت عليها قوانين المراقبة، وإنشاء مدرسة يتم بترخيص من الادارة الاستعمارية، ولهذا تراجعت نسبة تعليم القرآن واللغة العربية، ومن جهة أخرى ظهرت أصوات تنادي بضرورة إصلاح المناهج التعليمية والتربوية في المدارس والزوايا التعليمية، وقاد هذه الدعوة أبو يعلى الزواوي، وابن زكري، وقد عايش العالمان هذه المرحلة وأدركوا ضعف فعالية هذه المؤسسات وبالتالي يجب إصلاحها، غير أن المدارس والزوايا استمرت بنفس المنهج، واختزال في البرامج التعليمية، فزاوية عبدالرحمن اليلولي مثلا التي اشتهرت بتخريج طلبة يحفظون القرآن بقراءات متعددة، أصبحنا نبحث في هذه المرحلة على من يحفظ أجزاء من القرآن، وتحدث ابن زكري أن بعض الطلبة يمكنون في الزاوية أكثر من عشرة سنوات دون أن يستوعبوا علم معين.

10- إن موضوع الثقافة الشعبية في الفترة الاستعمارية تحتاج للمزيد من الدراسة لتوضيح أثر الاستعمار في هذه الثقافة، وقد بدأ التغيير في الفئة المتعلمة والعاملون في الادارة الاستعمارية الذين حسّنوا من ظروفهم المادية، فقلّدوا الأوروبيين في اللباس، وبناء المنازل، وثقافة الاستهلاك، والاكتفاء بزوجة واحدة بدل تعدد الزوجات، بينما الغالبية من عامة المجتمع المسلم لم تسمح لهم ظروفهم المادية بتقليد الأوروبيين أو لأسباب أخرى، وكان تأثير الاستعمار واضح في تفكيك البنية الاجتماعية بتفكيك القبيلة عن طريق تقسيم الأراضي، وبالتالي لم يعد هناك علاقة سلطوية بين المشرف على القبيلة وأعضاؤها؛ فاتسعت دائرة التمرد على العادات، وكوّن جزائريون أسرا منفردة بعيدا عن العائلات ونظام القبيلة، وكانت قبل ذلك الخروج عن العائلة جريمة اجتماعية لا تغتفر.

11- ساهمت عدّة ظروف في النهضة الثقافية بالجزائر، لكن العوامل الخارجية كانت الأكثر تأثيراً وإن لم ننكر دور الظروف الداخلية؛ والمتمثلة في احتكاك الجزائريين بالأوروبيين في العمل الصحفي وفي تأسيس الجمعيات، وظهور حركة الشبان، وتعين شارل جونار على رئاسة الحكومة العام في الجزائر الذي سمح ببعض الحريات، غير أن العوامل الخارجية كانت الأكثر تأثيراً خصوصاً ما كان يحدث في تونس ومصر وتركيا من حركة نهضوية وإصلاحية، والتي شملت الزيتونة والأزهر، وانتشار الصحافة بشكل سريع، وظهور حركة الإصلاح على يد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وانتشار فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية، كل ذلك استقبله الجزائريون بالتفاؤل والحماس فأصدروا الجرائد وكونوا الجمعيات.

12- صدرت عدّة جرائد مزدوجة اللغة وبعدها باللغة العربية، والسبب في ذلك أن الإدارة الاستعمارية تعتبر اللغة العربية لغة أجنبية ولا تسمح بإنشاء الصحف والمجلات بلغات أجنبية، ولهذا في البداية وضع ملحق بالعربية للجرائد الموجهة للأهالي غير الحكومية، فبدأت التجربة مع جريدة المنتخب والتي تزامن ظهورها مع احتلال تونس خارجياً وثورة الشيخ بوعمامة داخلياً، وبعد عشرة سنوات من توقيفها 1883، صدرت جريدة الحق العنابي 1893، وكانت أكثر جرأة في مواجهة الإدارة الاستعمارية والمستوطنين، مما دفع حول كامبون لإصدار قرار بتوقيفها، ثم ظهرت بعدها جريدة النصيح، والمغرب وكوكب إفريقيا، والاحياء، والحق الوهراني، والاسلام، والفاروق وذو الفقار وجرائد أخرى ساهمت بمواضيع ثقافية في إثراء الحياة الثقافية.

13- كوّن بعض الجزائريين جمعيات ونوادي ثقافية قبل الحرب العالمية الأولى خاصة في مدينة الجزائر وقسنطينة، وكان هدف هذه الجمعيات بالدرجة الأولى التعليم، ومن الجمعيات التي أسست؛ الجمعية التوفيقية، والراشيدية، وكذلك نادي صالح باي وحاولت أن تتفرع في الأرياف والمدن الصغيرة.

14- استفاد الجزائريون من تجربة الصحافة وإنشاء الجمعيات، وهو ما نكتشفه عن نشاط الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى بكثرة الصحف والنوادي، وتأسيس أكبر جمعية ثقافية في تاريخ الجزائر المستعمرة وهي جمعية علماء المسلمين الجزائريين.

15- تميزت حركة التأليف في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بمؤلفات وكتب تعليمية، ألّفت خصوصاً لأن تكون كتب مدرسية في المدارس الثلاثة أو لطلاب المرحلتين الثانوي والجامعية، ومن تلك الكتب: (كتاب الطالب المبتدئ في تخريج الخط العربي) لمؤلفه بلقاسم بن سديرة، وهو تأليف في تعليم أنواع الخطوط، وأدبيات كتابة الرسائل، وكتاب آخر لعبدالقادر المجاوي بعنوان (إرشاد المتعلمين)، وقد جمع فيه أكثر

من علم ليكون مفيدا لطالب العلم كما قال، واشتهر عمر بن حسن بن بريهمات بمؤلفاته في القانون الفرنسي والفقہ الاسلامي باللغتين العربية والفرنسية.

16- من مميزات التأليف تطوّر الدراسات المعجمية، بانتشار القواميس العربية العامية-الفرنسية، ومن تأليف جزائريين، ومع مطلع القرن العشرين نشطت حركة إحياء التراث؛ فحقق محمد ابن أبي شنب مجموعة من المخطوطات مثل رحلة الورثيلاي سنة 1908، وفي نفس السنة كتاب البستان لابن مريم، وحقق عنوان الدراية للغبريني سنة 1910، ومن جهة أخرى نشطت حركة الطبع، فنشرت المطبعة الثعالبية-التي تأسست سنة 1895- مجموعة من كتب التراث في التفسير والفقہ والقراءات والمنطق والفلك والحساب وغيرها من العلوم.

17- اتجهت السياسة الاستعمارية نحو بناء المكاتب بعدما افرغت خزائن المخطوطات من محتوياتها، فتم أولاً استحداث المكتبة الوطنية 1835، وفروع لها في البلديات الكبرى والمقاطعات العسكرية، وكان الهدف منها خدمة المستوطنين وتوجيه الجزائريين فكريا حسب مضمون محتوياتها، وظهرت بعدها المكتبة الجامعية بداية الثمانينيات من القرن التاسع عشر مع ظهور المعاهد والمدارس العليا، وقد تطوّرت هذه المكتبة بعد صدور قرار انشاء جامعة الجزائر التي عقدت اتفاق مع جامعات عمالية، ومن نتائجه حصول المكتبة الجامعية على آلاف مذكرات التخرج في الطب والقانون والآداب.

18- تصدّر المشهد الثقافي في الجزائر خلال فترة 1880-1914 ثلاث تيارات فكرية هي: التيار المحافظ التقليدي الذي يسعى نحو الحفاظ على العادات والتقاليد، والتيار الاصلاحى الدينى والاجتماعى على يد عبدالقادر الجاوي وعبدالخليم بن سماية وابن الموهوب، وواصل منهج الاصلاح علماء تأثروا بالفكر الاصلاحى في العالم الاسلامى وصولا إلى الشيخ عبدالحميد بن باديس، وثالثا: التيار الاندماجى ويتشكل من النخب الفرنسة التي تعلمت في المدارس الفرنسية وكوّنت حركة الشبان الجزائريين ومن رواد هذا التيار أحمد وعمر بوضرية، واسماعيل حامد، وابن التوهامى، والشريف بن حبيلس صاحب كتاب الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي طبعه سنة 1913، وقد عرض فيه بالتفصيل وجهة نظر هذا التيار في إيجاد حلول مناسبة للمسألة الأهلية بالجزائر.

19- يمكن أن نرسم في الأخير صورة عامة عن الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر مرحلة (1880-1914)، والتي تمثلت في اتجاهين رئيسيين هما: أولهما الاتجاه الاسلامى وما يملكه من مؤسسات دينية ومنشآت ثقافية كالصحافة ومكتبات وخزائن للمخطوطات، وتيار حداثى استعمارى وما يملكه من مؤسسات تعليمية فرنسية، ومنشآت ثقافية كالمكتبات، وصحافة في خدمة السياسة الاستعمارية، ولهذا يمكن القول أن الجزائر كانت مخبر

لاحتكاك ثقافي بين ثقافتين مختلفتين في مختلف المستويات بنسب متفاوتة تحكم فيها تاريخ العلاقة بين الاستعمار والمجتمع الجزائري.

20- في الأخير؛ رغم ما قدمنا من جهودات للإحاطة بموضوع الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، يبقى هذا الموضوع مفتوح لمزيد من الدراسات للإجابة عن الإشكاليات المطروحة، خصوصا وأن كثير من المشكلات الثقافية التي ظهرت بعد 1914 ترجع جذورها إلى المرحلة التي خصصناها بالدراسة، والتي بلغت فيها السياسية الاستعمارية ذروتها. فما مدى تأثير الواقع الثقافي قبل 1914 في بلورة الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى؟ وهل الأزمة البربرية من الناحية الثقافية يمكن أن نرجعها إلى تأثير المخابر الكولونيالية بداية القرن العشرين؟ وتنشيط الدراسات البربرية لعزل الجزائر عن العالم الإسلامي في الوقت الذي انتشرت فيه أفكار الجامعة الإسلامية؟ وكيف أثرت سياسة التعليم المزدوجة في صناعة أزمة هوية وأزمة ثقافية بالجزائر حتى ما بعد الاستقلال؟

الملاحق

رسالة من الحاكم الفرنسي للصحراء إلى فقهاء توات وقورارة وتديكلت¹

بتاريخ: يوم 03 أوت 1905

الحمد لله وحده

من سعادة المعظم المحترم السيد الكولنيل لا فرين حاكم الصحراء وقصورها كافة غربا وشرقا من قرارة إلى توات إلى تيدكلت إلى كافة فقهاء توات وقرارة وتديكلت بعد السلام عليكم، فاستعجبنا غاية وتأسفنا حين لم تقدموا لدينا تلميذا من تلامذتكم للقدوم إلى مدينة تلمسان، فضننا أنكم قد خفتم من مقابلة بينهم وبين تلاميذ فقهاء الظهرة، فإن كان ذلك من غير الخوف فيمكن إن لم تفهموا معنى الخطاب الذي رسلتم به، فننتظر تلاميذكم بعد وفاء العام من التاريخ ونختار منهم ثلاثة على جميع أهل الوطن ونرسل إلى تلمسان وترون في ذلك مسألة مهمة وحين كاتبوكم السادات الحكام بتوات وقرارة وتديكلت عن إرسال بعض إلى مدرسة تلمسان فأخبروكم بالمنافع الدرامية التي قصدكم بها السيد الوالي العام بالولاية الجزائرية بل لم يتم بها السيد المذكور شأن الوالي فهأنا نفصله عليكم فحين فتحت الدولة الفخيمة نواحي الصحراء وحين تأملنا على أحوال الشرع في هذه النواحي اخترنا عدد أحد عشر فقيها من قرارة وثمانية من توات، وفقهين اثنين من تيدكلت فوافقناهم دون غيرهم في فصل النوازل الشرعية ولا نوافق آخر في المستقبل إلا أن قرأ بمدسة تلمسان، ومن يقرأ فيها فليتولى قاضيا ويعطى طابعا وأنت الذي فقيه مستفهم المنفعة التي يجدها أصحاب مدرسة تلمسان ولاسيما أولهم حيث يختص لهم النظر في النوازل الشرعية لهذا الوطن سوى نريد منهم أن يعدلوا لذلك المقصود الأدب والسياسة وإكمال العلم فيكذبون به من أدعى لدى السيد الوالي العام سابقا بقله علمهم وفقههم فائلا أن لا يوجد بهذه الناحية إلا المجادي في قراءة القرآن دون قراءة فقهية كمختصر خليل وغيره، حتى أراد السيد الوالي العام بعث قضاة من الناحية الظهرانية إلى توات إلا نحن استمهلناه في ذلك حتى نجد من نقره به تلمسان من خيار تلاميذ فقهاء توات مدعيا بحس عقلهم على تلاميذ الظهرة وأن يثبت منهم سواء فقهاء توات وفقهاء الظهرة وأنهم حائزين للوظائف الشرعية ولا يخيب أفراد أرباب الدولة الفخيمة حيث يلتبس منها طابعهم.

وأما تلاميذ الذين سنبعثهم العام القابل فظنيناهم يهنوننا في ذلك وكّرنا به في ظن فقهاء توات وقرارة وتيدكلت إن قلة وجود من يرغب القدوم إلى تلمسان وقلة اجتهاد من يقدم إليها في التعليم والقراءة يثبت من

¹ يوجد نسخة منها غير مفرسة بجزانة كوسام - أدرار .

ذلك تسييق تلاميذ الظهرة على تلاميذ توات ويتمكن منه تأخير فقهاء توات على الخدمة الشرعية وبعث فقهاء من الظهرة ليتولوا الوظائف الشرعية والطواع الدولية والسلام. من المكتوب بإذنه السيد المذكور أعلاه.

الملحق رقم 02:

مذكرة حول التدابير التي يطالب بها المسلمون الفرنسيون في الجزائر كتعويض عن التجنيد

العسكري².

إن الظروف التي تم فيها التجنيد العسكري بتاريخ 13 فيفري 1912، قد ولدت شعورا بالاستياء لدى كل الجزائريين، وهو شعور من شأنه أن يتطور إلى ما هو أخطر إن لم يتم توضيح الأمور جليا. إزاء هذا الوضع، رأى الأعوان الممضون أسفله، والذين هم الممثلون الأفاضل لجماهير من الأهالي، أن يتوجهوا إلى حكومة العاصمة لتوضيح الوضع المتمثل في شعور الأهالي بأن هذا الحمل الذي جاء يعضد أحمالا ثقيلة سابقة، لا بد أن يوازيه شيء من التخفيف عن كاهلهم. هؤلاء الممثلون، والذين استوحوا آراءهم من الطلبات الكتابية الكثيرة الصادرة من المقاطعات الثلاثة للجزائر، والمقتنعون بأنه على أبناء فرنسا أن يجيبوا نداءها دائما، هؤلاء السادة يعلنون أن أهالي الجزائر مستعدون تمام الاستعداد لأداء كل واجباتهم إزاء الوطن الأم. إلا أنهم يرون ضرورة ما يلي:

أ- تقليص مدة الخدمة الوطنية إلى سنتين مثلما هي حال المجندين الفرنسيين.
ب- الاستدعاء في سن 21 بدلا من 18 سنة لعدم استعداد الشباب البدني في تلك السن.
ت- إلغاء المنحة لأن العائلات ستكون فخورة بأبنائها وهم يخدمون في صفوف الجيش الفرنسي دون تعويض مالي.

ويطالبون - بالموازة - بالتعويضات الفعلية التالية:

- 1- إصلاح نظام العقوبات.
- 2- تمثيل جاد وكاف في المجالس هنا في الجزائر وكذلك في العاصمة.
- 3- المساواة في نظام الجباية والضرائب.
- 4- التوزيع العادل للموارد بين مختلف عناصر الشعب الجزائري.

² شريف (بن حبيلس)، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، المصدر السابق، ص: 151-157.

أولاً: نظام العقوبات الأهالي يخضعون في حالات الجنحات والجنایات لقانون استثنائي يبتعد كثيراً عن القانون العام، من ذلك أن وضعية "الأهلية" تستحدث قوانين خاصة وعقوبات خاصة لا يتم تطبيقها في المحاكم بل من قبل أعوان الإدارة فقط، وهذا خرق صريح لمبدأ الفصل بين السلطات.

من جهة أخرى يتم الاحتكام لمجالس الردع - كما تسمى - التي لا تحترم أي قاعدة من الإجراءات القانونية المعروفة.

لنذكر بأن هذه القوانين لا تعود إلى مرحلة الاحتياج وإنما تعود إلى تواريخ قريبة هي 1881 ثم 1903.

أحد أغرب الأشياء هو ما يسمى الحبس الإداري، وهو حبس لا يخضع لأي نص ولا يتركز على أية قاعدة قانونية رغم تطبيقه الشائع جداً؛ إذ يكفي أمر من الحاكم لكي يجتث الشخص من وسط عائلته وأعماله ليحبس دون شرح ولا دفاع ولا تفسير، فيوضع في حبس خاص لمدة غير محددة، وربما يتم ترحيله إلى مكان بعيد جداً عن بيته وعمله وإخضاعه لإقامة جبرية.

إن أهالي الجزائر يطالبون بتغيير جذري لهذا الوضع.

ثانياً: تمثيل الأهالي: هنالك هياكل في الجزائر يفترض للأهالي أن يكونوا ممثلين في صلبها، يمكن في المجالس البلدية مثلاً أن يكون لهم ربع المقاعد دون أن يتجاوز الحد الأقصى ستة مقاعد.

في المجالس العامة، عدد المقاعد لا يتغير أبداً ستة مقاعد.

في المندوبيات المالية، أن يكون العدد الإجمالي 69 عضواً يشمل الأهالي 21 مقعداً و 15 منتخبين، و 6 يعينهم الحاكم العام من العساكر.

في المجالس العام وأعضاؤه 59 عضواً، يوجد 7 أهالي، و 4 من صلب المندوبيات المالية و 3 يعينهم الحاكم العام من العساكر.

في المجلس العام وأعضاؤه 59 عضواً، يوجد 7 أهالي، 4 من صلب المندوبيات المالية و 3 يعينهم الحاكم العام من العساكر.

واضح جداً أنه لا تمثيل حاد أو مجد للأهالي في المجالس المحلية، عددهم المحدود يجعلهم في كل مكان دون فائدة وعاجزين عن لعب دور التمثيل الحقيقي.

ثم إنهم لا ينتخبون لا شيخ بلدية ولا نائب له، ولا يلعبون في النهاية أي دور في التوجيه الإداري للبلدية.

أما تعيينهم فيخضع لهيئة محدودة جداً تمنع كل هامش للحرية، إن الهيئة الانتخابية تحوي:

1- بالنسبة للمجلس المحلية: الموظفين، المتقاعدين، الملاك، المزارعين، حاملي الوسام الشرفي، أو الميدالية التذكارية، ويستبعد التجار، الصناع الذين يشغلون المهن الحرة: المحامون، الأطباء، وأرباب التجارة ليسوا ناخبين.

2- بالنسبة للمجالس العامة لا تشكل الهيئة من: المنتمون إلى المجالس المحلية من الأهالي والأعوان الأهالي، وسبب تبعيتهم للإدارة "الولاية" وبسبب كونهم يشكلون الأغلبية دائما، فإن المنتخب هو دائما منتخب الإدارة، وهذا ما يجعل تمثيلهم صوريا لا معنى له، فهم لا يمثلون إلا الإدارة التي يشتغلون تحت إمرتها، تلك هي حال تمثيل الأهالي.

لهذا فالأهالي يطالبون بما يلي :

- 1- توسيع الهيئة الانتخابية لضمان تمثيل فعلي ونزيه أثناء الانتخاب.
- 2- رفع عدد الممثلين الأهالي في كل المجالس إلى خمسي المقاعد على الأقل.
- 3- توحيد تشكيل الهيئة الانتخابية بالشكل نفسه في الجزائر كلها، فإذا تم اللجوء إلى دورة انتخابية ثانية لتعيين أعضاء المجالس العامة والمندوبين الماليين، يجب ألا يكون الحق في الانتخاب متاحا سوى للمنتخبين المحليين باستثناء العوان الأهالي.
- 4- أن يحق للمنتخبين المحليين أن يشاركوا في انتخاب شيخ البلدية ونوابه.
- 5- إبعاد إمكانية الانتخاب عن وظائف مثل "القايد" و العون الاهلي.
- 6- تمثيل الأهالي في البرلمان الفرنسي، أو استحداث هيئة عليا في باريس يتم تمثيل مسلمي الجزائر فيها من قبل منتخبين يتم انتخابهم من قبل الأهالي أنفسهم.
- 7- أن يسمح لمن أدى الخدمة الوطنية أن يحصل على درجة مواطن فرنسي بطلب بسيط ودون إخضاعه للشكليات المعقدة المنتشرة حاليا.

ثالثا: توزيع الضرائب

لا بد من تصحيح المنظومة كليا مع الارتكاز على مبدأ المساواة في توزيع الأتعاب.

رابعا: توزيع الموارد المائية

إن المستعمرة الفرنسية هي الوحيدة المستولية على الموارد المالية بفضل التمثيل الحقيقي الذي تحضى به وفي حين يتمتع العنصر الأوروبي بخيرات هذه الأرض، تجد الحاجات الأكثر إلحاحا للأهالي عسرا كبيرا لكي تقضى.

ونرى جليا كيف أنه يتم تبديد أموال كبيرة في بلديات كثيرة على أمور ومشاريع لا فائدة ترحى منها، في حين لا يحظى الجزائري سوى بالأعمال الشاقة.

إنه لوضع مغيظ إذا ما فكرنا جيدا فأرأينا أن أغلب الموارد مصدرها الضرائب التي يدفعها الأهالي، ولهذا يوضع أمل كبير على خلق تمثيل حقيقي للأهالي في أجهزة الدولة للعمل على تصحيح الوضعيات. هذه المطالب التي يقدمها ممثلوا الأهالي وكلهم ثقة في عدالة الحكومة والجمهورية والتي نعلم أنها لن تدخر جهدا لخدمة الصالح العام، الفرنسي والجزائري معا.

الملحق رقم 03:

عريضة ضد التجنس ومن أجل الدفاع عن حقوق القضاء الإسلامي³

قسنطينة في 10 جويلية 1887

الحمد لله

إلى السادة أعضاء مجلس الشيوخ

إلى السادة أعضاء البرلمان باريس

سادتنا:

نحن الموقعون أسفله، مسلمو سكان الجزائر، قد تطرق إلى علمنا مشروع القانون الذي قدمه السيدان ميشلان وقوتيي، والذي يهدف إلى إدماج المسلمين جملة في الأمة الفرنسية عن طريق ما يسمى بالتجنس. كما علمنا كذلك، أن هذا المشروع لقي قبولا حسنا من طرف عدد كبير من أعضاء جمعيتكم (البرلمان) المحترمة، وكذلك من طرف محرري الصحف الباريسية وشخصيات أخرى التي تسعى دائما لتحسين الوضعية الاجتماعية لشعب الأهالي المسلمين، وترغب في أن تراه على قدم المساواة مع الأمة الفرنسية بخصوص التمتع بالحقوق السياسية والوصول إلى أعلى الدرجات في سلم المعارف الانسانية، عن طريق الدراسة ونشر التعليم، وفي النهاية لغرض تحقيق تقدمه المستمر في طريق التقدم والادماج .

هذه هي أهداف نواياكم النبيلة وعطفكم . وإنه لمن الواجب علينا أن نشكر سيادتكم الموقرة على ذلك وأن نبجل قدر المستطاع مشاعركم الكريمة غير أن هذا الاقتراح لا يلائمنا ولا يستجيب لرغباتنا من وجهة نظر الواجبات التي ستترتب عليها بالمقارنة بالحقوق والامتيازات التي سنحصل عليها، كما سنوضح لكم ذلك.

وجهة النظر الأولى :

³ المصدر: جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص: 197-205.

إن الدخول في الجنسية الفرنسية ستكون آثاره بالنسبة لنا هو الإلغاء الكامل لقوانيننا ونظمنا، سواء فيما يتعلق بالمسائل المادية (العقارات والأموال) أو بالأحوال الشخصية، والحال أن الكل يعلم أن القانون (الشرعية) عندنا هي أساس الدين وأنه غير مسموح لنا الخروج هذه الطريق السوي، أما الاجراء الاحتياطي الذي اقترحه السيدان ميشلان وقوتيي والذي يرمي إلى المحافظة على بعض المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية فهو إجراء غير كاف ولا يمكن أن تكون له أية نتيجة عملية.

وبالفعل، فالمسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية، عندنا هي مسائل معقدة جدا وتبرز تحت أشكال مختلفة، ويتطلب البث فيها إصدار أحكام تستند على الفقه الإسلامي من طرف القاضي الطبيعي المكلف بتنفيذها ونعني بذلك القاضي الاسلامي وليست هناك حاجة تدعو إلى التوضيح بأن هذه الأحكام ستختفي في نفس الوقت كما تختفي الشرعية نفسها بحكم الدمج داخل الأمة الفرنسية. وبالتحديد، فإن أعز ما نرغب فيه والذي نتشبه فيه أكثر من اي شيء آخر هو المحافظة على شريعتنا، فإخضاعنا بالجملة وبدون قيود للجنسية الفرنسية سيجرنا إلى ترك تقاليدنا مما سينجم عنه اضطراب في عوائدنا. ذلك أنه يوجد في القوانين الفرنسية ترتيبات تتعارض وتتناقض تناقضا مباشرا مع شرائعنا وحتى مع روح المعتقدات الإسلامية نفسها.

وجهة نظر ثانية:

إن الحقوق التي ستمنح للمسلمين ستكون من نوعين مختلفين:

1- الحق في الوظائف والمناصب من كل نوع .

2- المساواة التامة مع الفرنسيين في الحقوق السياسية وأمام القوانين الانتخابية .

وبناء على هذا، فالشيء الذي لا يقبل الجدل هو أنه لكي يعين المسلمون في وظائف يجب ان يستوفوا الشروط المطلوبة بخصوص الكفاءة والاستعداد، وهذا يتطلب مسبقا التوفر على مؤهلات جامعية والحصول على قدر كاف من العلم والمعارف الضرورية لشغل هذه الوظائف وهو الشيء الذي ينقصهم بالضبط ، انعدام الكفاءة وغياب المؤهلات المتخصصة. أما فيما يتعلق بممارسة الحقوق الانتخابية بكيفية سليمة ولمصلحتهم فهذا لن يتسنى دون جلب اللوم عليهم - إلا إذا توفر فيهم الشروط الآتية:

العلم والحرية والاستقلال

وللأسف فمسلمو الجزائر متخلفون من زاوية التعليم والتمدن الفرنسي فالأغلبية منهم بمعنى سكان الريف هم اميون تماما قابعين في جهالة مطلقة ولا يسترشدون إلا بنزوات قادتهم ورؤساؤهم الذين يخافون منهم غريزيا خوفا شديدا وفي ظل هذه الظروف فإن هؤلاء السكان ليسوا مستعدين وغير قادرين على استخدام

الحقوق الانتخابية استخدام جيد فالواقع المنحط الذي هم عليه لا يسمح لهم بالاستفادة من هذه الامتيازات بالتمتع بالمنافع التي يمنحها التجنس وعلى ذلك فالهدف المتوخى منها لن يتحقق.

وهكذا فإن أول اجراء يستوجب اتخاذه هو اعتماد طريقة تهدف إلى تبديد ظلام الجهالة عن طريق إنشاء المدارس ونشر التعليم وتوفيره للأهالي الصغار الذين سيتم إعدادهم بهذه الطريقة لاستقبال الاصلاحات النافعة التي ستؤدي الى التمدن وإلى الاندماج لانهل يمكن الحصول على نتائج في هذا المضمار غلا بالتدرج ونتيجة لكل هذه الملاحظات ومن أجل ابعاد كل لبس في أذهان سيادتكم فإننا أخذنا المبادرة بعرض هذه البراهين عليكم والمطالبة في هذا المكتوب في نفس الوقت بأسمائنا نحن هيئة أهالي الجزائر المسلمين بأن الشيء الوحيد الذي يلائمنا هو المحافظة على وضعنا الاجتماعي وعلى تشريعاتنا المدنية منها والدينية وعلى كل الامور التي ما انفكت الحكومة الفرنسية تحميها منذ أكثر من خمسين سنة وهي بعملها هكذا كانت تسترشد بروح واهتمام سياسي عالي وكذلك من اجل احترام ما نصت عليه معاهدة استسلام الجزائر عام 1830 وهو الوقت الذي دخل فيه بلدنا تحت حكم فرنسا .

ونحن واثقون بان الحكومة الفرنسية المتشعبة بروح العدالة المبنية على الحرية سوف لن تفرط على رعاياها اجراء اعلى هذه الدرجة من الخطورة بدون ان يسبق ذلك طلب صريح منهم بهذا الشأن خاصة وإن الباب مفتوح حسب القوانين الجارية أمام كل احد يرغب في الاستفادة من التجنس وفق مبادرات حرة نابعة من اختياره.

وبعد هذا فإننا نعتقد أنه من واجبا اخطاركم بأن هناك مسائل هامة تتعلق بتحسين ظروف حياة المسلمين وتطوير العلاقات الودية بينهم وبين مواطنيهم من الفرنسيين تستحق البحث والدراسة الجادة كنوع من الاجراءات التمهيدية لاندماج الجنسين في المستقبل تورد منها :

1- تنظيم المدارس العربية ودراسة طرق والوسائل لجعلها في متناول كل المسلمين.

2- منح الاهالي الاعضاء في المجلس البلدي والمجالس العامة نفس الحقوق التي للأعضاء الفرنسيين ، في مهامهم الحالية بدون اي قيد، بمعنى إلغاء التمييز الموجود حاليا فيما يتعلق بانتخاب شيوخ البلدية ونوابهم في المجلس البلدي وكذلك فيما يتعلق في حق الانتداب في المجالس العامة إلى المجلس الأعلى فب الجزائر - حيث لا يوجد لنا أي تمثيل فيها للدفاع عن حقوقنا وبعبارة واحدنا المساواة التامة بين أعضاء الهيئات الانتخابية على أي مستوى كان.

3- اتخاذ اجراءات لوقف الضرر الذي نعاني منه من جراء التنظيم الجديد للقضاء الإسلامي الناجم عن مرسوم 10 سبتمبر 1886.

4- قيام الحكومة باتخاذ اجراء يسمح للعمليات الجزائرية بان يكون لها نواب مسلمون منتخبون بواسطة اقتراع مضيق من طرف أبناء ملتهم بشروط يتم تحديدها وسيكلف هؤلاء النواب بتمثيلهم في البرلمان والذين يمكن اختيارهم من العرب أو من الفرنسيين وبهذه الكيفية يوضع حد لعملية حرمان السكان الذين يتجاوز عددهم ثلاثة ملايين نسمة من عدم وجود وسيط - الذي هو في اشد الحاجة إليه - بينا وبين الحكومة الفرنسية للدفاع عن حقوقنا ويشرح لكم كل المسائل التي تكون لنا فيها مصلحة أو يكون من شأنها إلحاق الضرر بنا. أما بخصوص الممثلين الحاليين لكل الجزائر فإنهم انتخبوا من طرف العنصر الفرنسي وحده فهم لا يستطيعون الدفاع عن حقوقنا بالاستقلالية المطلوبة خاصة عندما تكون هاته الحقوق تتعارض (أو تبدو كذلك) مع مصالح موكلهم . انه لمن المبادئ المرعية أن مندوب واحد لا يحق له التصرف، انطلاق من تفويض من طرف واحد في مسألة تتعارض فيها مصلحة الطرفين ومن هذا القبيل تندرج المسائل التي لها علاقة بالنظم الضريبية والرسوم المختلفة الجارية في العمليات الجزائرية فالاصطلاحات المطلوبة في هذا المجال يجب ان تستند على مبادئ العدل والانصاف في توزيع الاعباء الذي يحفظ حقوق الدولة بدون أن يلحق أي ضرر كان بمصالح الممولين .

كما أن مسألة تكوين الملكية والاصطلاحات التي تتضمنها تحتاج هي كذلك إلى دراسات . وباختصار، هذه المسائل وقضايا أخرى كذلك التي تختص بها الجزائر والتي سيكون من الإملال القيام بتعدادها تستحق اهتمامكم وتتطلب دراسات جديدة من طرف سيادتكم.

ولأجل هذه حضرات السادة أعضاء البرلمان فإننا نترجاكم ان تقوموا بتعيين لجنة مختارة من بينكم تكلف بالقيام بجولة في العمليات الجزائرية لإجراء تحريات واسعة للتعرف على وضعية الامور وسماع مقترحاتنا وبحث مطالبنا بهذه الطريقة ستتعرفون على حقيقة الامور بشكل دقيق وستظهر لكم الحالة كما هي بدون غطاء وستدركون كما ستدرك الحكومة من جهتها أين يكمن طريق العدل والإنصاف عند تطبيق القوانين التي تخصنا واعداد الاصلاحات المتعلقة بنا. ونحن من جهتنا سنتمكن بهذه الطريقة من وضع حد للأضرار التي تعاني منها وخاصة تلك الاضرار الناجمة عن تطبيق المرسوم المتعلق بالقضاء الاسلامي الصادر في 10 سبتمبر 1886.

وبالفعل ، منذ بدانا تطبيق هذا المرسوم، على الرغم بكوننا مقتنعين منذ البداية بكونه يتعارض مع كل ما كنا نامل فيه ومع ذلك فإننا لم نرفع أي شكوى ضده ذلك أننا كنا نرى لأنه بعد وقت وجيز من بدا تنفيذه فأن السلطات القضائية ستبين هي بنفسها الأضرار المترتبة على تطبيقه، وهي الاضرار التي يقع عبؤها على المسلمين وأن هذه السلطات ستأكد بكون هذا المرسوم سيئا من جميع جوانبه.

هناك حادث يبرهن لكم على أنه هذا المرسوم مضر بالأهالي في المناطق الجزائرية وهو أنه أثناء زيارة السادة الوزراء صحبة الوالي العام خلال شهر أفريل المنصرم، فإن عدد كبير من الممثلين أعضاء الهيئات الانتخابية وكذلك اشخاص كثيرين من المقاطعات الثلاثة أدركوا أن من واجبهم أن يضعوا بين أيديهم (الوزراء والوالي العام) شكاوي يث فيها مأخذهم على هذا المرسوم، منها النقاط الرئيسية الآتية :

1- الشعور بالغبن والذل بتطبيق هذا القانون الذي يرمي إلى إبطال الشريعة الإسلامية في عناصرها الأساسية بتجريد قضائها الطبيعيين من الحق في الفصل في القضايا التي ليست لها علاقة بالأحوال الشخصية ، القضايا المدنية الممتلكات والعقارات وتحويل هذا الحق إلى القضاة المدنيين.

2- التأخير والتسويفات التي يعانون منها قبل الفصل في قضاياهم من طرف القضاة المدنيين بسبب قلة عدد هؤلاء من جهة ولأنهم لا يعقدون جلساتهم إلا مرة واحدة في الأسبوع ولمعالجة شؤون أخرى كذلك من جهة أخرى لقد نجم عنها أن كثير من الناس يمسكون عن تقديم شكاواهم مفضلين التخلي عن مصالحهم وهذه الحالات تظهر على الخصوص في النزاعات التي تستوجب البث السريع ، مثل تلك التي تحدث في الاسواق فالناس يضطرون إلى التخلي عن حقوقهم تجنباً للتأخيرات والمصاريف .

وبالفعل فإن معظم النزعات التي تحدث بين المسلمين هي حول أمور قليلة الأهمية ومحدودة القيمة وإذا قمنا بخصر عدد الأحكام التي صدرت من طرف القضاة المدنيين والتي تخص المسلمين في هذه الفترة وقارناها بعدد الأحكام التي أصدرها القضاة (المسلمين) لنفس الفترة فإننا سنلاحظ أن مصالح الناس النقدية أصبحت مهددة بالخطر والشكاوى التي يرفعونها لاستخلاص حقوقهم هي في تناقص مستمر.

3- مصاريف القضاء التي تثقل كاهل الناس كثيرا . وبما أن شكاواهم كثيرة ومعظمها تتعلق بأمر ليست بذات أهمية والتي كانت في الماضي يث فيها القاضي بدون أي مصاريف فإنه سيكون من العدل المعاملات التجارية والعقارية وكل الأمور الأخرى من صلاحيات القاضي وهذا من أجل مصلحة المتقاضين أنفسهم ولغرض تيسير الحلول وتخفيض النفقات وبعبارة أخرى من أجل التسهيل والسرعة في البث والاقتصاد .

فالسادة الوزراء قد وعدونا بأنهم سوف لن يهملوا مطالبنا بل على العكس فإنهم سيهتمون بها وسيعملون على رفع الأضرار التي نعاني منها .

إننا سنجدد اليوم امامكم مطالبنا ونترجى سيادتكم السامية ومن الحكومة أن تنظر إلينا بعين الرحمة والشفقة اننا نتوسل إليكم تأجيل التطبيق مرسوم 10 سبتمبر 1886 ، واعادة العمل بالقضاء الاسلامي بنفس الشروط التي كان يعمل فيها في السابق بمعنى حسب ترتيبات مرسوم شهر ديسمبر 1886 . وإذا ما

تعذر إلغاء المرسوم المشار اليه إلغاء تام فلنراجع تفاصيله من اجل وضع حد للمقايضات التي نعاني منها من جراء تطبيقه .

ونطلب أولا: بأن للمتقاضين الحق في اختيار الجهة القضائية التي يوكل إليها الفضل في نزاعاتها القاضي (الشرعي) أو القاضي الفرنسي إذا ما اتفقوا على ذلك، أما إذا اختلفوا فإن المدعي هو الذي يكون له الحق في الاختيار وهذا الأجراء يتماشى مع مبدأ الحرية التي يجب أن يتمتع بها كل واحد، ومع مبادئ القانون ، وبالفعل فإن أحد لا يجهل بان قبول الطرفين لأية جهة قضائية أو لأي تحكيم مع الصلاحيات الغير محدودة، فإن هذا لا يتعارض مع القواعد الشرعية.

كما نطلب أيضا بأن الفصل في النزاعات التي تحدث حول امور تتراوح قيمتها ما بين خمسة إلى مائة فرنك تبقى من صلاحيات القاضي (الشرعي) لغرض تخفيض المصاريف بقدر المستطاع ومن أجل سرعة البث، خاصة بالنسبة للمسائل التي تستوجب البث فيها بسرعة كتلك التي تحدث بين الناس في السوق وقد جاؤوا من بعيد من أجلها ويتحتم عليهم العودة مباشرة في نفس اليوم بعد إغلاق السوق.

2- نطلب كذلك بأن يبقى الفصل في النزاعات التي تخص شؤون الزراعة من صلاحيات القاضي وهي قضايا يتطلب الفصل فيها عادة الاعتماد على الأعراف والتقاليد والتي هي تختلف من جهة إلى أخرى حسب الأماكن والعادات في مختلف المناطق الجزائرية ويمكن أن نقارن هذه الأعراف بمجالس البريدوم ، والتي هي محاكم خاصة عند الفرنسيين والتي تخرج أحكامها في بعض الأحيان عن قواعد القانون.

هذا هو العرض لرغباتنا وشكاويتنا التي نتقدم بها إلى كرم سيادتكم، واثقين من انكم ستقبلونها وستقومون باتخاذ اجراءات لتحسين حالنا وابعاد الأضرار التي نعاني منها عنا . وإننا سنكون معترفين لكم وإلى الابد بالجميل، وندعو الله أن يجعل حكومة فرنسا المحيطة دائما قوية منتصرة وموفقة .

جواب

من الفايد يحيى شريف احمد بن سليمان

كونسيلي جنيرال بعمالة فسنطينة

صاحب نيشان الحرمة

الساكن بفصر الطير حكم سطيو

اجاب به راييس الكمسيون بباريس

عن المسئلة الجزائرية



١٨٩١

* سطيو * مطبعة روكت *

الحمد لله و حدة
عدد ١٣١٧ في ٢٨ جولييت سنة ١٨٩١

الى حضرة المعظم الاربع سعادة السيد ريس
اعضا المجلس الاعلى بباريس بعد اهدا اشرف
السلام عليكم كما يليف بربيع مقامكم انه قد ورد
علينا كتابكم السامي المورخ ٢٥ ماي سنة ١٨٩١
يتضمن عدة مسائل في جانب المسلمين سكان
القطر الجزائري تلتبسون الجواب مني اليكم عنها
وهي مبنية على خمسة اصول وبالغصل الاول يتضمن
شان ترتيب التملك والاحوال النسبية المقرر لها
الفوانين المورخة سنة ١٨٦٣ و سنة ١٨٧٣ و سنة ١٨٨٧
وما نقول في نتائجها والشروط الواجبة في نزع
الاملاك من اربابها على مفتضى الفوانين
المورخة من سنة ١٨٥١ الى سنة ١٨٥٩ و فانون التمييز
بالاسما النسبية المورخ ٢٣ مارس سنة ١٨٨٢ والسلف
بالزيادة بين العرب وما يظهر في شان البانكة
ما علم ايها الحضرة السنية ان فواتين التملك
المذكورة لم يعد العمل بها الا بالضرر على المسلمين
اذ لا فتدا بها اتلج لهم اراضيهم من ايديهم

وجلب لهم خساير و اعمال شافعة كابدوها مع
كميصارات التملك والجميظراوات المكسجين
بالتحديد من سنة ١٨٦٣ الى الان ما نتجت بايدة
من ذلك ولا شاهدناها * وكذا الاراضي
المنزوعة من اربابها ولقد شاهدنا ثلاثة اعراش
من اقرب جهة الينافد خرجت جميع اراضيهم من
ايديهم ولم يبق لبعضهم الا اقل الفليل الاول
عرش مجانته حكم برج بو عريريج والشاني عرش
عامر دايرة سطيح والثالث عرش ريغة كهون ريغة
المتزجة ولما كان عرش ريغة هذا هو وطني ومسقط
راسي بها انا اوضح لمعاليكم حاله من جانب
اراضي مما ضاع منها وما بقي للاهالي وذلك
ان جملة ترابه ١٦٨٣١٥ هكتارا يدخل من ذلك في
حيازة الدوميين ٦٠٠٠٠ هكتار غيب و ٤٠٠٧١ هكتارا
من جانب الخمس والشفاف الخصوصي المضروب
به الوطن بسبب فتنة سنة ١٨٧١ و ٣٠٠٠ هكتارا
اراضي مخزن و ١٥٠٠ هكتارا سباخ ملح بالجملة
الصايرة في حيازة الدوميين ١٠٤٥٧١ هكتارا واخذ
من الباقي للكمينال ٣٠٥٤١ هكتارا بتصوير مع

ما قبلها ١٣٥١١٢ هيكتارا بكلها كانت للهاالي
يتصرفون فيها فلما ردت ايديهم عنها لم يبق لهم
بعدها الا ٣٣٢٠٣ هيكتارا ويوجد في هذا الوطن نحو
ستة الاف بيتا تشتمل على نحو ستة و ثلاثين
البر نعبس من السكان فاذا وزعت عليهم بغير
الشراب الخالص لهم على حسب البيوت
او النفوس فلا يتحصل للواحد منهم الا اقل من هيكتار
واحد فهل ترى اذا جاء كميصار التملك لتملك
سكان هذا الوطن كيف يتمكن له ان يقسم هذا
النصيب اليسير على الوف من النفوس التي صارت
بسبب ما نزع منها الى ضيف كبير حتى اداهم
ذلك الى السحرث بالنصب من الغلل مع الالتزام
لصاحب الارض بشرط ادا الغرامة كلها على السحرث
ومنهم من يكتري الارض بالقيمة الغالية التي
تضاهي قيمة الشرا جزا ادهم ذلك ضيفا على ضيف
ولا لهم مهرب من ذلك فهذا مما هو طار عندنا
ولا شك ان في مواطن اخرى يوجد ما هو اشد
منا ضيفا

و اما التمييز بالاسما النسبية الصادر فانونها في
٢٣ مارس سنة ١٨٨٢ جليست لايفة للمسلمين جميعا
ولا هي في دينهم بل هي غير مفبولة لديهم و
مارضى بها من رضى منهم الا فها و غلبة اذ يعلمون
انه لا جايدة لهم في التسمية بها و انه اتجر الى فساد
دينهم الذي هو اس مالهم * و اما السلف بين
العرب بالزيادة جهوري و حرام في شرعنا و كذلك
البانكة لفرنسوية و انها ما خالطها المسلمون الا
بسبب الاحتياج اللاحق بهم مع انهم ياخذونها
هنا الماية فرنك بزيادة ثلاثين او اكثر في العام
و بلغنا انها في فرنسة توجد الماية فرنك بزيادة
اقل من فرنكين في العام بساغ للمحتاج اليها
ارتكاب اخو الضررين وهو التسلف من بانكة
مثل فرانسة احسن

و الفصل الثاني مانقول في الانعام بالاراضى
على الفرنسويين او الاجنبيين و بيعها منهم و كذا
انتفالهم من برهم الى الوطن الجزايري و دخول
الاجنبيين في الجنس الفرنسوي بالاجواب عن
ذلك ان الانعام من الدولة بالاراضى الدومينيية

على الفرنسيين او الاجنبيين الذين في طاعتهم
حسن لكن نرغب ان يكون مثلهم المسلم المحتاج
للارض في الانعام عليه وكما يباح لهم بيعها وكذلك
يباح للمسلمين ولا يحرمون منها لانها كانت
بلادهم اولادهم اولي بها من الاجنبيين اعطا او بيعا
لتكون التسوية في الحقوق بين الجميع

والفصل الثالث مانقول في غرامة العرب وما
يليف لها من التغيير وكذا غرامة القبائل و غرامة
الفرنسيين الجزائريين هل ينبغي ان تكون كما في
فرنسة ام لا * وفي شان السخرة وارضى الدوميين
وبيعها والغيب وتحديداتها وصيانتها والانتفاع
بالمياه وطرق الحديد والمراسي ما هو اولي
للدولة ان تعامل به اهالي بعض الدائرات
المحتاجين للاعانة والمكوس والطرف وخدمتها

بالجواب عن ذلك هو ان المغارم الواجبة على
العرب شاهدناها ثقيلة عليهم حيث كانت متنوعة
ومع ذلك فلا تخلو من زيادة المتولين عليهم في
موجباتها واذا عارضناهم في ذلك احتجوا علينا

بالفانون بما يلزمنا حينئذ الا السكوت و الصبر
و كذلك المكوس في ضررها فينبغي للدولة ان
تتدارك ذلك بما يتمكن لها من تخفيف
المغرم والمكوس عن الامة * واما اراضي الدوميين
فينبغي ان يباح بيعها لكل طالب سوا كان فرنسويا
او عربيا او اجنبيا كما تقدم فريبا * كما ان معاملة
الدولة للمحتاجين من اهالي الدايرات مسلمين
كانوا او نصارى وانعامها عليهم بما تنجبر به
احوالهم من الدراهم او اراضي الدوميين بهو من
عدلها واحسانها فينبغي لها ان لا تنسى التفضل و
الامتنان عليهم * واما ما عدا هذه المسائل
المذكورة في هذا الفصل بالظاهر ان يبقى كل شئ
على حاله المعلوم به

والبصل الرابع السؤال عن تعليم العربيه
والفرنساوية وما نتج منه وما ينبغي له على حسب
فانون سنة ١٨١٣ وتعليم الطب للعرب و الفبايل
و الشريعة الاسلامية و الفرنساوية من فضاة
و جوجوات و الشرع الجارى بوطن الفبايل

والتراجم وما يجب في محاكم الجرائم المعبر عنها
بلاكورد اسيزو الاعوان و جلب العافية و الفنانون
المعروف بلاند يجينة و ترتيب البلدة المترجة و ضمان
الاهالي المشترك و دخول العرب و الفبايل في
الجنسية الفرنسية و ما يتحصل من العبايدة ان
ادخلوا في سلك الجند العسكري

بالجواب عن ذلك هوان التعليم للفرانسيسية
و العربية مما يجب الاعتناء به و الاجتهاد في تحصيله
و غاية فصدنا تكثير المدارس و كل مدرسة يكون
فيها معلمان احدهما لتعليم التلا مذة اللغة الفرنسية
و ما يتعلق بها و الاخر يعلمهم الفراء ان العظيم
واحكام دينهم من صلاة و صيام و غيرهما كي يكونوا
محاظين على ما فرضه الله على كل مكلف و اما
الافتصار على تعليم اللغة الفرنسية خاصة فلا ينتج
منه الا نسيان دينهم و جهلهم بمعالمه و في ذلك
ضرر عليهم لا يخفى على كل عاقل فكان من
الواجب اصلاح دينهم و دنياهم * و اما تعليم الطب
فهو من اهم الامور و يحق للمسلمين الاعتناء

بمعرفة * واما الشريعة الا سلامية و الفرنساوية
و فضا تهما فلا يخفى ان ضدين لا يجتمعان فان
الشريعة الا سلامية مبنية على الفرا ان العظيم
والحديث النبوي فلم تنزل ثابتة الاصل لا فيها
زيادة ولا نقصان و من خالفها فقد حاد عن سوا
السييل و فضائنا يحكمون بها و يعصلون النوازل
بين الخصما في الزمن الفصير ولا ياحق الخصما
كثير من المصروف في جميع الاشيا تاجهة كانت
او ذات بال * و الشريعة الفرنساوية بخلاف ذلك
لانها مبنية على الفوائين و الفوائين حادثة و مختلفة
بحسب اغراض المولعين لها بنظرهم لما يناسب
الفرنساويين في برانسة و حكام الصلح يحكمون
بين المسلمين بها بلا تعديل ولا تجريح ولا تزكية
وانما اذا اتاهم الخصم بشاهدين ولو كانا جاسفين
غير عدلين فيحلفهما و يفيل شهاد تهما و يحكم
بها على الاخر على ما شاهدنا فلم يمكن الجمع
بينها و بين شريعتنا و بذلك لم ينتج من العمل
بها الا الضرر للمسلمين في دنياهم و دينهم فاما في

دنياهم فلما يعرض للخصم من كثرة المصاريب ولو
في حجة تافهة و التتويل بعصل النوازل حتى
يحصل الملال من ذلك ويسلم صاحب الحق
في حقه * واما في الدين بما لحكم بغير ما انزل
الله في كتابنا * بما مطلوب من الدولة ان ترد شريعتنا
الى اصلها فيصير لها مطلق النظر في جميع الاشيا
الذاتية و المالية * كما ان الشريعة الفرنساوية لها
الحكم في الجرائم من قتل و سرايق و جراحات
و جميع انواع الجنائيات و التشديد بعقاب الظلام
و البغاة لتفتر العافية و الهنا في المواطن كلها * واما
الشرع الجارى بوطن الفبايل فلا يلقى بهم لان
لفظ الاسلام يشمل العرب و الفبايل و شريعة
المسلمين متحدة فلا محيد لهم عنها * واما
المترحمون فيحق اعدادهم بما في الامكان اكثر
مما هم عليه اليوم لانهم الواسطة بين الفرنساويين
و المسلمين لا كن يشترط فيهم ان يكونوا من البلغا
في اللغتين نظفا و كتابة سوا كانوا فرنسويين
لو مسلمين او اسراييليين و من كان غير بليغ فلا ينال

ذلك لا نذا شاهدنا بعض التراجم فاصرين عن
الاستيعاب بما يلقى عليهم من الجانيين و يترجمون
على غير صواب فيحصل من ذلك التخليط للحكام
و تصير ترجمتهم سببا باعنا لضيع الحقوق * واما
محاكم الجرائم و الا عوان و لا نديجينة و ترتيب
البلدة المترجة فليس لي كلام فيهم و انما لكم الاجتهاد
فيها تستقيم به شونهم * واما جلب العافية بلا يتم
الا بفهر الظلام و المتهمدين و التشديد في عفا بهم
و لا يفهرهم الا التعويض للحكم المخزني في امورهم
الرديية * و كذا الحكم الشرعي لا يجعلتهم كما كان
عليه الامرا و لا * لان في هذا الوقت فدا نحل
الحكم باتساع الحرية و كثر الظلام و المعتدون
و صاروا يتجراون على من هو اضعى منهم
فينهبونه و شاهدناهم احضروا امام حكام الصلح
المنتهى اليهم امرهم باطلفوا سالمين بلا عفا بكيو
لا يعودون الى ارتكاب ما كانوا يفعلون * واما
الضمان المشترك و لان ريدوه اذ جيهه ظلم من كان
بريا من الذنب و الله يقول من يعمل سوا اي جز به

* واما الدخول في الجنسية الفرنسية فهو امر
عظيم علينا لانه الخروج من ديننا وشريعتنا وتبدل
يلهما علينا ودخول المسلم في غير دينه كجرو نحن
لا نرضوا به ولا نقبلوه و غاية فصدنا ان المسلم يبغى
مسلمنا و الفرنسية فرنساويا من غير تحويل احد
عن ملته بلكم دينكم و لنا ديننا * واما ايجاب
ادخال المسلمين في الخدمة العسكرية و الزامهم
بها مثل الفرنسية كذلك لا نرضوا به لما فيه من
الاضرار العائدة عليهم من ترك دينهم الواجب
عليهم التحفظ به و تضییع جوايدهم و مصالحهم و خد
متهم على عوايلهم * واما من جاكم مختارا
الدخول في العسكرية كالعادة فهو في اختياره
و نرضوا به

و الفصل الخامس مانقول في ترتيب الامور
المخزنية مما يجب على الوالى العام و عمال
العمالات و تعيين امورهم و تنظيم الوطن الجزائرى
ايحق ان يكون كما فرنسة ام لا وهل يلىف اتخاذ
وزير للاهالى الجزائرية على مفتضى الا و امر

البارزة ما بين سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٦٠ وما يتعيس
فيمن يكون منتخبا من المسلمين لان يكون عضوا
في اي مجلس كان هل الا ليق ان يكون مختارا
من جانب الدولة او بالفرعة وهل ينبغي للعرب ان
يدخلوا مع الفرنسيين في التفريع على من يكون
اولى للولاية في الفامرتين وهل يحتاج للعرب ان
يكون منهم اعضا بكمسيون الكونسييل الاعلى
بالجزاير وما يليف له من تغيير او تبديل وهل يجب
ان يفي العمل جاريا على مفتضى الاوامر والفوانين
الحجارية او يصير جرياتها كما في فرانسة

بالجواب عن ذلك ان كل ما تقدم ذكره في
هذا الفصل ينبغي ان يفي كل شى على حاله دون
تغيير ولا تبديل ماعدا الامور الالية وهواننا نود ان
يكون من المسلمين اعضا في الفامرتين وفي
الكونسييل الاعلى بالجزاير ويكونون فد اختارتهم
الدولة لانها اعرف بمن هو صالح لذلك من
ابنا جنسنا ولا يكون عليهم تفريع ابدان بالفرعة
تكون النعس بين المقترعين ويعسد الا مريينهم

ويفع من ذلك تعيين بعض الا راذل الذين ليسوا
باهل لتلك الوظائف الربيع شأنها * واما من
يتعين من الفرنسيين للولاية بالفامرتين بالفرعة
فيجب اجتناب المسلمين من ذلك وعدم
الدخول مع الفرنسيين في التفريع عليهم على كل
حال * وهذا الذي اذ ركه جهنما من المسائل المشار
اليها وقد اجبناكم عنها بما حضر لدينا من الاجوبة
و نرجو منكم الصبح والتجاوز عنا ان كنا قد
اخطانا في شى منها مع مزيد احترامنا لعلي
مفامكم والسلام من يحيى شريف احمد بن
سليمان اجوان بريعة كونسيل جنرال حكم سطيح
عمالة فسنطينة امه الله امين



الواجهة الأولى والأخيرة لجريدة الإحياء.



المصدر: جريدة الإحياء، ع06، السنة الأولى، 15 ربيع الأول 1325هـ

الواجهة الأولى لجريدة المبشر باللغة الفرنسية

N° 5.556 65^e Année Texte français..... 0,05 le numéro.
arabe..... 0,10 le numéro.

CONDITIONS D'ABONNEMENT

TEXTES FRANÇAIS (n°1)
Un an, 5 fr.

FRANCE ET ÉTRANGER
Un an, 8 fr.

TEXTES ARABES (n°2)
ALGÉRIE
Un an, 5 fr.

FRANCE ET ÉTRANGER
Un an, 8 fr.

Les abonnements comptent à partir de l'1^{er} du 1^{er} de chaque mois et se paient à l'avance.

LE

MOBACHER

JOURNAL OFFICIEL

PARAISANT DEUX FOIS PAR SEMAINE

Mercredi, texte français seulement. — Samedi, texte français et texte arabe.

CONDITIONS D'ABONNEMENT

TEXTES FRANÇAIS et ARABES
(n°3)

ALGÉRIE
Un an, 12 fr.

FRANCE ET ÉTRANGER
Un an, 15 fr.

INSERTIONS LÉGALES
Texte français, la ligne: 0,10
Texte arabe, " : 0,20

Samedi 26 Avril 1915. Es-Sebt 20 Djoumada-l'Oula 1334.

Tout ce qui concerne la rédaction et l'administration de **MOBACHER** doit être adressé au Cabinet de M. le Gouverneur général, à Alger.

On s'abonne dans tous les bureaux de Poste. Le montant de l'abonnement doit être versé à M. le Posteur à Alger. — Moyennant le versement, en une ou deux fois, d'un droit fixe de 0,50 c. et d'un droit proportionnel de 1 c/10, les bureaux de Poste effectuent d'office cette transmission par un mandat spécial, sans que l'abonné ait à en faire la demande. — En cas de réabonnement, le transmettant le dernière bande.

SOMMAIRE

PARTIE OFFICIELLE

Ministère de l'Agriculture. — Propositions et nominations d'indigènes dans l'Ordre du Mérite agricole. — Personnel des communes mixtes. — Nominations.

Chefs indigènes. — Nominations.

Instruction publique. — Arrêté du Gouverneur général portant création d'écoles et de classes d'indigènes dans diverses localités des départements d'Oran et de Constantine.

Forêts. — Arrêtés du Gouverneur général portant application du principe de la responsabilité collective aux indigènes des fractions Taramia et Ouled-Larbi, commune mixte de Ténès, département d'Alger.

Propriétés indigènes. — Arrêtés du Gouverneur général portant homologation du plan dressé à la suite d'une enquête partielle effectuée dans un douar du département d'Oran.

PARTIE NON OFFICIELLE

Interprètes militaires statutaires. — Concours de 1915. — Liste des candidats déclarés admissibles et fixation des examens oraux.

Sénatus-consulte. — Avis de dépôt des procès-verbaux de délimitation des douars Kaf-en-Nasser et Serguine, commune mixte de Chelilla, département d'Alger.

Propriétés indigènes. — Arrêtés préfectoraux dans l'ouverture d'enquêtes partielles à effectuer dans divers douars du département de Constantine.

Id. — Avis annonçant le dépôt des procès-verbaux relatifs à des enquêtes partielles effectuées dans divers douars des départements d'Oran et de Constantine.

Chefs Indigènes.

Par arrêté du Gouverneur général en date du 23 avril 1913, Si Mohammed ben Mohammed ben Mouaz a été nommé caïd de la tribu des Oulad-en-Naceur (annexe d'Alfou), en remplacement du caïd Ben Saâda ben El-Hadj Maâmar, révoqué.

Instruction Publique.

Par arrêté du 22 avril 1913, M. le Gouverneur général a approuvé la délibération du conseil de gouvernement portant création d'une école élémentaire à deux classes d'indigènes à Irlil-Ali, commune mixte d'Akkbou, et d'écoles auxiliaires d'indigènes à Remel, commune mixte des Maâdid, et à Chetouane, commune mixte

Par arrêté du 22 avril 1913, M. le Gouverneur général a approuvé la délibération du conseil de gouvernement portant création d'une école auxiliaire d'indigènes à Beni-Belaid, commune mixte d'El-Milia.

Par arrêté du 23 avril 1913, M. le Gouverneur général a approuvé la délibération du conseil de gouvernement portant création :

- D'une école principale d'indigènes à cinq classes à Tébessa ;
- D'une école-ouvroir de filles indigènes à Tébessa ;
- D'une école élémentaire à deux classes de garçons indigènes au Kroub ;
- D'une deuxième classe d'indigènes, annexée à l'école de Lalla-Marnia ;
- D'une classe d'indigènes, annexée à l'école de garçons de Saint-Lucien.

Forêts.

Le Gouverneur général de l'Algérie,

Vu l'article 130 de la loi forestière du 21 février 1903 ;

Vu les procès-verbaux, rapports et propositions du service des eaux et forêts et de l'autorité administrative locale relatifs aux inondations survenues du 22 août au 23 septembre 1912 dans les forêts domaniale et particulière de Ténès, les chefs des collectivités indigènes intéressées préalablement entendus ;

Considérant que l'incendie est dû à la malveillance et que les indigènes ont montré une mauvaise volonté évidente pour arrêter le feu ;

Vu l'avis du préfet du département d'Alger ;

Le conseil de gouvernement entendu,

ARRÊTE :

Art. 1^{er}. — Une amende égale au double du montant en principal des impôts arabes leur incombant au titre de l'exercice 1912, et s'élevant à la somme de 1,794 francs environ, est infligée, par application du principe de la responsabilité collective, aux indigènes de la fraction Taramia, commune de Ténès (plein exercice).

Art. 2. — Le recouvrement de cette amende, dont les chefs collecteurs ne recevront aucune part, sera effectué au prorata des impôts arabes en principal, afférent à chaque habitant des fractions dont il s'agit, par le service des contributions diverses.

Cette amende pourra être convertie en journées de prestations.

Art. 3. — Le préfet du département d'Alger est chargé de l'exécution du présent arrêté, qui sera publié, en français et en arabe, au journal officiel *le Mobacher*.

Fait à Alger, le 22 avril 1913.

Pour le Gouverneur général :
Le conseiller de gouvernement délégué,
DUBIEF.

الواجهة الأولى لجريدة الصباح

فريدة الصباح
الطبعة الصباحية
الطبعة الأولى
تحت إشراف
السلطات
الطبعة الأولى
الطبعة الأولى

فريدة الصباح
الطبعة الصباحية
الطبعة الأولى
تحت إشراف
السلطات
الطبعة الأولى
الطبعة الأولى

فريدة الصباح
الطبعة الصباحية
الطبعة الأولى
تحت إشراف
السلطات
الطبعة الأولى
الطبعة الأولى

المصدر: جريدة الصباح، ع 12، السنة الأولى، 28 أكتوبر 1903.

يوم الثلاثاء 21 صفر 1321 (19 Mai 1903) (العلم الصغرى 10 سنتيمات) السنة الاولى * عدد 24

المراسلات

تسبل عاصمة الأجرة بلتم صاحب امتياز الجريدة
بشير فونطانا
بشارع زوايل نمرة 19 مبي الجزائر
لا تراد الويل لاصحابها اشرفت لم لم تبهر
اجبر لا لافلاسناست
اجبره كل مختصر فيه 23 صفر 20 مبيسا
مزارت جمع الحفام لاعلمة تبين جريدة المغرب
تسببا اعلم الاماثلن العصفية

الاشتراك بدمج اسعينا *

في الجزائر
من سنة 10 فرنكات ومن سنة لغيره 6 فرنكات
ومن ثلاثة لغيره 4 فرنكات

في فرنسا والقطر التونسي
من سنة 15 فرنكا ومن سنة لغيره 8 فرنكات
ومن ثلاثة لغيره 4 فرنكات

في الافطار الاجنبية
من سنة 10 فرنكا ومن سنة لغيره 12 فرنكا
ومن ثلاثة لغيره 7 فرنكات

جريدة سياسية اقتصادية علمية ادبية تجارية
تصدر يومي الثلاثاء والجمعة

تصديرا لاسم
BUREAU DE LA PRESSE
DEPARTEMENTAL
LEGALE
(19 Mai 1903)

المغرب

ولا حرم ان العلم اليقيني هو علم لا يتغير بل يعمل ولا يتم
يعمل هولاء العلماء على ما وراء البحر وهم ولا علم اذا رسما
لا تلتقي فيه بين الدولة الفاتحة والفتح المبتدع في الحياة
البحرية كخاتمة وتعميرك للمهارة كخاتمة هو التريفة والتعليم
على لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني
ما اندثر من علم العلم اما اولية الامر فلا يكون حيث
لست للدارين والكتاب للعلم الرواية الداعية الفطنة
الكبرية التامة في العلم فاصور من اياه لا يابى والمعلم
فمن الله ان يهبهم عجايب العلم منه وكبره امين
عبد القادر العجوزي

والعلم اليقيني هو علم لا يتغير بل يعمل ولا يتم
يعمل هولاء العلماء على ما وراء البحر وهم ولا علم اذا رسما
لا تلتقي فيه بين الدولة الفاتحة والفتح المبتدع في الحياة
البحرية كخاتمة وتعميرك للمهارة كخاتمة هو التريفة والتعليم
على لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني
ما اندثر من علم العلم اما اولية الامر فلا يكون حيث
لست للدارين والكتاب للعلم الرواية الداعية الفطنة
الكبرية التامة في العلم فاصور من اياه لا يابى والمعلم
فمن الله ان يهبهم عجايب العلم منه وكبره امين
عبد القادر العجوزي

العلم
العلم اليقيني هو علم لا يتغير بل يعمل ولا يتم
يعمل هولاء العلماء على ما وراء البحر وهم ولا علم اذا رسما
لا تلتقي فيه بين الدولة الفاتحة والفتح المبتدع في الحياة
البحرية كخاتمة وتعميرك للمهارة كخاتمة هو التريفة والتعليم
على لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني
ما اندثر من علم العلم اما اولية الامر فلا يكون حيث
لست للدارين والكتاب للعلم الرواية الداعية الفطنة
الكبرية التامة في العلم فاصور من اياه لا يابى والمعلم
فمن الله ان يهبهم عجايب العلم منه وكبره امين
عبد القادر العجوزي

لندن * جله كمثل التيس من ملحة قول وما يتلى
« يظهر من احوال اهل الجبال انهم يهرنون للجملة
على مدينة تطوان مرة تكتبه بعد ما يصابهم من زحمة
الحساك السلطانية عليهم يهرجون لمصاوتها ولكن لا يراون
مدين في خرابها
انت بتفرتان الى تطوان ملحة الحساك الحجزية التي
مدت بها اهل المدينة من الورثة المارة لها وتزيد اخذ
الارادة ان لا يذبت الا في من قول الحكة في الزيادة كل يوم
التيمت الحساك الهامة من ارضة الى ملحة ويستعمل
السيربحر تطوان حاملة معها العلم الكيرة التي ملحتها
لسكان القرى التي تربت بها على طرفها وكلمة انها ملازمة
لكياد من اللامعة في كل الصواب
التبى كبر تلغرافها من ملحة الى جريدة « البارودية »
بما معناه

لا تلح جامعة في تطوان من يوم 12 ماي ولكن المدينة
لا زالت تصامير والطاعن من لحوال الدليل الذين كانوا غدا
نطق الكصار عليها ورحمتهم مدافع ابيصة كخاتمة لمارسها
يوم 11 ماي حوزية لهم منتقلون بل ملهم والانسب
لمصاوتها ثمة وقد استشهد الرب على فلب السكنا حوزة
من ان العصة بتسكون من احوال القرعة احصدة بالمدنية
ويصونهم منها برصان ابيدات كخاتمة المعروفة بنسوة
لا تزال

لم ترزل هو اهر التي لشاوتها الحكة للقرعة مبيدة في
خل الحساك والورثة البردة من فينل الحساك الى سكان
تطوان اما قرعة كخاتمة التي بيع كبر مقارنتها عاصمة
فلس فصدت تطوان ملها برها الرمن بعد

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني
ما اندثر من علم العلم اما اولية الامر فلا يكون حيث
لست للدارين والكتاب للعلم الرواية الداعية الفطنة
الكبرية التامة في العلم فاصور من اياه لا يابى والمعلم
فمن الله ان يهبهم عجايب العلم منه وكبره امين
عبد القادر العجوزي

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني
ما اندثر من علم العلم اما اولية الامر فلا يكون حيث
لست للدارين والكتاب للعلم الرواية الداعية الفطنة
الكبرية التامة في العلم فاصور من اياه لا يابى والمعلم
فمن الله ان يهبهم عجايب العلم منه وكبره امين
عبد القادر العجوزي

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني
ما اندثر من علم العلم اما اولية الامر فلا يكون حيث
لست للدارين والكتاب للعلم الرواية الداعية الفطنة
الكبرية التامة في العلم فاصور من اياه لا يابى والمعلم
فمن الله ان يهبهم عجايب العلم منه وكبره امين
عبد القادر العجوزي

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني
ما اندثر من علم العلم اما اولية الامر فلا يكون حيث
لست للدارين والكتاب للعلم الرواية الداعية الفطنة
الكبرية التامة في العلم فاصور من اياه لا يابى والمعلم
فمن الله ان يهبهم عجايب العلم منه وكبره امين
عبد القادر العجوزي

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني
ما اندثر من علم العلم اما اولية الامر فلا يكون حيث
لست للدارين والكتاب للعلم الرواية الداعية الفطنة
الكبرية التامة في العلم فاصور من اياه لا يابى والمعلم
فمن الله ان يهبهم عجايب العلم منه وكبره امين
عبد القادر العجوزي

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني
ما اندثر من علم العلم اما اولية الامر فلا يكون حيث
لست للدارين والكتاب للعلم الرواية الداعية الفطنة
الكبرية التامة في العلم فاصور من اياه لا يابى والمعلم
فمن الله ان يهبهم عجايب العلم منه وكبره امين
عبد القادر العجوزي

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

لغز الحيلة ولا تعاضل البيان الشريعة بذلك يعني

صورة الواجهة الأولى من جريدة كوكب افريقيا



المصدر: جريدة كوكب افريقيا، عدد 24 جانفي 1908.

مرسوم ينظم التعليم الابتدائي العام والخاص والذي صدر سنة 1883، وتم تعديله في سنة 1887،
ثم سنة 1892، وأخيرا سنة 1906⁴.

DÉCRET

Du 18 Octobre 1892 relatif à l'Enseignement primaire public et privé des
Indigènes de l'Algérie

modifié par le

DÉCRET

DU 15 DÉCEMBRE 1906

Le Président de la République française, sur le rapport du ministre de
l'instruction publique et des beaux-arts et du ministre de l'intérieur;

Vu l'art. 68 de la loi du 30 octobre 1886 ;

Vu L'art. 68 de la loi de finances du 26 janvier 1892 et les chapitres 15 et
19 de l'état B du budget du ministère de L'instruction publique annexé à
cette loi ;

Vu les règlements d'administration publique du 7 Avril 1887 et du 8
Novembre 1887,

Décète :

TITRE I^{er}.

Dispositions générales.

Article premier. — L'Enseignement primaire est donné aux enfants
indigènes d'âge scolaire, soit dans les écoles primaires publiques de tout
degré, qui leur sont ouvertes aux conditions fixées par les lois et
règlements, soit dans les écoles spécialement créées pour eux en exécution
du présent décret.

⁴ المصدر:

Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, N°
2, 2^{me} Année, 1907, P : 11-24.

Art. 2. — Toute commune d'Algérie devra être pourvue d'écoles en nombre suffisant pour recevoir tous les garçons indigènes d'âge scolaire.

Art. 3. — Aucune école publique destinée aux enfants indigènes ne sera fermée aux élèves français ou étrangers qui désireront la fréquenter.

Art. 4. — La liberté de conscience des élèves indigènes est formellement garantie dans toute école publique ou privée ; ils ne peuvent être astreints à aucune pratique incompatible avec leur religion.

Art. 5. — Les indigènes ne sont soumis à l'obligation que dans les communes ou fractions de communes désignées par arrêtés spéciaux du Gouverneur général. L'obligation ne s'appliquera qu'aux garçons d'âge scolaire. L'arrêté du Gouverneur général déterminera les conditions dans lesquelles les dispenses d'assiduité individuelles ou collectives pourront être accordées outre les vacances réglementaires.

L'inscription à la porte de la mairie, prévue par l'art. 13 de la loi du 28 mars 1882, c'est remplacée, pour les indigènes, par un blâme infligé, après décision de la commission scolaire, par le maire, l'Administrateur, le Commandant de cercle ou d'annexe.

Les autres sanctions prévues par la loi du 28 mars 1882 sont applicables aux indigènes.

Art. 6. — Dans les communes ou les écoles primaires publiques ordinaires reçoivent les enfants indigènes, seront adjoints à la commission scolaire des membres indigènes. Leur nombre sera déterminé pour chaque commune par le gouverneur général.

Art. 7. — Dans toute localité possédant une école spécialement destinée aux indigènes, sera instituée une commission scolaire composée de notables indigènes, dont trois désignés par le préfet et trois élus par les indigènes dans des conditions qui seront déterminées par arrêté du gouverneur général.

Ces commissions seront présidées par le maire ou un de ses adjoints dans les communes de plein exercice, par l'Administrateur ou un de ses adjoints dans les communes mixtes, par le Commandant de cercle ou d'annexe ou un officier délégué par lui dans les communes indigènes.

L'Instituteur chargé de la direction de l'école sera convoqué aux séances et remplira l'office de secrétaire avec voix consultative.

Art. 8. — Les commissions scolaires auront pour mandat, sous le contrôle de l'Inspecteur primaire, de dresser la liste des enfants d'âge scolaire et de se concerter sur les meilleurs moyens d'assurer la fréquentation de l'école.

Elles assureront l'exécution des dispositions relatives à l'obligation dans les conditions spécifiées à l'art. 5.

Art. 9. — Les commissions scolaires pourront se constituer en comités de patronage pour encourager les bons élèves, pour recueillir au profit de la caisse des écoles et distribuer au nom de cette caisse, qui fonctionnera pour les écoles destinées aux indigènes dans les mêmes conditions que pour les écoles publiques ordinaires, le produit des dons, subventions et souscriptions.

Art. 10 — Les commissions scolaires se réuniront à des époques déterminées par le préfet, sur la proposition de l'Inspecteur d'Académie, suivant les besoins locaux.

Art. 11. — Les maires ou les adjoints désignés par les maires dans les communes de plein exercice, les administrateurs des communes mixtes et les officiers commandant les cercles ou annexes sont chargés de veiller à ce que les enfants inscrits sur les listes dressées par les commissions scolaires aillent régulièrement à l'école.

Art. 12. — Dans les communes ou fractions des communes où les écoles ordinaires font défaut ou sont insuffisantes pour recevoir la population scolaire mentionnée aux articles précédents il est ouvert, aux conditions déterminées par le titre II du présent décret, des écoles publiques spécialement destinées aux indigènes.

TITRE II.

De l'enseignement public des indigènes.

Art. 13. — Les écoles publiques spécialement destinées aux indigènes sont de trois catégories, savoir:

« Principales », comprenant au moins trois classes et ayant à leur tête un directeur français; « élémentaires », comprenant moins de trois classes et ayant à leur tête un instituteur français ; « préparatoires » comprenant une seule classe et confiées à des adjoints indigènes ou, provisoirement, à des moniteurs.

Art. 14. — Les écoles préparatoires sont placées sous la surveillance des directeurs d'écoles principales ou des instituteurs d'écoles élémentaires situées dans le voisinage.

Art. 15. — Dans toutes les écoles fréquentées principalement par des indigènes, l'enseignement est donnée suivant des programmes spéciaux, approuvés par le ministre de l'instruction publique. Les livres, cartes et images à mettre en usage dans les écoles sont choisis par le Recteur, sur la proposition des Inspecteurs d'académie.

Art. 16. — L'agriculture pratique et le travail manuel sont enseignés dans toutes les écoles. Des cours d'apprentissage confiés à des maîtres ouvriers pourront être annexés aux écoles principales, ils seront placés sous la surveillance des directeurs de ces écoles.

Art. 17. — Des écoles enfantines ouvertes aux enfants des deux sexes à partir de quatre ans et des écoles de filles sont établies dans les centres européens ou indigènes, lorsqu'elles sont demandées par l'autorité locale, d'accord avec la majorité des membres musulmans de l'assemblée municipale.

Art. 18. — Dans les écoles de filles, les élèves consacrent la moitié du temps des classes à la pratique des travaux d'aiguille et des soins du ménage.

Art. 19. — Les écoles enfantines et les écoles de filles sont confiées soit à des institutrices françaises, ou aux femmes, sœurs, filles ou mères des instituteurs français, soit à des monitrices ou adjointes indigènes placées sous la surveillance des institutrices françaises les plus rapprochées.

Art. 20.— Par délégation du ministère de l'instruction publique, le gouverneur général de l'Algérie a la haute direction du service de l'enseignement des indigènes pour tout ce qui concerne les créations

d'écoles et d'emplois, la répartition des écoles, la construction des locaux scolaires et l'emploi des crédits inscrits au budget pour les traitements, allocations ou indemnités du personnel.

Il statue sur la proposition du Recteur de l'académie.

Art. 21 — Pour ce qui concerne la création et l'organisation des écoles primaires publiques destinées aux indigènes, le conseil de gouvernement possède les attributions conférées aux conseils départementaux de l'enseignement primaire par l'art. 13 de la loi du 30 octobre 1886. Toutefois, ceux-ci doivent être préalablement consultés.

Art. 22. — Le gouverneur général dresse, chaque année, en conseil de gouvernement, sur la proposition du recteur et après avis des préfets et des généraux commandant les divisions, un projet de répartition entre les diverses communes, des écoles et emplois à créer par application des crédits inscrits au budget, et le soumet à l'approbation du ministre de l'instruction publique.

Il agresse annuellement au ministre de l'instruction publique un rapport contenant l'état des créations et la liste des constructions scolaires opérées pendant l'année.

Art. 23. — Dans les communes de plein exercice, les projets création d'écoles indigènes établies, par l'autorité locale sont, après avis du conseil municipal, soumis à l'examen du préfet, qui les transmet avec son avis au gouverneur général.

Dans les communes mixtes ou indigènes, les projets proposés par l'administrateur ou par l'autorité militaire sont, après avis de la commission municipale soumis à l'examen du préfet ou du général commandant la division.

Le gouverneur communique les dossiers au recteur, qui les lui renvoie avec ses propositions.

Le gouverneur général statue en conseil de gouvernement.

Art. 24. — Lorsque la création d'une école ou d'un emploi aura été ainsi décidée, le conseil municipal sera invité à délibérer sur les moyens de fournir les locaux nécessaires. Les propositions du conseil seront soumises

à l'examen du préfet et du recteur, et approuvées, s'il y a lieu, par le gouverneur général.

Art. 25. — Si le conseil municipal refuse d'assurer un local convenable, ou ne présente aucune proposition dans le délai imparti, le préfet pourvoit d'office à l'installation de l'école dans les formes et conditions prévues par le règlement d'administration publique du 7 avril 1887, lequel est applicable à l'installation des écoles d'indigène en Algérie. Les dépenses incombant à la commune sont, après la décision définitive de l'autorité compétente, inscrites d'office à son budget et, au besoin, précomptées sur ta part lui revenant dans l'octroi de mer.

Art. 26. — Aucun projet d'installation d'école ne sera approuvé s'il ne comprend :

Le logement de chacun des maîtres français ou indigènes attachés à cette école, ainsi que leur mobilier personnel;

Le mobilier scolaire et le matériel d'enseignement ;

Un terrain attenant autant que possible à l'école pour l'enseignement de l'agriculture pratique ;

Un atelier pour le travail du bois et du fer dans les écoles principales et un hangar ou gourbi pour le travail manuel dans les écoles élémentaires ou préparatoires.

Art. 27. — L'établissement des écoles primaires publiques créées par application des arts. 2 et 3 et dans les conditions prévues par les art. 13, 16, 22, 23, 24, 25, 26 du présent décret est une dépense obligatoire pour les communes.

Sont également des dépenses obligatoires pour les communes, dans toute école régulièrement créée:

L'entretien des bâtiments et de leurs dépendances ;

L'entretien du mobilier scolaire et du mobilier personnel des maîtres;

L'entretien et le renouvellement du matériel d'enseignement, des outils et instruments nécessaires pour le travail agricole et pour le travail manuel ;

La fourniture de matières premières pour le travail manuel et plants ou semences pour l'agriculture pratique;

Le chauffage des classes.

Les imprimés scolaires nécessaires à l'inscription des élèves et à la constatation des absences;

Les fournitures scolaires, d'après un règlement arrêté par le gouverneur général sur la proposition du recteur.

Art. 28. — Sont mises au nombre des écoles donnant lieu à une dépense obligatoire pour la commune les écoles enfantines et les écoles de filles créées suivant les prescriptions des art. 17 et 21 du présent décret.

Art. 29. — Les maîtres Français des écoles indigènes instituteurs ou institutrices, sont divisés en stagiaires et titulaires. Les prescriptions de la loi du 30 octobre 1886 relatives à l'admissibilité aux fonctions de l'enseignement leur sont applicables.

Nul ne peut être nommé instituteur titulaire que dans les conditions prescrites par les art. 23 et 27 de la loi précitée.

Art. 30, — (Nouveau). — Les titulaires sont répartis en cinq classes, suivant les règles de classement et d'avancement établies pour le personnel des écoles destinées aux Européens. Toutefois, la proportion des promotions au choix est calculée, dans chaque classe, sur le nombre des maîtres remplissant les conditions requises pour obtenir une promotion au choix. Un tableau de classement unique est dressé pour l'ensemble des trois départements de l'Algérie.

Art. 31. —(Nouveau) — Les traitements des titulaires sont fixés ainsi qu'il suit:

Instituteurs:	Institutrices :
5 ^e classe..... 1.600 fr.	5 ^e classe..... 1.600 fr.
4 ^e classe..... 2.000	4 ^e classe..... 1.900
3 ^e classe..... 2.400	3 ^e classe..... 2.100
2 ^e classe..... 2.600	2 ^e classe..... 2.400
1 ^e classe..... 2.900	1 ^e classe..... 2.600

Les augmentations résultant du présent article et article 33, en ce qui concerne les traitements fixes, seront accordées à dater du 1^{er} Janvier

1906, dans les mêmes conditions que celles des instituteurs et des institutrices des écoles d'Européens d'Algérie.

Art. 32. — (Nouveau) — Les titulaires chargés de la direction d'une école de plus de deux classes et de plus de quatre classes jouissent des suppléments de traitement prévus à l'article 8 de la loi du 19 juillet 1889.

Dans les écoles qui comprennent une classe d'enseignement primaire supérieur dite « cours complémentaire », le maître chargé de cette classe reçoit un supplément de traitement de 200 Francs.

Les instituteurs ou institutrices qui, chargés d'un cours d'apprentissage ou d'un ouvrage comprenant l'enseignement des travaux artistiques indigènes, possèdent le certificat d'aptitude à l'enseignement du travail manuel dans les écoles normales et les écoles primaires supérieures, reçoivent aussi un supplément de traitement de 200 fr. soumis aux retenues pour la caisse des pensions civiles. Au bout de dix ans, ce supplément peut être porté à 500 francs. Ces instituteurs ou institutrices reçoivent, en outre, l'indemnité de résidence des maîtres chargés d'un cours complémentaire.

Art. 33. — (Nouveau) — Le traitement des instituteurs et des institutrices stagiaires est de 1.500 francs par an.

Art. 34. — (Nouveau) — A défaut de titulaires, des stagiaires peuvent être temporairement délégués, à la tête d'une école. Ils ne reçoivent pendant la durée de cette délégation, que le traitement normal des stagiaires.

Art. 35. — (Nouveau) — Les instituteurs français des écoles indigènes situées dans les centres européens des communes de plein exercice reçoivent, sur les fonds communaux, les mêmes indemnités de résidence que les instituteurs des écoles destinées aux Européens.

Les titulaires et stagiaires français qui exercent dans les communes mixtes, dans les communes indigènes et dans les localités indigènes des communes de plein exercice reçoivent sur le budget de l'Algérie,

suivant l'importance du poste et la difficulté des approvisionnements des indemnités spéciales tenant lieu d'indemnités de résidence, fixées sur la proposition du recteur, par arrêté du Gouverneur général.

Art. 36. — Les instituteurs français placés à la tête des écoles principales ou élémentaires reçoivent en outre une indemnité annuelle de 100 francs par école préparatoire soumise à leur surveillance.

La même disposition est applicable aux institutrices françaises chargées de la surveillance d'écoles enfantines de filles dirigées par des maîtresses indigènes.

Art. 37. — Les instituteurs français des écoles indigènes jouissent des mêmes primes et allocations que les autres instituteurs publics de l'Algérie et obtiennent dans les mêmes conditions des récompenses et distinctions honorifiques.

Art. 38. — (Nouveau) — Tout titulaire qui passe des écoles indigènes dans les écoles européennes ou inversement est rangé dans la classe correspondante à celle où il était placé et n'a droit qu'au traitement de cette classe, sauf exception transitoire prévue à l'article 46.

Tout stagiaire qui, soit d'office, soit sur sa demande, est nommé dans une école européenne, n'a droit qu'au traitement réglementaire attaché à ses nouvelles fonctions.

Art. 37. — (Nouveau) — Les adjoints et adjointes indigènes sont soumis aux mêmes conditions de capacité que les adjoints français stagiaires.

Ils sont repartis en quatre classes, dans chacune desquelles les traitements sont fixés ainsi qu'il suit :

4 ^e classe.....	1.400 fr.	2 ^e classe.....	1.600 fr.
3 ^e classe.....	1.500	1 ^e classe.....	1.700

Des indemnités spéciales, de résidences, fixées, dans tes limites de 100 francs à 200 francs, par le Gouverneur général, sur la proposition du recteur, sont allouées, sur les fonds du budget de l'Algérie, aux adjoints et aux adjointes indigènes exerçant dans les villes importantes ou dans

certaines localités des territoires du Sud et des Hauts Plateaux, où la vie est particulièrement chère.

Les adjoints ou adjointes indigènes sont promus à l'ancienneté de classe et au choix, dans les mêmes conditions que les instituteurs français.

Les adjoints ou adjointes indigènes peuvent obtenir des récompenses et des distinctions honorifiques.

L'adjoint indigène remplissant les conditions réglementaires de stage et de capacité, qui se sera fait naturaliser français, pourra être nommé titulaire.

Art. 40. — (Nouveau) — Les monitrices françaises, les moniteurs et les monitrices indigènes doivent être pourvus du certificat d'études primaires et âgés de 16 ans au moins.

Ils reçoivent une indemnité fixe annuelle de 800 francs pouvant s'élever, par augmentations successives de 100 francs tous les deux ans, jusqu'à 1.200 francs. Cette indemnité n'est pas passible de retenues pour pensions civiles.

Ceux qui exercent dans certaines localités des territoires du Sud et des Hauts plateaux, où la vie est particulièrement chère peuvent recevoir, comme les adjoints indigènes et les adjointes, une indemnité spéciale de résidence.

Art. 41. — Les maîtres et maîtresses des écoles indigènes, titulaires ou stagiaires, adjoints et adjointes, français ou indigènes, sont nommés ou délégués par le recteur.

Art. 42. — Sont applicables aux instituteurs français ainsi qu'aux instituteurs adjoints indigènes les peines disciplinaires établies par l'art. 30 de la loi du 30 octobre 1886 dans les conditions prévues par les art. 31, 32 et 33 de cette loi.

Les peines disciplinaires applicables aux moniteurs et monitrices indigènes sont la réprimande, la suspension avec privation de traitement

pour un temps dont la durée ne pourra excéder six mois, et la révocation.

La réprimande est prononcée par l'inspecteur d'académie, la suspension et la révocation par le recteur, sur la proposition de l'inspecteur d'académie.

Art. 43. — En ce qui concerne le maintien de l'ordre public, les écoles publiques spécialement destinées aux indigènes sont soumises à la surveillance du gouverneur général de l'Algérie, qui peut suspendre les instituteurs placés à la tête de ces écoles ou les adjoints et moniteurs qui y sont attachés.

Art. 44. — Il est annexé aux écoles normales d'Alger et de Constantine des cours normaux destinés à préparer les indigènes aux fonctions de renseignement.

Le cours des études y est de trois années.

Un cours normal destiné à former des maîtresses indigènes sera annexé à une école de filles.

L'organisation des cours normaux et les traitements du personnel qui y est attaché sont fixés par arrêté du ministre de l'instruction publique. Tout candidat indigène admis à suivre les cours normaux devra s'engager à servir pendant dix ans dans l'enseignement public.

Art. 45. — Il est établi, en outre, à l'école normale d'Alger une section spéciale destinée à former des instituteurs français pour l'enseignement des indigènes : l'organisation en sera fixée par arrêté du ministre de l'instruction publique.

Art. 46. — Dispositions transitoires. — si le total des allocations, tant comme traitement et supplément de traitement que comme indemnité de résidence et de surveillance, attribuées en vertu du présent décret à l'instituteur ou à l'institutrice actuellement en fonctions dans les écoles indigènes, ou qui, actuellement en fonctions dans les écoles européennes, sera nommé dans les écoles indigènes, est inférieur au traitement dont ils jouissent, la différence est à la charge de l'Etat dans

les conditions et les limites où un traitement garanti leur est assuré par les dispositions réglementaires actuelles auxquelles ils sont respectivement soumis.

Le traitement garanti par la disposition qui précède continuera à subir la retenue et entrera en ligne de compte pour la liquidation de la pension.

TITRE III

De l'enseignement privé des indigènes.

Art. 47. — Les écoles privées fondées par des Européens et destinées à donner l'instruction primaire aux indigènes doivent satisfaire aux prescriptions édictées par la loi du 30 octobre 1886 pour les écoles privées ordinaires, mais ne peuvent être ouvertes qu'en vertu d'une autorisation spéciale du gouvernement général.

Elles peuvent être fermées par lui dans l'intérêt de l'ordre public.

Sont assimilés aux écoles, les cours d'adultes portant sur une ou plusieurs des matières de l'enseignement primaire.

Art. 48. — Les écoles privées musulmanes dites écoles coraniques, mecid, zaouia, médersa, et les écoles privées israélites dites midrashim sont soumises à la surveillance et à l'inspection des autorités énumérées par la loi du 30 octobre 1886.

Cette inspection porte exclusivement sur la moralité, l'hygiène, la salubrité et sur l'accomplissement des obligations imposées par les art. 49 à 56 ci-après. Elle ne peut porter sur l'enseignement que pour vérifier s'il n'est pas séditieux ou contraire à la constitution, aux lois, à la morale publique.

Art. 49 — Aucune des écoles mentionnées à l'article précédent ne pourra être ouverte avant que le choix du local n'ait été approuvé par le maire, l'administrateur ou le commandant de cercle ou d'annexe.

Art. 50. — La fermeture de ces écoles par mesure de police générale pourra être prononcée par le gouverneur général et, en cas d'urgence,

par le préfet ou le général commandant la division, sauf approbation ultérieure du gouverneur général.

Art. 51. — Aucun maître musulman ou israélite ne pourra prendre la direction d'une des écoles dont il s'agit sans une autorisation du préfet en territoire civil ou du général commandant la division en territoire militaire. Cette autorisation ne sera accordée qu'après avis de l'inspecteur d'académie et de l'autorité municipale de la commune où l'école doit s'ouvrir, et le vu d'un certificat délivré par le maire, L'administrateur ou le commandant de cercle de la dernière résidence du postulant, constatant qu'il est citoyen ou sujet français et de bonne vie et mœurs. Le postulant devra produire en outre un extrait de son casier judiciaire et l'indication des localités où il a déjà enseigné, ou bien, s'il débute, l'indication des écoles dont il a été l'élève.

Art. 52. — Le maître de chaque école tiendra, en français, un registre, sur lequel seront inscrits les noms des élèves, la date de leur naissance, l'époque de leur entrée à l'école, le nom et le domicile de leur père.

Art. 53 — Les châtimens corporels sont interdits.

Les locaux doivent être aérés et tenus en état de propreté. Les enfants atteints d'une maladie contagieuse doivent être provisoirement éloignés de l'école. Tous les élèves n'ayant pas eu la petite vérole devront être vaccinés..

Art. 54. — En cas de faute grave dans l'exercice de ses fonctions, d'inconduite ou d'immoralité, le maître placé à la tête de l'école pourra, sur la proposition de l'inspecteur d'académie, ou sur celle de l'autorité municipale après avis de l'inspecteur d'académie, se voir retirer à temps ou pour toujours l'autorisation d'enseigner par le préfet ou le général commandant la division.

Art. 55. — Dans toute localité, chef-lieu ou fraction de commune soumise à l'obligation, où se trouvera, a une distance ne dépassant pas trois kilomètres, une école primaire publique de garçons, les écoles

mentionnées à l'art. 48 ne pourront recevoir des enfants d'âge scolaire pendant les heures de classe de l'école publique.

Art. 56. — Dans l'année qui suivra la promulgation du présent décret, il sera procédé, par les ordres du gouverneur général, au recensement des écoles privées désignées à l'art. 48 et à leur régularisation dans les conditions prévues aux art. 47 à 53.

TITRE IV

De l'inspection de l'enseignement primaire des Indigènes.

Art. 57. — L'inspection des écoles primaires publiques ou privées spécialement destinées aux indigènes est exercée :

1° Par les inspecteurs généraux de l'instruction publique ;

2° Par le recteur et les inspecteurs d'académie ;

3° Par les inspecteurs de l'enseignement primaire des indigènes ou des délégués à cette inspection ;

4° Par le maire, l'administrateur ou le commandant de cercle, dans les conditions prévues à l'art. 11 ;

5° Au point de vue médical, par les médecins-inspecteurs communaux ou départementaux.

L'inspection des écoles publiques s'exerce conformément aux règlements en vigueur, sous réserve des modifications contenues dans les articles ci-après.

Celle des écoles privées porte sur la moralité, l'hygiène, la salubrité et sur l'exécution des dispositions prescrites dans le titre III du présent décret.

Art. 58. — Nul ne peut être nommé inspecteur de l'enseignement primaire des indigènes s'il n'est pourvu du certificat d'aptitude à cette inspection, obtenu à la suite d'un examen spécial subi à Alger devant une commission présidée par le recteur, d'après un programme analogue à celui du certificat d'aptitude à l'inspection primaire déterminé par le règlement organique du 18 janvier 1887.

Tout candidat à cet examen doit être français, âgé de vingt-cinq ans au moins et avoir fait un stage de deux années en qualité de délégué à l'inspection de l'enseignement des indigènes.

Les délégués à l'inspection sont désignés par le ministre sur la proposition du recteur de l'académie d'Alger, et choisis soit parmi les maîtres adjoints des cours normaux, soit parmi les directeurs d'écoles indigènes anciens élèves de la section spéciale de l'école normale d'Alger, ou comptant au moins cinq années d'exercice dans l'enseignement des indigènes et possédant une connaissance suffisante de la langue kabyle.

Art. 59.— Les inspecteurs primaires en exercice qui postuleront le certificat d'aptitude spécial prévu à l'article précédent seront dispensés du stage et d'une partie de l'examen. Ils devront seulement justifier devant la commission d'une connaissance suffisante de la pédagogie des écoles indigènes, de la langue arabe, de la langue kabyle et des mœurs et coutumes des indigènes.

Art.60. — (Nouveau) — Le traitement des délégués à l'inspection est fixé à 3.500 francs, à dater du 1^{er} janvier 1907. A partir du 1^{er} janvier 1908, les inspecteurs de l'enseignement primaire des indigènes sont répartis en quatre classes dont les traitements sont fixés ainsi qu'il suit :

4 ^e classe.....	4.000 fr.
3 ^e classe.....	4500
2 ^e classe.....	5.000 fr.
1 ^e classe.....	5.500

Les délégués à l'inspection et les inspecteurs reçoivent en outre, à titre d'indemnité spéciale de résidence non soumise aux retenues, une indemnité égale au quart du traitement afférent à leur classe personnelle.

Art. 61 — La classe est attachée à la personne et non à la résidence. Nul ne peut obtenir une promotion de classe qu'après trois années au moins passées dans la classe inférieure.

Les promotions sont accordées au 1^{er} janvier, sur la proposition du recteur, après avis conforme des inspecteurs généraux.

Art. 62 — Indépendamment du traitement qui leur est alloué par l'art. 60, les inspecteurs et les délégués ont droit à une indemnité dite départementale, qui ne pourra être inférieure à 200 francs.

Art. 63. — Les délégués et les inspecteurs de l'enseignement primaire des indigènes sont placés sous l'autorité immédiate de l'inspecteur d'académie ; ils ne reçoivent d'instructions que de lui ou du recteur, des inspecteurs généraux et du ministre.

Art. 64. — Ils inspectent, dans la circonscription qui leur est assignée, les écoles primaires publiques et privées spécialement destinées aux indigènes.

Ils font partie de droit de toutes commissions scolaires instituées dans leur circonscription en vertu de l'art. 7 du présent décret; ils les président quand ils y assistent et veillent à l'exécution des dispositions contenues dans l'art. 8.

Ils président les conférences pédagogiques des instituteurs placés sous leur surveillance et les commissions d'examen chargées de délivrer le certificat , d'études aux élèves des écoles spécialement destinées aux indigènes.

Ils instruisent, en ce qui concerne l'ordre spécial d'enseignement dont ils ont l'inspection toutes les affaires relatives à la création ou à la construction des écoles publiques, à l'ouverture des écoles privées, des classes d'adultes ou d'apprentis, à l'établissement des caisses des écoles, aux demandes formées par les instituteurs publics, et aux déclarations faites par les instituteurs privés à l'effet d'ouvrir un pensionnat primaire.

Ils donnent leur avis sur la nomination et l'avancement des instituteurs et des institutrices des écoles publiques indigènes, et sur les récompenses à accorder ou les peines disciplinaires à infliger au personnel enseignant de ces écoles.

Art. 65. — Des arrêtés ministériels déterminent, pour chaque département, le nombre et l'étendue des circonscriptions d'inspection primaire des écoles spéciales aux indigènes, ainsi que le lieu de résidence des inspecteurs.

Un inspecteur de l'enseignement primaire des indigènes est mis à la disposition du recteur pour l'organisation de cet enseignement. Il conserve le traitement de sa classe et prend le titre d'inspecteur principal. Il peut être envoyé en mission dans les trois départements pour instruire, de concert avec l'inspecteur de la circonscription, les projets de création et de construction d'écoles, les affaires concernant les rapports, des instituteurs avec la population indigènes ou avec l'autorité municipale, pour inspecter des écoles publiques indigènes désignées par le recteur et pour visiter des écoles privées.

Art. 66. — Les inspecteurs de l'instruction primaire des indigènes reçoivent, pour frais de tournée, une indemnité calculée, à raison de 10 francs par jour en sus de leurs frais de transport.

Art. 67. — Sont et demeurent rapportées toutes dispositions contraires au présent décret et notamment le décret du 9 décembre 1887.

Art. 68. — Le ministre de l'instruction publique et des beaux-arts, le ministre de l'intérieur et gouverneur général de l'Algérie sont chargés chacun en ce qui le concerne, de l'exécution du présent décret.

Fait à Paris, le 18 octobre 1892. CARNOT.

Par le Président de la République :

Le Président du Conseil, ministre de l'Intérieur,

Emile LOUBET.

Le Ministre de l'Instruction publique et des Beaux-Arts,

Léon BOURGEOIS.

DÉCRET

Du 15 Décembre 1906,

modifiant celui du 18 octobre 1892 et réglementant les traitements, les indemnités et l'avancement du personnel des écoles Indigènes.

Le Président de la République française, sur le rapport du Ministre de l'instruction publique, des Beaux-Arts et des Cultes ; du Comité central et sont convoqués à ses délibérations en temps utile.

Art. 9. — Une Assemblée Générale annuelle pourra être tenue aux lieux et dates fixés par le Comité sur convocation préalable d'au moins trois mois.

Art. 10. — Un Bulletin trimestriel fera connaître aux Membres l'état de la Société. Il mettra en rapport constant le Comité avec les Sociétaires. Une tribune libre y sera ouverte en faveur de tout article contresigné d'un Président de Sous-Comité ou de dix Membres de l'Amicale. Ces garanties ne sont d'ailleurs exigibles qu'en cas de refus d'insertion par le Comité central.

Art. 11. — Les discussions politiques et religieuses sont interdites.

Art. 12. — En cas de dissolution de l'Amicale décidée par un référendum, l'avoir social sera attribué à des œuvres laïques d'enseignement.

Le Président : JUVIGNY

مضمون المرسوم باللغة العربية:

صدر هذا المرسوم عن رئاسة الجمهورية بتاريخ 15 ديسمبر 1906، وهو مرسوم خاص بتعليم الأهالي وضوابطه القانونية، وهو تعديل للمراسيم التي سبقته بداية من قانون التعليم الاجباري سنة 1883، وتم التعديل بناء على تقرير وزير التربية والتعليم والفنون التشكيلية، ووزير الداخلية، وبالنظر في المادة 68 من قانون 30 أكتوبر 1886، والمادة 68 من قانون المالية 26 يناير 1892 والفصول 15 و19 من ميزانية الدولة، وبالنظر للوائح الإدارة العامة من قانون 7 أبريل 1887 و8 نوفمبر 1887، فقد تقرر ما يلي:

الفصل الأول:

تضمّن الفصل الأول اثني عشر مادة؛ بداية من المادة الأولى التي تنص على إعطاء حق التعليم لأبناء الأهالي في المدارس الحكومية الفرنسية، ويسند المرسوم المسؤولية للبلديات في توفير المدارس اللازمة والكافية لاستيعاب جميع التلاميذ (المادة 2)، مع وجود احترام معتقداتهم الدينية ولا ترغم أي مدرسة عامة أو خاصة تلاميذ الأهالي على ممارسة معتقدات تتعارض مع دينهم، كما سمح المرسوم للأهالي بالمشاركة في تسيير مجلس الإدارة بصفة مساعدين، وتحديد عددهم من صلاحيات الحاكم العام بالجزائر (المادة 6 و7)، وتجتمع المجالس المدرسية في أوقات محددة بناء على اقتراح مفتش المدارس وحسب الحاجيات المحلية (المادة 10).

الفصل الثاني:

التعليم العمومي الموجه للأهالي

احتوى هذا الفصل على أربعة وثلاثون (34) مادة؛ بداية من المادة الثالثة عشر (13) إلى غاية المادة السادسة والأربعين (46)، ومضمون هذا الفصل: أن وزير التعليم هو المكلف بوضع برامج خاصة للمدارس العمومية، بينما يتم اختيار الكتب والخرائط والصورة لاستخدامها من قبل مدير أكاديمية الجزائر وباقتراح من المفتشين (المادة 15)، كما يكلف الحاكم العام بوضع تقرير سنوي ضمن مجلس الحكومة عن حالة التعليم وعدد المدارس التي تم بناؤها وعدد التلاميذ (المادة 22)، ويعهد للبلديات ببناء وتشيد المدارس، وصيانتها، وتوفير وسائل العمل الزراعي والعمل اليدوي بالنسبة لمدارس التعليم الحرفي (المادة

27)، وبالنسبة لرواتب المدرسين فقد ارتفعت سنة 1906، وما جاء في المرسوم فقد تم تصنيفهم إلى خمس فئات: تتقاضى الفئة الأولى للمعلمين 2.900 فرنك، والمعلمات 2.600 فرنك، بينما تتقاضى الفئة الخامسة للمعلمين والمعلمات نفس الراتب وهو 1.600 فرنك (المادة 31)، وتم تقسيم المساعدين إلى أربع فئات: تتقاضى الفئة الأولى 1.700 فرنك، والفئة الرابعة 1.400 فرنك (المادة 37)، وفيما يتعلق بالحفاظ على النظام العام، والمدارس العامة المخصصة للأهالي تخضع لإشراف الحاكم العام (المادة 43).

الفصل الثالث:

التعليم الخاص الموجه للأهالي

جمع هذا الفصل بين طياته عشرة مواد؛ من المادة السابعة والأربعين (47) إلى المادة السادسة والخمسين (56)، وقد نصت المادة الأولى منه على أن المدارس الخاصة التي تأسست من قبل الأوربيين، والتي تهدف إلى إعطاء التعليم الابتدائي للأهالي يجب أن تستوفي الشروط المنصوص عليها في القانون الصادر بتاريخ 30 أكتوبر 1886 للمدرس الخاصة العادية، ولا يمكن فتحها إلا بإذن خاص من الحكومة (المادة 47)، وتخضع المدارس الإسلامية الدينية (مسيد، زاوية، مدرسة)، للرقابة والتفتيش من السلطات الواردة في قانون 30 أكتوبر 1886، ويركز هذا الفحص بشكل حصري على الأخلاق والنظافة والسلامة والوفاء بالالتزامات (المادة 48)، ويتم فتح هذه المدارس بموافقة رئيس البلدية أو الناحية العسكرية (المادة 49)، وللحاكم العام الحق في إغلاقها بناء على تقارير الشرطة (المادة 50)، ويأخذ المعلم المسلم أو اليهودي ترخيص من أجل ممارسة نشاطه، يمنحه إياه محافظ المناطق المدنية أو القائد العام في المناطق العسكرية، ويمنح الترخيص بعد إشعار مفتش المدرسة والسلطة البلدية، وشهادة صادرة عن رئيس البلدية تثبت حسن السيرة مستخرجة من سجله الجنائي وسيرته الذاتية (المادة 51).

الفصل الرابع:

التفتيش في التعليم الابتدائي الأهلي

يتكون هذا الفصل من إحدى عشرة مادة؛ من المادة السابعة والخمسون (57) إلى المادة الثامنة والستين (68)، ويتم التفتيش للمدارس العمومية أو الخاصة الموجه للأهالي من طرف المفتشين العموميين للتعليم العام، وبواسطة مدير أكاديمية الجزائر، وكذلك من طرف مفتشي التعليم الابتدائي أو مندوبي الأهالي الموكل إليهم التفتيش، وكذلك لرئيس البلدية الحق في التفتيش، وقائد المنطقة العسكرية (المادة 57)، بينما

المندوبون ومفتشي التعليم من الأهالي تحت السلطة المباشرة لمفتش المدارس يتلقون تعليمات منه أو من رئيس الأكاديمية، أو من المفتشين العامين والوزراء (المادة 65).

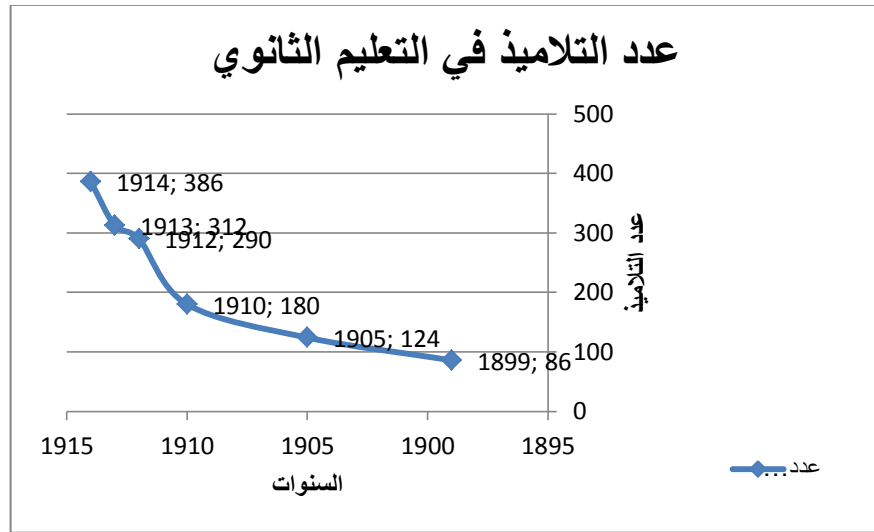
تم تحرير هذا المرسوم من طرف رئيس الجمهورية في 18 أكتوبر 1892. وقد عدّل هذا المرسوم بموجب مرسوم آخر في 15 ديسمبر 1906، وخصّ التعديل الزيادة في رواتب المدرسين والمنح، وتحسين ظروف موظفي المدارس الأهلية.

الملحق رقم 14:

عدد التلاميذ في التعليم الثانوي

1914	1913	1912	1910	1905	1899	السنة
386	312	290	180	124	86	عدد التلاميذ
1914	(1904-1890)		(1890-1880)		الفترة الزمنية	
40	13		04		عدد المتحصلين على البكالوريا	

المصدر: شارل روبير (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 589.

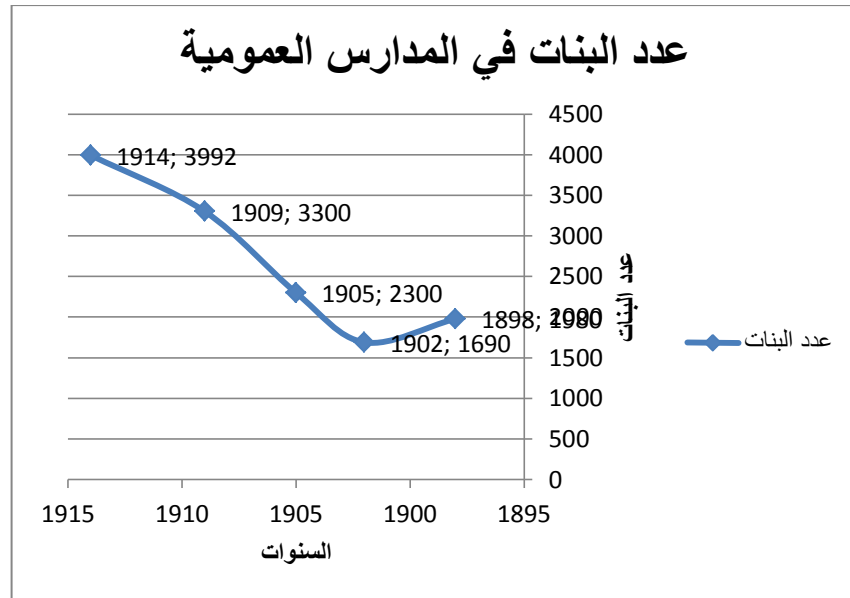


منحنى بياني يوضح تطوّر عدد تلاميذ المسلمين الجزائريين في التعليم الثانوي بين سنتي 1895 و1915.

عدد البنات في المدارس العمومية

السنة	1898	1902	1905	1909	1914
عدد البنات	1980	1690	2.300	3.300	3.992

المصدر: شارل روبير (أجران)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، المرجع السابق، ص: 587.



منحنى بياني يوضح مجموع عدد البنات في المدارس العمومية

تطور عدد بنات المسلمين في المدارس بين سنة 1892- 1914

السنة	1892	1893	1896	1904	1907	1911	1914
عدد الفتيات	4	5	6	7	9	15	16

المصدر:

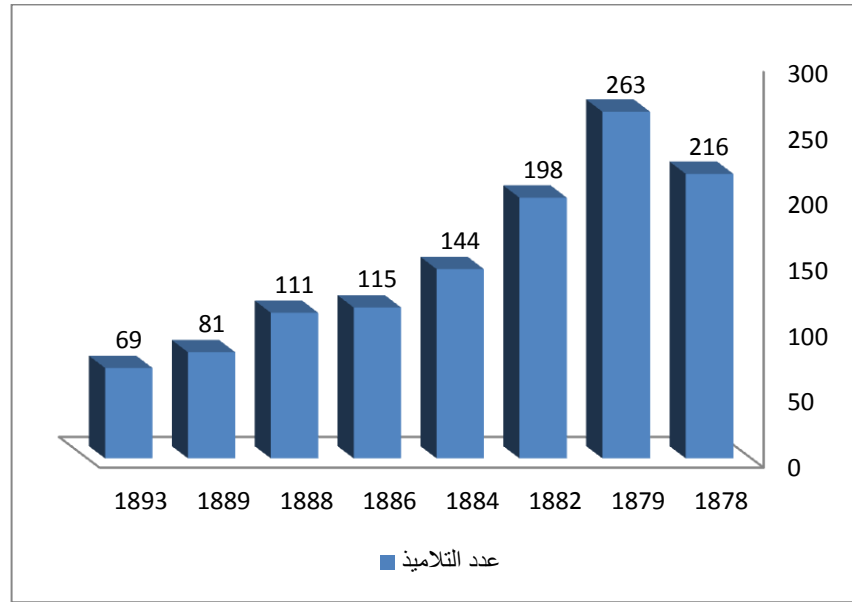
Tsourikoff Zénaïde, L'enseignement des Filles en Afrique du nord, op.cit, P : 47.

الملحق رقم 16:

عدد تلاميذ المسلمين الجزائريين في التعليم الثانوي

1884	1882	1879	1878	السنة
144	198	263	216	عدد التلاميذ
1893	1889	1888	1886	السنة
69	81	111	115	عدد التلاميذ

المصدر: المصدر: شارل روبير (أجران)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، المرجع السابق، ص: 609.



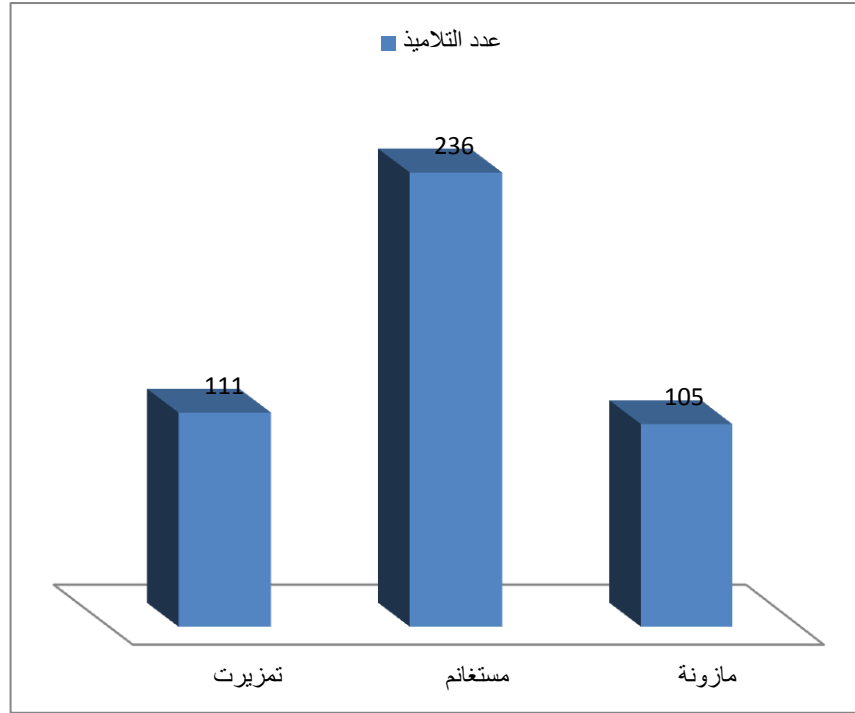
أعمدة بيانية لعدد تلاميذ المسلمين الجزائريين في التعليم الثانوي بين سنتي 1878 و 1893.

ملحق رقم 17:

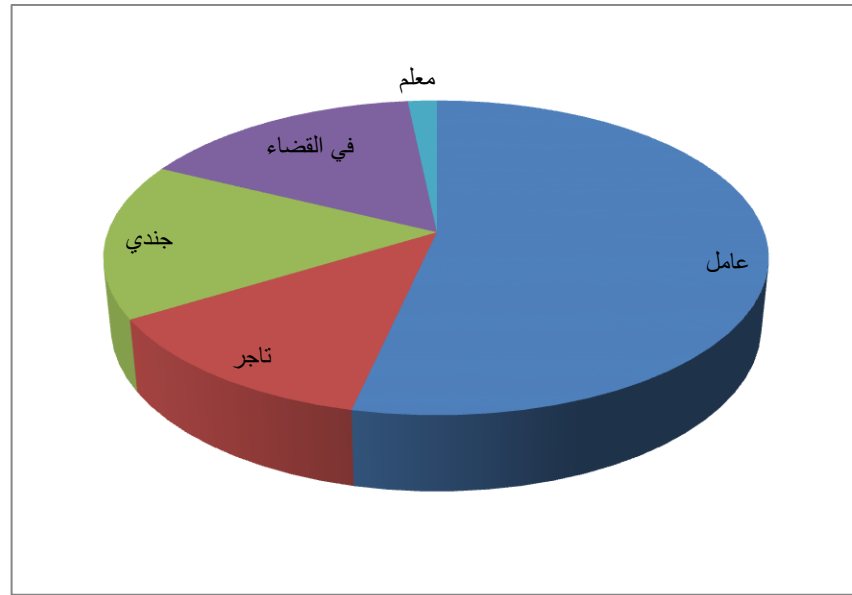
المدارس الأهلية في مازونة ومستغانم وتمزيرت سنة 1897.

المدن	عدد التلاميذ	المهنة بعد الدراسة
مازونة	105 تلميذا	47- فلاحا 36- راعيا 03- عاملا في المقهى 07- تاجرا 07- جنديا 03- معلما
مستغانم	236	130- عاملا 31- تاجر 39- جنديا 39- في القضاء 04- معلمين
تمزيرت	111 تلميذا	09- التحقوا بدار المعلمين بالجزائر 02- التحقوا بالمدرسة الرسمية 01- التحق بالثانوية بالجزائر 14- التحقوا بمدرسة الحرف 62- فلاحا 06- خبازا 06- مسيقارا شعبيا 04- جزارا 07- يستخدمون كمتترجمين لتجار متجولين بفرنسا

محفوظ (سماتي)، المرجع السابق، ص: 212.



أعمدة بيانية لعدد التلاميذ في المدارس الأهلية في كل من مازونة ومستغانم وتمزيرت سنة 1897.



دائرة نسبية توضح نسبة كل مهنة من عدد تلاميذ المتخرجين من المدارس الأهلية في مازونة لسنة 1897.

الملحق رقم 18:

وضع الزوايا والمساجد بقسنطينة في سنة 1897

تسمية المسجد	موقعه	اسم المقدم أو الامام	اسم الطالب	مصان من طرف	عدد المصلين به	عدد التلاميذ
الجامع الكبير	بالنهج الوطني	صالح بن محمد		الدولة	700	
مسجد سيدي الكتاني	ساحة نيقريه	حاج سعيد بن بشتارزي		الدولة	500	
مسجد سيدي الأخضر	نهج سيدي لخضر	حسين بن السوداني		الدولة	500	
الزوايا						
زاوية تيجاني	18 نهج بريقو	حاج العربي بن قارة	بوزيدي الطاهر بن محمد	سي محمد بن التيجاني	200	25
زاوية تيجاني	2 نهج كومب	سي مصطفى بن شرقي	سي أحمد	سي محمد بن لفقون	150	15
عيساوة	17 نهج الزواف	حمو بلغول	محمد بن مداسي	الدولة	400	18
ابن عبدالرحمن	92 نهج فيو	سعيد بن بشتارزي	سي صالح	سعيد بن بشتارزي	30	05
ابن عبدالرحمن	3 نهج أربعين شريف	سعيد بن بشتارزي	سي صالح	الدولة	250	
حنصالة	19 نهج رورو	عبدالمومن بن مبارك	عبيد نوار بن سعيد	الدولة	70	15

12	70	ابن شريط	سي صالح	عمر بن شريط	2هـج دامون	مولاي الطيب
13	40	عائلة سيدي مالك	أحمد المعافي	حاج اسماعيل	سيدي عبدالمومن	القادرية
	50	ابن البجاوي		سي محمد بن أحمد	38هـج سرييني	الفقراء
الجوامع أو المدارس الحرة						
26		الولاية	سي يوسف بن فرحات	سي عبدالكريم بن رودسلي	3هـج عبدالله باي	سعيدة
16		الولاية	سي أحمد بن الأخضر	سي أحمد بن الأخضر	17هـج عبدالله باي	سيدي مغرف
		الولاية	قاضي الدائرة الأولى	سي أحمد زادي	هـج فيو	سيدي بن ميمون
30	17	عثمان بن خليل	سي مختار بن محمد	سي مختار بن محمد	50هـج بريقو	سيدي محمد بنجار
12		بوعكاز	بوالشعير سي محمد بن سعد		هـج بلو	رضوان
13		عائلة سيدي مالك	سي أحمد المعافي		1هـج دي تنار	سيدي عبدالمومن
					2هـج ذي زاباي	سيدي بوعبدالله
16		حمو بن الحاج مصطفى	مصري صالح بن حمانة		هـج اسرائيل	الشريف
20		محمد بن جلول	شاهب العربي بن محمد		هـج بيرقو	سيدي فتح الله
20		علاوة بن	سي السعيد		9هـج ميلا	سيدي بومعزة

		لقيرد				
15		سيدي حاج مبارك	حام محمد بن عبدالله		7نھج لالما	سيدي قيس
12		ابن بجاوي	خروف محمد بن علي		34نھج دي تانار	سيدي بورقدرة
10		حاج محمد بن طابل	مشاتي صلاح بن أحمد		12نھج سيدي نمديل	سيدي خزار
		ابن حملاوي		مسعود بن عمر	11نھج مورلان	مدرسة حرة
8		اسدراجي عبدالرحمن		اسدراجي عبدالرحمن	11نھج دي ايسان	مدرسة حرة
20		بلحاج سعيد	مسيلة أحمد بن محمد		19ساحة سيدي لجلس	مدرسة حرة
				عيساوي مصطفى بن علي	3ساحة سيدي لجلس	سيدي ياسين
15		حاج حمو بن وعطاف	عيساوي مصطفى بن علي		نھج 23 دي لينية	مدرسة حرة
		مكي بن باديس		سيدي محمد لجمادي	نھج فانتانيل	سيدي قموش
17		عائلة بن الشيخ	سي علي بن قسام		17نھج ديتانار	مدرسة حرة
16			أحمد بن سي الأخضر	ابن وادفل	نھج بيرقو	مدرسة حرة
		الدولة		المرابطون		سيدي سليمان
		ملك خاص		سي صالح بن	على 8كلم من	المجدوب

				كشكاش	قسنطينة	
		بوقفة		خوجة بوقفة	برأس سيدي راشد	سيدي راشد
		بلغول		علاوة بلغول	النهج الوطني	ابراهيم بومعيزة
		صالح باي		عائلة صالح باي	على 3 كلم من قسنطينة	سيدي محمد الغراب
					على كيلو مترين	سيدي مسيد
		مغربي			على 4 كلم	سيدي بولجبال

المصدر: عبد الحميد (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص: 256-

.258



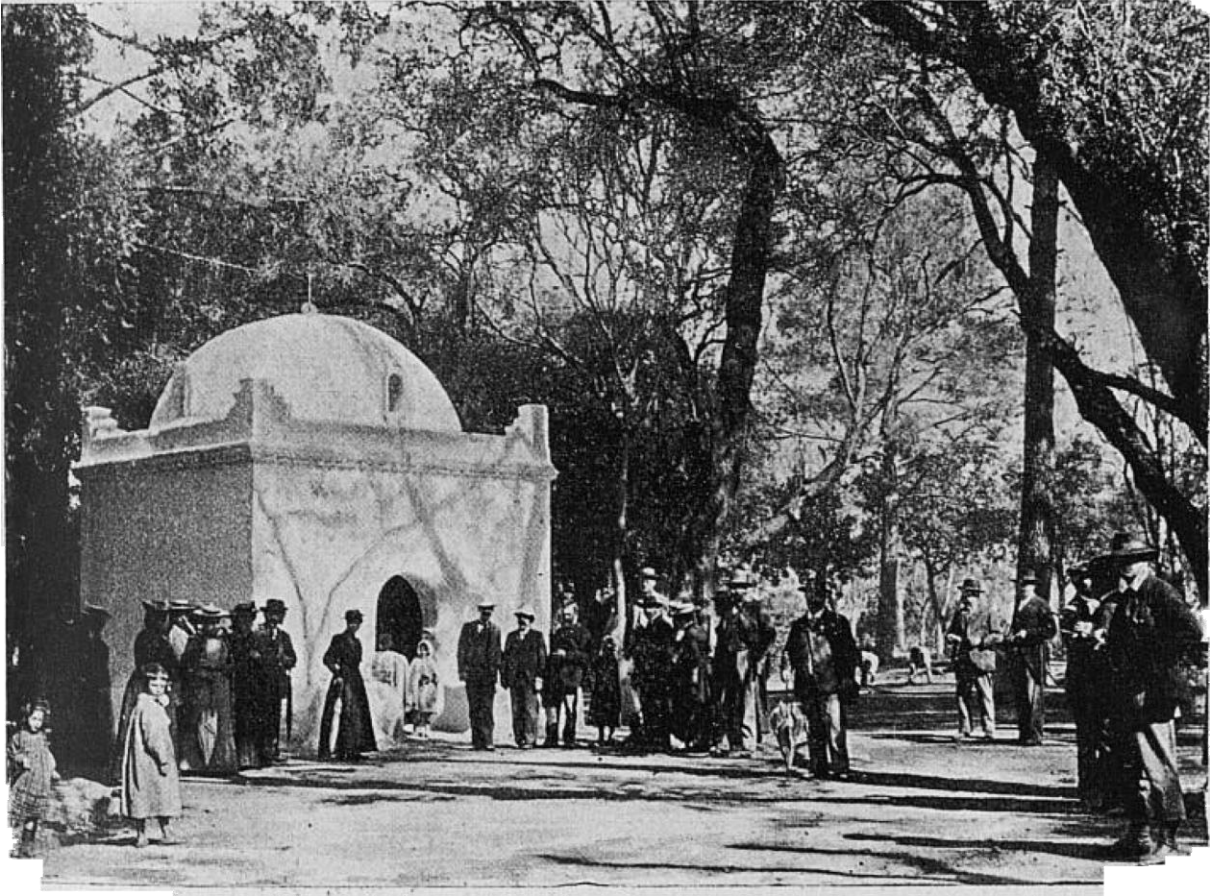
صورة: لأطفال من منطقة القبائل 1902، المصدر:

LLoubes (M), Voyage d'études en Algérie 1902, imprimerie Paul Brodard, coulommiers – France, 1903 , P : 71.



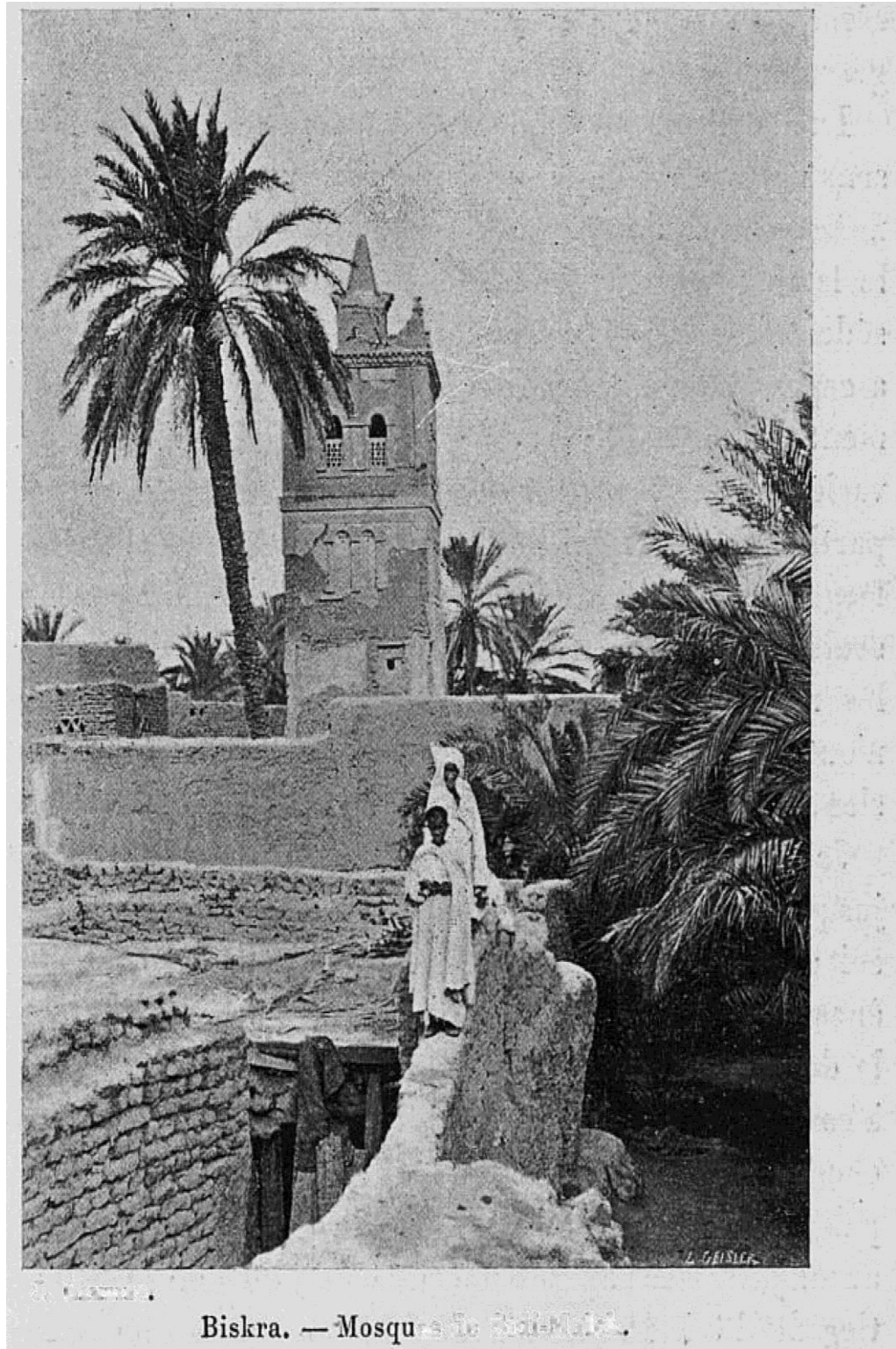
صورة مدرسة فرنسية في منطقة القبائل، المصدر:

LLoubes (M), Voyage d'études en Algérie 1902, op.cit, P : 87.



صورة ضريح سيدي يعقوب بالبليدة 1902، المصدر:

LLoubes (M), Voyage d'études en Algérie 1902, op.cit, P : 99.

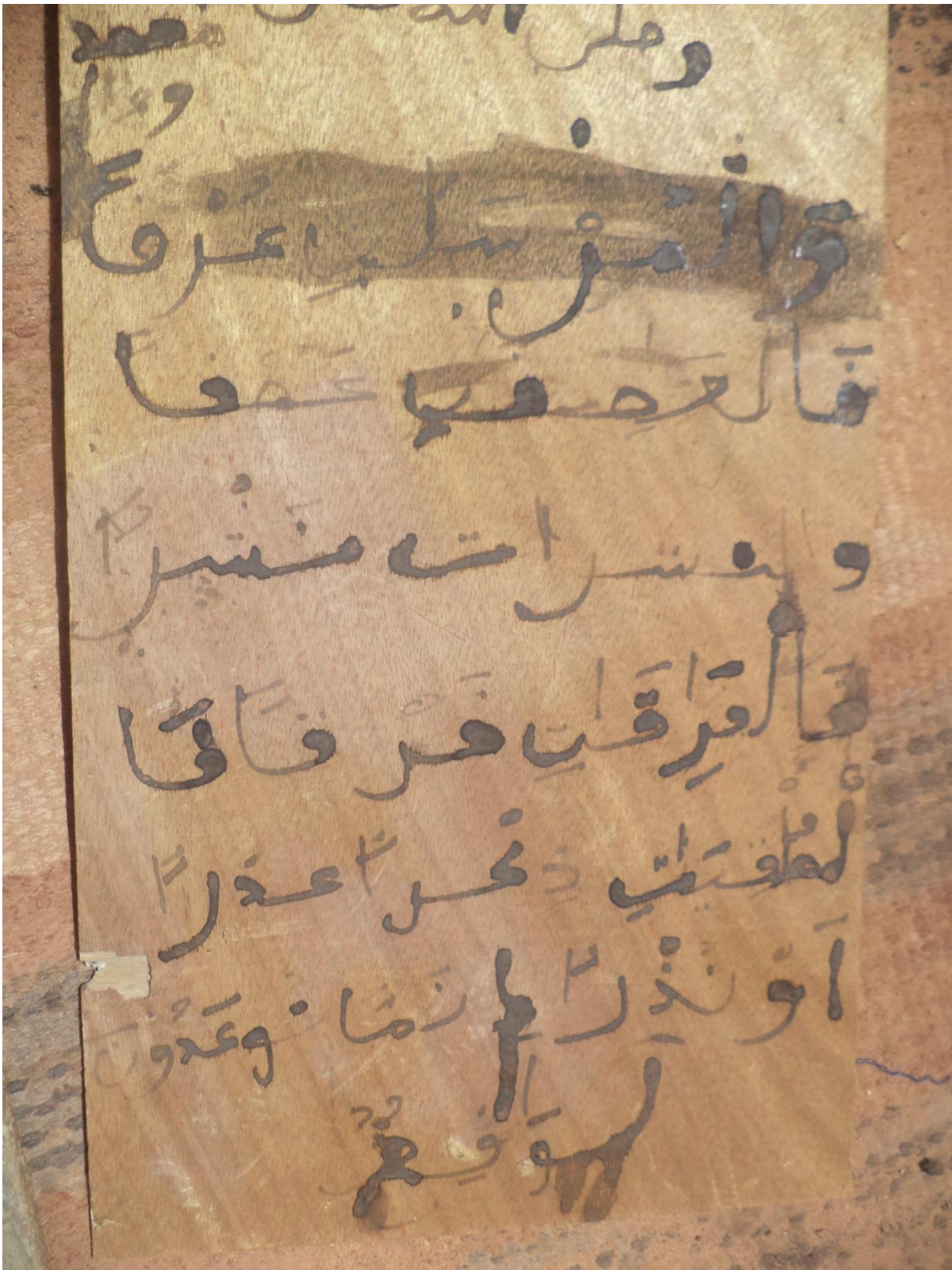


مسجد سيدي مالك بيسكرة 1902، المصدر:

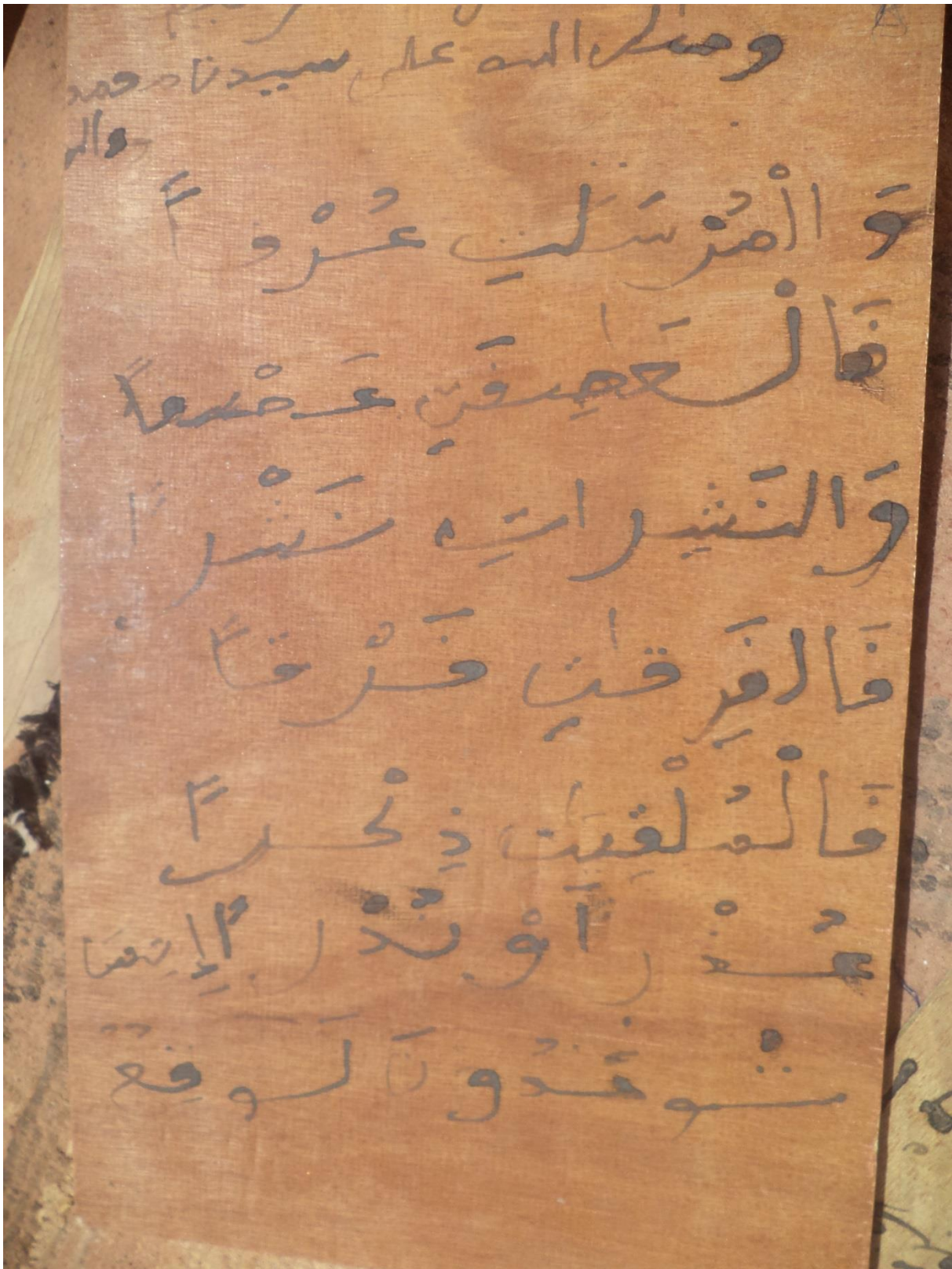
LLoubes (M), Voyage d'études en Algérie 1902, op.cit, P : 165.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّهُ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
عَادُوا أَن مَسَّ قَبْرَهُمُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا
كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اسْتَفُوا اللَّهَ وَفَرُّوا قَوْلَ لَأُتَدَبَّرَ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعُودُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَا يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ رِزْقًا
كَثِيرًا لِمَا عَمِلُوا مِنَ الْإِيمَانِ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَأَنْبِيئِهَا أَنْ تَحْمِلَهَا
وَأَنْشَقَّ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ
ظَنَّهُمْ أَنَّ خَلَقُوا مَا جَعَلُوا

صورة لوحة: وسيلة تعليمية في المدارس القرآنية، تم التقاطها بتاريخ 03-09-2016.



صورة تم التقاطها بتاريخ 2016-09-03.



صورة تم التقاطها 2016-09-03.

الملحق رقم 26: صورة المسجد الكبير بسكرة 1892.



المصدر:

Jean Geiser, photographe d'Algérie, 1892, N° photo : We 166/08.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم:

* سورة الأنبياء، الآية رقم 2.

* سورة التحريم، الآية 06.

* سورة التوبة، الآية 105.

* سورة المائدة، الآية 38.

أولاً: قائمة المصادر والمراجع بالعربية

1- قائمة المصادر

1-1 الوثائق الأرشيفية:

-A.W.O , Dossier 4064 , Enseignement des indigènes.

-A.W.O, Dossier 4064, Ecoles coraniques et Medersa, Enseignement des indigènes département d'Oran.

*أرشيف المتحف الجهوي تلمسان:

*رسالة الشيخ أبو عمامة خلق الله إلى الوالي العام بالجزائر سنة 1318هـ/1901م، أرشيف المتحف الجهوي تلمسان فرع النعامة.

*رسالة الشيخ أبوعمامة خلق الله إلى حاكم عين الصفراء سنة 1318هـ/1901م، أرشيف المتحف الجهوي تلمسان فرع النعامة.

2-1 المخطوطات

*عبدالجليل المرادي (القيرواني)، مخطوط تنبيه الأنام في الصلاة على خير الأنام، مخطوط رقم 1594، قسم المخطوطات، مكتبة جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية.

*مصطفى بن عبدالرحمن باش (تارزي)، مخطوط رسالة المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، خزانة المخطوطات المكتبة الموهوبية، بجاية-الجزائر .

*ملاي أحمد (الطاهري) الادريسي، مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، الخزانة البلبلية بكوسام، أدرار، الجزائر.

1-3 الجرائد والمجلات

- * إبراهيم (اليازجي)، «البربر»، البيان، ع03، مصر، 1 ماي 1897.
- * أبو يعلى (الزواوي)، «كتاب مفتوح إلى الزواوة أصحاب الزوايا»، البصائر، السنة الأولى، ع15، 17 أبريل، 1936.
- * أخبار سياسية، جريدة كوكب إفريقيا، عدد 10 أكتوبر 1909.
- * البيان، جريدة الفاروق، ع43، السنة الأولى، 9 يناير 1914.
- * التعاون التعاون، جريدة ذو الفقار، ع02، السنة الأولى، 26 أكتوبر 1913.
- * التعليم العمومي أمر دولي، جريدة المبعثر، ع5655، 04 أبريل 1914.
- * التقويم الجزائري لسنة 1912، جريدة المبعثر، ع5526، 11 جانفي 1913.
- * التقويم الجزائري، جريدة كوكب إفريقيا، عدد 17 مارس 1911.
- * التمثيل العربي، جريدة الاحياء، الجزء الثالث، السنة الأولى، 07 صفر 1325هـ (1907).
- * الجرائد العربية في العالم، جريدة الهلال، ع01، السنة الأولى، مصر، 1 سبتمبر 1892.
- * الحق أحق أن يتبع، جريدة الحق، ع18، السنة الثانية، 28 جانفي 1894.
- * الدروس المسجدية بقسنطينة، مجلة الشهاب، المجد الخامس، الجزء العاشر، المطبعة الجزائرية الاسلامية، قسنطينة-الجزائر، نوفمبر 1929.
- * الطيب (العقي)، «أبو يعلى الزواوي وخصومه الكبار... أكرموه وراقبوا الله في الشيخ»، مجلة الشهاب، ع95، السنة الثانية، ماي 1927.
- * العقول في مصار الكحول، جريدة المصباح، ع16، السنة الأولى، نوفمبر 1903.
- * اللغة العربية، جريدة الاحياء، الجزء السادس، السنة الأولى، 10 ربيع الأول 1325هـ (1907).
- * ألم عين الصفراء، جريدة المصباح، ع18، السنة الأولى، 28 نوفمبر 1903.
- * المسألة الصهيونية، جريدة ذوالفقار، ع04، 28 جوان 1914.
- * المشكلة الأهلية أمام البرلمان الفرنسي، جريدة الفاروق، ع43، 09 يناير 1914.
- * المولود بن الصديق الحافظي (الأزهري)، «تعليم اللغتين ضروري لنا»، مجلة الشهاب، ع47، السنة الثانية، 16 أوت 1926.

*المولود بن الصديق الحافظي (الأزهري)، «صوت العلم يناديكم فهل من مجيب؟»، مجلة الشهاب، ع43، السنة الثانية، 02 أوت 1926.

*أيها الإخوان، جريدة الحق، ع21، السنة الثانية، 18 فيفري 1894.

*باعرز بن عمر (الزواوي)، «الزوايا بالزواوة»، مجلة الشهاب، المجلد التاسع، الجزء الأول، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، جانفي 193.

*باعرز بن عمر (الزواوي)، «الزوايا بزواوة»، مجلة الشهاب، المجلد التاسع، الجزء الثاني، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، فيفري 1933.

*بيير بطرس (فونطانا)، «لقرائنا الكرام» جريدة المغرب، ع01، السنة الأولى، 10 أفريل 1903.

*تعليم النساء، جريدة الرجاء، السنة الأولى، ع08، 24 أيار 1895.

*تعليم مسلمي الجزائر، كوكب إفريقيا، ع24 جانفي 1908.

*جريدة الإحياء، ع06، السنة الأولى، 15 ربيع الأول 1325هـ.

*جريدة الإحياء، ع07، السنة الأولى، 01 ربيع الثاني 1325هـ.

*جريدة الحق، ع16، السنة الثانية، 14 جانفي 1894.

*جريدة الفاروق، ع43، 09 يناير 1914.

*جريدة الفاروق، ع44، 16 يناير 1914.

*جريدة المصباح، ع12، السنة الأولى، 28 أكتوبر 1903.

*جريدة ذو الفقار، ع01، السنة الأولى، 05 أكتوبر 1913.

*جريدة ذو الفقار، ع03، السنة الأولى، 28 جوان 1914.

*جريدة كوكب إفريقيا، عدد 09 ديسمبر 1911.

*جريدة كوكب إفريقيا، عدد 26 ماي 1911.

*جريدة كوكب إفريقيا، عدد جوان 1911.

*حوادث خارجية، جريدة الحق، ع18، السنة الثانية، 28 جانفي 1894.

*خطاب لوسيان في ذكرى رثاء الشريف بن علي الشريف، جريدة المبشر، ع5526، 11 جانفي 1913.

*رثاء ابن علي الشريف محمد الشريف، جريدة المبشر، ع5526، 11 جانفي 1913.

*رثاء، جريدة المبشر، ع5560، 10 ماي 1913.

*رفيق (بك)، «عمر بن الخطاب»، جريدة الفاروق، ع(19)، السنة الأولى، 6 جويلية 1913.

- *روني (فانلاندي)، «جماعة المبشرين الأمريكيين (ميتوديست) ببلاد القبائل»، مجلة الشهاب، المجلد الخامس، الجزء الخامس، المطبعة الجزائرية الاسلامية، قسنطينة-الجزائر، جوان 1929.
- *زيارة حضرة رئيس الجمهورية، جريدة المغرب، ع01، السنة الأولى، 10 أبريل 1903.
- *ساحلي بن الحاج (الرزقي)، «أساليب التعليم في منطقة زاووة»، مجلة الشهاب، المجلد الخامس، الجزء السادس، المطبعة الجزائرية الاسلامية، قسنطينة-الجزائر، جويلية 1929
- *سعيد بن عمر (التاديرتي)، «الشريعة»، جريدة الفاروق، ع43، 09 يناير 1914.
- *سفر السيد شومبي وزير العلوم إلى الجزائر، جريدة المصباح، ع12، السنة الأولى، 28 أكتوبر 1903.
- *طوفان في صحراء وهران، جريدة المصباح، ع13، السنة الأولى، 04 نوفمبر 1903.
- *عبدالحليم (بن سماية)، «الفرق بين الصوفية والمتصوفة»، جريدة كوكب افريقيا، عدد 17 مارس 1911.
- *عبدالحليم بن سماية، مجلة الشهاب، المجلد التاسع، الجزء الثاني، المطبعة الجزائرية الاسلامية، قسنطينة-الجزائر، فيفري 1933، ص125.
- *عبدالحميد (بن باديس)، «الإصلاح أمس واليوم»، البصائر، ع10، السنة الأولى، 13 مارس 1936.
- *عبدالقادر (المجاوي)، «العلم»، جريدة المغرب، ع12، السنة الأولى، 19 ماي 1903.
- *علم الفلك عندنا الآن، جريدة كوكب افريقيا، عدد 10 جانفي 1908 .
- *علي (ابن الحفاف)، «التعليم وأهالي قطر الجزائر»، جريدة المغرب، ع11، السنة الأولى، 17 صفر 1321هـ.
- *علي (ابن الحفاف)، «التعليم واهلي قطر الجزائر»، جريدة المغرب، السنة الأولى، ع12، 19 ماي 1903.
- *علي (بن عمارة)، «قطع بدعة شنيعة بقرى الزاب»، مجلة الشهاب، ع97، السنة الثانية، ماي 1927.
- *عمر (بن قدور) الجزائري، «دان النهوض ولم يدن»، جريدة الفاروق، ع(19)، السنة الأولى، 06 جويلية 1913.
- *عمر بن قدور (الجزائري)، «إلى الروح المقدسة روح أستاذنا وإمامنا فقيده العلم والاسلام روح مفيد الجزائر ومنير ظلمات جهلنا روح فضيلة مفتي الاسلام وقدوة الأعلام المرحوم الشيخ ابن زكري محمد السعيد بن أحمد»، جريدة الفاروق، ع57، 20 أبريل 1914.
- *فقد عالم، جريدة المبشر، ع5538، 22 فيفري 1913.
- *فليب (دي طرازي)، «الصحافة»، مجلة الزهور، ع06، مصر، 1 أكتوبر 1913.

*قرار الوالي العام الخاص بالتعليم العمومي 03 جويلية 1913، جريدة المبرشر، ع5578، 16 جويلية 1913 .

*مباراة القبول في المدارس الجزائرية سنة 1913-1914 الدراسية، جريدة المبرشر، ع5560، 10 ماي 1913.

*مجلة المنار، المجلد الأول، ط02، دار الوفاء، مصر، (د.ت)،

*مجلتنا، جريدة الإحياء، ع03، السنة الأولى، صفر 1325هـ.

*محمد (نجار)، «حسن التعليم أساس كل تقدم»، جريدة المنتقد، العدد الأول، 02 جويلية 1925.

*محمد حسب الله (كيلاني)، «التقاليد المزرية أحد أمراضنا الاجتماعية»، مجلة الشهاب، ع74، السنة الثانية، ديسمبر 1926.

*محمود (كحول) وبودي (لوي)، التقويم الجزائري لسنة 1913، مطبعة فونطانا، الجزائر، 1913.

*مصطفى (بن شعبان)، «الصحافة العربية ما لها وما عليها»، مجلة الشهاب، ع68، السنة الثانية، نوفمبر 1926.

*مقاصد الجريدة، ذو الفقار، ع01، السنة الأولى، 05 أكتوبر 1913.

*ميخائيل (سراباتا)، «أقدم جريدة»، جريدة الهلال، ع22، السنة الثالثة، 15 جويلية 1895.

*وزارة الحربية قائمة التقدم لنيل وسام الاحترام، جريدة المبرشر، ع5562، 17 ماي 1913.

1-4 الوثائق المنشورة

*ابن عوده (بن صاري)، رسالة للشيخ الحاج محمد بن يلس بتاريخ 21 جوان 1913. نشرت في: عبدالسلام بن أحمد بن محمد بن محمد (بن يلس)، الإمام الشاعر المادح سيدي الحاج محمد بن يلس حياته وآثاره، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.

*أحمد (بن بريهمات)، مرسوم 13 فبراير 1883 والأهالي المسلمين. نشر في: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009،

*بيدو، تقرير عن التعليم العمومي الأهلي بالجزائر، نشرت في: عبدالحميد (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010.

*تقرير عن التعليم الذي يقوم به المدرسون بمساجد مدينة الجزائر سنة 1907. نشر في: عبدالحميد (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010.

* سان (هاني)، تقرير تفتيش للدروس الملقاة بمسجد (سيدي الكتاني) بقسنطينة خلال السنة الدراسية 1913-1912 من طرف المدرس السيد ابن مرزوق أحمد بن السعيد. نشر في : عبد الحميد (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010.

* عريضة ضدّ التجنس ومن أجل الدفاع عن حقوق القضاء الإسلامي 10 جويلية 1887. نشرت في: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.

* عريضة طبعت بقسنطينة بتاريخ 10 جويلية 1887، وقع هذه العريضة ألف وسبعمئة شخص وتمت المصادقة على التوقيعات في بلدية قسنطينة بمحضر شيخ البلدية السيد ميرسي . . نشرت في: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.

* عمار (بن أحمد) وآخرون، جواب بعض أعيان قسنطينة عن استجواب اللجنة البرلمانية الفرنسية التي وفدت على الجزائر خلال ربيع 1891. نشرت في: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.

* وضع الزوايا والمساجد بقسنطينة في سنة 1897. نشر في عبد الحميد (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010.

* يحيى (الشريف)، جواب للجنة البرلمانية الفرنسية 1891. . نشر في: جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.

1-5 الكتب:

* أبو يعلى (الزواوي)، تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي، ط01، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005.

* أحمد بن محمد بن عباد (الشافعي)، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة-مصر، 2004 .

* أحمد توفيق (المدني)، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931.

* أحمد حسين (المهيري)، الرحلة الجزائرية، منشورة ضمن مجموع: خمس رحلات إلى الجزائر 1904-1932، ط01، تقديم: محمد صالح الجابري، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت-لبنان، 2004.

*الحاج (مصالي)، مذكرات 1898-1938، ج01، تر: محمد المعراجي، منشورات المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.

*العربي بن عبدالله (المعسكري)، الحقيقة والمجاز في الرحلة للحجاز، تحقيق: مخلوفي ميلود المحفوظي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.

*حمدان بن عثمان (خوجة)، المرآة، تح: محمد العربي الزبيدي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.

*خليل بن اسحاق (المالكي)، مختصر العلامة خليل، تحقيق: أحمد نصر، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1981.
*رفاعة رافع (الطهطاوي)، تخليص الابريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.
*زكرياء (مفدي)، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتحقيق: أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003.

*سليمان (بن صيام)، الرحلة الصيامية، تح: خالد زيادة، ط01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979.

*شريف (بن حبيلس)، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر: عبدالله حمادي وآخرون، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2012.

*عبدالجليل (شليبي)، الارسلالات التبشيرية، منشأة المعارف، الاسكندرية-مصر، (د.ت).

*عبدالحفيظ بن محمد بن أحمد (الخنقي)، جواب سؤال هل يجوز لمشايخ الخلواتية العطايا الدنيوية، ط01، المطبعة الرسمية التونسية، تونس، 1315هـ.

*عبدالحفيظ بن محمد بن أحمد (الخنقي)، رسالة في امتزاج النفس بالطبائع وأسرار القلب وصفات الشيخ والمريد، المطبعة الرسمية التونسية، تونس، 1315هـ.

*عبدالرحمن أبو القاسم بن اسحاق (الزجاجي)، الجمال، شرح وتحقيق: محمد بن أبي شنب، مطبعة كربونل، الجزائر، 1926.

*عبدالقادر (الجيلاني)، الأوراد القادرية، ضبطه ووثقه: محمد سالم بواب، دار الألباب، بيروت-لبنان، 1992.

*عبدالقادر (المجاوي)، إرشاد المتعلمين، تحقيق: عادل بن الحاج همال الجزائري، ط01، دار ابن حزم، الجزائر، 2008.

*عبدالقادر (المجاوي)، الدرر النحوية على المنظومة الشراوية، المطبعة الشرقية لبير فونتانا، الجزائر، 1907.

- *عبدالقادر (المجاوي)، تحفة الأخيار فيما يتعلق بالكسب والاختيار، مطبعة فونتانا الشرقية، الجزائر، 1905.
- *عمر بن حسن (بن بريهمات)، النهج السوي في الفقه الفرنسي، مطبعة بيبير فونتانا، الجزائر، 1908.
- *فرحات (عباس)، الجزائر من المستعمرة إلى الاقليم؛ الشباب الجزائري، تر: أحمد منور، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2007.
- *قدور بن مراد (التركي)، قائمة كتب المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1926.
- *محمد (بن أبي شنب)، تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب، ط03، مكتبة أمريكا والشرق، 1954.
- *محمد (بن أبي شنب)، مبادئ التربية عند المسلمين، تح: عادل بن الحاج همال الجزائري، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، 2008.
- *محمد أبو القاسم (الحفناوي)، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906.
- *محمد أبي عبدالله بن يوسف (السنوسي)، أم البراهين، تحقيق: خالد زهري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2009.
- *محمد البشير (الابراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الابراهيمي، ج01 (1929-1940)، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1997.
- *محمد البشير (الابراهيمي)، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، جمع وتقديم: أحمد الطالب الابراهيمي، ج05 (1954-1964)، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1997.
- *محمد الخضر (بن الحسين)، الرحلة الجزائرية 1904، منشور ضمن مجموع خمس رحلات إلى الجزائر 1904-1932، تقديم: محمد صالح الجابري، ط01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، 2004.
- *محمد السعيد بن أحمد (ابن زكري الزواوي)، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1903.
- *محمد الهادي (الزاهري)، شعراء الجزائر في العصر المعاصر، ط01، المطبعة التونسية، تونس، 1926.
- *محمد باشا بن الأمير عبدالقادر (الجزائري)، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدالقادر وأخبار الجزائر، ج2، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الاسكندرية-مصر، 1903.
- *محمد بن يوسف (اطفيش)، كتاب الغسول في أسماء الرسول، طبعة حجرية، طبع ونشر: داود بن براهيم بن داود بن عبدالعزيز الميزابي، 1319هـ.

*محمد بيرم الخامس (التونسي)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج01، القسم الثاني، دار صادر، بيروت-لبنان.

*محمد جمال الدين أبو عبدالله (الأندلسي)، ألفية ابن مالك في النحو والتصريف، تح: سليمان بن عبدالعزيز العيوني، مكتبة دار المنهاج، الرياض-المملكة العربية السعودية، (د.ت).

*محمود بن الشيخ علي (الجزائري)، نصيحة عمومية لأهل الحضرة والبادية، تحقيق: عادل بن الحاج همال الجزائري، ط01، دار ابن حزم، الجزائر، 2008.

*محمود بن الشيخ علي (الجزائري)، نصيحة عمومية لأهل الحضرة والبادية، تقديم وتعليق: ابن الحاج الجزائري، ط1، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، 2008.

2- قائمة المراجع

1-2 الكتب :

*أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج01، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992.

*أبو القاسم (سعد الله)، بحوث في التاريخ العربي الاسلامي، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 2003.

*أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، (ج02، ج03، ج04، ج05، ج06، ج07، ج08)، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1998.

*أبو القاسم (سعد الله)، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط05، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.

*أحمد (صاري)، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، 2004.

*أحمد (مريوش) وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

*أحمد (منور)، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي؛ نشأته وتطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

*أديب (مروة)، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1960.

*ألبرت (حوراني)، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، تر: كريم عزقول، دار النهار للنشر، بيروت-لبنان، 1968.

- *الحاج التومي (سعيدان)، سكان تديكلت القدماء والاتكال على النفس، دار هومه، الجزائر، 2005.
- *الربيعي (بن سلامة) وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، ط01، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013.
- *الشيخ (أبو عمران)، قضايا في الثقافة والتاريخ، ط02، منشورات ثالة، الجزائر، 2006.
- *الطاهر (زرهوني)، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (د.ت).
- *المهدي (البوعبدلي)، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي؛ قسم التراجم، ط01، جمع: عبدالرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- *المهدي (البوعبدلي)، تاريخ المدن، جمع وإعداد: عبدالرحمن دويب، ط01، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- *إليوت (ت.س)، ملاحظات نحو تعريف الثقافة، تر: شكري محمد عياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2001.
- *أنور (الجندي)، الاستعمار والاسلام، دار الأنصار، القاهرة-مصر، 1979.
- *أنور (الجندي)، تاريخ الصحافة الإسلامية، ج01، دار الأنصار، مصر، 1983.
- *أيفون (توران)، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة؛ المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880، تر: عبدالكريم أوزغلة ومصطفى ماضي، دار القصبه، الجزائر، 2005.
- *بشير ضيف بن أبي بكر (الجزائري)، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ط02، دار ثالة، الجزائر، 2007.
- *جمال (قنان)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.
- *جمال (قنان)، دراسات في التاريخ المعاصر، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.
- *جمال (قنان)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.
- *جمال (قنان)، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.
- *جمال الدين (مشهد)، فهرس المخطوطات الاسلامية بمكتبة الشيخ الموهوب أو لحبيب الخاصة، منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، لندن، 2004.
- *جمال محمد (أحمد سليمان)، الوجود والوجود عند مارتن هيدجر، دار التنوير، بيروت-لبنان، 2009.

- *جمال نجيب (التلاوي)، المثاقفة عبدالصبور وإليوت دراسة حضارية، تر: ماهر مهدي وحنان الشريف، ط01، دار الهدى للنشر والتوزيع، مصر، 2005.
- *جورج (الراسي)، الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبدالقادر، دار القصبه، الجزائر، 2008.
- *جوزيف (جون)، اللغة والهوية قومية، اثنية، دينية، تر: عبدالنور خراقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2007.
- *جيلالي (صاري)، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850-1950)، تر: عمر المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار، الجزائر، 2008.
- *حسان (صبحي)، العقيدة التربوية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر 1830-1962، أنوار المعرفة، مستغانم-الجزائر، 2014.
- *حسين (ممدوح)، مدخل إلى تاريخ حركة التنصير، ط01، دار عمّار، عمان-الأردن، 1995.
- *حميدة (عميروبي)، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري بداية الاحتلال، دار البعث، الجزائر، 1984.
- *خديجة (بقطاش)، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، ط01، منشورات دحلب، الجزائر، (د.ت).
- *رابح (لونيسي)، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009.
- *سليمان (صيد)، تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومه، الجزائر، (د.ت).
- *سيف الاسلام (زبير)، صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1988.
- *سيف الإسلام (الزبير)، رواد الصحافة الجزائرية، ط01، مطابع دار الشعب، القاهرة-مصر، 1981.
- *شاتليه (ل)، الغارة على العالم الاسلامي، تر: مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، ط2، منشورات العصر الحديث، جدة-المملكة العربية السعودية، 1387هـ.
- *شارل أندري (جوليان)، افريقيا الشمالية تسير القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية، تر: فريد السوداني وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976.
- *شارل أندري (جوليان)، تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو وبدايات الاستعمار، ج01، دار الأمة، الجزائر، 2013.

- *شارل روبر (أجرون)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، (ج01، ج2)، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
- *صادق (سلام)، فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الاسلامية 1895-2005، ط01، تر: زهيدة درويش جبور، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2012.
- *صالح (فركوس)، تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال 814 ق. م -1962م، ج02، إيدكوم للنشر والتوزيع، قسنطينة-الجزائر، 2013.
- *صلاح مؤيد (العقي)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها، دار البراق، بيروت-لبنان، 2002.
- *عبدالحق (شرف)، العربي بن عبدالقادر بن علي المشرفي حياته وآثاره المتوفي 1895م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.
- *عبدالحميد (زوزو)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2010 .
- *عبدالرحمن (عواطف)، الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- *عبدالرؤوف بن الشيخ القاسمي (الخليلي)، مجموعة أورداد طريقة القاسمي الخلوئية الجامعة، ط06، المطبعة القاسمية، الجزائر، 1432هـ (2011م).
- *عبدالعزیز (الكحلوت)، التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، ط2، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس-ليبيا، 1992.
- *عبدالقادر (جغلول)، تاريخ الجزائر الحديث؛ دراسة سوسيولوجية، تر: فيصل عباس، ط03، دار الحدائث وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- *عبدالقادر (حلوش)، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010.
- *عبداللطيف (بن اشنهو)، تكون التخلف في الجزائر؛ محاولة لدراسة حدود التنمية الرأس مالية في الجزائر بين عامي 1830-1962، تر: محمد يحي ربيع وآخرون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- *عبدالمالك (مرتاض)، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 رصد لصور المقاومة في الشعر الجزائري، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2003.
- *عمار (قليل)، ملحمة الجزائر الجديدة، ج01، الدار العثمانية، الجزائر، 2013.
- *عمار (هلال)، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1917)، دار هومة، الجزائر، 2007.

- *غوستاف (لوبون)، الآراء والمعتقدات، تر: عادل زعيتر، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة-مصر، 2012.
- *غوستاف (لوبون)، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-مصر، 2013.
- *غني برفليبي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880-1962، تر: حاج مسعود وآخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
- *مارتن (هيدغر)، الكينونة والزمن، تر: فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، 2012.
- *مالك (بن نبي)، شروط النهضة، تر: عبدالصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق-سوريا، 1986..
- *محموظ (سماتي)، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، تر: محمد الصغير بناني وعبدالعزيز بوشعيب، دار دحلب، الجزائر، 2007.
- *محموظ (قداش) وجيلالي (صاري)، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962، تر: خليل أوداينية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.
- *محموظ (قداش)، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج 01 (1919-1939)، تر: أحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011.
- *محموظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954، تر: محمد المعراجي، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والاشهار، الجزائر، 2008.
- *محمد (بن عبدالكريم الجزائري)، لغة كل أمة روح ثقافتها، دار الشهاب، باتنة-الجزائر، 1989.
- *محمد (مسلم)، الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، ط01، دار قرطبة، الجزائر، 2009.
- *محمد (نقادي)، إسهامات العلامة الأبلي التلمساني في الحياة الفكرية بجواضر المغرب، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.
- *محمد أرزقي (فردا)، أزفون تاريخ وثقافة، ط02، دار الأمل، الجزائر، 2007.
- *محمد الصغير (فرج)، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، تر: موسى زمّولي، دار ثالة، الجزائر، 2007.

*محمد الطاهر (وعلي)، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1904؛ دراسة تاريخية تحليلية، منشورات دحلب، الجزائر، 2013.

*محمد بن ناصر (الشثري)، التنصير في البلاد الاسلامية أهدافه وميدانه وآثاره، ط01، دار الحبيب، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1998.

*مصطفى (الأشرف)، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنيفي بن عيسى، دار القصبه، الجزائر، 2007.

*مصطفى (خياط)، حقوق الانسان في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، تر: المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار، الجزائر، 2013.

*مصطفى (زايد)، التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر (1962-1980)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

*مصطفى (هشماوي)، جذور أول نوفمبر 1954 في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2010.

*منير القاسمي (الحسيني)، زاوية الهامل التاريخ المصوّر، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2007.

*ناصر الدين (سعيدوني)، الجزائر منطلقات وآفاق؛ مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2000.

*نورالدين (ثنيو)، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط01، الدوحة-قطر، 2015.

*يحيى (بوعزيز)، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

*يحيى (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

2-2 المقالات في الملتقيات والمجلات

*إبراهيم (البليهي)، «تعدّد تعريفات مفهوم الثقافة»، جريدة الرياض، العدد 13733، 29 يناير 2006.

*إبراهيم (مهديد)، «الصراع حول الهوية والانتماء العربي الاسلامي من خلال الصحافة الجزائرية: جريدة الحق الوهراني نموذجاً 1911-1912»، مجلة عصور، ع6-7، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران-الجزائر، جوان وديسمبر 2005.

*إبراهيم (مياسي)، «دور الزوايا في نشر التعليم الأصلي»، الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جامعة السانبا-وهران، يومي 25-26 ماي 2005، منشورات وزارة المجاهدين، 2007.

- *إبراهيم (مياسي)، «دور الزوايا في نشر التعليم الأصلي»، الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، وزارة المجاهدين، وهران-الجزائر، 25-26 ماي 2005 .
- *أبو القاسم (سعدالله)، «قضية ثقافية بين الجزائر وفرنسا سنة 1843؛ موقف المفتي الكبابي من الأوقاف واللغة»، مجلة عالم الفكر، المجلد السادس عشر، ع01، وزارة الإعلام، الكويت، أفريل-ماي 1985.
- *أحمد (جعفري)، «خزائن المخطوطات بأقاليم توات الواقع والآفاق»، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع64، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي-الامارات العربية المتحدة، 2009.
- *أحمد رمزي (بك)، «فرنسا ومستعمراتها، الاستعمار يواجه الاسلام في الجزائر»، مجلة الرسالة، ع740، القاهرة-مصر، 8 سبتمبر 1947.
- *أحميدة (عميراوي)، «صحيفة ورقة خبور الجزائر مصدر نادر في سياسة فرنسا الإعلام»، مجلة المصادر، ع11، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2005.
- *ادريس (بن خويا) وسعاد (شابي)، «المخطوطات الجزائرية بخزانة أبي عبدالله أدرار»، مجلة رفوف، ع02، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب افريقيا-جامعة أدرار، الجزائر، ديسمبر 2013.
- *الجباري (عثماني)، «عادات وتقاليد الخطوبة والزفاف في مجتمع وادي سوف خلال القرنين 19 و20 الميلاديين»، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع02، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، الجزائر، (د.ت).
- *أنيسة (بركات)، «التأثير الثقافي في الأسرة الجزائرية من الاحتلال إلى استرجاع الاستقلال»، مجلة الثقافة، ع82، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 1984.
- *بدرالدين أحمد (عمّاري)، «المدرسة الفقهية بمازونة المناهج والمقاصد»، الملتقى الدولي الثاني حول مدرسة مازونة الفقهية الجزائرية، غليزان، 27-28 ماي 2014، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015.
- *بوبكر (بن علي)، «منطقة الساورة تفاعل ثقافي وتواصل تاريخي»، الملتقى الوطني حول دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010.
- *نوشيو (كي تاكيدا)، «جهود رواد النهضة والجماع اللغوية في إحياء اللغة العربية وتحديثها في العالم العربي الحديث»، مجلة دراسات العالم الإسلامي، ج05، ع01-02، جامعة كيوتو، اليابان، فيفري 2012.

*جمال (قنان)، «التعليم الأهلي في عهد الاحتلال 1830-1914»، الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، عنابة-الجزائر، يومي 14-15 جوان 2009.

*جمال (قنان)، «نظرة حول حركة الإصلاح الإسلامي والجامعة الإسلامية في القرن التاسع عشر»، مجلة المصادر، ع11، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2005.

*جمال (مباركي)، «المحمول الثقافي الغربي في الرواية العربية المعاصرة نماذج مختارة»، مجلة قراءات، ع05، مجلة مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، 2013.

*جمال محمود أحمد (أبو حسان)، «الإمام محمد الطاهر بن عاشور سيرة ومواقف»، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، ع02، جامعة آل البيت، الأردن، 2009.

*خالدة (سعيد)، «الصحافة النسائية العربية»، مجلة العربي، ع35، الكويت، 01 أكتوبر 1961.

*دليلة (فرحي)، «الازدواجية اللغوية: مفاهيم وإرهاصات»، مجلة المخبر، ع05، مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، 2009.

*رحيمة (شرقي)، «الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة»، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع11، جامعة قاصدي مرباح ورقلة-الجزائر، 2013.

*شخوم (السعدي)، «التعليم التقليدي في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين»، الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، عنابة-الجزائر، يومي 14-15 جوان 2009.

*شخوم (سعدي)، «دور الرحمانيين في المقاومة الشعبية»، الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جامعة السانبا-وهران، يومي 25-26 ماي 2005، منشورات وزارة المجاهدين، 2007.

*شوقي (برازكة)، «التراث المخطوط بالصحراء الكبرى حفظ ومراكزه وإتاحته للباحثين»، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، جامعة غرداية، الجزائر، 2011.

*صالح (بوسليم)، «مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين 12-13هـ/18-19م بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي»، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، 2010.

*عبدالقادر (بوابية)، «إسهامات محمد بن أبي شنب في تحقيق التراث التاريخي العربي»، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع06، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة معسكر، الجزائر، ديسمبر 2011.

*عبدالقادر (بوعرفة)، «جهاد شعبي أم مقاومة قراءة في المرجعيات الفكرية لحركة الجهاد في الخطاب الصوفي»، الملتقى الوطني الأوّل حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جامعة السانبا (وهران-الجزائر)، 25-26 ماي 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

*عبدالقادر (كرليل)، «نشأة الصحافة في الجزائر»، مجلة المصادر، ع11، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2005.

*عبدالكريم (عوفي)، «مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري - إقليم توات نموذجاً»، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع34، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي-الامارات العربية المتحدة، 2001.

*عبدالكريم (بركة)، «طقوس الاحتفال بالمناسبات والأعياد بشمال إفريقيا»، مجلة الثقافة الشعبية، ع19، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، 2012.

*عبدالكريم (عوفي)، «التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم»، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع20-21، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي-الامارات العربية المتحدة، 1998.

*عبدالكريم (عوفي)، «فهرس مخطوطات زاوية أحمد بوزيد مولى القرقور بسريانة ولاية باتنة الجزائر»، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع27-28، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي-الامارات العربية المتحدة، 2000.

*عبدالمجيد (بن عدّة)، «دعوة عبدالقادر المجاوي إلى نهضة أصيلة وعصرية»، الملتقى الوطني حول الشيخ عبدالقادر المجاوي، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011.

*عماد (حاتم)، «الثقافة العربية في ظل الاستعمار»، مجلة الثقافة، ع70، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، أوت 1982.

*عمار (طالبي)، «عبدالرحمن الأخضرى حياته وأعماله»، مجلة العلوم الإسلامية، ع02، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، ماي 1987.

*عيسى (بلقي)، «الزوايا في مواجهة السياسة الثقافية الاجتماعية الاستعمارية -زاوية الهامل نموذجاً»، الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جامعة السانبا-وهران، يومي 25-26 ماي 2005، منشورات وزارة المجاهدين، 2007.

*محمد (مجاود)، «دور الزوايا في الحركة الوطنية والثورة التحريرية»، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، عدد خاص بفعاليات الملتقى الدولي الأول حول الظاهرة الدينية، معهد العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة معسكر، أفريل 2008.

*محمد (مكحلي)، «دور الزوايا الإصلاحية في تحضير ثورة التحرير»، الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جامعة السانبا-وهران، يومي 25-26 ماي 2005، منشورات وزارة المجاهدين، 2007.

*محمد أرزقي (فرد)، «التعليم الفرنسي ببلاد الزواوة خلال فترة الاحتلال»، الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، عنابة-الجزائر، يومي 14-15 جوان 2009.

*محمد الكبير (فقيقي)، «تأسيس الطرق الصوفية في إقليم الساورة»، الملتقى الوطني حول دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010.

*محمد بودينار (الونشريسي)، «سيرة وجيزة عن حياة الولي الصالح سيدي عدة بن غلام الله»، الملتقى الوطني حول دور الشيخ عدة بن غلام الله في نشر الحكمة الصوفية وممارسة القضاء، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.

*محمد شطب عيدان (المجمعي)، «النخبة السياسية وأثرها في التنمية السياسية»، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، ع04، جامعة تكريت-العراق، 2009.

*مولود قاسم (نايت بلقاسم)، «قيمة اللغة في نظر بعض الأمم»، مجلة الأصالة، ع24، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، أفريل 1975.

*هاني (الفردان)، «الأبارتهايد»، صحيفة الوسط البحرينية، ع2374، البحرين، 07 مارس 2009.

*يحيى (بوتردين)، «الشيخ اطفيش القطب مفسراً»، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع14، المركز الجامعي غرداية-الجزائر، 2011.

*يحيى بن بهون (حاج محمد)، «المكتبات وخزانات المخطوط ببلدة تحنينت بوادي مزاب»، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع02، مج07، جامعة غرداية، 2014.

محمد (سعيد)، «مستقبل الثقافات الشعبية العربية»، مجلة فيلاديفيا الثقافية، ع06، جامعة فيلاديفيا، الأردن، 2010.

مراد (بن سعيد)، «النخب والسلطة والأيدولوجيا في الجزائر: بين بناء الدولة والتغيير السياسي»، المستقبل العربي، ع76، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، جوان 1985.

2-3 الرسائل والأطروحات الجامعية

2-3-1 أطروحات الدكتوراه

*أحمد (بحري)، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث 1500-1900، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2012-2013.

*الغالي (بن لباد)، الزوايا في الغرب الجزائري التجانية والعلوية والقادرية دراسة أنثروبولوجيا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأنثروبولوجيا، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان، 2008-2009.

*ساجية (مخلف)، التنصير في منطقة القبائل أسبابه وعوامله، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس الاجتماعي، إشراف: الطيب بلعربي، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2013-2014.

*فارس (كعوان)، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830-1962 مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري-قسنطينة، الجزائر، 2011-2012.

*فاطمة الزهراء (سليمي)، نشاط الحركة التبشيرية في الجزائر، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع، إشراف: جمال معتوق، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2012-2013.

*فضيل (حضري)، تشكل النخبة الدينية في الجزائر دراسة ميدانية بمنطقة تلمسان، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع، إشراف: مزوار بلخضر، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان، 2012-2013.

*كريم (ولد النبية)، الجزائريون والإدارة المحلية الاستعمارية في عمالة وهران 1866-1947، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الجليلي ليايس - سيدي بلعباس، 2005-2006.

2-3-2 رسائل الماجستير

*أعمر (مكساوي)، سياسة فرنسا تجاه تعليم أبناء الجزائر في التعليم الفرنسي (1830-1900) دراسة تحليلية تربوية تاريخية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في علوم التربية، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2011-2012.

*دليلة (جاري)، الإنتاج الفكري المغاربي العربي بالمكتبة الوطنية الجزائرية دراسة تحليلية للرصيد بالمقر القديم للمكتبة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم المكتبات والتوثيق، قسم علم المكتبات والتوثيق، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009.

*رتيبة (حميود)، الألباز الشعبية في مدينة قسنطينة دراسة إحصائية تحليلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري-قسنطينة، الجزائر، 2005-2006.

*عبدالرحمن (بن بوزيان)، دار الحديث ودورها في الحركة الإصلاحية بتلمسان (1937-1956)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: بوعزة بوضرساية، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2012-2013.

*غزالة (بوغانم)، الطريقة العلوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية 1909-1934، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري-قسنطينة، 2007-2008.

*محمد توختوخ، الزوايا في إقليم توات (تيميمون، توات الوسطى، تديكلت) دراسة سوسولوجية مونوغرافية للزاوية الطاهرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع المعرفة والمنهجية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2012-2013.

*مصطفى (عبيد)، الجزائر في كتابات توماس (إسماعيل) أوران 1812-1884، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008.

*ياسين (بودريعة)، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة بن يوسف بن خدة، 2006-2007.

4-2 المحاضرات:

*براهيم (لونيس)، محاضرات في تاريخ السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي لياس-سيدي بلعباس، 2010-2011.

5-2 الموسوعات والقواميس والمعاجم:

*عبد الوهاب (الكيالي) وآخرون: موسوعة السياسة، ج6، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994.

*عبدالحفي بن عبدالكبير (الكتاني)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات، ج01، ط02، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1982.

*عبدالرحمن (بوزيدة) وآخرون، قاموس الأساطير الجزائرية، منشورات المركز الوطني للبحث في الأثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2005.

المصادر والمراجع بالفرنسية:

1-المصادر:

1-1 الوثائق المنشورة:

-Décret du 15 décembre 1906, Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, 2me année, No2 , 1907.

-Georges benoit, Rapport général conseil supérieur de L'Algérie session ordinaire de 1914, Alger, 1914.

-Gouvernement Général de l'Algérie , Délégations Financières Section Kabyle 1^{re} séance 15 mai 1911, Alger, 1911.

- Gouvernement Général de l'Algérie , Délégations Financières Section Kabyle 13^e séance 08 juin 1911, Alger, 1911.
- Gouvernement Général de l'Algérie , Délégations Financières Section Kabyle 1^{re} séance 15 mai 1911, Alger, 1911.
- Gouvernement Général de l'Algérie , Délégations Financières section Arabe 2^e séance 16 mai 1911, Alger, 1911.
- Gouvernement général de l'Algérie, conseil supérieur de gouvernement, séance du 29 juin 1911, Alger, 1911.
- Gouvernement général de l'Algérie, conseil supérieur de gouvernement, séance du 16 Novembre 1885, Alger, 1885.
- Gouvernement général de l'Algérie, conseil supérieur de gouvernement, séance de janvier-février 1892, Alger, 1892.
- Gouvernement général de l'Algérie, conseil supérieur de Gouvernement session ordinaire de 1905, Séance du 25 mai 1905, Alger.
- Gouvernement Général de l'Algérie, Notice sur le conseil supérieur de gouvernement de L'Algérie, Alger, 1899
- Jeanmaire (C), «situation de l'enseignement en Algérie pendant l'année scolaire 1896-1897», conseil supérieur de gouvernement (Alger) , session de mars 1898, Alger, 1898.
- Jonnart (M.C), Exposé de la situation générale de l'Algérie, Imprimeur du gouvernement général, Alger, 1906.
- Loi sur la Liberté de la Presse de 29 juillet 1881, imprimeur Breveté, Paris, 1881.
- Loi sur les Associations 1^{er} Juillet 1901, éditeur Victor Lecoffre, Paris, 1909 .
- Louis Tirman, Exposé de la situation générale de l'Algérie année 1885, Alger , 1886.

-Louis Tirman, Exposé de la situation générale de l'Algérie année 1886, Alger , 1886.

2-1 المقالات

-Aumerat (M), «La propriété urbaine a Alger», Revue Africaine, volume 42, 1898.

-Ben cheneb (M), «Itinéraire de Tlemcen A la mekke par ben messaib», Revue Africaine, Volume 44, Alger, 1900 .

-Ben cheneb (M), «Lettre sur L'éducation des enfants par Abou hamed El-R'azzaly», Revue Africaine, Volume 45, Alger, 1901.

-Ben cheneb (M), «notions de pédagogie musulmane résumé d'éducation et d'instruction enfantine», Revue Africaine, Volume 41, Alger, 1897.

-Ben cheneb (M), «origine du mot chachiyya», Revue Africaine, Volume 51, Alger, 1907.

-Ben cheneb (M), «revue des ouvrages arabes édités ou publiés par les musulmans en 1322et 1323 l'hégire (1904-1905)», Revue Africaine, Volume 45, Alger, 1901.

-Bernard (Paul), «L'enseignement primaire des indigènes en Algérie», Revue du Monde Musulman , novembre , 1906 , P05.

-Combes (M) , Instruction publique, Revue algérienne et tunisienne de législation et de jurisprudence , N° 09, publiée par l'École de droit d'Alger , 1893.

Dans la Presse, La Tafna, n° 2079, 08 Juin 1904.

-GASQUET (M), «commission de l'allègement et de l'adaptation des programmes», Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, 4^{me} année, N° 12 , 1909.

-Hardy (Georges), «Problèmes d'enseignement colonial», Revue de Paris, n 14, septembre 1929.

- Heller Maximilienne, «Au fil des jours Histoire d'islam revue et simplifiée», Revue Annales Africaines, N^o 46, 14 Novembre 1913.
- Instruction publique, Revue algérienne et tunisienne de législation et de jurisprudence , No 09 publiée par l'École de droit d'Alger , 1893.
- Joseph Schacht , «Bibliothèques et manuscrits abadites» , Revue Africaine , n^o 100, année 1956.
- Journal officiel de la République française, 27 Janvier 1914.
- L'Islam, N^o 100 , Quatrième Année , 07 Janvier 1912.
- La propagande du Montakheb, Courrier de Sétif, n^o 512, 13 Juillet 1882.
- La Toufikya, L' Islam , N^o 104 , Quatrième Année, 04 Février 1912.
- Le cercle Salah-Bay, Revue du Monde musulman, volume 07, Janvier- Février 1909.
- Le Journal de l'enseignement Primaire, n 20, année 1, 2 Janvier 1898.
- Les écoles françaises d'indigènes en Algérie, La Revue de statistique, deuxième année, Paris, 1899-1900.
- Louis Paoli, «L'enseignement supérieur A Alger», Revue Africaine, Volume 49, Alger, 1905.
- Louis Rinn, «Peuplement sud tribus – amazones – touareg et sumériens Chaldée touraniens», Revue Africaine , volume 31, 1887.
- Maubourguet (M) et Grégoire (Muot), «Extrait du rapport sur l'indemnité de résidence», Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, 2^{me} année, N^o4 , 1907.
- Merciel (E),« Sidi okba et ses expéditions dans l'Extrême-sud» , Revue Africaine, n42, 1898.

- Mobilier des écoles d'indigènes, Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, 4^{me} année, N° 10 , 1907.
- Nouveau confrère, La Républicain, n° 155 , 12 Juin 1904.
- PAPIER (AD) ,« La Mosquée de Bône», Revue Africaine, n°33, année 1889 .
- Passage dans le cadre français Rapport de la commission , Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, 2^{me} année, N°3 , 1907 .
- Philip Zessin , «Presse et journalistes indigènes en Algérie coloniale (années 1890- années 1950)», Revue Le Mouvement Social , N° 236, publiée par l'association Le Mouvement social avec la collaboration du Centre d'histoire sociale du XXe siècle de l'université Paris , 2011.
- rapport du ministre de l'instruction publique 8 novembre 1896 , Revue algérienne et tunisienne de législation et de jurisprudence , N° 13, publiée par l'École de droit d'Alger , 1897.
- Rapport sur la situation du personnel de l'enseignement des indigènes, Bulletin de l'Amicale des membres de l'enseignement des indigènes de l'Algérie, 7^e année, N° 23 , 1912 .
- Tauxier (H), «Examen des traditions grecques latines et musulmanes relatives A l'origine du peuple berbère», Revue Africaine , volume 6, 1862.
- Victor waille , «Nouvelles explorations A Cherchel ; Rapport adresse A M. Jonnart, Gouverneur General de l'Algérie», Revue Africaine , n° 49, année 1905.
- Zeid ben Dieb, «Notre Programme», El Hack, n° 1, 30 Juillet 1893.

-Actes du XIV^e congrès international des orientalistes Alger 1905, Ernest Leroux, Paris, 1908.

-Mirante (M), «La Presse périodique arabe», Actes du XIV^e Congés international des orientalistes Algérie 1905, Troisième Partie, éditeur Ernest Leroux, Paris, 1908.

Si chaib ben Ali, «Poème en L' honneur du XIV^e congrès des orientalistes», actes du XIV^e congrès international des orientalistes Alger 1905, Troisième Partie, Ernest Leroux, Paris, 1908.

-Ahmed ben kadi, Impressions du voyage A Paris, Alger, 1878.

-Ahmed ben kadi, Impressions du voyage A Paris, Alger, 1878.

-Barbedette (M), Rapport au nom de la commission des finances chargée d'examiner les projets budgétaires votes par les délégations financières, conseil supérieur de l'Algérie, Alger, 1906.

-Bibliothèque Pédagogique de la circonscription de Tlemcen, catalogue, Algérie, 1902, P05.

-Brosselard (Charles), Tlemcen et Tombouctou, imprimerie de A. Bourget, Alger, 1861.

-Charles Perrault, le petit chaperon rouge, traduit en arabe par : Tibal (M), Alger, 1880.

-Charles Perrault, les contes de Perrault, illustrés par : Robida (A), Paris, 1941.

-Coppolani Xavier et Octave Depont, les confréries Religieuses musulmanes, Alger, 1897, P243.

-Edmond Douuté, Les Aissaoua A Tlemcen, Paris, 1900.

-Emmanuel Mallebay, Guide Pratique de biskra et de ses environs, Batna- Algérie, 1892.

- Fagnan (E), catalogue général manuscrits des bibliothèques publiques de France, Tome XVIII (département Alger), Librairie Plon, Paris, 1893.
- Henri (bourgeois), rapport d'ensemble sur l'état de l'instruction primaire en Algérie . Paris , 1880.
- Henri Malbot, L'art D'élever les enfants en Algérie, Constantine-Algérie, 1899.
- Hubertine Auclert , les femmes arabes en Algérie, Paris, 1900,
- Ismaël hamet, chroniques de la Mauritanie sénégalaise Nacer Eddine, Ernest Leroux, Paris, 1911.
- Ismaël hamet, Les musulmans français du nord de l'Afrique, Librairie Armand Colin, Paris, 1906.
- Jean Alazard, histoire et historiens de l'Algérie (1830-1930), librairie Félix Alcan, Paris, 1931.
- Lacroix (N) et H.M.P de la Martinière, Documents pour servir A l'étude du nord ouest africain, Tome 03 , Alger, 1897.
- Le baron de Slane (M), Rapport Adressé A M. La ministre de L'instruction Publique ; suivi catalogue des Manuscrits arabes les Plus importants de la bibliothèque d' Alger et de la bibliothèque de cid-hammouda A Constantine , Algérie, 1845.
- Le commandant de Pimodan, Oran Tlemcen sud – oranais (1899-1900), Paris, 1903.
- Louis (Rinn) , Notes sur l'instruction publique musulmane en Algérie, Fontana, 1880.
- Louis Rinn, marabouts et khouans étude sur l'islamen en Algérie, Adolphe Jourdan , Alger .
- Louis Rinn, marabouts et khouans étude sur l'islamen en Algérie, Adolphe Jourdan , Alger.
- Marcais Georges, la costume musulman d'Alger, Paris, 1930.

- Mercier (E) , Question indigène en Algérie au commencement du xx^e siècle, Augustin challamel, Paris , 1901.
- Mgr A. Pons, La Nouvelle Église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830, Louis Namura, Tunis , 1930.
- Omar ben brihmat, Manuel de droit usuel et d'instruction civique, Imprimerie orientale pierre Fontana, Alger, 1908.
- Papier (AL), La Mosquée de Bône, Adolphe Jourdan, Alger , 1890, P03.
- Paul Bourdarie , Comment organiser l'Afrique du nord ? Articles du "Temps" et de la "Revue indigène, Bibliothèque de la Revue indigène, 1912.
- Rendu Ambroise, code de l'enseignement primaire obligatoire commentaire de la loi du 28 mars 1882, Paris, 1883.
- Rendu Ambroise, Les avocats d'autrefois : discours prononcé le jeudi 27 novembre 1873, à la séance d'ouverture de la conférence paillet , Paris, 1874.
- Rendu Ambroise, Le Prêt hypothécaire ses conditions son Avenir, Paris, 1873.
- Rendu Ambroise, code municipal ou manuel des conseillers municipaux contenant l'exposé de la législation municipale et les solutions pratiques des questions qui peuvent intéresser les communes et les conseillers municipaux, Paris, 1879.
- Rendu Ambroise, Souvenirs campagne de Paris, Paris, 1871.
- Robert Estoublon et Adolphe Lefebure, code de l'Algérie annoté, Alger, 1896 .
- Tsourikoff Zénaïde, L'enseignement des Filles en Afrique du nord, Paris , 1935.

2-المراجع

1-2 الكتب

-Charles-André Julien, histoire de l'Algérie contemporaine ; La conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), casbah édition, Alger, 2005.

-Guy Perville, les étudiants algériens de l'université française 1880-1962, Edition Casbah, Algérie, 2004 , P18.

2-2 المقالات

-Linda Lehmil, « L'édification d'un enseignement pour les indigènes : Madagascar et l'Algérie dans l'Empire français», Revue Labyrinthe, N° 24, Hermann- France, 2006.

-René Gallissot, «les Algériens musulmans et la France (1871-1919) de Charles-Robert Ageron», La Pensée Revue du Rationalisme Moderne, No 153, Paris, octobre 1970.

3-2 الرسائل والأطروحات

-Elhadi Mohammed didi, les bibliothèques Algériennes passe présent et perspectives contribution à l'histoire culturelle de l'Algérie, Note de synthèse pour le diplôme supérieur de bibliothèque, école nationale supérieur des bibliothèques, Lyon-France, 1975-1976.

-Mohamed ben Larbey, La médecine arabe en Algérie, Thèse pour le doctorat en médecine, faculté de médecine de Paris, Paris, 1884.

4-2 القواميس

-Bel kassem ben sedira, Dialogues Français- Arabes, Adolphe Jourdan, Alger, 1905.

-Bel kassem ben sedira, Manuel épistolaire de langue arabe A L'usage des lycées et collèges et écoles normales de L'Algérie, Adolphe Jourdan, Alger.

-Hélot Léon, Dictionnaire de poche Français – arabe et arabe – Français à l’usage des militaires des voyageurs et des négociants en Afrique, Alger.

-Tabet élie, Dictionnaire français- arabes des termes juridiques, Adolphe Jourdan, Alger, 1903.

-Tahar ben neggad , Dialogues français- arabes avec le mot A mot et la Figuration en Caractères Français, Constantine, 1863.

الفهارس

فهرس الأعلام

- . الأب (رولاند): 105 .
 . الأب (شارميتون): 104 .
 . الأب (كروزل): 54 .
 . إبراهيم (فاتح): 320 .
 . ابراهيم (مياسى): 164 .
 . إبراهيم بن محمد ساسى (لعوامر): 273، 275، 283 .
 . أبو القاسم (سعد الله): 01، 11، 25، 44، 119، 182، 192، 201، 214، 215، 257، 270، 277، 293، 301 .
 . أبو القاسم محمد (الحفناوى): 141، 142، 162، 208، 224، 229، 257، 278، 282 .
 . أبو سالم (العياشى): 181 .
 . أبي الحسن (الشاذلى): 179 .
 . أبي حامد (المشرفى): 275، 281 .
 . أحمد (التيجاني): 178، 200 .
 . أحمد (الحبيبات): 146 .
 . أحمد (السليمانى): 278 .
 . أحمد (الطاهرى): 8، 165 .
 . أحمد (باى): 43، 45، 291 .
 . أحمد (بدوى): 227، 228 .
 . أحمد (بن الفكون): 229 .
 . أحمد (بن القاضي): 63، 203، 324 .
 . أحمد (بن بريهمات): 9، 65، 69، 118، 212، 289، 323 .
 . أحمد (بوضرية): 320 .
 . أحمد (شوقى): 276 .
 . أحمد (منور): 19، 155 .
 . أحمد بن الكبير (بوحجاجة): 182 .
 . أحمد بن داود (الأخضرى): 279 .
 . أحمد بن عبد الله (القمارى): 273 .
 . أحمد بن محمد عباد (الشافعى): 179 .
 . أحمد بن مصطفى (العلوى): 158 .
 . أحمد بن موسى (الكرزازى): 164، 181 .
 . أحمد توفيق (المدنى): 221، 245، 255 .
 . أحمد حسين (المهبرى): 267 .
 . أحمد كاتب (ابن الغزالى): 275 .
 . احميده (العمالى): 272 .
 . احميده (بن باديس): 230 .
 . إدريس بن محفوظ (الدلسى): 283 .
 . ادوار (غزان): 244 .
 . أديب (مروة): 258 .
 . اسماعيل (الصفايحى): 216 .
 . اسماعيل (أوربان): 33 .
 . اسماعيل (حامد): 278، 281، 320 .
 . ألبير (باللو): 147، 148 .
 . ألبير (قرينى): 63 .
 . الشيخ (الحداد): 154 .

- .البشير (الإبراهيمي): 152، 161.
 .البشير (الفورتي): 237.
 .البشير بن محمد الصغير (التحاني): 178.
 .بطرس (فونتانا): 237، 238، 247، 256،
 285، 287.
 .بكير (العنق): 317.
 .بلقاسم (الهاملي): 272.
 .بلقاسم (بن التهامي): 262، 264، 265.
 .بلقاسم (بن سديرة): 109،
 117، 118، 229، 284، 289، 303.
 .بوقطوي (الترجمان): 212.
 .بول (برنارد): 41.
 .بولسكي : 133.
 .بيار (ايتيان): 230.
 .بيدو (الجنرال): 36.
 .بير (بروجر): 291.
 .توران (ايغون): 31.
 .توماس (هوكارت): 105.
 .جان (بوجولا): 71.
 .جان (مير): 11، 76، 78، 79، 114،
 119، 128.
 .جانتي (دي بيسي): 41.
 .جرني (كورتلمونت): 155.
 .جمال (خرشي): 224.
 .جمال (قنان): 9، 12، 113، 114، 247.
- .الشيخ (بوقندوزة): 142.
 .الطاهر (بن الحاج علي): 306.
 .الطاهر (بن زقوطة): 146.
 .الطاهر (زرهوني): 33، 36، 40، 79.
 .ألفريد (بل): 299.
 .المكي (بن عزوز): 216، 282.
 .إلياس (ثابت) الترجمان : 289.
 .إليوت (ت . س) 15، 16.
 .الأمير خالد (الهاشمي): 214.
 .الأمير عبد القادر : 32، 43، 45، 157،
 214، 276، 278، 291.
 .إميل (ماسكري): 110.
 .إمينويل (مالوي): 195.
 .أنطوان (دوبوش): 54.
 .أوجين فور (ميسترو): 58.
 .ايدمون (فانيان): 112، 292، 293، 302.
 .ايدمون (فانيان): 292، 293، 302.
 .بابكر (بلحاج مسعود): 317.
 .باصي (رنييه): 75.
 .باعزيز بن عمر (الزواوي): 159، 167.
 .باول (ج . و): 21.
 .براهيم (لونسي): 202.
 .برهان الدين (الجعبري): 290.
 .بريسنييه: 25.
 .بريسون: 70.

- . جمال الدين (الأفغاني): 6، 214، 215،
 . الحسن (بن بريهمات): 283.
 . حسونة (بن العموشي): 230.
 . حمدان (الونيسي): 146.
 . حمدان بن عمان (خوجة): 184.
 . حمو (بن يوسف): 230.
 . خليل (قائد العيون): 233.
 . دوکرو (الجنرال): 25.
 . دومينيك (لوسيان):
 298، 237، 236، 218، 211، 210، 97
 . ذو قايدون: 37، 49.
 . الذوق (أورليان): 155.
 . الذوق (دومال): 153.
 . الربيع (بن سلامة): 20، 18.
 . رفاعه (الطهطاوي): 220.
 . روبي (فانلانند): 106.
 . زين العابدين (بن طالب): 230.
 . ساحلي بلحاج (الرزقي): 167.
 . سان (لوسيان): 64.
 . سعد الدين (بن شنب): 205.
 . سعيد (قدورة): 162.
 . سليم (الجزائري): 283.
 . سليمان (بن بنقي): 233.
 . سليمان بن الصيام (الملياني): 228.
 . سليمان بوسماحة : 164.
 . جمال الدين (الأفغاني): 6، 214، 215،
 216، 217، 220، 221، 255، 330
 . الجنرال بيجو: 48، 52، 53.
 . الجنرال دوفيفسي: 53.
 . جوان (غيليسي) : 122.
 . جوان ديريو (رياض جمانة): 246.
 . جورج (فرنسيس): 92.
 . جورجى (زيدان): 218.
 . جوزيف (بول): 232.
 . جول (غوتي): 129، 194، 195، 200.
 . جول (فيرى): 63، 67، 82، 85، 115،
 121، 205، 206، 209، 212، 213،
 320
 . جول (كامبون):
 6، 58، 70، 115، 119، 120، 134، 155،
 205، 206، 207، 235، 274، 321، 330
 . جون (جوزيف): 20.
 . جوني (فرعون): 75.
 . الجيلالي (صاري) : 45، 208، 263.
 . حاتم (الطائي): 17.
 . الحاج (يلس): 158.
 . الحاج إبراهيم (الإبريكي): 317.
 . الحاج الناصر (كروش): 317.
 . حاج علي (محمود): 265.
 . الحاج مبارك بن يوسف (المغربي): 182.

- . سيدي (مصباح): 164 .
 . شارل (بروسلار): 30 .
 . شارل (بيرو): 288 .
 . شارل (جونار):
 ،120،110،97،96،87،78،10،6،5
 ،208،207،205،149،144،135،128
 ،321،293،277،260،237،236،209
 .330
 . شارل (ذي جلان) : 262 .
 . شارل (لافيجري): 54، 55، 56، 57، 58
 . 102، 103، 104 .
 . شارل اندري جوليان
 306،241،211،94،93
 . شارل روبيير (أحرون): 115، 199، 206 .
 . الشريف (بن حبيلس) : 11، 269، 306
 . 318، 319، 320، 331 .
 . الشريف بن ابراهيم (الهاشمي): 164 .
 . شعيب (التلمساني): 277 .
 . شعيب (الجليلي): 272 .
 . شكيب (أرسالان): 221 .
 . الشيخ (ابن مرزوق): 146 .
 . الشيخ (أبو عمران) : 40 .
 . الشيخ بوعمامة : 178 .
 . الصادق (بلحاج): 154، 162 .
 . صالح (السمعوني): 283 .
 . صالح (الشريف): 216 .
 . صالح (بن أحمد النوري): 317 .
 . صالح (بن عمر الأعلى): 317 .
 . صالح (بن مهنا): 308، 311 .
 . صلاح مؤيد (العقيبي): 39، 161 .
 . الطاهر (بن عاشور): 220 .
 . الطاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب
 (السمعوني): 273، 283 .
 . الطيب (مرسلي): 212، 320 .
 . عاشور (الخنقي): 276، 307، 312 .
 . عبد الحفيظ (الخنقي): 164، 173، 175،
 . 178
 . عبد الحلیم (بن سماية):
 ،249،238،227،143،141،110،9،3
 ،316،315،309،307،275،272،262
 .331
 . عبد الحميد (بن باديس): 158، 273 .
 . 331
 . عبد الرحمن (الأخضري): 195، 279 .
 . عبد الرحمن (الثعالبي): 27، 35، 137،
 . 180، 195، 227، 281 .
 . عبد الرحمن (الجيلالي): 277 .
 . عبد الرحمن (بن رستم): 291 .
 . عبد الرحمن (عواطف): 226 .
 . عبد العزيز (الكحلوت): 101 .

- . عبد القادر (المجاوي): 3، 7، 9، 11، 64، 117، 139، 141، 143، 146، 230، 238، 239، 257، 262، 272، 273، 283، 284، 307، 308، 309، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 324، 330، 331.
- . عبد القادر (حلوش): 12، 44، 95.
- . عبد القادر (سي الأحول): 176.
- . عبد الحميد (الثاني): 278، 316.
- . عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن موسى (الساوري): 181.
- . عبدالرزاق (الأشرف): 262، 290.
- . عبدالسلام (بن مشيش): 179.
- . عدة (بن غلام الله): 157.
- . عربي (فخار): 224، 239، 275.
- . علي (بن عثمان): 163.
- . علي (بن عمارة): 195.
- . علي (بن عمر): 227، 229.
- . علي (بوشوشة): 218.
- . علي (يوسف): 216، 237.
- . علي بن عبد الرحمن (الحفاف): 8، 273.
- . عمار (بوحوش): 206، 213.
- . عمار (بوسنة): 182.
- . عمار (سمار): 233.
- . عمر (بن هو بكلي): 317.
- . عمر (بن قدور): 236، 242، 254، 255، 256، 314، 316.
- . عمر (بن يحيى): 317.
- . عمر (بوضرية): 320.
- . عمر (راسم): 235، 236، 237، 250، 253، 254، 316، 317.
- . عمر بن حسن (بن بريهمات): 7، 11، 285، 286، 287، 331.
- . عيسى (بن الحاج الصديق): 268.
- . غبريال (اسكير): 293.
- . غي (بريفيلي): 120.
- . فاتح (بن براهيم): 320.
- . فكتور (باروكان): 236.
- . فليب (دي طرازي): 226.
- . فيكتور (هيقو): 269.
- . كنعان (بن حام): 219.
- . كوبولاني : 11، 163، 172، 176، 179، 181، 298.
- . كوستاف (لوبون): 61.
- . الكونت (شامبور): 58.
- . لارشي: 213.
- . لوتورنو: 39.
- . لوروي (بوليو): 134، 209.
- . لويس (باولي): 295.
- . لويس (برتراند) : 122.

- . لويس (برنيه): 75 . محمد (بن رحال):
 . لويس (تيرمان): 132, 116, 110 . 317, 311, 270, 235, 118, 117, 64
 . لويس (رين): 11, 43, 122, 135, 318
 . ليون (باستور): 36 . محمد (بن عودة): 176
 . ليون (بورجوا): 57, 38, 114, 121 . محمد (بن مالك): 304
 . مارتن (هايدغر): 18 . محمد (بن محمد العيد): 178
 . المارشال (راندون): 49 . محمد (بيرم الخامس): 141, 145, 169
 . المارشال (كلوزيل): 25, 291 . 198, 199, 201, 220
 . المارشال (ماكماهون): 49 . محمد (عبده): 6, 54, 211, 212, 214
 . مالك (بن نبي): 15 . 215, 217, 220, 221, 239, 251
 . مبارك (الميلي): 277 . 253, 255, 275, 280, 281, 307
 . مجدوب (بن خالفة): 65, 117, 123, ال . 308, 309, 317, 330
 . محفوظ (قداش): 45, 212 . محمد (كحول): 161, 247, 248, 256
 . محفوظ (قداش): 45, 212 . 263
 . محمد (التركزي): 138 . محمد (ناصر): 12, 236, 247
 . محمد (الميسوم): 163 . محمد (مسلم): 15
 . محمد (بريزن): 242 . محمد أبو القاسم (البوجليلي): 160
 . محمد (بن ابي شنب): 07, 09, 238 . 272, 273, 275
 . محمد (بن العربي): 282, 290, 311 . محمد السعيد (بن زكري): 6, 11, 125
 . محمد (بن باديس): 268 . 126, 141, 144, 160, 162, 167
 . 276, 280, 285, 290, 299, 315 . 170, 238, 250, 262, 310, 313
 . 331 . 314, 324, 325, 329
 . محمد (بن الشايب): 147 . محمد الشريف (ابن علي الشريف): 39, 117
 . 161, 228, 257, 260, 301

- 194، 172، 76، 74: مصالي (الحاج).
 .279 محمد الصديق (بن العيساوي).
 .178 محمد الصغير (بن الحاج علي).
 .283 محمد الطيب (اليعلاوي).
 .224 مصطفى (الشرشالي).
 .281 محمد بن أحمد بن الشريف (الجزائري).
 .229 مصطفى (بن السادات).
 .272 محمد بن عبد الرحمن (الديسي).
 .74، 73 مصطفى (بن الكبابطي).
 .138 محمد بن عبد الملك (اليزيدي).
 .268 مصطفى باش (تارزي).
 .177 محمد بن عبدالرحمن (الأزهري).
 .272 مصطفى بن عزوز (البرجي).
 .178، 164 محمد بن عزوز (البرجي).
 .178 معمّر (بن الحاج علي).
 .243، 238، 236، 11، مفدي (زكرياء).
 .304، 277، 274، 304 محمد بن لفته بن محمد بن أحمد (الزجلاوي).
 .309، 135، 309، ال مهدي (بوعبدلي).
 .272، 170، 272 محمد بن يوسف (اطفيش).
 .112 موران.
 .273، 274، 265، 279، 282، 283، 302 المولود (بن الموهوب): 3، 257، 269.
 .314، 311، 309، 302، 283، 270 .
 .331، 316، 315 محمد رشيد (رضا): 221، 218.
 .61، 50، 46، 45، 25، نابليون الثالث: 25، 45، 46، 50، 61.
 .228 محمد علي (باشا): 217.
 .87 ناصر الدين (سعيدوني): 87.
 .278 نصر الدين (الديماني): 278.
 .219 النعمان بن حمير (بن سبأ): 219.
 .178، 162، 154، الهاشمي (دردور): 178، 162، 154.
 .39 هانوتو: 39.
 .32 واري: 32.
 .183 وليام جون تومز: 183.
 .146 يحيى (الدراجي): 146.
 .162 يحيى (الشاوي): 162.
 .178 محمد يحيى (الولاتي): 138.
 .323 محمود (ابن الشيخ علي): 323.
 .248، 247، 227، 161، محمود (كحول): 248، 247، 227، 161.
 .283، 263، 256 المختار (الكونتي): 304، 177.
 .164، 163، 164، المختار بن خليفة (الجلالي): 164، 163، 164.
 .178

.يحيى (بن صالح المليكي):317.

.يوسف (أفندي) الحاج: 219.

.يوسف (شاخه): 302.

،146 ،140 ،139،138،133،11 ،6

،275 ،245 ،188 ،186 ،167 ،160

.329 ،314 ،310 ،283

فهرس الأماكن

- أدرار: 107، 177، 303، 304.
 -الأربعاء نايت يراثن: 54، 105، 119.
 -أزفون (ولاية تيزي وزو): 314.
 -اسطنبول: 216.
 -افريقيا: 55، 104، 278.
 -افغانستان: 217.
 -آقبو: 39، 161، 299.
 -الاسكندرية: 211.
 -الأصنام (الشلف): 80، 249.
 -الأغواط: 31، 177، 254، 256.
 -ألبانيا: 248.
 -البليدة: 34، 51، 246.
 -البيرو: 22.
 -الأوراس: 56، 154، 162.
 -أوروبا: 17، 58، 80، 139، 151، 167،
 253، 322.
 -أولاد جلال: 163، 303.
 -آيت اسماعيل: 56، 177.
 -آيت عيسى: 56.
 -آيت منقلات: 56.
 -إيران: 216، 217.
 -باتنة: 34، 85، 300.
 -بجاية: 27، 29، 36، 81، 85، 105،
 137، 140، 161، 189، 316.
 -برج بوعريرج: 159.
 -بروسيا: 61.
 -بسكرة: 29، 31، 40، 85، 148، 163،
 178، 193، 195، 303.
 -بشار: 31، 303.
 -بغداد: 176.
 -بني سليمان (البليدة): 34.
 -بني وجليس: 159.
 -بني يزقن: 302.
 -بواضية: 56.
 -بيروت: 217.
 -تاويرت: 56، 82.
 -تركيا: 221، 248، 249، 330.
 -تسايت: 182.
 -تطوان: 312.
 -تقرت: 31.
 -تلمسان: 8، 30، 34، 40، 51، 70،
 100، 110، 137، 144، 147، 158،
 159، 185، 191، 194، 196، 200،
 208، 270، 280، 282، 298، 312.
 -تليلات: 280.
 -تندوف: 137، 138، 165.
 -تنس: 34، 162، 228.
 -تنية الأحد: 34.

،170 ،166 ،159 ،155 ،154 ،149	-توات (منطقة): 8 ، 31 ، 148 ، 165 ،
،179 ،178 ،177 ،176 ،175 ،174	،176 ،177 ،181 ،182 ،301 ،303 ،
،190 ،186 ،185 ،183 ،181 ،180	،304 ،305 .
،203 ،201 ،200 ،198 ،194 ،193	-تونس: 28 ، 35 ، 37 ، 154 ، 170 ، 198 ،
،210 ،209 ،208 ،207 ،206 ،205	،218 ،220 ،221 ،231 ،238 ،265 ،
،219 ،218 ،216 ،213 ،212 ،211	،273 ،279 ،316 ،330 .
،227 ،226 ،224 ،223 ،221 ،220	-تيازة: 188 ، 196 .
،240 ،238 ،237 ،235 ،234 ،228	-تيدكلت: 193 .
،254 ،249 ،247 ،245 ،244 ،243	-تيزي وزو: 85 ، 88 ، 94 ، 105 ، 159 ،
،260 ،259 ،258 ،257 ،256 ،255	،189 ،313 ،314 .
،272 ،269 ،268 ،266 ،263 ،261	-تيمي: 182 ، 304 .
،281 ،280 ،278 ،277 ،276 ،274	-تيميمون: 104 ، 193 ، 305 .
،292 ،291 ،290 ،288 ،285 ،282	-الجيل الأسود: 248 .
،299 ،298 ،297 ،295 ،294 ،293	-الجزائر: 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 8 ، 9 ،
،309 ،308 ،307 ،306 ،302 ،300	،10 ،11 ،12 ،15 ،16 ،19 ،21 ،22 ،
،319 ،318 ،316 ،315 ،314 ،312	،24 ،25 ،28 ،32 ،33 ،35 ،36 ،37 ،
،330 ،327 ،323 ،322 ،321 ،320	،38 ،40 ،41 ،42 ،43 ،44 ،45 ،46 ،
،332 ،331	،47 ،52 ،53 ،54 ،55 ،56 ،63 ،65 ،
-جمعة الصهاريج: 55 ، 82 .	،66 ،67 ،68 ،71 ،77 ،75 ،76 ،77 ،
-جندل (مليانة): 180 .	،78 ،79 ،80 ،81 ،83 ،85 ،87 ،89 ،
-جيجل: 39 ، 81 .	،91 ،93 ،95 ،97 ،99 ،101 ،102 ،
-الحجاز: 221 ، 216 .	،103 ،105 ،106 ،107 ،109 ،110 ،
-حجوط: 188 .	،112 ،113 ،115 ،119 ،120 ،121 ،
-خنشلة: 159 ، 162 ، 180 ، 260 .	،122 ،123 ،127 ،129 ،133 ،135 ،
-دلس: 85 ، 314 .	،137 ،139 ،140 ،141 ،142 ،143 ،

- دمشق: 216.
- عين الحمام: 56.
- دوار بني محمود: 103، 284.
- عين صالح: 193.
- الزباب (منطقة): 164، 195، 303.
- عين مليلة: 268.
- زاوية كنته: 165، 177، 305.
- غرداية: 104، 177، 197، 302، 303.
- الساورة: 182.
- غليزان: 157، 159، 176.
- فرنسا: 1، 10، 12، 2243، 45، 46،
- سكيكدة: 34، 47، 214.
- 47، 50، 51، 63، 65، 68، 69،
- سيدي بلعباس: 34، 64، 85، 137،
- 73، 71، 82، 83، 84، 89، 91، 95،
- 96، 111، 115، 116، 119، 121،
- 123، 124، 125، 126، 127، 128،
- الشام: 216.
- 129، 153، 169، 170، 175، 201،
- شرشال: 85، 110، 144، 188.
- 202، 203، 207، 208، 214، 215،
- شمال افريقيا: 52، 57، 73، 102، 105،
- 219، 219، 187، 189، 190، 219،
- 223، 277، 278، 290، 291، 298،
- 231، 237، 238، 239، 240، 241،
- 242، 243، 247، 248، 249، 262،
- 277، 278، 286، 317، 322، 323،
- 324.
- الصين: 215، 247.
- 324.
- طرابلس الليبية: 35، 255، 280.
- قالمة: 40، 85، 110، 176، 198،
- 268.
- طولقة: 40، 163، 195، 275، 300،
- 303.
- القاهرة: 211.
- عنابة: 29، 36، 39، 40، 41، 42، 47،
- 81، 94، 300.
- 85، 137، 140، 144، 145، 159،
- قرية الزلامطة (معسكر): 157.
- 198، 233، 243، 257، 259، 260،
- القسطنطينية: 211، 218.
- 297، 298.
- قسطنطينية: 9، 10، 28، 29، 30، 34،
- 35، 36، 39، 45، 47، 48، 49، 50،
- عين البنيان: 86.

مستغانم: 42، 47، 80، 90، 137، 287.	51، 71، 80، 81، 83، 85، 88، 97، 101، 105، 110، 112، 137، 140،
مصر: 155، 217، 218، 220، 221، 235، 237، 280، 312، 330.	144، 145، 146، 155، 162، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 185،
معسكر: 30، 32، 85، 137، 157، 260.	196، 197، 206، 211، 229، 230، 249، 257، 259، 266، 267، 268،
مغرب الأقصى: 30، 255، 316، 321، ال مكة: 155.	269، 272، 279، 280، 290، 293، 297، 298، 302، 308، 309، 311،
مليانة: 32، 137، 180، 195، 236، 321.	312، 313، 314، 320، 321، 330، قصر الشلالة: 81.
منطقة سوف: 151، 164، 187.	قصر رقان: 182.
ميلة: 301.	قصر عريان الراس: 182.
ندرومة: 8، 30، 81، 235، 299.	القل: 39.
الهند الصينية: 249.	كاليدونيا: 228.
الهند: 61، 217.	كرزاز: 164، 182، 303.
وادي ريغ (منطقة): 164.	كندا: 22.
ورقلة: 31، 56، 177.	كورسيكا (جزيرة): 154.
الولايات المتحدة الأمريكية: 106.	الكونغو: 249.
وهران: 8، 30، 31، 34، 44، 45، 47، 48، 49، 75، 80، 83، 85، 105،	ليبيا: 154، 164، 316.
110، 115، 137، 147، 159، 176، 177، 179، 181، 182، 194، 239،	مازونة: 34، 137.
243، 270، 289، 298، 320.	المتيجة: 280.
	المخادمة: 193.
	المدينة: 32، 163، 218.
	المدينة المنورة: 216.

فهرس

المجلات والمجرائك

- الأهرام: 217.
-جريدة المؤيد: 216، 237.
-بريد الجزائر: 223.
-جريدة النصيح: 9، 224، 245.
-التقويم الجزائري: 9، 256، 257، 261، 283.
-جريدة الهلال الجزائرية: 219، 242، 244.
-جريدة الإحياء: 202، 212، 246، 321.
-جريدة الاسلام: 9، 243.
-جريدة الجزائر: 250.
-جريدة الحاضرة التونسية: 238.
-جريدة الحق العنابي: 7، 9، 219، 233.
-جريدة الأحياء: 234، 240، 253، 330.
-جريدة الحق الوهراني: 2، 233، 235.
-جريدة الزوراء: 217، 259، 270، 330.
-جريدة الفاروق: 7، 9، 200، 224، 253.
-جريدة الفرات: 217، 254، 255، 276، 283، 308، 330.
-جريدة اللواء: 218، 219، 316.
-جريدة المرصد: 219.
-جريدة المسلم: 244.
-جريدة المصباح: 2، 9، 217، 224، 239، 240، 241.
-جريدة المغرب: 8، 9، 212، 230، 237.
-جريدة المقتطف: 217، 218، 238، 233.
-جريدة المنار: 217، 275.
-جريدة النصيحة: 245.
-جريدة الهلال الجزائرية: 219، 242، 244.
-جريدة ذو الفقار: 2، 7، 9، 212، 224، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 283، 308، 317، 330.
-جريدة مصر: 217.
-جريدة وادي النيل: 217.
-حدائق الأخبار: 217.
-الرائد التونسي: 217.
-روضة الاسكندرية: 217.
-صحيفة الأخبار: 235.
-العروة الوثقى: 214، 215، 217، 218.
-كوكب افريقيا: 2، 7، 9، 224، 244، 247، 248، 250، 256، 276، 309، 315، 330.
-الكوكب المصري: 217.
-لسان الحال: 217.
-المبشر: 229، 230، 321.
-المجلة الافريقية: 9، 123، 211، 280، 302.
-مجلة الشهاب: 195، 314، 316.
-المرشد الجزائري: 223.

-المصباح: 2، 9، 217، 224، 239، 240،

.241

-المنتخب: 3، 7، 116، 223، 231،

.330

-الوقائع المصرية: 217، 220.

فهرس المحتويات

الشكر والعرفان

الاهداء

قائمة المختصرات

1..... المقدمة

الفصل الأول

الثقافة والفكر في الجزائر المستعمرة قبل 1880

15..... أولاً: تحديد مفهوم المصطلحات

15..... 1- مفهوم الثقافة

17..... 2- اللغة والهوية

17..... 1-2 مفهوم اللغة

19..... 2-2 مفهوم الهوية

20..... 3-2 العلاقة بين اللغة والهوية

21..... 3- مفهوم المثاقفة والتثقيف الاستعماري

23..... 4- مفهوم النخبة والتقسيم النخبوي في الجزائر المستعمرة

25..... ثانياً: التعليم والثقافة الاسلامية 1830-1880

26..... 1- المساجد

30..... 2- الكتابات

34..... 3- المدارس

37..... 4- الزوايا

41..... ثالثاً: التعليم والثقافة الاستعمارية 1830-1880

41..... 1- التعليم الابتدائي

47..... 2- التعليم الثانوي

50..... 3- المدارس الشرعية الثلاثة

52..... 4- التعليم الديني (التبشير والتنصير)

54..... 1-4 جمعية الآباء اليسوعيين (الجزويت)

55..... 2-4 جمعية مبشري السيدة الإفريقية (الآباء البيض)

56..... 3-4 جمعية ميلد ماي

الفصل الثاني

الجزائريون والمدرسة الفرنسية في الجزائر 1880-1914

- أولاً: مساعي جديدة في السياسة التعليمية الفرنسية.....61
- 1-تحولات وتغيرات61
- 1-1 نحو علمانية التعليم وصورة المدرسة الأهلية عند الجمهوريين61
- 2-1 جزائريون من أجل تعليم أبناءهم في المدارس الفرنسية63
- 3-1 قانون إجبارية التعليم.....67
- 2-المسألة اللغوية وتوظيف العامية في السياسة التعليمية70
- 2-1 اللغة العربية بين تعليمها ومحاربتها70
- 2-2 نشر اللغة الفرنسية72
- 3-2 توظيف العامية في التعليم والإدارة العمومية75
- 3-التركيز على التعليم المهني77
- 4-تدريس المرأة في الاستراتيجية الفرنسية80
- ثانياً: المؤسسات التعليمية82
- 1-مدارس التعليم الابتدائي.....82
- 2-مدارس التعليم الثانوي94
- 3-مدارس تخريج الأئمة والقضاة (المدارس الشرعية الفرنسية)98
- 4-مدارس التعليم التبشيري والتنصيري101
- 5-تطور التعليم العالي وتأسيس جامعة الجزائر107
- 5-1 إنشاء المدارس العليا.....107
- 5-1-1 المدرسة العليا للطب107
- 5-1-2 المدرسة العليا للآداب109
- 5-1-3 المدرسة العليا للعلوم.....111
- 5-1-4 المدرسة العليا للحقوق111
- 5-2 تأسيس جامعة الجزائر112
- 6-تعليم الجزائريين بين التأيد والمعارضة114
- 6-1 موقف المستوطنون والصحافة الفرنسية في الجزائر114
- 6-2 موقف الجزائريين116

119.....	ثالثا: أهداف السياسة التعليمية.....
120.....	1-نشر الثقافة الفرنسية
122.....	2- الاحضاع الفكري والمعنوي
127.....	3-تكوين النخب

الفصل الثالث

الواقع الثقافي في الأوساط التقليدية

132.....	<u>أولا: التعليم في المساجد والمدارس.....</u>
132.....	1-الكتاتيب والصمود الثقافي
136.....	2- المدارس القرآنية
140.....	3- المساجد
150.....	<u>ثانيا: الزوايا بين القمع الاستعماري، التجدد وضرورة الاصلاح</u>
153.....	1-التضييق والقمع الاستعماري للزوايا
156.....	2- وضع الزوايا بين 1880-1914.....
157.....	1-2 زوايا الغرب الجزائري
159.....	2-2 زوايا الشرق الجزائري
163.....	3-2 الزوايا في الجنوب الجزائري
167.....	3- ضرورة إصلاح الزوايا
170.....	<u>ثالثا: الطرق الصوفية؛ الواقع ومسألة الولاء.....</u>
171.....	1-التربية الروحية ومسألة الولاء
175.....	2-الطرق الصوفية بين 1880-1914.....
176.....	1-2 الطريقة القادرية
177.....	2-2 الطريقة الخلواتية
177.....	1-2-2 الطريقة الرحمانية
178.....	2-2-2 الطريقة التيجانية
179.....	3-2 الطريقة الشاذلية
182.....	4-2 بقية الطرق الصوفية
183.....	<u>رابعا: الثقافة الشعبية.....</u>
184.....	1-العادات والتقاليد.....

184.....	1-1 اللباس.....
186.....	2-1 الزواج.....
190.....	2-المعتقدات والطقوس الشعبية
190.....	1-2 الأعياد والمناسبات الدينية
194.....	2-2 الوالي والزيارة في المجتمع الجزائري
196.....	3-2 ظاهرة الشعوذة أصولها وأبعادها الثقافية.....
197.....	3- أثر الاستعمار في الثقافة الشعبية
197.....	1-3 مظاهر التأثير الثقافي
201.....	2-3 وسائل التأثير الثقافي

الفصل الرابع:

النهضة الثقافية ومظاهرها

205.....	<u>أولا: ظروف النهضة.....</u>
205.....	1-الظروف الداخلية.....
205.....	1-1 الإصلاحات السياسية فترة حكم جول كامبون وشارل جونار.....
209.....	2-1 الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية
212.....	3-1 نشأة ونشاط حركة الشبان الجزائريين
214.....	2-الظروف الخارجية
214.....	1-2 مشروع الجامعة الاسلامية.....
216.....	2-2 الجمعيات والصحف الخارجية وعلاقتها بالمجتمع الجزائري.....
220.....	3-2 النهضة والحركة الاصلاحية في العالم الاسلامي
222.....	<u>ثانيا: الصحافة وروادها</u>
225.....	1-الصحف المزدوجة اللغة
226.....	1-1 صحيفة المبشر
230	2-1 جريدة المنتخب
233.....	3-1 جريدة الحق
233.....	1-3-1 جريدة الحق العنابي.....
235.....	2-3-1 جريدة الحق الوهراني
235.....	4-1 صحيفة الأخبار

237.....	5-1 جريدة المغرب
239.....	6-1 جريدة المصباح
241.....	7-1 جريدة الهلال
243.....	8-1 جريدة الإسلام
244.....	9-1 جريدة المسلم
244.....	2- الصحف باللغة العربية
244.....	1-2 جريدة النصيح
245.....	2-2 جريدة النصيحة
245.....	3-2 جريدة الإحياء
247.....	4-2 جريدة كوكب افريقيا
250.....	5-2 جريدة الجزائر
250.....	6-2 جريدة ذو الفقار
254.....	7-2 جريدة الفاروق
256.....	8-2 التقويم الجزائري
259.....	<u>ثالثا: الجمعيات والنوادي</u>
260.....	1-الجمعية الراشدية
263.....	2-الجمعية التوفيقية
266.....	3-الجمعية الخيرية الاسلامية
268.....	4-نادي صالح باي

الفصل الخامس

حركة التأليف والتيارات الفكرية عند الجزائريين 1880-1914

272.....	<u>أولا: حركة التأليف</u>
272.....	1- حركة التأليف في العلوم النقلية
281.....	2- حركة التأليف في العلوم العقلية
284.....	3- الكتب التعليمية والتربوية
288.....	4-الدراسات المعجمية
290.....	5- حركة إحياء التراث
291.....	<u>ثانيا: المكتبات وخزائن المخطوطات</u>

291.....	1-المكتبات
291.....	1-1المكتبة العمومية
294.....	2-1 المكتبة الجامعية
297.....	3-1 المكتبات العسكرية والبلدية والمدرسية
299.....	2- خزائن المخطوطات
299.....	1-2 خزائن المخطوطات بزوايا العلم
301.....	2-2 خزائن المخطوطات الخاصة
306.....	<u>ثالثا: التيارات الفكرية</u>
306.....	1-التيار المحافظ التقليدي
308.....	2-التيار الإصلاحى
317.....	3-التيار الاندماجى
321.....	4- قضايا ثقافية
327.....	الخاتمة
333.....	الملاحق
404.....	قائمة المصادر والمراجع
434.....	الفهارس
435.....	فهرس الأعلام
444.....	فهرس الأماكن
449.....	فهرس المجالات والجرائد
452.....	فهرس المحتويات

تعالج أطروحة الدكتوراه موضوع: **الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880-1914**؛ فقسمت الدراسة إلى خمسة فصول؛ حيث عالجت في **الفصل الأول**: الثقافة والفكر في الجزائر المستعمرة قبل 1880، وهو فصل تمهيدي؛ بدأت به بتحديد مفهوم بعض المصطلحات المرتبطة بالبحث ومنها؛ مفهوم الثقافة والفكر، وتحديد مفهوم اللغة والهوية، ومفهوم الثقافة والتثقيف الاستعماري، والنخبة والتقسيم النخبوي في الجزائر المستعمرة، وهذه المصطلحات مهمة في تحليل الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ثم انتقلنا للحديث عن التعليم والثقافة الإسلامية 1880-1830 بداية بوضع المؤسسات التعليمية فترة (1830-1880)، وفي نهاية هذا الفصل كتبت عن التعليم والثقافة الاستعمارية، بالتعرض للتعليم الابتدائي ومؤسساته، ثم التعليم الثانوي، والمدارس الشرعية الثلاثة.

باشرنا **الفصل الثاني** بدراسة موضوع: الجزائريون والمدرسة الفرنسية، بداية بمساعي جديدة في السياسة التعليمية، منها التوجه نحو علمانية المدرسة الفرنسية، وقانون إجبارية التعليم، وبعد ذلك درست المسألة اللغوية وتوظيف العامية في السياسة التعليمية، وأخيرا تدريس المرأة والتركيز على التعليم المهني، ثم شرعت في الحديث على المؤسسات التعليمية الفرنسية، والمتثلة في مدارس التعليم الابتدائي، ومدارس التعليم الثانوي، ومدارس تخريج السلك الديني والقضائي، ثم المدارس الخاصة، كل ذلك في فترة (1880-1914)، وبعدها مسألة تعليم الجزائريين بين التأييد والمعارضة وختمت هذا الفصل بالتعليم العالي بداية من تأسيس المدارس العليا والمعاهد إلى غاية إنشاء الجامعة ودورها في الثقافة والفكر.

كان موضوع **الفصل الثالث** حول: الواقع الثقافي في الأوساط التقليدية، بداية من حالة التعليم في المساجد والمدارس والكتاتيب القرآنية، ومصير هذه المؤسسات مشيرا إلى مطالبة بعض علماء الجزائريين إلى إصلاح هذه المؤسسات وتطوير مناهجها التعليمية والتربوية، ومن جهة أخرى تعرضت إلى الواقع المأسوي للمساجد، ثم الزوايا بين القمع الاستعماري، التجدد وضرورة الإصلاح، وكذلك للطرق الصوفية؛ الواقع ومسألة الولاء، وأخيرا موضوع الثقافة الشعبية والذي جزأته لعناصر وهي: العادات والتقاليد في اللباس والزواج، ثم المعتقدات والطقوس الشعبية، ومنها الأعياد والمناسبات الدينية خاصة عادات الجزائريين في العيدين الأضحى والفطر، ومناسبة عاشوراء والمولد النبوي، ومن مواضيع الثقافة الشعبية الولي والزيارة في المجتمع الجزائري، وكذلك ظاهرة الشعوذة أصولها وأبعادها الثقافية، وأخيرا أثر الاستعمار في الثقافة الشعبية.

موضوع **الفصل الرابع** حول: النهضة الثقافية في الجزائر ومظاهرها، وقسمته إلى ثلاث عناصر أساسية: ظروف النهضة الثقافية، والصحافة، ثم الجمعيات والنوادي؛ فقد توفر للنهضة الثقافية ظروف داخلية؛ منها الإصلاحات السياسية خاصة في فترة حكم الحاكم العام شارل جوناك وقبله جول كامبون، وظهور حركة الشبان الجزائريين، ومن العوامل الخارجية انتشار أفكار الحركة الإصلاحية الدينية على يد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، والترويج لفكرة

الجامعة الاسلامية، وركزت على الصحافة كمظهر من مظاهر النهضة الثقافية، وقسمتها إلى قسمين: صحافة مزدوجة اللغة، وصحافة مكتوبة باللغة العربية فقط، ورتبتها حسب السبق الزمني في ظهورها، ومن الصحافة التي كتبت عنها نذكر: المبشر، المنتخب، الحق العنابي، المغرب، كوكب افريقيا، ذو الفقار، الفاروق، وموضوع العنصر الأخير من هذا الفصل هو: الجمعيات والنوادي الثقافية.

درسنا في **الفصل الخامس**: حركة التأليف والتيارات الفكرية عند الجزائريين (1880-1914)؛ فبدأت بحركة التأليف في العلوم النقلية: من علوم الشرعية والفنون الأدبية، ثم حركة التأليف في العلوم العقلية والتجريبية خاصة الدراسات التي قدمت في الطب، والفلك، وخصصت عنوان للكتب التي ألفت لأهداف تعليمية وتربوية، وعنوان آخر للدراسات المعجمية خاصة تأليف القواميس العربية الدارجة- الفرنسية، وأخير التحقيق وحركة إحياء التراث، وقد اشتهر في ذلك محمد ابن أبي شنب، ثم انتقلت للحديث عن موضوع آخر في هذا الفصل وهو المكتبات؛ منها المكتبة الوطنية، ثم المكتبة الجامعية، والمكاتب البلدية والعسكرية والخاصة، ثم خزائن المخطوطات التي سلمت من نهب الاستعمار أو تم إعادة بناؤها من جديد، وأنهت هذا الفصل بالكتابة عن التيارات الفكرية وقسمتها إلى ثلاثة حسب مواقفها وتوجهاتها الثقافية، وهي: التيار المحافظ التقليدي، والتيار الاصلاحى، وأخيرا التيار الاندماجي، وخصصت لكل تيار تعريفاً، وأفكاره، وأهم رواده.

الكلمات المفتاحية: السياسة التعليمية، الثقافة، التيارات الفكرية، الصحافة، الجرائد، السياسة الاستعمارية، المساجد، التعليم القرآني، الزوايا، الطرق الصوفية، الثقافة الشعبية، التعليم التبشيري، الجمعيات والنوادي، المكتبات، خزائن المخطوطات، جامعة الجزائر، المدارس العليا، حركة التأليف.

الملخص (باللغة الفرنسية)

Thèse de doctorat traite : **la vie culturelle et intellectuelle en Algérie 1880-1914**. L'étude se compose de cinq chapitres. **Le premier chapitre** qui sert d'introduction présente la Culture et la Pensée en Algérie coloniale avant 1880 ; initié par la détermination de certains termes liés à la recherche y compris le concept de la culture et de la pensée, de définir la notion de langue et de l'identité, le concept de l'acculturation et l'acculturation coloniale et l'élite et la division d'élite en Algérie coloniale, Des termes qui sont importants pour analyser la vie culturelle et intellectuelle en Algérie à la fin du XIXe siècle et au début du XXe siècle. Ensuite nous avons évoqué l'éducation et la culture islamique (1830-1880) début du développement à travers les institutions éducatives tandis que la fin du chapitre a servi à l'étude de l'éducation coloniale et de la culture en exposant l'enseignement primaire et ces institutions, l'enseignement secondaire et la légitimité des trois écoles.

le second chapitre révèle la relation des Algériens et l'école française en commençant par de nouvelles optiques dans la politique éducative y compris la

tendance séculaire de l'école française et la loi relative à l'enseignement obligatoire, puis la problématique de la langue ainsi que l'emploi de dialecte dans la politique éducative, à la fin l'enseignement de femme et la concentration sur la formation professionnelle. Puis l'analyse des établissements d'enseignement français représentés par les écoles primaires, secondaires, les sortants des écoles judiciaires et religieuses et les écoles privées durant la période (1880-1914) Et après, la problématique de l'enseignement des Algériens entre soutien et opposition. On a clôturé ce chapitre par l'enseignement supérieur à partir de la création d'écoles supérieures et les collèges jusqu'à la création de l'université et son rôle dans la culture et de la pensée.

Le troisième chapitre du sujet: La réalité culturelle quand imitateurs, le début de l'état de l'éducation dans les mosquées, les écoles et l'école coranique, et le sort de ces institutions, se référant à la demande par certains scientifiques algériens pour réformer ces institutions et le développement des programmes d'enseignement, d'autre part, est venu à la réalité des mosquées tragiques, puis les Zawiyas entre répression coloniale, la régénération et la nécessité d'une réforme, ainsi que les moyens soufis, la réalité et la question de la loyauté, et enfin le sujet de la culture populaire contient des éléments: les coutumes et les traditions de la robe et le mariage, puis les croyances et les rituels populaires, y compris les jours d'événements religieux spéciaux algériens habitudes dans l'Eid El-Adha et El- fitar, l'Achoura.

Thème **Chapitre IV** est: Renaissance culturelle en Algérie, et divisé en trois éléments de base: les conditions de la renaissance culturelle, et la presse, puis les associations et les clubs; il offre une renaissance culturelle conditions internes d'entre eux, en particulier dans la période du gouverneur règle générale de Charles Jonnart réformes politiques, et avant Jules Cambon, et l'émergence de le mouvement des jeunes Algériens, et les facteurs externes répandre des réformistes idées du mouvement religieux par Jamal El-Afghani, Muhammad Abdou, et la promotion de l'idée de l'Université islamique, axée sur le journalisme comme une manifestation de la renaissance culturelle, et divisé en deux parties: la presse est bilingue, et le journalisme écrit en arabe seulement, organisé par plomb de temps dans leur apparence, et la presse a écrit au sujet sont: Mobacher, El-Montakheb, El-Hak Annabi, El- Maghrib, El-kawkab l'Afrique, Do el-fikar, El-Farouk, et le sujet du dernier élément de ce chapitre est: associations et clubs culturels.

Nous avons examiné dans le **chapitre V**: Mouvement d'écriture et courants intellectuels lorsque les Algériens (1880-1914), le début du mouvement de l'écriture dans la légitimité et les sciences humaines, puis mouvement de l'écriture dans les sciences de l'esprit et études expérimentales privées présentées dans la médecine, l'astronomie, Ensuite, je l'ai écrit au sujet de la littérature écrite à des fins éducatives et d'enseignement, ainsi que des études lexicales privés publiés dictionnaires arabes -

français, l'enquête et le mouvement de la renaissance du patrimoine, était connu à ce Mohamed Ibn Chanab, passe ensuite à parler d'un autre sujet dans ce chapitre est une bibliothèque, y compris la bibliothèque national, la bibliothèque de l'université, les bureaux municipaux, militaires et privés, les armoires manuscrits, et à la fin de ce chapitre, nous avons parlé des courants intellectuels: les conservateurs traditionnels, les réformateurs, les modernistes.

Mots-clés: politique de l'éducation, la culture, les courants intellectuels, les presse, les journaux, la politique coloniale, les mosquées, les Zawiyas, l'enseignement coranique, soufis, la culture populaire, associations et clubs, bibliothèques, l'Université d'Alger, les écoles secondaires, le Mouvement d'écriture.